1500

12-1-1948

K - 1341

تاريخ

دير سيدة النجاة

اي

دير الشرفة

ܕܝܪܐ ܕܡܪܬܐ ܕܫܘܙܒܐ ܕܫܪܦܬ

(١٧٨٦ — ١٩٤٦)

تأليف

الخوري اسحق ارملة السرياني

مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين – جونيه – لبنان

١٩٤٦

تقدمة الكتاب

لنيافة مولاي الموقّر

الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني

بطريرك السريان الانطاكيّ المثلث الطوبى

الرئيس الاعلى على دير سيدة النجاة بالشرفة

خليفة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة

مؤسّس دير الشرفة الطيب الآثار

متوسّلاً الى مكارمكم بعاطفة الخضوع والاجلال ان تشملوا تقدمتي الذليلة بنظركم الابويّ وتحلّوها محلّ الرضا والقبول وتمنّوا ببركتكم الرسوليّة وأدعيتكم الابويّة على

خادمكم

الخوري اسحق ارملة

تلميذ دير الشرفة

دير سيدة النجاة بالشرفة ١٥ آب سنة ١٩٤٦

سيدة النجاة - دير الشرفة

دير سيدة النجاة في الشرفة (لبنان)

مقدّمة

باسم الله القدّوس مشرّف أوليائهِ ومكافئ أصفيائهِ

امّا بعد فقد تفرّغ فريق من الكتبة لوصف الجبل اللبنانيّ المبارك فاسترسلوا في تعداد أنجاده وأغواره وغاباته وأنهاره واشجاره وثماره وثلوجه وصفاء جوّه وجودة مناخه وخصب تربته . وكتب فريق آخر عن ملوكه وسكانه الآراميّين الفنيقيين وعن آلهتهم وهياكلهم وقصورهم وصروحهم واضرحتهم ولاسيما عن أبجديتهم المبتكرة وأسفارهم بحراً وبرّاً ومستعمراتهم . ولكنه قلّ من استوفى وصف لبنان المسيحي وما ازدان به من كنائس ومدارس ومعاهد واديار وصوامع ومناسك انقطع اليها عدد صالح ممن أعرضوا عن الدنيا وزخرفها واستحقروا زهوها وبهرجها . وقضوا حياتهم قانتين متهجدين صائمين مصلين مترنمين بتسابيح الرب العلي . يضحّون بحياتهم في خدمة الانفس وتثقيف العقول لا يتوخّون في اعمالهم المبرورة سوى ارضاء الله عزّ وجلّ وتعزيز كنيسته المصطفاة .

هذه اديار السريان الموارنة القديمة والحديثة التي تكلل اغلب قمم لبنان وهضابه . وهذه اديار الروم الملكيين والأرمن

الكاثوليك دع اديار رهبان فرنسا وراهباتها فرنسيسكانيين ويسوعيين وكرمليين وكبوشيين ولعازريين وراهبات المحبة والناصرة ومار يوسف والراعي الصالح وغيرها من الاديار الزاهرة التي أتينا على تفاصيلها في كتابنا «آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا» (ص١٥٦–١٨٦) . فهي برمّتها تبرهن عما كابده رهبانها الاتقياء وراهباتها الورعات من أعراق وأتعاب وأخطار وأسهار حتى حوّلوا صخور الجبل الصلْبة وحجاره المبعثرة وصروده القحلة الى رياض خضراء وأجماتٍ فنواء ومزارع خصيبة وخمائل جميلة . وافعموا اللبنانيين فضيلةً وفضلًا وعلماً وأدباً . وصحّ فيهم قول المرتل : « ܙܕܝܩܐ ܐܝܟ ܕܩܠܐ ܢܦܪܥ . ܘܐܝܟ ܐܪܙܐ ܕܒܠܒܢܢ ܢܣܓܐ . ܢܨܝܒܝܢ ܒܒܝܬܗ ܕܡܪܝܐ . ܘܒܕܪ̈ܘܗܝ ܕܐܠܗܢ » (ܡܙ : ܨܒ) .

ولقد كان للسريان كذلك في سالف الاعصار أديار جمة في قمم لبنان المبارك وفي سواحله وأريافه حفظت الصحف السريانية الثمينة اسماءها . نذكر منها ١ً — دير الحدث (في الجبّة) . وقد ورد ذكره في مخطوطة لندن ١٤٥٤٢ السريانية المنسوخة عام ٥٠٩م . ٢ً — دير ربولا السميساطي ٣ً — دير القديسة مطرونا . ٤ً — دير العمودي . وهذه الاديار الثلاثة ابتناها الرهبان والراهبات السريان في ضواحي بيروت منذ القرن الخامس . ٥ً — دير الفلسفة الحقيقية بطرابلس وقد أورد

ذكره زكريا البليغ في سيرة سويرا زميله في جامعة بيروت الفقهية (مجموعة الآباء الشرقيين ٢ : ٨١) . ٦ً — دير والدة الله وهو دير البلمند الذي شاده رهبان مار برنردس الصليبيون ثم سلّموه عام ١٢٨٩ الى الرهبان السريان . ٧ً — دير مار يوحنا وقد جاء ذكره في مخطوطة باريس السريانية (رقم ١٧١) . ٨ً — دير مار سركيس في حردين اثبت ذكره ناسخ مخطوطة دير الشرفة (٣ — ٢٥) . ٩ً — دير مار يعقوب في اهدن . ١٠ً — دير مار جرجس في حدشيت . ١١ — دير الغوبة في بقوفا . وهذه الاديار الثلاثة ذكرها العلامة الكبير البطريرك مار اسطفان الدويهي الحميد الآثار في تاريخه (١٢٩—٤١٢ و٤٤١) .

بيد ان هذه الاديار وغيرها من اديار السريان القديمة العهد قد عفا اثرها وانطمس مع كرور الزمان ذكرها وغابت عنا تفاصيل أخبار مؤسسيها ورهبانها .

ولما كانت السنة ١٧٠٨ شيد الرهبان السريان ديرًا باسم مار افرام كنارة الروح القدس في لحف قرية الشبانية من قرى المتن ما برحت آثاره وعقاراته باقية الى هذا اليوم .

ثم ابتنى المطران غريغوريوس شكرالله جروة عام ١٧٦٩ ديراً باسم «العذراء المحزونة» في زوق مصبح بكسروان اندثر أمره على اثر وفاة مؤسسهِ عام ١٧٧٤ وقد نُقل رفاته الى بكركي وصُلّي عليه في كنيستها وفيها دُفن .

وفي ايلول ١٧٨٦ أسس مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة البطريرك الانطاكي الخالد الاثر ديراً في كسروان فوق رابية جميله يقال لها «الشرفة» تشرف على قرية درعون وتُطلّ على مناظر بهية شهية . وأطلق عليه اسم «دير سيدة النجاة» ذلك اقراراً بجميل العذراء المغبوطة التي أنجته من غوائل جمة في رحلاته المزعجة وأسفاره الخطرة يساعده في مهمّته المقدسة البابا بيوس السادس الطيب الذكر وأقطاب الدولة الاسبانية وسيداتها الفاضلات الورعات . وبعد هذا كتب يستدعي اليه شباناً من مختلف الابرشيات السريانية وجعل يلقنهم علم الخلاص ويمرنهم على الدروس الكهنوتية ويخمرهم بالفضائل الراهنة . ويوجههم بعد ذلك الى مختلف المدن والقرى لينهضوا بخدمة النفوس ويفرغوا الجهود في استجلاب المنفصلين الى حظيرة الكنيسة الواحدة .

وقد لبّى دعوته فريق من الشبان الصُلّاح وأقبلوا الى معهده الجديد إقبال الحمامة النوحية الى السفينة المريمية مستأثرين بالخلوة معتكفين على العبادة والدرس يردّدون مع داود النبي:
«ܛܘܒܘܗܝ ܠܓܒܪܐ ܕܐܝܬ ܠܗ . ܘܡܣܩܬܐ ܐܝܬ ܠܗ
ܕܢܥܒܪ ܒܥܘܡܩܐ . ܘܢܥܒܪ ܡܢ ܚܝ̈ܠܘܗܝ ܕܟܐܒܐ . ܘܡܢ
ܡܒܘܥܐ ܕܢܒܥܝܢ . ܘܡܢ ܐܘܨܪܐ ܕܒܪܟܬܐ» (ܦܕ : ܗܘ) .
ويرتشفون مياه الحياة العذبة من ينابيعها الصافية . ويستنشقون

عبير المحاسن من زنبقة العذراء الشهية . يقضون شطراً من يومهم في الصلاة والاناشيد البيعية وشطراً في الدرس والمطالعة يقول لكل فردٍ منهم ما كان يقوله مار اسحق الانطاكي الملفان لكلٍّ من رهبانه (ميمر ٩ : ٨٢) :

ܐܚܝܕ ܢܦܫܗ ܠܐܠܗܐ ܒܫܘܪܬܐ ܘܠܐ ܟܫܝܢܐ
ܡܫܠܠ ܒܟܠܗ ܡܫܘܕܥ ܘܠܡܫܡܠܝܘ ܒܗ ܡܫܡܠܝܘܬܐ

هكذا ثابر تلامذة دير الشرفة على اقتباس اعمال البرارة واكتناز الدروس الكهنوتية حتى فازوا بغايتهم الشريفة وانطلقوا يكرزون بكلام الله الحي في لبنان وسوريا وما بين النهرين والعراق وفلسطين ومصر وارمينيا وغيرها . ويبثّون في القلوب روح الحب والوئام والسلام .

وسلك على خطة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث خلفاؤه البطاركة المغبوطون فاستنفدوا قصارى القوى في تعزيز هذا المعهد الكهنوتي الذي كان وما برح دعامة الملة السريانية ومرجعها الوحيد . وهيأوا للابرشيات المختلفة أحباراً اجلاء وكهنةً نشطاء وشمامسة نجباء وتلامذةً واخوةً اوفياء تشربوا روح التقى وحفظوا في قلوبهم أعذب الذكرى لسيدة النجاة وأنقى عواطف الولاء لرؤسائهم الفضلاء .

مرّ على تأسيس اكليريكية سيدة النجاة في الشرفة ١٦٠ سنة كاملة لم يتفرغ احدٌ لكتابة كلمة طويلة او قصيرة عنها

حتى أنيطت رئاستها عام ١٩٣٢ بصديقي المخلص الخورفسقفوس زكريا ملكي الفضيل فأوعز اليّ عام ١٩٤٠ ان أنشىء تاريخاً مفصلاً مستوفى ينطوي على اخبارها وحوادث تلامذتها منذ اوّل عهدها حتى يومنا . فلبيت الطلب بكل ارتياح ورحت اقلّب الوثائق والصكوك والسجلّات والرسائل وسائر محفوظات الاكليريكية حتى قيَّضت لي العناية الربانية ان اقدم لمحبي سيدة النجاة والحرصاء على تعزيز معهدها المبارك كتاباً دوّنت فيه اخبار الاحبار والخوارنة والقسان والرهبان والاخوة الذين تلقوا الدروس فيه او بذلوا الوسع في عمارته وتوفير أرزاقهِ وتحسين عقاراته . ودبجته برسوم عدد غفير منهم غير متوخٍ في عملي سوى تعزيز اكليريكيةٍ شريفةٍ ربيتُ فيها وتلقيتُ العلوم الكهنوتية على اساتذتها الافاضل . وحصَّلت فيها ما حصَّلتُ بنعمة المولى الجواد ومعونة سيدة النجاة عليها اشرف التحية والسلام .

الخوري اسحق ارمله

تلميذ دير سيدة النجاة بالشرفة

عن دير سيدة النجاة ١٥ آب ١٩٤٦

القسم الاول

مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة البطريرك الانطاكي

مؤسس دير سيدة النجاة في الشرفة

الفصل الاول

حداثة البطريرك ميخائيل الثالث (١٧٣١ — ١٧٥٧)

١ – اسرة البطريرك

هو السيد اغناطيوس ميخائيل الثالث بطريرك السريان الانطاكي ٠ أبصر النور في حلب صباح ٣ كانون الثاني ١٧٣١ وربّاه والده الشماس نعمةالله جروة مع اخوته الاربعة : جبرائيل ويوسف ويوحنا والياس تربية صالحة ٠ واتقن ميخائيل القراءة والكتابة في كلتا اللغتين السريانية والعربية ٠ وجعل يتعاطى التجارة مع ابيه ٠

٢ – سيامته شماساً واقامته معلماً في مدرسة الرها

في السنة ١٧٤٤ رُقي ميخائيل جروة الى رتبة شماس انجيلي بوضع يد البطريرك كوركيس الرهاوي (١٧٤٤ — ١٧٦٨) ٠ ووجّهه البطريرك عام ١٧٥١ الى مدينة الرها ليعلِّم الفتيان في مدرستها ٠ فسافر الشماس وابتنى هناك غرفة واسعة على نفقته وتبرّع بمبلغ عشرين غرشاً سنوياً[١]

---

(١) كتب البطريرك كوركيس الى الشماس ميخائيل جروة في ١١ تشرين الثاني ١٧٥٢ يقول : « . . . ذكر لنا الشماس عبد المسيح انك جاهدتَ في فتح المكتب في اورفا (الرها) ودفعت من عنـدك كلّ سنة عشرين غرشاً الى الكاهن الذي يعلم في المكتب. وفرحنا كثيرًا . نسأل الله تعالى ان يكافيك بخيرات ساوية وارضية ويمسك بيدك » (محفوظات دير الشرفة ١ : ٣)

على القسيس الذي كان يساعده . وما عتم ان قفل الشماس ميخائيل جروة عائداً الى حلب وطنه يواصل التجارة مع والده ويقوم بوظيفة الشماس في كنيسة السيدة عليها السلام . وانشأ في تلك الغضون اخويَّة باسم مار موسى الحبشي وجعل يحبب العيشة الرهبانية الى المشتركين فيها . ثم نظم لهم قوانين محكمة ليسيروا بموجبها ولقَّنهم خصوصاً تلاوة «مسبحة الوردية»

٣ - حديث الشماس مع المطران جرجس فتَّال

كان المتولّي يومئذٍ على ابرشية حلب السريانية السيد غريغوريوس جرجس فتَّال الحلبي مطران القدس الشريف . فعرض عليه الشماس ميخائيل جروة ان يرقي الشماس انطون ابن الخوري عبد الاحد مُعَظَّم الى رتبة قسيس . فشرط عليه المطران ان يرقيه هو كذلك الى تلك الرتبة المقدسة. فارتضى الشماس ميخائيل وارتقى الشماسان معاً في ١٤ تموز ١٧٥٧ الى تلك الرتبة الشريفة . وما مرَّ القليل حتى غادر المطران جرجس فتَّال مدينة حلب واقام القس ميخائيل جروة وكيلاً عنه . فأبدى القس الجديد من التفاني في سبيل الانفس ما حبَّبه الى القريب والغريب .

٤ - زيارته الاراضي المقدسة

في تشرين السنة المذكورة حجَّ القس ميخائيل مدينة اورشليم وزار ضريح الفادي وسائر الاماكن المقدسة . وكتب اليه البطريرك كوركيس بتاريخ ١٥ تشرين الثاني يقول : «عندما ترجع بالخير من زيارة قبر الخلاص انتظر مكاتيبنا في الشام . ونسأل المولى تعالى ان يسهل امركم(١)» .

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ١ رقم ٧

الفصل الثاني

قسوسية البطريرك ميخائيل واسقفيته (١٧٥٧ـ١٧٨١)

كتب البطريرك ميخائيل المغبوط بخط يده خلاصة اعماله تلبيةً لطلب صاحبة الجلالة الملكة ماري لويس قرينة كرلس الرابع ملك اسبانيا (١٧٨٨ – ١٨٠٨) واجابةً الى الحاح الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا المحسنة الكبيرة الى دير الشرفة ونزولاً عند رغبة السيدة دونيا انطونيا رموروزا وفريق من وجهاء اسبانيا ووزرائها . وقد لبّى البطريرك الانطاكي ذلك الطلب فوصف خصوصاً ما عرض له من غوائل واهوال وحبوس واخطار مدّة ٢٨ سنة (١٧٥٧ – ١٧٨٥) ريثما اطمأنّت نفسه البارة بتشييد معهده هذا المبارك .

١ – مقدّمة سيرة حياته

افتتح البطريرك ميخائيل المغبوط اخبار جهاده بهذه المقدّمه[١] :

« انا اغناطيوس ميخائيل جروة مطران حلب سابقاً . والان بنعمة الله تعالى والكرسي الرسولي بطريرك السريان الانطاكي اقول : طلب مني اصدقائي مراراً عديدة ان احرر لهم نبذة عما جرى لي في حياتي منذ ارتسمت كاهناً ليطلعوا ما جرى لي . فأبيت في اول الامر . غير اني لاجل لجاجتهم أَجبت اخيراً الى طلبتهم لمجده تعالى وخير هذا الكرسي الانطاكي السرياني وسأوضح بكل اختصار اولاً : المصائب التي أثارها ابليس عليّ وعلى اكليروسي وجماعتي لا في حلب بلدي فقط بل في الموصل وبغداد وبلاد ما بين النهرين وما يليها . ثانياً : ساوضح الفقر الحاصل لي بسبب الديون المتراكمة عليّ والتي يضايقني اربابها ويلحّون عليّ بطلبها وهي تبلغ

(١) مخطوطة دير الشرفة بقلم البطريرك : رقم ٦ – ٢٥

٣٥٠٠٠ سكوت روماني · ولا تزال تتضاعف فوائدها الوافرة · هذا فضلاً عن المصاريف اليومية اللازمة لمعيشتي الكريهة ومعيشة رفاقي بسبب الفقر العظيم المحيط بي من كل ناحية ·

٢ – اعماله في قسوسيته (١)

« ولكي ابتدىء من الاول اقول : اني منذ السنة ١٧٥٧ التي فيها ارتسمت كاهناً ابتدأت احتمل اضطهادات مختلفة حبًّا بالايمان الكاثوليكي المقدس · لاني بعد ارتسامي باشهر قليلة اقامني البطرك كوركيس الثاني اليعقوبي (١٧٤٥ – ١٧٦٨) رئيساً على كنيسة حلب · غير ان الهنا الرحيم « الذي يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق » (١ طيم ٢ : ٤) أنار ضميري باشعة نعمته الالهية · فجعلتُ أَسعى لا لكي اعرف وحدي هذا الحق وأُقبل اليه بل لكي يعرفه جميع شعبي وبني جنسي · وقد تعبتُ جداً وصرفتُ اموالاً جزيلة وحصلت في اضطهادات صعبة مدة ثماني سنوات حتى قدرت ان احذف من كنيستي العوائد الاراتيكية وأُدخل بدلاً منها عوائد الكنيسة الكاثوليكية ·

٣ – ذهابه الى ديار بكر وسيامته اسقفاً لحلب

« بعد هذا ذهبتُ الى ديار بكر البعيدة ١٥ يوماً عن حلب لكي ازور البطريرك كوركيس واجتذب قلبه الى رائي · ومكثت هناك سنة كاملة أُسايره وارشد جماعته وابذر فيهم زرع الايمان الكاثوليكي خفيةً · غير اني لم اقدر اجتذب قلب البطريرك · لكنه صيَّرني بالتهديد والتخويف اسقفاً (٢) على حلب وامرني ان اعود الى ابرشيتي ·

---

(١) هذه العناوين هي من وضعنا · وقد اضفناها الى الاصل تسهيلاً للمطالع

(٢) تمت السيامة الاسقفية في كنيسة (مريمانا : مريم العذراء) بديار بكر في ٢٣ شباط ١٧٦٦ بمشورة المطران غريغوريوس جرجس فتَّال اذ قال له : « انك اذا تماديت في رفض الاسقفية فسيقيمون اسقفاً آخر يهدم ما اسَّسته » · (محفوظات دير الشرفة : مجلد ٢)

« عند ذلك أضمرتُ بكل شجاعة مسيحية انيَ بعد وصولي الى حلب أكمل ما ابتدأت به . غير انه بعد رجوعي بايام قليلة مات هذا البطرك وخلفه البطرك كوركيس الموصلّي (١٧٦٨ — ١٧٨١) فجعل يضطهدني بالاكثر وقد سبب لي اتعاباً ومشقات وخسائر وافرة .

٤ – انطلاقه الى ماردين ودير الزعفران

« لذلك اتفقت مع المتقدّمين في كنيستي وذهبت الى دير الزعفران البعيد عن حلب نحو ٢٠ يوماً . وواجهت هذا البطرك وجعلت افرغ الوسع لاجتذب خاطره وقلبه كي يسمح لي ان اعلن الايمان الكاثوليكي مع شعبي فما امكن ذلك . لكنه حتم ان امكث عنده في الدير . وهكذا لبثت اربع سنوات اقدّس مع شماسي في مكان منفرد . وفي اثناء ذلك اتفق الحلبيون مع الآباء المرسلين واعلنوا الايمان الكاثوليكي وأرسلوا فاخبروني . فاغتاظ البطرك وزاد في اضطهادي فصبرت على كل ما جرى عليّ .

٥ – عودته الى حلب ومجاهرته بالايمان الكاثوليكي

« ولما حصلت لي الفرصة عدتُ الى حلب منهزماً (في كانون الاول سنة ١٧٧٤) وذهبت الى بيت ابي وهناك تلوتُ بغير تأخير صورة الايمان المقدّس بين يدي السيد اغناطيوس كربوس (جربوع) مطران الروم الكاثوليك في ١٦ كانون الاول بحضور الاب انطون رئيس الكبوشيين وجملة من الاكليرس والشعب . وبعد هذا حررت حالًا رسائل توضح خضوعي للكرسي الرسولي . وارسلتها مع صورة ايماني وأَمضيتها بامضائي وختمي حسب عوائد الاساقفة الشرقيين . وجاءَني من الاب الاقدس (البابا بيوس السادس ١٧٧٥ — ١٧٩٩) التولية الرسولية والانعامات الحبرية ذات القوة والسلطان والشركة المقدّسة . وشكرت إنعام الحي الذي افاض مواهبه على ضعفي بكل سخاء .

٦ = تصرّف البطريرك كوركيس وحبس المطران ميخائيل وقسوسه

« لكنّ البطرك لم يسكت بل حضر الى حلب مع جملة مطارين ورهبان قاصداً الانتقام مني واسترجاع الكنيسة من يدي . وهكذا ضبط الكنيسة وفعل كل ما اراد . غير اننا بعد حبوس وتجريم اموال وافرة واتعاب ومشقات زائدة قدرنا على البطريرك بنعمة الله تعالى واسعاف المؤمنين . واسترجعنا الكنيسة . فعاد الى دير الزعفران ساخطاً[1] . واخذ يرسل المناشير الى البلاد مشهراً عليّ الحرم . وكتب الى بعض الارمن فوشوا بنا الى والي حلب وهذا أرسل اصحابه صباح الاحد وقت القداس الكبير فكبسوا كنيستي وأخذوا جماعة من الكاثوليكيين . ثم ارسل الوالي وطلبني مع كهنتي وأمر بقتلنا شنقاً . فتوسط بعض الحاضرين حتى عدل عن قتلنا وامر بحبسنا ووضع الزناجير في رقابنا . ومكثنا ثمانية ايام هكذا . ولولا معونة الله القدير ومساعدة قنصل الدولة الفرنساوية (مسيو بطرس دريو)[2] الكلّي الشرف والتقوى ولولا توسّط ترجمانه مسيو فنطون الغيور لما امكننا ان نخلص ناجحين .

٧ – انهزامه من حلب

« بناء على ما تقدم ازداد البطرك سخطاً وارسل فاستخرج من اسلامبول بسعي بطرك الارمن الاراتيكي فرماناً بنفيي انا وكهنتي وبعض

---

(١) كان البطريرك كوركيس يساير المطران ميخائيل تارةً وطوراً يتهدده ليستمر في معتقد اليعاقبة . ومن جملة ما كتبه هذا البطريرك في رسالةٍ له تاريخها ١٥ شباط ١٧٧٥ قوله : « ان المطران ميخائيل اقام اربع سنوات في ماردين وكان مثالاً وقدوةً للمطارين والرهبان . وهم يذكرون اسمه دائماً ويدعون له بطول العمر ويمدحونه . لان عقله ومعرفته حيّرت كلّ من يعرف الله تعالى . وقد رأينا مطارين كثيرين ما لهم معرفة ولا عقل ولا يقدروا يراضوا اثنين في حديثهم !!! (محفوظات دير الشرفة : مجلد ١ رقم ٦٣) .

(٢) راجع كتابنا « آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا » صفحة ١٣٣ – ١٣٥

متقدمي كنيستي . فالتزمت ان ابدل ثيابي واهرب حالًا الى اللاذقية ليلًا (في ٢١ آب ١٧٧٨) . ومن هناك انهزمت الى قبرس ومنها الى الاسكندرية ولبثت فيها سبعة اشهر[١] . وبعد هذا ارسل اولادي الحلبيون فاستدعوني واخبروني ان خروج الفرمان ليس صحيحاً . مع ان اليعاقبة كانوا قد أخفوه ليطمئن فكري فاعود راجعاً الى حلب .

٨ — حبس المطران ميخائيل ثانيةً مع كهنته وأسرهم

« حينئذٍ نزلت من الاسكندرية الى رشيد ومنها الى دمياط ويافا واورشليم . ثم عدت الى اللاذقية ووصلت الى حلب بعد مشقات و كُلَف وافرة . ومــا مرَّ القليل على وصولي حتى ارسل البطرك الى والي حلب وطلب منه ان ينفيني بموجب الفرمان ويضبط الكنيسة . فارسل واستحضرني مع جميع الكهنة والمتقدمين فسرنا اليه خارج حلب مسافة ساعتين فوضعَنا عند الجلَّاد في البرّية ١٣ يوماً الارض فراشنا والسماء غطاؤنا والزناجير في رقابنا والقيود في ارجلنا ليلًا ونهاراً مع تهديد وتخويف وطلب اموال تفوق طاقتنا . واخيراً حتم الوالي ان ندفع اربعين كيساً اعني ٢٠ الف غرش او ١٠ آلاف سكوت روماني . وهكذا اطلقَنا بشرط ان نؤدي له المبلغ في مدة اسبوع بكفالة اناس ثقات امينين . وقد تعبنا جداً حتى جمعنا هذا المبلغ الجسيم. واتفق ان البطرك كوركيس مات يومئذٍ مصرّاً على عناده .

(١) اتخذ السريان الكاثوليك في تلك الغضون دار آل فتّال في حلب بمثابة كنيسة كانوا يختلفون اليها ويقيمون فيها الفروض اليومية والصلوات التقوية (راجع كتابنا « عقد اللآل في شجرة آل فتّال : فصل ٢ صفحة ١٧ ومخطوطة دير الشرفة ٧ — ١١ صفحة ١٤١ و١٤٢) وكان مع المطران ميخائيل في الاسكندرية جرجس شماسه ونزل في دار آل شدياق الحلبيين .

الفصل الثالث

بطريركية مار اغناطيوس ميخائيل الثالث
(١٧٨٢ — ١٧٨٣)

١ — اجماع السريان كافة على الانتخاب

« بعد وفاة البطرك كوركيس اتفق جميع اليعاقبة والسريان الكاثوليك في بلاد ما بين النهرين مع مطارينهم ورهبانهم وكهنتهم . وارسلوا الي عرائض مختومة وموقعة منهم صحبة ساعٍ خصوصي يستدعوني لاقوم عليهم بطريركاً . ويحثوني ويحلفوني لاسرع في الحضور اليهم . فكتبت اليهم معتذراً ومستعفياً . وصرحت لهم باني بنعمة الله تعالى كاثوليكي ولست ارضى ان اكون بطريركاً عليهم . ولما وصلهم جوابي كتبوا لي تكراراً كُتُباً اقوى من الاول مصرحين بانهم جميعاً يرتضون بايماني الكاثوليكي وتقريري . وذكروا لي انهم حذفوا اسماء السبعة المحرومين[1] وعبارة « يا مَن صُلبت لاجلنا » من كنائسهم . وصرحوا كذلك باستعدادهم لقبول ما آمرهم به بشرط ان أرضى واصير عليهم بطريركاً . وكرروا التحارير ثالث مرة بكل لجاجة في مدة ثلاثة اشهر[2]

(١) هؤلاء الزعماء السبعة هم : ديوسقورس بطريرك الاسكندرية وبرصوما رئيس الدير وطيمثاوس وانثيمس بطريركا بوزنطيا وسويرا بطريرك انطاكية وفيلكسين مطران منبج ويعقوب البرادعي مطران الرها .

(٢) كتب السريان من كل الاطراف مضابط الانتخاب ووقعوها باسمائهم وختومهم ينادون بالمطران ميخائيل بطريركاً انطاكياً . نذكر منها مضبطة حلب وقد وقّعها وختمها ٣٥٠ شخصاً . ومضابط ماردين ٢١٥ شخصاً . ومضابط الموصل ٣٥٢ شخصاً . وقس عليها مضابط دياربكر والرها وحمص وحماة والنبك والقريتين . وأحصينا نحن ٢٣ رسالة كتبها الماردينيون الى المطران ميخائيل يستدعونه ليتولى البطريركية . وقد ارسل المطران ميخائيل اجوبة الى الاساقفة والخوارنة وعددهم ١٢ خورياً والى اعيان ماردين وقلعة المرأة (محفوظات دير الشرفة : المجلد الاول) .

٢ – سفر المطران ميخائيل الى ماردين

« حينئذٍ استشرت من تجب لهم المشورة ولاسيما رئيس المجمع المقدس في رومية واستصحبت كهنة وشمامسة[1] ودخلنا ماردين في ١٥ تشرين الثاني ١٧٨١ واحتفل الاهالي بقدومنا وقبلونا بكل اكرام ونزلنا في كنيسة الاربعين شهيداً واخذ الكبار والصغار يزورونا ويقبلون الحل وينضمون الى الايمان المقدس . وحينئذٍ امرنا الكهنة الذين معنا ان يعكفوا على سماع الاعترافات ويطوفوا البيوت ويوزعوا الأسرار على النساء .

٣ – مناهضة بعض الاساقفة للمطران ميخائيل

« غير ان عدوّ الخير حرّك مطرانين اخوين[2] فصارا يضادّان أَمرنا ويزرعان الزوان طمعاً في البطركية . فسمحنا لهما بذلك بشرط ان يتحدا معنا بالايمان الكاثوليكي المقدس . لكنهما أبيا وبقيا على غيّهما وجعلا يعاكسانِ أمرنا . فتظاهرنا باننا نروم ان نعود الى حلب وخرجنا من القلّاية وقصدنا بيت احد المسيحيين . فسمع الشعب واقبلوا افواجاً افواجاً يترجوني لاعود الى الكنائس واقدس فيها . وبعد التروّي ذهبت الى كنيسة مار ميخائيل بجنوبي ماردين وصرتُ اقدس فيها لان كهنتها كلهم كاثوليكيون . ثم ارسلت كهنة كاثوليكيين الى سائر كنائس ماردين ليقدسوا فيها .

اما المطرانان المخالفان فانضم اليهما مطران القدس وجعلوا يثيرون شعب القرى ويضطهدونا ويشتكون علينا . فلما رأى ذلك جماعتنا

---

(١) هم : الخوري يوسف حجّار والربّان ايليا والشماس جرجس طحّان والشماس يوسف استنبولية والشماس فرج‌الله ضاهر والشماس الياس والشماس يوسف والربّان توما والربّان عبد المسيح والقس ملكي اخو المطران ابرهيم . وكان خروجهم من حلب في ٢٦ ايلول ١٧٨١ واقاموا جميعاً في الرها زماناً . وقدم الى استقبال المطران ميخائيل من ماردين الى الرها كهنة وشمامسة واعيان بلغ عددهم ١٩ شخصاً .

(٢) هما المطران متى نعلب الذي صار بطريركاً دخيلاً واخوه المطران عبدالاحد .

الكاثوليكيون الذين صاروا اكثر من اليعاقبة استدانوا مبلغاً عظيماً باسمي ودفعوه الى حكام ماردين ليكتبوا الى والي بغداد ليصادق على اقامتي بطريركاً في دير الزعفران . ثم حوَّلوا له نحو ٣٠٠٠ سكوت رومـاني ليستخرج لي فرمان البطركية من اسطنبول .

٤ – جلوس السيد ميخائيل على الكرسي البطريركي

« وبعد ثلاثين يوماً كتب والي بغداد الى حاكم ماردين فالبسني الكرك (الفروة) وأيد اقامتي بطريركاً على دير الزعفران وعلى السريان عموماً . وذكر انه ارسل الى الباب العثماني ليحضر لي الفرمان . وبعد ذلك اخذوني باحتفال عظيم من السراي الى الكنيسة الكبيرة الوف امامي والوف ورائي . وحضر جميع المطارين وتلا اربعة منهم صورة الايمان التي لأربانس البابا وهم : غريغوريوس بشارة مطران القدس . وايونيس نعمةالله مطران دمشق . واثناسيوس موسى صبَّاغ مطران طرابلس . واقليميس ابرهيم نعلبند مطران حمص وحماة .

« وفي ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ أخذني هؤلاء الاساقفة الاربعة الى دير الزعفران باحتفال . ورسموني بطريركاً عليهم بحضور السادة الاساقفة مار شمعون مطران الكلدان ومار بطرس عازر مطران الارمن والاب اغناطيوس المرسل الكرملي والوف الوف من الجماعات على اختلاف طوائفهم . وبعد يومين رجعنا من الدير الى بلد ماردين لنكمل ارشاد المؤمنين .

٥ – فتنة المطرانين وخروجهما على البطريرك الشرعي

« اما المطرانان الاخوان (اعني المطران متى ثعلب واخاه المطران عبد الاحد) فذهبا ليلاً الى دير الزعفران وأخذا مال البطرك الميّت وانطلقا مع جملة رهبان الى طور عبدين . فحرنا في امرنا وفي كيف نصون نفسنا من يدهم . لعلمنا ان اهل هـذا الجبل عصاة لا يحسبون حساباً للحكام ولا لوالي بغداد ولا للسلطان نفسه .

٦ – هجوم الاكراد على ماردين

« فالتزمنا نحن واتباعنا ان نختفي وننتقل من مكان الى مكان . واتفق ان تقاطر اكراد جبال ماردين يوم الاربعاء من اسبوع آلام المخلص وهجموا ليلاً على البلد ونهبوا السراي وحاولوا ان يقتلوا الحاكم واصحابه . لكنه انهزم فاخربوا بيوتاً كثيرة ونهبوها وبقينا نحن في يديهم كالخراف بين الذئاب . وجعلوا يطالبوننا بالاموال . ومن شدّة خوفنا صرنا نستدين وندفع لهم . ويوم خميس الاسرار العظيم اجتمع اليعاقبة وهجموا على الكنيسة الكبيرة ليقتلونا محتجين اننا لم نعطِ اجازة للكهنة ليسمعوا اعترافهم ويناولوهم القربان الاقدس . وقد قصدوا قتلنا مراراً كثيرة . لكنه تعالى لم يسمح بذلك حتى جاء حاكم جديد فدفعنا له مبلغاً ليحمينا من شرّهم . وعند ذلك كتب اليعاقبة الى المطرانين المذكورين في طور عبدين واخبروهما انهم ما عاد يحصل بيدهم فرصة في ماردين لتكميل مرادهم . واشاروا عليهما ان يكتبا الى بطرك الارمن المراطقة في القسطنطينية ليمنع اخراج الفرمان باسمنا . وهكذا رسم احد المطرانين اربعة رهبان اساقفة وامرهم ان يصيّروه بطركاً باسم متى . ثم ارسل هذا البطرك الدخيل اخاه المطران عبد الاحد الى العاصمة وقوَّو ان يكون هو واتباعه عبيداً للبطرك الارمني ودفع له مبلغاً عظيماً ليخرج الفرمان باسم اخيه لا باسمي .

٧ – صدور الفرمان باسم البطرك متى الدخيل

« فلماً فهم البطرك الارمني ان بطركية السريان قد ارتضت ان تخضع له فرح فرحاً عظيماً وجعل يسعى ليخرج الفرمان باسم البطرك متى الدخيل مع انه قد قرب اخراج الفرمان باسمي بواسطة والي بغداد وجلالة إلجي (سفير) فرنسا الذي سعى في ذلك بكل غيرة مقدسة مع حضرة النائب الرسولي تلبيةً لطلب نيافة رئيس المجمع المقدس .

« ثم كتب بطرك الارمن الى مطرانه في دياربكر ليحامي عن اليعاقبة . فقصد هذا المطران عبدي باشا والي ديار بكر وقرَّر ان يدفع له مبلغاً من المال جزيلاً وسأله ان يبعث ويُحضر البطرك الدخيل من طور عبدين ويطمئن باله . فاجاب الوالي الى طلبه وأحضر البطرك متى والبسهُ خلعة واخذوا جميعاً يضطهدون الكاثوليك بقساوة فظيعة لا يمكن تحريرها بقلم . واخيراً اخذ الوالي كنيسة دياربكر من يدنا وسلمها الى الدخيل وفعل مثل ذلك في القرى المجاورة . حتى انه امر بقتل القس يعقوب القطربلي الذي اعتنق الايمان الكاثوليكي على يدنا . فشنقه الوالي وهو يصرخ باعلى صوته قائلاً : « انا مسيحي كاثوليكي ! » .

« اما بطرك الارمن فقد قوي علينا بنفوذه . وابطل سعي والي بغداد وسفير فرنسا والنائب الرسولي . واخرج الفرمان باسم متى الدخيل واثبت في ذلك الفرمان اني ظالم ومتعدّ .

٨ – تعدّي الدخيل على البطريرك الشرعي وعلى اساقفته

« ان اللسان قاصر عن وصف ما جرى علينا وعلى شعبنا الكاثوليكي بعد خروج هذا الفرمان . لان البطرك متى الدخيل قدم من دياربكر الى ماردين وأحضرنا واحضر مطارينا بكل اهانة واحتقار امام الحاكم ليقرأ الفرمان علينا . وحدث هناك جدال عنيف بيننا وبينه بحضور الحاكم والقاضي والاعيان واتضح الحق بيدنا . ولكن بما ان الفرمان حصل بيد الدخيل وسُجل في المحكمة لذلك امرونا ان نسلمه دير الزعفران وبقية الكنائس . وحكم الوالي علينا وعلى مطارينا ان نؤدي له الطاعة ونصلي وراءه . فأبينا . وحينئذٍ حبسونا مدة اربعين يوماً .

« ثم ان الحاكم ارسل البطرك الدخيل الى دير الزعفران بكل احتفال . وضَبط الكنائس كلها من يدنا وجعل يضغط على الكاثوليكيين ليصلُّوا وراءه ويطلب منهم اموالاً تفوق طاقتهم . ثم رشا الحاكم مبلغاً من المال

لِيُخرجنا من حبس السراي ويحبسنا عنده في الدير . فاجاب الحاكم الى طلبه وبعثنا صحبة جنود بسيوفٍ وعصي واهانات عظيمة . فحبسنا الدخيل عنده ١٣ يوماً . وكان يحاول ان يقتلنا خفية بواسطة اناس أحضرهم من طور عبدين ليخطفونا ليلاً ويذهبوا بنا الى جبلهم ويقتلونا .

« غير ان الله الرحيم أَطلع بعض المحبين على تلك المكيدة فذهبوا وأخبروا الحاكم . فسخط على الدخيل وقبض على بعض مطارينه وحبسهم وارسل فاخرجنا من حبس الدير بمبلغ دراهم دفعناه له . وحبسنا عنده. وبقينا هكذا خمسة شهور حتى عُزل الحاكم وجاء غيره . فاغتنم الدخيل تلك الفرصة ودفع له مبلغاً على ان ينفيني وحدي ويسلّمه المطارين والرهبان واعتمد ان ينفيني الى جزيرة رديئة وبقيت هكذا ثمانية ايام .

٩ – انهزام البطريرك ميخائيل من ماردين

« ولما فهمت ان الحاكم قاصد ان يرسل معي اكراداً ليقتلوني في الطريق حسب رغبة الدخيل أرسلت اليه اناساً واطعمته اموالاً كثيرة ليرتضي ان ينفيني الى بلد الموصل البعيدة ١٥ يوماً عن ماردين . فارتضى بذلك وارسلني وحدي[1] مع اكراد وعرب في طريق القفر . فسافرنا بكل سرعة حتى قطعنا مسافة هذا الطريق كله بخمسة ايام ليلاً ونهاراً . وكان سفري من ماردين يوم الاحد ٢١ ايار سنة ١٧٨٣ ما بين تفنكجية واكراد وعرب من السراي حيث كنت محبوساً . وكان اليعاقبة نساءً ورجالاً يتفرجون عليّ[2] ودفعتُ الى الجوخدار والعسكر رشوة ليأخذوني

---

(١) اما القسوس والشمامسة الذين استصحبهم البطريرك من حلب كما نوّهنا فقد عادوا الى وطنهم طبقاً لاشارة البطريرك المغبوط

(٢) ظلّ البطريرك ميخائيل المغبوط مقيماً في ماردين سنة كاملة وستة اشهر وستة ايام من ١٥ تشرين الثاني ١٧٨١ حتى ٢١ ايار ١٧٨٣ وكتب الاب اغناطيوس المرسل الكرملي الى رئيس المجمع المقدس برومية بتاريخ ١٠ حزيران يقول : «سافر البطريرك ميخائيل من ماردين متوجهاً الى الموصل يوم الاحد فبكى الكاثوليك بدموع سخينة . وخرج البطريرك من المدينة بين دموع الكاثوليك وشتائم الهراطقة وتجاديفهم » .

في طريق الخاتونية الى الموصل[1] . ومكثت في الموصل تحت ترسيم (مراقبة) الوالي نحو ستين يوماً . ولما عرف البطريرك الدخيل أرسل فهيج عليّ والي بغداد . وعرض عليه اموالاً جزيلة ليأخذني من الموصل ويحبسني عنده . فارسل الوالي واخذني بالكَلَك (الطوف) في ٢٦ تموز . ووصلت الى بغداد في ٤ آب . فحتم الوالي ان ابقى هناك وطلب مني ٢٥ الف غرش ليكتب تكراراً الى الدولة العثانية ويلغي فرمان الدخيل ويستخرجه باسمي .

١٠ — جهاد القنصل الفرنسي والمرسلين في بغداد

« غير اننا أَلَفنا جمعية في دير المرسلين (الكرمليين) وتحققنا انه لا يقدر ان ينجز ما قاله . وسجلنا التقرير في كنشلارية مسيو روسو قنصل الدولة الفرنسية . ودفع لنا صورة المشاورة بيدنا باللغة الفرنساوية . بناءً عليه ارتضينا بالبقاء في بغداد تحت مراقبته . اما البطرك الدخيل فهاج غضباً ورفع الشكوى تكراراً على مطارنتي ورهباني وشمامستي في ماردين محتجاً بانهم لم يخضعوا لفرمان السلطان . فاحضرهم الحاكم وضربهم بالعصي ولم يُخرجهم من الحبس الا بعد ما غرّمهم مالاً وافراً . ثم ارسل اخاه المطران عبد الاحد مرّة ثانية مع جملة كهنة وعوام الى القسطنطينية عند بطرك الارمن يلتمس منه ان يخرج فرماناً قاطعاً بنفي ونفي ٢٨ شخصاً معي من مطارين ورهبان وكهنة وعوام .

« اما نحن فبعد ما مكثنا سبعة اشهر في بغداد تحت المراقبة . وكنا كلما طرق الباب نظن انهم يريدون ان يأخذونا الى السجن . فنحن في تلك الحالة وردتنا المكاتيب بصدور الفرمان في حقّنا وقد حمله المطران اليعقوبي الى دياربكر وقريباً يصدر الامر ليقبضوا علينا . ثم جاءنا الخبر

---

(١) رسالة البطريرك ميخائيل الى القس الياس ابرهيمشاه دبّ في استنبول في ٧ ايلول ١٧٨٣

من النائب الرسولي في القسطنطينية عن لسان السفير الفرنساوي الكلي الغيرة لنسعى ونهرب سريعاً من بغداد الى بلاد العجم قبل وصول الفرمان لئلّا نقع في يد الخصم فلا يعود في الامكان نجاتنا . فحرنا في امرنا غاية الحيرة وجمعنا سرّاً بعض التجار الكاثوليك وشاورناهم في الامر لننجو من الخطر . فتم الاتفاق على ان يقرضونا مبلغاً من الدراهم ندفعه للوالي وحاشيته ونلوذ بالهرب[1] .

الفصل الرابع

قدوم البطريرك ميخائيل الى لبنان عام ١٧٨٤

١ – انهزام البطريرك من بغداد

«خرجت من بغداد ليلًا خفيةً متنكراً متردّياً بثوب احد العرب في ٦ اذار ١٧٨٤ ومشيتُ صحبة رفيقين حتى وصلنا الى خارج المدينة . ومن هناك استأجرت خمسة جمال وثلاثة انفار عرب اكبرهم الشيخ عجلان بمائة ذهب . ومعي الشماس يعقوب بوظو والشماس زكريا ثم لحقنا الشماس توما[2] والشاب دانيال خادمنا . وسرنا في طريق القفر الخالي من القوت والماء والممتلىء خوفاً وذعراً ورعباً من الوحوش الضارية ومن العرب سفاكي الدماء . وهنا نصمت عن ذكر ما قاسيناه في هذه الطريق من الجوع والعطش وركوب الجمال ليلًا ونهاراً حتى اننا آيسنا من الحياة وتحققتُ اني سأموت في هذا الطريق المخيف . وكانت الدماء تجري كالينابيع

---

(١) نشرنا على صفحات مجلة المشرق خمس عرائض كتبها القنصل الفرنسي وحاشيته في بغداد بشأن البطريرك ميخائيل المغبوط وبعثوا بها الى الكرسي الرسولي (المشرق ٢٤ سنة ١٩٢٦ : ٩٩) .

(٢) هذا الشماس توما هو جد السيد قرلّس جرجس دلّال مطران الموصل .

من جراحات جسدي بسبب سرعة المسير . لان هولاء العرب العديمي الشفقة اخذونا في طريق بعيد جداً لشدة خوفهم من قطّاع الطرق ومن شذاذ العرب اعدائهم المحيطين بتلك البرّية . ولاجل ذلك كنا نغير الطرق المسلوكة او نتزوي في بعض الاودية لئلّا ينظرنا احد ويقتلنا . وكانوا يسوقون الجمال سوقاً سريعاً عنيفاً ليوصلونا قبل وصول الفرمان الى قرب الشام كما كانوا مأمورين .

« وعلى هذا النوع قطعنا بخمسة عشر يوماً مسافة ستين يوماً . ولمّا وصلنا الى بلد تدمر سمع العرب الذين معنا اخباراً عن والي الشام خوّفتهم جداً فامتنعوا عن مواصلة السفر معنا واخذوا جمالهم وتركونا هناك . فأيسنا من الحياة بالكلّية وسلمنا الارادة الى الله القدير الرحيم واستغثنا بمريم البتول سيدة النجاة لتنقذنا من هذا الحادث المخطر كما انقذتنا وحفظتنا في سيرنا اذ كنا نلتجيء اليها دائماً .

٢ – مساعدة سيدة النجاة للبطريرك

« ويا لوفور مراحم الرب الاله ومساعدة هذه البتول العجيبة التي حنّنت قلب احد العرب علينا . فأركبني جمله وخاطر بنفسه وذهب بي من تدمر الى القريتين . ومن هناك ركبنا الحمير واخذنا معنا اناساً مسلمين ليوصلونا الى قرب الشام . وبعد ما قاسينا المرائر مدة يومين وصلنا ليلة احد الشعانين الى قرية بعيدة عن الشام سبع ساعات تُدعى قرية « العدرى » سكانها جميعهم مسلمون فلم يقبل احد منهم ان يحوينا عنده . والتزمنا ان نبقى فيها يومين مختفين مع العربيّ الذي معنا ودفعنا له ما اراده .

٣ – البطريرك في قرية العدرى وقرية المازة

«ومن قرية العدرى ارسلنا ساعياً الى الكاهن السرياني القس يعقوب قدسي والى جماعتنا في الشام واخبرناهم سرّاً بوصولنا . فخافوا خوفاً شديداً وردوا الساعي فارغاً وكتبوا لنا بانهم يخافون ان يتظاهروا بكونهم من

جماعتي . وبعد يومين حصّلنا مركوباً فركبنا ومررنا خارج الشام ليلاً ووصلنا الى ضيعة اخرى اسمها « المازة » . وبقينا فيها كذلك يومين مختفين حتى حصلنا على مكاري يوصلنا الى جبل كسروان حسب مرغوبنا[١]

٤ – زيارة المقدّم نعمة شيحا للبطريرك المغبوط في المازة

« غير ان المقدّم نعمة شيحا احد ابناء جماعتنا السريان في دمشق جاء الى زيارتي في ضيعة « المازة » مخاطراً بحياته وسلّمني ١٠٨ غروش وسبق فارسل اليّ ٣٠ غرشاً لما كنت في قرية العدرى[٢] .

٥ – وصول البطريرك المغبوط الى قرية « بيت شباب » بلبنان

« بعد تلك المخاوف والمخاطر سهّل لنا الرب الرحيم اناساً أوصلونا الى جبل كسروان يوم السبت العظيم ليلة احد القيامة سنة ١٧٨٤ الى قرية « بيت شباب » ونزلنا في احد الاديرة الخربة بجانب القرية يُعرف بدير مار انطونيوس النبع ونحن في حال التلف كمعدومي الحياة خالين من الكسوة والقوت حتى صرنا نقبل الغذاء الضروري من حسنات المؤمنين الذين في تلك القرية .

« اما مطاريني ورهباني والشمامسة خدّامي الباقون في ماردين . فمنهم من هرب الى حلب ومنهم الى مصر او الى اماكن اخرى باتعاب وافرة كما بلغنا عنهم مؤخراً . هذا ما قدرنا على بيانه بكل اختصار في الجزء الاول من شرحنا .

---

(١) رسالة البطريرك ميخائيل الى السيد يوسف بطريرك الكلدان بدياربكر بتاريخ ١ كانون الثاني ١٧٨٦

(٢) مخطوطات دير الشرفة : رسائل آل شيحا . وقد اصاب المقدّم نعمة شيحا ما اصابه من والي دمشق بسبب زيارته للبطريرك المغبوط كما سترى . (راجع كتابنا «حقائق تاريخية عن اسرة شيحا السريانية » الرسالة الثانية) .

٦ – حدوث الفتن في لبنان

« اما الجزء الثاني فاقول : اني بعد وصولي الى جبل كسروان ظننتُ اني استريح من اتعابي . لكني رايت الامر بخلاف املي . لاني في اول يوم دخولي الى قرية بيت شباب بلغني خبر محزن جداً بحدوث فتن بين سعادة افندينا والي صيدا [احمد الجزار ١٧٨٤ – ١٨٠٤] وبين جناب الامير يوسف شهاب المتولي على الجبل (١٧٧٠ – ١٧٨٨ + ١٧٩٠) وانقسام عيلة الامير ضده واختلاف سكان الجبل في الراي . وتوهم الجميع ان الجبل جميعه صار تحت عبودية الدولة العثمانية . وان العساكر احاطت البلاد والقرى والاديرة كافة وان البطاركة والمطارين والرهبان جميعاً آيسوا من حياتهم وتيقنوا ان جميع الاديرة ستخرب . وبطّلوا دق النواقيس واخفوا اموالهم وامتعتهم في الاودية والمغاور . واخذ حكم الدولة ينفذ في الجبل . وجعل والي صيدا يأخذ من يريده ويعمل ما يعجبه .

٧ – حالة البطريرك في دير مار انطونيوس النبع

« فلما رأيت ذلك اخذتني الرجفة وملكني الرعب لخوفي خصوصاً من يعاقبة الشام ومن البطرك الدخيل لعله يطلبني من الحكومة التركية . فصرت مثل السكران . ثم حدث حالاً الغلاء لكثرة العساكر وخيلهم . وقد قضيتُ اربعة اشهر في دير مار انطونيوس على هذه الصورة من العوز والخوف . وعند ذلك انهزم خمسون راهبة مع اتباعهن (من دير مار الياس الرأس وأتين مع جملة رهبان الى دير مار انطونيوس) فما عاد لي مكان اجلس انا ورفاقي .

٨ – انتقال البطريرك الى بيت جرجس ابي فيّاض

« حرتُ في أمري والتزمتُ ان اقصد بيت احد الفلّاحين في القرية المذكورة « وهو بيت جرجس ابي فياض فاستأجرته بغرشين في الشهر وكان ابتداء سكنانا فيه نهار السبت المساء ٧ آب ١٧٨٤ فدفعنا الكروة

عن اربعة اشهر ثمانية غروش . ودفعنا يوم نزولنا من دير مار انطونيوس احد عشر غرشاً الرهبان والراهبات[١] » .

« وفي هذه الغضون حضر عندي احد مطاريني « المطران ايونيس نعمةالله الصدّي الذي سيم مطراناً في ١٥ آب ١٧٧٢ وكان من اصدق المطارنة ولاءً واوفاهم عهداً للسيد البطريرك » . ومعه شماسه . فصرنا ستة اشخاص ليس عندنا للمعاش سوى ما يقوتنا . واخيراً تحنن الرب الرحيم وحدث الصلح بين الوالي احمد الجزار وبين الامير يوسف شهاب . فالقي القبض على مسببي الفتن . وتملّك الامير يوسف فسُررنا جداً . لكن الغلاء الفاحش اخذ يتضاعف ويشتد . وابتدأ الامير يوسف يطالب الاديرة وجميع الوجهاء بالاموال ليقدمها للوالي حسب شروط الصلح .

٩ – انتقال البطريرك الى كسروان

« اما انا فلما رايت ان قد صار الامان تركت بيت شباب وذهبت الى داخل كسروان وحصلتُ مكاناً صغيراً كافياً لسكناي[٢] فاستأجرته في ٩ كانون الاول ١٧٨٤ شهراً فشهراً لمدّة سنتَين . ومكثت فيه مع رفاقي ننتظر مراحم الرب وحسنات المؤمنين .

« غير ان ارباب الديون اخذوا يزعجوني ويطالبوني بما استقرضته منهم . وقد بلغت تلك الديون التي ترتبت عليَّ حدّاً فائقاً جدّاً حتى اني انا بذاتي لا اقدر احصيه[٣] . فمنهم من ارسلت اليهم مطلوبهم ومنهم من حضر الى حلب وجعل يضايق وكلائي . فكانت تأتيني اخبار مثل هذه وتضاعف اوجاع جسدي وجراحات قلبي . ولم يكن يصعد بيدي

---

(١) دفتر حسابات البطريرك ميخائيل : ورقة ٣٧

(٢) لم يكن يشتمل هذا المحل الا على حجرة وغرفة واحدة فاستاجرهما البطريرك لمدة سنتين بمبلغ عشرين قرشاً كما سترى .

(٣) قرأنا في دفتر حسابات البطريرك المغبوط المدوّنة بخط يده ان تلك الديون بلغت ١٢،٤٠٧ مثاقيل ذهباً او ٤٩،٦٢٩ شاهية ونصف .

شيء . حيث ان العين بصيرة واليد قصيرة . وكنتُ اتعذب خصوصاً لمّا كانت ترُدني اخبار اضطهاد اكليروسي واولادي الاحباء في تلك البلاد. فان البطريرك الدخيل واصحابه ظلموهم وخسَّروهم خسائر عظيمة حتى افتقروا بالكلية . واخذوا يرسلون اليَّ المكاتيب يلحُّون عليَّ بكل لجاجة بنويّة لأحسن اليهم .

١٠ – استئجاره حارة الشرفة

« هكذا مكثتُ انا ورفاقي صابرين في هذا المكان الحقير الذي استأجرناه . وهو خالٍ من كل ما يلزم لضرورة المعيشة الحاضرة . وقد تناسيت اوجاعي وامراض جسدي وجعلت افتكر في اولادي الواقعين بين يدي الاراتقة العديمي الرحمة وما يقاسونه من الاهانات والسجون . وفوق ذلك كله حدث ههنا طاعون وانقطعت الطرق والحسنات. فليكن اسم الرب مباركاً وممجداً لانه خيراً صنع معي اذ ذللني لاتعلم حقوقه ولكنه الى الموت لم يسلمني . ولعمري ايُّ ابنٍ لم يؤدبه ابوه . فاذاً اشكر الهي على هذه الحال وعلى كل حال . واطلب من كل اخٍ او ابنٍ يطلع على اسطري هذه ان يصلّي لاجلي ويلتمس لي من الرب الرحيم نعمة الصبر والخلاص .

١١ – تصميم البطريرك على انشاء دير الشرفة

« واخيراً اعتبرتُ انَّ اعمالي كلَّها تذهب باطلة فارغة إن كنتُ لا اشتري محلًا واعمره واجمع اليه اناساً اعلّمهم واربيهم بمخافة الله ثم أُرسلهم لاسعاف رعيتي . ولذلك فاني باسعاف بعض المسيحيين اشتريت محلًا في كسروان وسمَّيته « دير سيدة النجاة » . وانا الآن مقيم فيه . وعندي بعض اولاد اهتم بتدريسهم لارسلهم الى خراف السيد المسيح . غير ان رغبتي لم تكمل لاني عاجز عن ابتناء مساكن كافية لسكناهم وعن القيام بمعاشهم . ولولا خسارتي مالي الخصوصي لامكنني سد بعض حاجاتي .

نعم اني وفيتُ بعض الديون بحسنات مجمع انتشار الايمان المقدّس . ولكن مع ذلك لا يزال عليّ جانب عظيم من الديون . فاتوسّل الى المسيحيين الاعزاء ان ينظروا الى شدّتي ويسعفوني في تكميل وظيفتي وتعزيز ديري . والتمس منه تعالى ان يكافيئهم في الحياة الزمنية وفي السعادة الابدية . والتمس من المراحم الالهية ان تمنّ عليّ بالصبر والاحتمال وتعينني على نشر الايمان المقدّس مضحياً بذاتي حباً للنفوس امين » .

هذا ما سطره البطريرك المغبوط بخط يده المباركة معرباً عمّا جرى له منذ اول عهده حتى تأسيسه دير سيدة النجاة في الشرفة . ابهج المولى الكريم نفسه مع الاحبار الابرار في الملكوت السماوي . وها نحن بعد ذلك كله نسرد اخبار البطريرك المغبوط منذ وطئت قدماه ارض الجبل اللبناني المبارك .

الفصل الخامس

البطريرك ميخائيل جروة والامراء اللمعيون

وصل البطريرك ميخائيل المغبوط الى جبل لبنان على الهيئة المؤلمة المفجعة التي شرحها وفصّلها هو . وحلّ في دير مار انطونيوس النبع ضيفاً على الرهبان الموارنة وكان ذلك ليلة عيد القيامة المجيد ٣٠ اذار ١٧٨٤ ومكث هناك في غرفة تُعرف الى اليوم بغرفة البطريرك حتى ٧ آب السنة عينها .

١ - البطريرك ميخائيل والامراء اللمعيون

وكان للبطريرك ميخائيل السعيد الذكر صلات حبية متينة مع الامراء اللمعيين توثقت عراها منذ السنة ١٧٧٧ على اثر مناداته بالايمان الكاثوليكي المقدّس . وقد راسلهم وراسلوه منذ اناط به الكرسي الرسولي ادارة شؤون دير مار افرام الرغم الواقع في خف قرية الشبانية بمقاطعة المتن .

على ان الامير سليمان اللمعي ما بلغه خبر وصول البطريرك الى دير مار انطونيوس حتى كتب اليه من صليما هذه الرسالة :

« الى حضرة عزيزنا البطرك ميخائيل المكرّم حفظه المولى تعالى

« اولاً مزيد الاشواق الى مشاهدة وجه محبتكم على كل خير وعافية. وثانياً قد بلغنا حضوركم بالسلامة الى دير مار انطانيوس النبع . وقد عتبنا عليكم جداً جداً كونكم تفهمون من قبل الآن حسن المودة بيننا وبينكم . ثانياً جيّد ان تكونوا وصلتم الى مطرحكم . ولكن من حيث اننا فاهمون حسن الطويّة والتعب الذي صار لكم في الطريق والبشللة (الحيرة) فلهذا السبب عذركم مقبول . فعلى كل حال اينما وصلتم فالكل مطارحكم . ومن حمد الله تعالى ما يبقى من ميلتنا فرق.

« والان ليلة تاريخه[1] حضر عزيزنا الخوري شكرالله رئيس دير مار افرام الرغم (١٧٨٤ — ١٨١٤) . وافهمنا ان قدسكم يلزمكم مراكيب حتى تحضروا الى مطرحكم الى دير الرغم . بقى واصل محسوبنا ولدكم القسيس انطون ومعه مراكيب ومرادنا تتفضلوا الى مطرحكم اولاً حتى نشوفكم لاننا — عليم الله تعالى — مشتاقون غاية الشوق اليكم. ثانياً لنتفاوض نحن واياكم ونوقفكم على خاطرنا قبل توجهنا في هذه الخطرة . وجملة ما في خاطرنا تفهموه من محسوبنا ولدكم المذكور وتكونوا من كلامه على وثيقة (ثقة) . ولا بد افهمنا الخوري شكرالله انكم متخايلون من بعض قضايا فهذا الخيال ان شاء الله تعالى بهمتكم ما في شيء من هذا كلياً . ومع المواجهة يبان لكم كل شيء . وهذا القدر كفاية . ولا تنسونا من صالح دعاكم وعمركم باقي

الامير سليمان[2] »

---

(١) ان اغلب رسائل الامراء والمشايخ اللبنانيين المصونة بين محفوظات دير الشرفة خالية من التاريخ !

(٢) محفوظات دير الشرفة : ٦ : ٩

وكتب الامير اسمعيل والامير فارس اللمعيان الى البطريرك ميخائيل في الصدد عينه ما نصه :

«لحضرة الاعز الاكرم البطرك ميخائيل السرياني المكرَّم حفظه الله تعالى

«اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدتكم السارة على كل خير وعافية . والثاني افهمنا يازجينا (كاتبنا) طعمة عن حضوركم لدير مار انطانيوس النبع . المراد تكونوا في صفا الخاطر من سائر الوجوه ان شاء الله تعالى لا تشاهدوا منا الا كل ما يسر خاطركم . ومكتوبنا هذا يُعرَض على رؤساء ديورتنا . فالدير الذي تقيموا فيه يقوموا بواجبكم . وبعد حضورنا الى صليما نوجّه عزيزنا طعمة لعندكم يفهمكم خاطرنا . ولا تقطعوا اخباركم عنا فيما يقتضي تعريفنا به ودمتم الامير فارس — الامير اسمعيل[1] » .

وكتب الامير فارس والامير اسمعيل والامير علي كذلك في المعنى عينه الى القس انطون والراهب مبارك لكي يُعد للبطريرك المغبوط غرفةً في دير مار افرام الرغم ليسكنها . وهذا نص الرسالة :

« الى اعزازنا القس طانيوس والراهب مبارك . سلمهم الله تعالى .

« اولًا مزيد الاشواق الى رؤياكم على كل خير وعافية . وبعده نخبركم بخصوص محبنا البطرك ميخائيل : نفهم منه ان المطرح ضيق ما يسعه مع وجود الضيوف الذين عندكم . المراد تقدموا له مما يخص الدير لاجل السكنى حتى يعمِّر له مطرح وتكونوا ميسّرين وتقدّموا له كل ما يلزمه . لانه عندنا بخلاف غيره . ومهما عملتم معه مليح فهو متّصل بنا وعندنا معلوم . ما يبقى عليكم كسور (نقص)

« صحّ : ولِفوا (أعدّوا) له لوازمه كما هو مذكور . والعمار يبقى الى بعد طلوع الراهبات من الدير . لان مفهومكم طريقة الراهبات من عجقة الفعالة واولاد الضيعة ما بتليق .

من صليما — الامير فارس — الامير اسمعيل — الامير علي[1] » .

(١) المحفوظات ٦ : ٨

وكتب هؤلاء الامراء اللمعيّون رسائل غير الرسائل المذكورة الى البطريرك ميخائيل المغبوط في غضون مكثه في بيت شباب نكتفي منها باثبات الرسالة التالية وهي تصرّح بانه يؤثر الاقامة في كسروان ٠

« حضرة محبّنا البطرك ميخائيل الموقر حفظه الله تعالى

« اولًا مزيد كثرة الاشواق الى مشاهدتكم على كل خير وعافية ٠ والثاني في أحسن ساعة وصل مكتوبكم وسرّنا وروده حيث انبأنا عن صحتكم ٠ وذكرتم انكم اعتمدتم تقيموا في نواحي كسروان ٠ على كل حال ما احد يريد الا ان تكونوا مجاورينه ٠ انما من نحونا ما لنا خروج عنكم ولا نريد تفارقوا مطارحنا ٠ لان صداقتكم عندنا اكيدة وما احد بيرضى ان يكون صديقه في غير مطرح ٠ فاذا كنتم مضرورين من احد عرّفونا عنه حتى نزيله مهما كان ٠ ولا نعمل الا على خاطركم وحسب ارادتكم ٠ وان شاء الله تعالى ما تشاهدوا منا الا كل ما يسرّكم ٠ هذا المتحسِّن عندنا ٠ ولا تنسونا من دعاكم ولا تقطعوا عنا اخباركم ٠ « الامير فارس — الامير اسمعيل — الامير علي »[١]٠

وكان انجال الامراء اللمعيين يختلفون مراراً الى دير مار افرام بل ان بعض الامراء كانوا يقضون مدة فيه على ما ذكر رئيسه الخوري شكرالله في رسالة كتبها الى البطريرك ميخائيل المغبوط تاريخها تشرين الثاني ١٧٩٨ فقال : « ... حضروا بيت الامير لعندنا ٠ ما نعرف بدّهم (بودّهم) يشتوا عندنا ام لا ؟ والامير يقول انه بدّه (بودّه) يقعد عندنا شهر زمان ٠ والامراء يقولون ان الستات (السيّدات) والبيت جميعه بدّهم يجوا للدير »[٢]٠

وقد تولى رهبان دير الرغم تدريس أنجال الامراء اللمعيين وتثقيفهم في العربية والسريانية والاصول الدينية ٠ يؤيد ذلك ما كتبه رئيس الدير

---

(١) المحفوظات ٦ : ٧

(٢) المحفوظات ٥ : ٩٧

المشار اليه في ١٤ نيسان ١٨٠٥ الى المطران يوليوس انطون رئيس دير الشرفة قال :

« . . . قصدنا ان نخبر سيادتكم بان جناب الامراء الصغار بدهم يتعلموا القراءة . وجناب الامارة المحترمين الامير فارس والامير عباس مهتمين بان يكون معلمهم الاب انطون . فنترجاكم في هذه القضية ان تتركوا الآن الاب المذكور في الدير لكي يواصل تعليمهم ونحن دائماً تحت نظر الامراء ولهم علينا الفضل ومؤملين ان الاولاد في سنة زمان يخلصون قراءتهم لانهم فهماء نجباء »[1].

وتوالت الرسائل بين البطريرك المغبوط وبين الامراء اللمعيين النبلاء وكان البطريرك يثني على طويتهم ويدعو لهم ولاسرهم باليمن والبركة. وفي ما لخصناه من تلك الرسائل مؤونة الدلالة على اريحيتهم وعلى اعتبارهم للبطريرك الانطاكي الجليل .

الفصل السادس

مراسلات اعيان الملّة السريانية خلال اقامة البطريرك في دير مار انطونيوس النبع

١ — عرائض الاعيان السريان

ما كاد يستقر البطريرك ميخائيل الثالث في لبنان حتى اخذ اعيان الملة السريانية يوجهون اليه العرائض مستفسرين عن صحته وحالته ولاسيما عن نجاته من اخطار السفر وغوائل الطريق . شاكرين العناية الربانية التي حرسته وأوصلته الى جبل لبنان ملاذ المسيحيين . وراح الغرماء بدورهم يكتبون الى البطريرك متوسلين اليه وملحين عليه كي يفتكر في امرهم

(١) المحفوظات ٥ : ٩٨

وسوء مصيرهم لانهم أمسوا بسبب محاماتهم عنه وتشبثهم بالايمان الكاثوليكي المقدس عرضة للاهانة والاحتقار فضلا عما انتابهم من الخسائر الباهظة وقد دفعوا حرصاً على حياته الثمينة ولاجل انقاذه من أيدي خصومه مبالغ طائلة حتى اصبحوا فقراء معوزين. وأخص اولئك الغرماء الافاضل في ماردين كانوا الخواجات حنا وعبدالله وخليل رومي . والشماس جرجس عركوس واخاه ملكون . فالخواجات رومي دفعوا ١٨٥٦٢ غرشاً . والخواجات عركوس ٤٧٦٧ غرشاً وهو مبلغ فاحش في تلك الازمنة العصيبة البائدة. وبلغ ما انفقه الحلبيون تعزيزاً للبطريرك المغبوط ٧٨٦١ غرشاً والمواصلة ١١٧٦ غرشاً[1] الخ . فذلك كله كان يزعج افكار البطريرك وينغص عيشه ويقض عليه مضجعه . ولم يدَع وسيلة من الوسائل الا تذرع بها للتخلص من تلك الديون الفظيعة . ويطول بناء الشرح جداً لو شئنا ان نعدد تلك الرسائل المؤلمة المؤثرة الا اننا لا نرى بداً من الالماع الى رسالة كتبها الى البطريرك ميخائيل المغبوط وجيه الجماعة السريانية في دمشق نعمةالله شيحا وهذا نصها:

٢ – عريضة المقدّم نعمةالله شيحا

قلنا ان الخواجا نعمةالله شيحا كبير اعيان الملة السريانية في دمشق هو الرجل الهمام الوحيد الذي خاطر بنفسه وسار الى قرية « المازة » وتشرف بزيارة بطريركه المغبوط عندما وصل من بغداد الى ضواحي دمشق . وقد بحث عنه والي دمشق بحثاً دقيقاً وحاول ان يقبض عليه ويزجه في السجن والح عليه ليطلعه على حقيقة زيارته للبطريرك . لكن نعمةالله شيحا انكر ذلك بتاتاً وقدم الوالي رطلين بناً حتى تمكن من النجاة من دهائه . والى القارىء ما كتبه نعمةالله الى البطريرك المغبوط في ذلك :

« بعونه تعالى . يصل الى بيت شباب الى دير مار انطونيوس النبع ويتشرف بلثم انامل قدس سيدنا البطرك كير كير ميخائيل المحترم

---

(١) دفتر حسابات البطريرك ميخائيل : ورقة ٧٨

« ايها السيد الكلي قدسه

« الى تقبيل اياديكم الكرام بكل توقير واحترام . ثم المعروض بين ايادي قدسكم هو كثرة الاشواق الى رؤياكم السعيدة بكل خير وعافية ونعمةٍ من الباري جزيلة وافية . وان سايلتم عن تلميذكم . لله الحمد ببركة دعاكم في غاية الصحة . والذي نعرفكم به عرفكم الله كل خير :

« يا سيدنا ساعة نزلنا من عندكم من « المازة » عندما قعدتُ في الدكان . بعد ساعة جاء الى عندي شيخ الحارة وقال : قم كلم التفنكجي باشي . . رحتُ الى عنده قال لي : انت نعمة ؟ قلت له نعم . قال : بدي منكم النصراني (البطريك) الذي جاء مع العقيلي (المكاري العربي) . قلت له : ما اعرفه ولا شفته . انما رجل بغدادي كتب لنا مكتوب قال : اعطوا هذا العقيلي خمسين قرش . فاعطيته . قال لي : روح خذ هذا التفنكجي وفتِّش عليه بدي سايله عن بغداد .

« يا سيدنا صرتُ في حالة محتار . ومشيتُ قدامي الانفس التي في المطهر ورحت انا والتفنكجي وشيخ الحارة . وبقينا الى بعد العصر ورجعتُ قلتُ له : ما لقيتُه . قال : روح فتِّش عليه . ثاني يوم اخذتُ له رطلين قهوة . ما عاد فتش . نشكر الله تعالى .

« نرجع ونقول : ان جماعة اليعاقبة شافوني واخذوني عند التفنكجي وعرّفوه انه جائي مع العقيلي نصرانيّ . وعرفوا انك انت سببُه . لانه جاءهم مكتوب من ديار بكر يخبر انه جاء فرامين وعرفوا انك تجي الى الشام .

« ثالث يوم سايلوني . قالوا : يا نعمة بلغنا خبر ان البطرك جاء ونزل عندك . ان كان صحيح خلّيهِ يروح . لا نتعب نحن ولا انتم . قلت له صحيح أجا وراح ولكن ما اعرف اين راح . والحاصل فرحوا فرح شديد في هذا الامر . يكون اسم الرب مبارك .

« ويا سيدنا بلا مامورية على قدسكم تعمل اربعين قداس : عشرين للانفس المطهرية وعشرين من شأني . لاني – على ذمتي قدام الله – قضيتُ كم يوم في عمري ما قضيتهم . وبعده هكذا حظّنا في مجيئكم هذا . لا احد شافك ولا شفتَ احداً . ومن جهتي ما احد دري اني شفتك الّا الخوري يعقوب قدسي فقد اخبرتُه بذلك سرّاً . . . الداعي لكم

تلميذكم نعمة شيحا[1] »

ومما كتبه المقدّم نعمة شيحا الى البطريرك ميخائيل المغبوط قوله : « ان اليعاقبة وضعوا واحداً عند المطران عبدالله شدياق . وهذا المطران قال لي : انه فرض عليَّ خمسين غرش من شان البطرك وقال : عجب أعطيتم المبلغ للبطرك ميخائيل . وحلفنا له انه ما احد اعطاه مصرية . . . واصلكم عشرة ارطال نقوع تاكلوهم بالهناء والصحة والعافية »[2] .

وكتب نعمة شيحا على اثر زيارته للبطريرك ميخائيل في المازة يقول : « التزمنا انا والقسيس يعقوب ان نستقرض ٣٢ ذهباً مصرياً اكراماً لقدسكم . ويوم تاريخه جاء مكارية في الليل ورموا حمولتهم وطلعوا الى المازة . فاستكرينا لكم اربع بغال مع واحد اسمه يوسف عربي نصراني قاعد في المزة في الخان . فالمراد بحال وصول المكتوب تستكري مع قاسم الذي جابك الى المزّة ولا تستكري الى الصالحية لان فيها يعاقبة . فقُم من قبل الفجر من « العذرى » الصبح وشيل وروح قبلما يدري احد . . . »[3] .

٣ – عريضه القس يعقوب قدسي من دمشق

امّا القس يعقوب قدسي خوري الرعية في دمشق فلم يجسر ان يذهب الى زيارة السيد البطريرك المغبوط في العذرى او في المازة لكنه كتب

(١) المحفوظات : مجلد ١٢ ملحق ١

(٢) المحفوظات ١٢ : ٢

(٣) المحفوظات ١٢ : ٣

اليه بتاريخ ١٠ نيسان ١٧٨٤ يوم كان مقيماً في دير مار انطونيوس النبع قال ما خلاصته :

« ٠٠٠ يا سيدنا نعرض لقدسكم وقدسكم أبصر أن اقامتكم بالجبل هي خسارة عليكم ٠ فمن غير مأمور الاوفق ان تتوجهوا الى رومية اولاً لانه يرتفع راس الطائفة ويخزى الاراتقة ٠ وثانياً ! ٠٠ اذا رايتم انه يمكن ان تصير مكاتبة من سيدنا البابا الى سلطان فرنسا ويحصل نتيجة وتصيروا تحت حماية فرنسا كجميع الاديرة فلا باس ٠٠٠ لانه ما يصير عداوة بين الفرنساويّ والعصملّي ابداً ٠ والرأي لقدسكم »[1]

وهناك رسائل جمة كتبها الكهنة والأعيان من حلب ومن ماردين والرها ودياربكر والموصل وبغداد وغيرها الى البطريرك ميخائيل المغبوط يستخبرون عن سلامته ويطلبون بركته وصلواته . وقد مكث البطريرك في دير مار انطونيوس من ٣٠ اذار حتى ٧ آب ١٧٨٤ ثم انتقل الى دار جرجس ابي فياض وشغلها ٤ اشهر بثمانية غروش وفي تشرين الثاني انتقل الى كسروان

الفصل السابع

قدوم البطريرك ميخائيل الى كسروان واستئجاره الشرفة

١ – بطاركة لبنان والبطريرك ميخائيل

سبق بطاركة لبنان المغبوطون فراسلوا السيد ميخائيل جروة على اثر انضمامه الى البيعة الواحدة الكاثوليكية وهنأوه باتحاده معهم في الشركة المقدّسة مع أبي المؤمنين العام خليفة شمعون كيفا في العرش الروماني . وقد حوت محفوظات دير الشرفة عدداً ليس باليسير من تلك الرسائل

(١) المحفوظات : مجلد ٤

الجميلة المفرغة في قالب من الحبّ الاخوي الصافي . نذكر منها رسالة السيد يوسف اسطفان بطريرك الموارنة الانطاكي (١٧٦٦—١٧٩٣) صدرها بقوله :
« ابتهج قلبنا ببشرى اتحاد اخوتكم مع الكنيسة الجامعة الرسولية ومع قدس قداسة سيدنا البابا الكلي الغبطة الذي شرفكم بشركته الكنائسية ... ونعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم دائماً آمين ».
« في ٢٦ تموز ١٧٧٦[1] .

وكتب السيد ميخائيل الثالث بطريرك الارمن (١٧٥٣ – ١٧٨٠) من دير بزمار الى السيد ميخائيل جروة بتاريخ ٢٧ تموز ١٧٧٦ ما نصه :
« فرحنا باتحادكم مع الكنيسة الجامعة الرسولية ومع الحبر الروماني فنهنئكم من كل قلبنا ... ونرجو ان تساعدوا ولدنا القسيس الياس المارديني السرياني لاجل عمارة ديركم اي دير مار افرام بقرية الشبانية ... ».
« من دير بزمار ٢٧ تموز ١٧٧٦[2]

٢.– قدوم البطريرك ميخائيل جروة الى دير بزمار ورسالته الى السيد يوسف بطريرك الكلدان

لما وصل البطريرك ميخائيل جروة الى بيت شباب كما نوهنا كتب اليه السيد باسيليوس الرابع بطريرك الارمن (١٧٨٠ – ١٧٨٨) من دير بزمار يرغب اليه ان يوافي الى ديره . وقد صرح بذلك البطريرك ميخائيل عينه في رسالة وجّهها الى صديقه السيد يوسف بطريرك الكلدان في دياربكر[3] بتاريخ ١ كانون الثاني ١٧٨٦ ووصف له حالته في لبنان قال :
« ...بقينا هكذا في لبنان ما ينيف على الثمانية اشهر حتى هدئت الحروب وحصل الصلح والسلام . فارسل اخونا بطريرك الارمن ودعانا

(١) المحفوظات ٥ : ٢٩
(٢) المحفوظات ٥ : ٢٢
(٣) تولّى بطريركية الكلدان عام ١٧٥٩ باسم يوسف الرابع ثم استعفى وقصد رومية وفيها انتقل عام ١٧٩٥ الى جوار ربّه .

لنزوره في دير بزمار داخل جبل كسروان . فذهبنا عنده ورثى لحالنا جداً . وسعى لنا بكروة مكان قريب اليه . ونقلنا اليه في ابتداء كانون السنة الماضية (١٧٨٥) . وجعل هو ورؤساء الاديرة القريبة ينظرون الينا ويشفقون علينا ويقدمون لنا حسنات لنعيش بها ولم نزل على هذه الحال..»[١].

٣ – زيارة البطريرك ميخائيل لدير بزمار

عوّل البطريرك ميخائيل على الخروج من بيت شباب . وركب الى دير بزمار فخرج الى لقائه البطريرك باسيليوس المغبوط وصافحه مصافحة اعز الاخوة وهنأه بنجاته من الغوائل والاهوال . ومكث البطريرك الانطاكي في ضيافة جاثليق قيليقيا اسبوعاً كاملاً . واغتنم تلك الفرصة صاحب الغبطة مار يوسف اسطفان بطريرك السريان الموارنة فانطلق الى زيارته وقضى البطاركة الثلاثة المغبوطون ساعات طويلة في ما يعود على البطريرك السرياني بالراحة وطمأنينة البال .

٤ – زيارة البطريرك ميخائيل للبطريرك يوسف اسطفان

وبعدما عاد البطريرك يوسف اسطفان الى مركزه بجوار بيعة مار يوسف الحصن في غوسطا انطلق في الغد البطريرك الارمني والبطريرك السرياني في رهط من الكهنة ابرّدا الزيارة الى البطريرك يوسف المغبوط فاحتفى بهما كل الاحتفاء وتبادل البطاركة الثلاثة عواطف الحبّ والاخاء ومكثوا معاً الى عصر ذلك النهار السعيد . ثم عاد جاثليق الارمن الى ديره واستأنف البطريرك ميخائيل مسيره فانحدر الى دير الكريم[٢].

٥ – زيارة البطريرك ميخائيل لدير الكريم

خرج جمهور الرهبان الارمن الى لقاء البطريرك الانطاكي وتبرّكوا

---

(١) المحفوظات : مجلد ٥

(٢) عناية الرحمان : للمطران افرام نقاشة ٣٢١

بلثم يمينه وأعدّوا له أجمل غرفةٍ في ديرهم وبالغوا في اجلاله وتكريمه مدّة ١٥ يوماً . وافرغوا كلّ الوسع في خدمتهِ وراحته . ثم ذكروا له أنّ في المحل المدعو «الشرفة» بناء حقيراً يشتمل على حجرة واحدة تعلوها غرفة واحدة يريد صاحبها او وارثها ان يبيعها . وهي موافقة كل الموافقة لِمَا انتواه البطريرك السرياني المغبوط .

٦ – مجمل ما تقدّم .

في تلك الغضون كتب البطريرك ميخائيل المغبوط الى وكيلهِ في الاستانة القس الياس ابرهيمشاه شدياق الحلبي ما مفاده :

« . . . لا بد انه بلغكم خبر احوالنا واحوال جميع ولايات لبنان وكسروان حتى اصبحنا كأننا في بحرٍ هائجٍ . وكنا نحن وقتئذٍ في دير مار انطونيوس النبع . فأفرغ راهبات دير مار الياس الراس ديرهن وأتين مع جملة رهبان الى دير مار انطونيوس المذكور . فالتزمنا نحن ان نترك الدير ونستأجر لسكنانا وقداسنا ولوازمنا حارة في القرية بشرط ان نسلمها الى صاحبها في الصوم الكبير .

« غير ان الاهنا القدير أَخمد الفتن بسعي حضرة افندينا احمد الجزار والي صيدا . فرجع الامير يوسف حاكم البلاد في آخر تشرين الاول وقبض على الامير اسمعيل الذي كان سبب هذه الفتنة وحبسه . ورجع الامان والسلام الى الجبل . واذ ذاك كتب الينا حضرة اخينا بطريرك الارمن باسيليوس الكلي الطوبى فذهبنا الى دير بزمار وزرناه واقمنا عنده ستة ايام . ثم زرنا رهبانه الارمن في دير الكريم نحو ١٥ يوماً .

« وفي مسيرنا لنواجههم حصلنا محلًّا موافقاً لسكنانا لانه في ما بين الديرَين المرقومَين وهو داخل كسروان . محلّهُ متوسّط وقريب من امكنة اخوتنا البطاركة المحترمين . ومناخه جيد . وهو محل صغير يُدعَى « شرفة » فوق ضيعة تُسمّى « درعون » . ونحن دعوناه « سيدة النجاة »

فاستأجرناه الى مدة سنة[1] وانتقلنا اليه قبل تاريخه بثلاثة ايام [في ٩ كانون الاول ١٧٨٤] . وفصلنا ثمنه ١٣٠٠ غرش وتوته وتوابعه تساوي ٢٢٠٠ غرش مع مرمّته اللازمة . فرأينا ان نحرر لتقواكم في ذلك . ونرغب ان تحضروا لطرفنا سريعاً لان حضوركم ضروري لنا وقد كتبنا الى اخينا المونسنيور فرنسيس انطون فراكية عن ذلك . وبلغنا ان الالجي (السفير) الفرنساوي ذهب من طرفكم .

« ولربّما يخطر ببالكم ان نسكن في دير مار افرام الرغم . ولكن هذا لا يوافقنا اصلاً . لانه بعيد عن الاديرة وعن نظرائنا ومحبينا الذين نلتزم ان نراجعهم ونستشيرهم . وليس في جواره كاثوليك بل بعضهم اراطقة (يعاقبة) والبقية دروز ازدياء . وامير ذلك المكان طماع لا نقدر ان نشبعه او نرضيه . زيدوا عليه انه مقر رهبان . ومن المعلوم ان الدير البطريركي لا ينتظم بمساكنة رهبان وايضاً لان المتولي عليه هو المطران يوسف قدسي . فأسرعوا اذاً في القدوم الينا واكتبوا في هذا الصدد الى نيافة رئيس المجمع المقدس برومية .

« وبما اني صرتُ عاجزاً عن الكتابة من قِبَل ضعف بصري ثم من قبل وجع الصدر المستحوذ علي حتى اني التزم ان اكلف الناس لكي يكتبوا لي ما اريده : فأحتم عليكم ان تحضروا سريعاً . ومني القبلة الاخويّة والسلام بالرب لحضرة المونسنيور الكلي الشرف . وأفهموه معنى مكتوبي هذا ثم اهدوا بركتنا الرسولية وجزيل سلامنا الى حضرة ولدَينا العزيزَين المقدسي يوسف والشماس يوسف فكأنهما نسياني ولم يكتبا لي منذ زمان . ومن هنا اخونا المطران نعمةالله المحترم الذي حضر منذ نحو

---

(١) قرأنا في دفتر حسابات البطريرك ميخائيل المغبوط ورقة ٤٥ ما نصه : « كروة الشرفة عن اربعة اشهر من كانون الاول ١٧٨٤ الى اذار ١٧٨٥ ستة غروش . وعن سنة و٥ أشهر ونصف من ٦ اذار ١٧٨٥ - الى ٢٢ ايلول ١٧٨٦ مبلغ ٢٩ غرشاً . والمجموع ٣٥ غرشاً .

شهرين من مصر يهدي اليكم والى من ذكر منا البركة والسلام ·
حرّر في ١٢ كانون الاول ١٧٨٤ في شرفة درعون »

ثم كتب البطريرك المغبوط الى المونسنيور النائب البطريركي فرنسيس انطون فراكية بالمعنى عينه · وكان القس الياس مقيماً في بيته منذ سنتين ونصف سنة على حسابه · وكان هذا المونسنيور معوّلاً على ارسال القس الياس الى لبنان اجابة الى امر البطريرك ·

٧ - استئجار محلّ الشرفة

رأى البطريرك ميخائيل المغبوط ان مركز الشرفة موافقٌ لِمَا نواه فاستأجر تلك الحجرة وتلك الغرفة لمدة سنتَين بعشرين غرشاً في السنة على ان يدفع غرشين الّا ثلث الغرش في الشهر بدءاً من كانون الثاني ١٧٨٥ وجعل يعيش هناك عيشاً فقرياً مع حاشيته · وبعدما استأجر الغرفتَين حوّل الغرفة السفلى الى مصلّى يقيم فيه الذبيحة الالهية والفروض القانونية مع مَن عنده · واتخذ الغرفة العليا لسكناه · ثم زيّن ذلك المصلّى الجديد ببعض الصور والقناديل والشماعد وجعل في وسط المذبح صورة « سيدة النجاة » التي كان يصحبها في اسفاره الشاقة ويحافظ عليها محافظته على اثمن الجواهر · وهي صورة لطيفة منقوشة على خشب تمثِل العذراء المغبوطة مفتوحة الذراعَين وعلى مستودعها صورة ابنها يسوع الفادي · ولها دفتان نُقش على احداهما صورة مار يوسف البتول وعلى الثانية صورة مار جرجس الشهيد · وكان قد اشترى هذه التحفة الثمينة في اورشليم لما حجّ الارض المقدّسة لاوّل مرّة[١] · وما برحت هذه الذخيرة المقدّسة مصونة بمجالي التكريم والاجلال في المصلّى المشار اليه ·

---

(١) راجع هذا الكتاب : فصل ١ رقم ٤

ܡܪܬܐ ܡܦܘܪܩܬܐ ܕܫܪܦܬ

٨ – تقليد الدرع الحبري للبطريرك الانطاكي

وفي هذا المصلّى الجديد الحقير احتفل البطريرك الانطاكي بالذبيحة الالهية بحضور رهطٍ من الاساقفة والقسان والتلامذة . وتقدّم السيد ايونيس نعمةالله الصدّي مطران دمشق وراشيا ووشحه به صباح جمعة المعترفين ٢٥ نيسان ١٧٨٥ وكان القس عطاالله يازجي الامدي السرياني تلميذ بروبغندا قد استحضره معه . وقد قرّر البطريرك الانطاكي خلال الحفلة صورة الايمان الاوربانية كمألوف عادة بطاركة المشرق . ثم كتبها بخط يده ووقّعها بختمه ورفعها الى الحبر الروماني البابا بيوس السادس في التاريخ المذكور شاكراً لقداسته عطفه وداعياً له بالتأييد والتوفيق .

٩ – زيارة البطريرك للمطران جرمانوس آدم في دير الزوق

وفي ١٤ تموز ١٧٨٥ لبى البطريرك الانطاكي إلحاح صديقه المطران جرمانس آدم فانحدر الى قرية الزوق المجاورة لعينطورا وزاره وزار دير مار ميخائيل ودير البشارة واقام عنده سبعة ايام معززاً مكرماً ثم عاد الى الشرفة وكتب الى السيد اغناطيوس صرّوف مطران بيروت هذه الرسالة:

«.. علمتُ بذهابكم الى «الجرد» على اثر حصول المرض في بيروت. وطلبت اليه تعالى لاجل حفظكم ودوام بقاكم. وفي حزيران الماضي ارسل حضرة المطران جرمانس آدم المحترم فكلفنا ان نزوره فاعتذرنا. فارسل تكراراً يلح علينا بكل لجاجة اخوية فالزمتْنا المحبة وذهبنا في ١٤ تموز وزرنا ديريكم العامرَين: دير مار ميخائيل ودير البشارة. وقد قدم لنا اولادكم الآباء المكرمون كل احترام واعتبار. نسأله تعالى ان ينميهم بالنعمة.

«وبعد اقامتنا عند الاخ المطران جرمانس وعند الآباء مدة سبعة ايام عدنا الى مقرّنا. وعندما كنا هناك (في الزوق) بلغنا ان المراحم الالهية قد عمت مدينة بيروت وانقطع الطاعون منها كلّياً. ولعلمنا انكم عدتم الى المدينة محلكم كتبنا لكم هذه الأسطر لنسأل خاطركم ونهنيكم ونجدد لحضرتكم القبلة الاخوية ثانياً وثالثاً.

حرر في ٢٢ تموز ١٧٨٥ اغناطيوس ميخائيل

بطريرك السريان الانطاكي»(١)

وغير خافٍ ان المطران اغناطيوس صروف المشار اليه ارتقى فيما بعد الى السدة البطريركية عام ١٨١٢ وجعل مركزه في دير مار سمعان. ولما كان مجتازاً من ذلك الدير الى دير نياح العذراء هجم عليه عماد المعلوف واولاده وفتكوا به في ٦ تشرين الثاني السنة عينها. فاغتاظ الامير

---

(١) محفوظات دير الشرفة مجلد ٥

بشير الكبير وقبض على المعتدين وشنقهم في بتدين[١] .

١٠ - انتقاء تلامذة لاكليريكية بروبغندا

في ٧ آب ١٧٨٤ كتب السيد ليونرد انطونلي رئيس البروبغندا رسالة الى البطريرك ميخائيل يوصيه ان ينتقي شباناً أتقياء أذكياء ويبعثهم الى رومية لينضموا الى تلامذة بروبغندا . وهذا تعريب الرسالة :

« ... ارغب الى فطنتكم وغيرتكم ان تنتخبوا ثلاثة فتيان من حلب ودمشق ومصر او من بلد آخر وترسلوهم الى رومية باول فرصة موافقة . ذلك لانه ليس في الاكليريكية الاوربانية تلامذة سريان في يومنا . وينبغي ان لا يقلّ عمر الواحد منهم عن ١٣ سنة ولا يزيد عن ١٦ سنة . وان يكونوا ذوي بنية جيدة وعقل صافٍ واخلاقٍ طيبة وميل الى الصلاح . لكي يركن الى دعوتهم ويُرجى منهم الامل بالتوفيق في خدمة الانفس . لاننا اذا طلبنا شباناً من بلاد بعيدة وربيناهم واصبحوا لا يؤدون للايمان المقدس ما نرغبه من الثمار كان عملنا دون فائدة ...

« حرر في رومية في ١٧ آب ١٧٨٤ الجزيل العطف نحو خدمتكم

اسطفان بورجيا الرئيس ليونرد انطونلي »

كاتم الاسرار » .

وقد اجاب البطريرك الانطاكي الى طلب الرئيس وارسل الى رومية فريقاً من الشبان زاولوا الدروس الكهنوتية في اكليريكية بروبغندا وارتقوا الى الرتبة المقدسة كما سنذكر ذلك في محله .

---

(١) الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية : لمؤلف هذا الكتاب ، صفحة ٧٧ و٧٨

الفصل الثامن

البطريرك ميخائيل والشيخ غندور سعد الخوري

ما وصل البطريرك ميخائيل المغبوط الى جبل لبنان في اذار ١٧٨٤ كما فصَّلنا حتى كتب الى الامير يوسف شهاب (١٧٧٠ – ١٧٨٨) والى أمينه وكاتب سره الشيخ غندور سعد الخوري يفضي اليهما بأمره ويشرح لهما خلاصة حاله ويلفت نظرهما الى قضيته كي يحمياه ويُحسنا معاملته. وقد انطوت خزائن دير الشرفة على بعض رسائل تداولت بين البطريرك وبين الشيخ غندور رأينا ان ندرجها في هذا الفصل :

١ – رسالة البطريرك الى الشيخ غندور يخبره بتفاصيل ما جرى له .

« البركة الالهية والنعمة والسلام تحل وتستقر على نفس وجسم جناب حضرة الابن العزيز الشيخ غندور ابو راجي المحترم وتباركه وتحرسه وتحفظه وتخلصه من كل مكروه

« اولًا مزيد الاشواق لمشاهدة جنابكم بكل خير وعافية . والثاني الذي نرغبه هو ان تكونوا بانعام الرب وفي العدالة والسرور والنجاح والصحة والسلامة . ثم انه يا حضرة ولدنا ربما بلغ مسامع جنابكم حضورنا في العام الماضي من نواحي بغداد وذلك هربا من اضطهاد الهراطقة والمشاقين الى هذه البلاد العامرة . وان نكون ملتجئين تحت كنف سعادة افندينا (الامير يوسف) حفظه الرب وحرسه وادامه لحفظ المؤمنين اولاد كنيسته المقدسة . ويُبقي لنا جنابكم دائمًا وجناب حضرة الوالد العزيز المحترم لكي دائمًا نكون مجبورين بكم .

« ثم اننا قطنّا في بيت شباب كل هذه المدة وعن قرب قد انتقلنا الى كسروان الى مكان يقال له شرفة درعون وهو في حوزة حضرة ولدنا الشيخ ابو فارس حامل كتابنا لجنابكم . واستأجرناه منه الى مدة

سنة . والسبب انه ليس لنا قدرة على مشترى مكان . والفقر الشديد حايق بنا . والسبب من الاضطهادات التي جرت علينا واخطار القتل لنا من الهراطقة وسلبهم حوايجنا . وقد رضينا هذا كله لمجد الله تعالى وحبا بالايمان المقدس . ومستعدين لان نسفك دمنا حباً بهـذا الايمان المقدس البطرسي الروماني ولارتداد طائفتنا السريانية المشاقين الى حضن هـذه الام الحنونة التي كل من كان خارجاً عنها ليس له خلاص . ولكي نكون بالامان وتحت شريف نظر افندينا السعيد وحمايتكم .

« والآن قد انعم علينا قدس سيدنا الحبر الاعظم بالتثبيت المقدس الذي وصلنا واقتبلناه بكل احترام . وبهذا القرب نتدرع به . فالآن من الواجب واللايق ان يكون هذا الامر مزيّن بشريف نظر سعادة افندينا نصره الربّ دائماً ومجابرتكم لفقرنا وذلّنا . وان نتعزّى دائماً في حال غربتنا ونطلب من جنابكم ان تخرجوا لنـا مشرّفة من سعادته جابر المساكين . والربّ يحبكم ويحرسكم ويحفظكم لنا زماناً مديداً ولجناب الوالد . ويريكم وجهه بالسلامة منتصراً غانماً ويحفظ لكم النجل السعيد ويفرحكم فيه ويقدركم على عمل الخير .

« ثم واصل حضرة ولدنا الشيخ ابو فارس وصحبته ثلاثة ارطال بنّ قيمة فقرنا . شيء لا يذكر لجنابكم تقبلوها كفلسين الارملة . وحقاً اننا بالخجالة العظيمة امامكم . وحضرة ولدنا المذكور يُطلع جنابكم على احوالنا . نرجو حضرتكم عدم المؤاخذة . ثم أهدوا منا البركة والسلام لحضرة النجل السعيد وكامل العيلة المحروسة والمحفوظة من الرب بعد اهداء البركة الرسولية لجنابكم ثانياً وثالثاً .

الداعي

اغناطيوس ميخائيل

شرفة درعون — اذار سنة ١٧٨٥ بطريرك السريان الانطاكي [١]» .

---

(١) محفوظات دير الشرفة ٦ : ٤٦

٢ –رسالة البطريرك الى الشيخ غندور يدعوه الى حضور حفلة توشيحه بالدرع البابوي

«البركة الالهية والنعمة السماوية ...

البركة الالهية والنعمة السماوية تشمل حضرة ولدنا العزيز بالرب الشيخ بو راجي غندور المحترم . بارك الرب الاله عليه وعلى عيلتهِ المحفوظة وكل من يلوذ بجنابه السعيد باتم بركاتهِ العلوية آمين .

«اولاً مزيد الاشواق الى استماع اخبار جنابكم المسرَّة بكل خير وعافية ونعمة من الله تعالى على حضرتكم جزيلة وافية . وبعده سابقاً وصل لنا عزيز كتابكم وانسرّينا بحسن سلامتكم ووصل لنا مرسوم سعادته . فربّنا يبقيه لنا واياكم ويديم لنا مجابرتكم ويحرس عائلتكم المحفوظة بالرب ومَن يلوذ بحضرتكم على المجابرة التي عملتموها مع حال فقرنا .

« ثم الذي نبديه لحضرتكم في هذه المدّة اعتمدنا ان نلبس درع التثبيت المقدّس الذي انعمت علينا بهِ أمنا الكنيسة من غير استحقاق . وسبب عجلتنا عن ما ذكرنا حتى نردّ الاجوبة الى قدس الحبر الاعظم (البابا بيوس السادس) والمجمع المقدس حسب المعتاد . فلازم لذلك واصل عبوديّة مع ثمانية ارطال قهوة نرجو تقدمتهم بالرجاء بين يدي سعادته المكرّم . ويكون حسن همتكم الوافرة في مشرّفة (رسالة) من سعادتهِ جواباً الى عبده حسب معرفتكم وفطنتكم الذكية .

« وحقّاً يا حضرة ولدنا المحترم لولا المحبين والغيورين مثل جنابكم ما قدرنا على هذا الحمل . لاننا نقول دائماً : ربّنا يديمكم ويديم لنا الطايفة المارونية . ويبارك على جميع المسيحيين الذين هم حاملين اثقالنا . فلهذا نرجو من فضلكم عدم المؤاخذة وتقدمة العذر بين يدي سعادته لاجل خدامتنا هذه الفقريّة حيث اننا في غاية الخجالة من ذلك .

« والبركة تشملكم وتشمل عيلتكم المحروسة وولدكم السعيد وكل من يلوذ بديارِكُم العامرة ثانياً وثالثاً –

« واصل لجنابكم رطل قهوة لداركم العامرة . تصرفوه بالهنا ولا يحصل مؤاخذة بذلك لانها هديّة فقريّة نرجوكم قبول العذر »[١].

شرفة درعون ٩ اذار ١٧٨٥ ، الداعي

اغناطيوس ميخائيل

بطريرك السريان الانطاكي

٣ – توصية البطريرك ميخائيل قنصل فرنسا في صيدا بالشيخ سعد الخوري

«... نهنئ سموّكم بقدومكم الى مدينة صيدا وارتقائكم الى وظيفة القنصلية المرتّبة من جلالة الملك المظفَّر ايّد الله تعالى دولته . ثم لا يخفى شريف علمكم ما جرى بين جناب افنديتنا الامراء الشهابيين ... باقامة جناب ولدنا الشيخ سعد المحترم رهينة الوزير المعظم (الجزّار) كما اتضح لكم ذلك من كتاب اولادنا المشايخ الخوازنة المحترمين . وقد فهمنا نحن منذ اقامتنا في كسروان ان جناب ولدنا الشيخ سعد هو نصرة الايمان بهذه النواحي وسند وعضد ورجاء وملجاء للشعب المسيحي في هذه البلاد... فالمرجو ان تبذلوا الهمّة العالية المشهورة لدى قناصل الملك المسيحيّ في حضوره ... والجميع ممنونون افضلكم كأنكم اشتريتموهم . وكنا نحب ان نحضر الى مشاهدتكم السنيّة ولكن عجزنا واضح لدى الجميع . فارسلنا حضرة اخينا المطران نعمةالله لينوب عنا بتقدمة كلّ ما يجب من الاكرام والاعتبار لسعادتكم ... الحقير اغناطيوس ميخائيل

شرفة درعون ١ تشرين الثاني ١٧٨٥ بطريرك السريان الانطاكي[٢]».

٤ – تبرّع الشيخ غندور سعد الخوري على دير الشرفة

بلغ الشيخ غندور ان البطريرك ميخائيل المغبوط اشترى دير الشرفة بمبلغ ٢٥٠٠ غرش فما كان من الشيخ الكريم الّا ان بعث اليه بمبلغ الف

---

(١) محفوظات دير الشرفة ٦ : ٥٠

(٢) آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا ١٢٧ و١٢٨

غرش . وهو مبلغ يستحق الاعتبار في تلك الازمنة . وقد قرأنا في دفتر حسابات البطريرك ما نصه :

« حوالة حضرة جناب الشيخ غندور سعد الخوري المحترم على حضرة ابو يوسف انطانيوس جبور المكرّم بالالف غرش التي وهبها لنا عن نفس المرحوم والده الشيخ سعد الخوري في ١ ايلول سنة ١٧٨٦[١] .

وفي ٣٠ ايلول السنة عينها كتب البطريرك ميخائيل الى نيافة الكردينال لينورد انطونلي رئيس مجمع بروبغندا يقول :

« نفيد نيافتكم اننا في ٢٢ ايلول هذه السنة اشترينا المحل مع ارزاقه على اسم الكرسي الانطاكي لطائفة السريان الكاثوليك . وثمنه ٢٦٣٢ غرشاً . وقد قبضنا من هذا المبلغ ١٠٠٠ غرش من جناب الشيخ غندور الخوري عن نفس والده المرحوم سعد الخوري . . . »

وقد كتب الكردينال المشار اليه الى البطريرك ميخائيل في ٢٦ نوار ١٧٨٧ يقول : « حظينا ببشرى غبطتك وعرفنا انك باسعاف الشيخ غندور الخوري قد اشتريت محلاً في درعون واطلقت عليه اسم القديسة مريم سيّدة النجاة حيث اقمت كرسيك الانطاكي . . . وارتضى سيدنا البابا ان يتقبّل الدير المشار اليه تحت حماية الكرسي الرسولي ومجمع نشر الايمان المقدس . . » .

٥ – الشيخ غندور سعد الخوري قنصل فرنسا

في ٢٤ آب ١٧٨٧ كتب لويس السادس عشر (١٧٧٤ – ١٧٩٢) الى الشيخ غندور سعد الخوري صالح يفوّض اليه رتبة القنصلية الفرنسية في بيروت . ذلك تلبيةً لرغبة البطريرك يوسف اسطفان (١٧٦٦ – ١٧٩٣) والامير يوسف شهاب (١٧٧٠ – ١٧٨٨) . ولما سمع البطريرك ميخائيل

---

(١) دفتر حسابات البطريرك : صفحة ٥٤

جروة ذلك كتب الى صديقه الشيخ غندور كتاب تهنئة . واردفه بكتاب ثانٍ مؤرّخ في ١٢ تموز ١٧٨٨ هذا نصه :

« البركة الرسولية تشمل جناب حضرة ولدنا اعز الابناء الكرام الشيخ غندور قنصل بك الكلي الشرف . باركه الرب الاله باتم بركاته العليَّة آمين .

« بعد اهداء البركات السماويّة وبليغ الاشواق القلبيَّة . المنهى الى جنابكم بان اولادنا اهالي قرية درعون لمعرفتهم بمحبتكم الصادقة نحو ضعفنا وميل نظركم الى حقارتنا قد اتوا الينا وترجوا منا لكي نترجى من حلمكم ورأفة سعادتهِ ايّده الرب تعالى برفع زودة الميري الاصلية عنهم نظير اهالي الديرة المحفوظة بالرب . فنحن لعلمنا بفقرهم وانحطاط حالهم في هذه المدّة ولمعرفتنا الاكيدة بشمول انظاركم علينا وانعطاف حبكم نحو ذلنا تجرأنا ان نحرّر هـذه الاسطر متوسّلين الى جنابكم بان تلبوا صوتهم ولا تردّوهم خائبين . بل تعطفوا او تقدّموا لسعادته بالرجاء ليرفع هذه الثقلة عنهم . وان امكن فمن الجميع لكي يدعوا على الدوام الى سعادته حفظه الله تعالى ولجنابكم وجناب حضرة الشيخ راجي الغصن المصون بالرب الذي نسأله تعالى ان يجعله كالشجر المغروس على مجاري المياه يعطي ثمره في حينه وورقه لا ينتثر . وكلما يصنع ينجح . ويؤيّد جنابكم بنعمته وينجح جميع مقاصدكم الروحية والجسديّة . ويشملكم بنظره المقدَّس لكم ولعيلتكم المباركة . ويتغمّد نفس والدكم المثلث الرحمة في سعادته الابدية . ويقبل جودكم هـذا وتفضّلكم به على الفقراء تقدمةً عن نفسه السعيدة . بعد تجديد منح البركة لجنابكم ولكافة عيلتكم الشريفة بالرب ثانياً وثالثاً » —

اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي[1]

حرّر في ١٢ تموز ١٧٨٨

(١) محفوظات دير الشرفة ٦ : ٥٠

٦ – رسالة البطريرك ميخائيل الى الشيخ غندور عند قدومه الى ريفون

« البركة الرسولية والنعمة الالهيّة تشملان جناب حضرة ولدنا الاعزّ الشيخ غندور المحترم

« بعد مزيد الاشواق لمشاهدة جنابكم والتوسل الى الله تعالى بدوام بقاكم . اننا كنّا بغاية الرغبة للاجتماع بحضرتكم وعازمين على التوجه الى ريفون لمقابلة حبّكم اولاً لنحصل على تسليةٍ ما بين مصائبنا المحيطة بنا من كل جانب . وذلك بالخطاب مع جنابكم يسيراً . غير ان العناية الالهية لم تسمح لنا ولا بهذه التعزية . لاننا اذ كنا مهتمين بالمسير الى ريفون كما ذكرنا بلغنا بغتةً ان جنابكم توجهتم بالسلامة الى وطا الجوز فلم يبقَ لنا سوى ان نتوسل اليه تعالى بحفظكم ونجاح مساعيكم . ثانياً : لنقدم ما يليق شكراً لافضالكم بما أحسنتم علينا به عن نفس المرحوم (والدكم سعد) الذي من مدة قد وصل الينا .

« والآن حضرة ولدنا القس سمعان صباغ الاكرم متوجه الى وطا الجوز فرأينا صوابيّاً ان نرافقه بهذه الاسطر ونوكّله عوضاً عنا ليكمل ما ذكرنا . ونرغب من كل القلب طالبين من تقواكم عدم منع كتبكم عنا وامتداد انظاركم علينا . ونسأل المولى تعالى دوام البقاء والتأييد والبركة عليكم ثانياً وثالثاً »[1] .

اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي

٧ – رسالة البطريرك ميخائيل الى الشيخ غندور القنصل الافرنسي

في ٣ تشرين الاول ١٧٨٩ كتب البطريرك ميخائيل من دير الشرفة الى القنصل الفرنسي الشيخ غندور يهنئه بعودته الى لبنان وانتقاله الى وطا الجوز . وبعث اليه مع الرسالة بهدية من « ملبّس آجاص ماردين » المشهور وهذا نصّ الرسالة :

---

(١) مخطوطات دير الشرفة ٦ : ٥١ .

« جناب حضرة قنصل بك الكلي الشرف

« بعد اهداء البركة الرسوليّة والتوسل لله تعالى بشأن جنابكم وبُعد كل سوء عنكم وارسال الفرج باسرع وقت لنحصل معكم على التعزية والاطمئنان مما هو شايع . واذ كنا بهذا الحادث بلغنا قدومكم بالسلامة الى وطا الجوز . وحقاً انه كان واجباً علينا ان نحضر لمشاهدتكم لاننا بغاية الشوق الى رؤياكم الكريمة . غير ان عجزنا الآن قد ازداد وخصوصاً فيما يخص نظرنا بما ان العين الواحدة قد فقدت قوتها كلياً . والثانية مقاربة الى العدم . فنسأله تعالى ان يجعل مصابنا دفع البلاء عنكم ونحن قابلون ذلك بكل شكر . وبما ان اليد قصيرة ولا يمكننا نكمّل ما يجب علينا من الالزام نحو جنابكم مع كل ذلك قد تشجعنا من قبل تقواكم وديانتكم على ارسال ملبس الآجاص المارديني ورزمتين تتن وهي واصلة مع حضرة ولدنا يوسف الخوري تابع قدس اخينا البطريرك مار يوسف الكلي الطوبى .

« نرجو منك يا ايها الجناب المحترم بانك لا تلاحظ المرسول بل قلب الراسل ورغبته . هذا ما لزم طالبين لجنابكم من المولى تعالى كل نجاح . ومن صميم القلب نمنح بركتنا الرسولية الى العيلة المباركة الكلية الشرف عموماً ولجنابكم ثانياً وثالثاً »[١] .

حرّر في دير سيدة النجاة بشرفة درعونَ في ٣ تشرين الاول سنه ١٧٨٩ »

اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي

ولم يقتصر الشيخ غندور سعد الخوري الطيّب الآثار على مساعدة البطريرك ميخائيل في مشترى الشرفة بل اضاف الى ذلك انه شيّد للسريان كنيسة باسم مار الياس الحيّ في راشيّا عام ١٧٨٨ وضمَّ اليها قلّاية للمطران نعمةالله الصدّي مندوب البطريرك ميخائيل المومأ اليه . وجرت في هذا الشأن مراسلات نضرب عن اثباتها صفحاً .

---

(١) محفوظات دير الشرفة ٦ : ٥٥

القسم الثاني

دير الشرفة في عهد مؤسسهِ المغبوط

الفصل الاول

مشترى الشرفة

١ – أصل أرض الشرفة

كانت قمة الشرفة المطلة على قرية درعون وحريصا تخص مشايخ آل الخازن . واتّصلت بالارث الشرعي الى أحدهم الشيخ نوفل الحديث السن . وفي تموز السنة ١٧٥٤ تمّ القرار بينهم على ان يبيعوها للقس يوسف مارون بشرط ان يبني فيها مدرسة يعلّم فيها الفتيان مبادىء السريانية والعربية والاصول الدينية . ثم كتبوا حجّة البيع والشراء وهذا نصّها :

٢ – الحجة القديمة

« وجه تحريره وموجب تسطيره هو اننا عطينا الى ولدنا نوفل عودَتنا المختصة بنا المعروفة في جونية . وهي جيرة عمنا كيوان مع حرش عيد . وهي عوض « الشرفة » التي بعناها برضا الوكلاء الى القس يوسف مارون ليقيم فيها مدرسة . والعودة المذكورة هي أخير الى ولدنا نوفل من الشرفة . وهكذا رأينا لايق ومناسب لاجل افادة ولدنا المذكور . وذلك برضا الوكلاء المدوّني اساميهم بادناه .   كاتبتها على نفسها

حرّر في تموز سنة ١٧٥٤ مسيحية   امّ حصن وست نوفل الخازن

كاتبه	كاتبه	كاتبه	كاتبه	كاتبه
صالح باز حبيش	كيوان الخازن	بلبيل الخازن	دياب الخازن	سنتو الخازن

وهذا البديل صحيح شرعي بما انه برضى الوكيل والوصي ومقيد للولد القاصر » .

وقد أيّد حجة البيع والشراء ثمانية اساقفة بتواقيعهم وختومهم هكذا: « الفقير اليه تعالى المطران جرمانس — الحقير المطران فيلبُوس — الحقير المطران حنا — الحقير المطران مخايل الصايغ — الحقير المطران يوسف اسطفان — الحقير المطران انطونيوس — الحقير المطران جبرائيل عوّاد — الفقير اليه تعالى المطران طوبيّا الخازن ».

وكُتب الى يمين الحجة ما نصّه :

الحمد لله وحده . قد اطلعت على مضمون هذا الاستبدال بحيث كان فيه النفع لجهة اليتيم لا يسوغ لاحد الرجوع في ذلك لانه مما يُرَغب فيه وليس للحرمة الرجوع ايضاً والحالة هذه والله أعلم !

« رقم الفقير مصطفى المفتي »

وجاء في أعلى صكّ الحجة : « يُعمل بموجب هذه الحجة من غير خلاف .

« الامير ملحم » شهاب —

« يُعمل بموجبه شرعاً من غير خلاف — الحقير في الرؤساء سمعان بطرس البطريرك الانطاكي » وهو البطريرك سمعان عوّاد (١٧٤٣-١٧٥٦).

٣ — نشرة الخوري ابرهيم حرفوش

نشر الاب البحّاثة الفاضل الخوري ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني في مجلة المنارة الغرّاء مقالاً ضافياً عن ارض الشرفة قال :

« كانت الشرفة تخص القس يوسف مارون الطرابلسي (+ ١٧٨٠) حفيد الخوري يوسف صالح الدويهي الذي سيم مطراناً عام ١٧٢٨ على البترون بوضع يد البطريرك يعقوب عوّاد (١٧٠٥ — ١٧٣٣) وسماه اسطفان. وكان الخوري يوسف مارون من تلامذة رومية منذ نحو السنة ١٧٣٣ فبعد وفاة البطريرك سمعان عوّاد وقف مدرسة مار مارون في شرفة درعون سنة ١٧٥٧ وجعلها بعد موتهِ تحت تصرّف البطريرك طوبيا الخازن وخلفائهِ من بعده. وقد كتب وصيته هذه في اوائل حزيران ١٧٥٧ وهذه الوصيّة ايّدها البطريرك طوبيا والمطران يوسف اسطفان والمطران اسطفان الدويهي.

« ولما اشترى البطريرك ميخائيل جروة دير الشرفة عام ١٧٨٦ من ابي فارس انطون الحاج الشنيعي الغوسطاوي دفع اليه ابو فارس عينه الحجج القديمة على ما ورد في صك المشترى[١] وهي ١ً – حجة المرحومة ام حصن. ٢ً – حجج الخوري يوسف عينها. ٣ً – حجة البطريرك يوسف اسطفان.

« ويظهر من وصية الخوري يوسف مارون ان الدعوى على المدرسة كانت قائمة بينه وبين ابي فارس الشنيعي فبيعت من ثم المدرسة الى البطريرك ميخائيل »[٢].

٤ – تهنئة البطريرك يوسف اسطفان للبطريرك ميخائيل بمشترى الشرفة

ابتهج السيد يوسف اسطفان البطريرك الانطاكي بمشترى الشرفة فكتب الى البطريرك ميخائيل رسالةً تهنئة هذا نصها.

« يحظى بمطالعة قدس الاخ الكلي الطوبى البطرك ميخائيل الكلي القداسة والطوبى – الشرفة

« ايها الاخ الكلي الطوبى

« المعروض على خوتكم بعد قبلة اياديكم المقدّسة والسؤال عن حسن خاطركم. ثم انه عرض ولدنا انطون المبيع على خوتكم وهو موضعه الشرفة. فهذا ما سرّ خاطرنا لكوننا نرغب لخوتكم كل خير ولاجل شوقنا الى خدمة خوتكم في الحاضر علّمنا على الحجة وختمناها وهي واصلة. ان شاء الله يكون موضع مبارك عليكم وتشوفوا كل خير ونقبل اياديكم

الداعي اخيكم

البطرك يوسف الانطاكي »

في ٢٢ ايلول سنة ١٧٨٦

« صحّ : والمطرح[٣] ما بقي عليه دعوى لاحد كائناً من كان ولا

---

(١) السجل البطريركي في بكركي : مجلد ٢ : ٩٠٠

(٢) مجلة المنارة في جونية ٧ : ١٩٣٦ : ١١٣ و ١١٥

(٣) لاحظ قول البطريرك « موضعه » و« المطرح » فهو برهان على ان الشرفة لم يكن فيها الا بناء مطرح او موضع واحد حقير

يصير عند خوتكم ارتياب بنوع من الانواع لا منا ولا من غيرنا »[١]

٥ – تهنئة المطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الحلو البطريرك ميخائيل

كتب هذان الحبران الجليلان رسالة تهنئة جميلة الى البطريرك ميخائيل بمشترى الشرفة كما كتب البطريرك يوسف اسطفان المغبوط جاء فيها :

« ... في اشرف ساعة وصل مرسوم قدسكم بخصوص مشتراكم الشرفة فحقاً يا قدس سيدنا هذا قد سر خاطرنا لكوننا نرغب لقدسكم كل خير . ويجعله الرب مكان مبارك على قدسكم وتنجح الطائفة في ايام قدسكم المباركة . وشكرنا الله تعالى الذي حصلتم على مرغوبكم بتوفيقه . وهذا هو مطلوبنا ايضا ان يكون المكان موافقا لقدسكم . ونقبل اياديكم المقدسة ودمتم – الحقير المطران يوسف نجيم

« في ٢٢ ايلول ١٧٨٦ الحقير المطران يوحنا الحلو »

٦ – تهنئة « محبة » رئيسة راهبات دير مار يوسف الحصن للبطريرك ميخائيل

ولم تغمض الام محبة رئيسة راهبات دير مار يوسف في غوسطا عن تهنئة البطريرك ميخائيل بمشتراه الشرفة فرفعت الى غبطته هذه العريضة :

« .. في أشرف زمان تشرفت بمرسوم قدسكم الذي تنازلتم وشرفتم به ابنتكم ورسمتم انكم اخذتم الشرفة من اخينا انطون[٢] . يا حضرة سيدنا المحترم ان الكل رزقكم . وكل مطرح ما يعز على خدمتكم . ونرغب دائماً ان يكون كل ما يسر خاطركم . وشكرنا فضل الله تعالى الذي جعل قدسكم ان تحصلوا على مطلوبكم ونرجو ان لا تخرجونا من خاطركم وصالح دعاكم . ونقبل انامكم المقدسة ودمتم – الداعية ابنتكم

في ٢٣ ايلول ١٧٨٦ محبة خادمة راهبات ماري يوسف الحصن »

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٦

(٢) يتضح ان الرئيسة محبة كانت شقيقة انطون الحاج الشنيعي الذي اتصل اليه محل الشرفة بالارث الشرعي . ولهذا السبب كتب اليها السيد البطريرك ميخائيل دفعاً لكل اعتراض قد يحدث في المستقبل .

الفصل الثاني

سجلّ مشترى الشرفة

امّا مشترى الشرفة وفقاً لِما اثبته البطريرك ميخائيل المغبوط في لوائح حساباته المدققة فقد تمّ على هذه الصورة[1] :

١ – بيان المشترى

« بيان مشترى محلّنا شرفة درعون وارزاقها من الشيخ ابي فارس الشنيعي . تحريراً في ٤ ايلول حساب قديم و١٥ ايلول حساب جديد سنة ١٧٨٦ بموجب حجة شرعية محررة بخط الشماس جبرائيل جبارة والقس سمعان صباغ المكرمين من طائفة الروم . بحضور آباء (دير) الكريم ورئيسهم الاب يوحنا المحترم والشيخ نوفل خازن المحترم وبقية الذين كانوا موجودين مع المقدّرين : مسعد من عجلتون . والشدياق استفان من درعون . وقد تختّمت هذه الحجة من قدس الاخ البطريرك يوسف المغبوط ومن حضرة الاخوَين المطران يوحنا الحلو والمطران يوسف نجيم وكيل دير مار يوسف الحصن ومن الام الرئيسة « محبة » وراهباتها . واليك لائحة المبيع واثمانه :

٢ – قيمة البيع والشراء

غرش	
١٢	ثمن بورا والحرش الصغير الذي تحت الحارة(٢) مواجهة
٥٠	ثمن كرم الكبير
٣٠	ثمن التين الذي بين التوت والكرم

(١) دفتر حسابات البطريرك ميخائيل : ورقة ٥٢

(٢) نستنتج من قوله « الحارة » او « الموضع » او « المطرح » كما سبق ان الشرفة لم تكن ديراً عندما اشتراها البطريرك المغبوط كما توهّم بعضهم بل كانت حارة او موضعاً خصصها مشتريها الاوّل بمدرسة لتعليم الفتيان . ثم ابتنى البطريرك المغبوط سائر الغرف واطلق على البناء الذي احدثه اسم « دير سيدة النجاة » عليها السلام .

٣٩٠ ثمن توت بربري حمل ٢٦ الى ١٥
٤٠٠ ثمن توت جدار حمل ٢٠ الى ٣٠
٨٠ ثمن بيت الفوقاني للشريك
٤٠ ثمن عرايش ومختلف
١٠ ثمن نصب جديد
٢٥٠ ثمن حارة التحتانية التي يسكنها ابو فارس المذكور
٦٠ ثمن الحرش الكبير
١٠ ثمن بيت الفرن والتنّور

١٣٣٢
١٣٠٠ ثمن المحلّ الذي نحن ساكنيه

٢٦٣٢
٠١٣٢ يخرج منه الذي اوقفه منها امام الجميع وبشهادة المذكورين اعلاه » .
٢٥٠٠ هذا هو المبلغ الذي قرّره البائع والمشتري وقدره الفان وخمسمائة غرش فقط لا غير .

وجعل البطريرك المغبوط يدفع لصاحب المحل المبلغ المرقوم دفعة فدفعة كما يتضح من ملحق اللائحة المذكورة ونصُّهُ :

عددغروش

١٨٢ بيد ابي فارس حالًا بحضور الجميع . وصار القول بعد عشرة ايام ندفع له ٨١٨ غرشًا غلاقة الالف غرش بموجب تمسُّك (سَنَد) بهذا المبلغ سلّمناه بيده لكي متى دفعنا له هذا المبلغ المذكور نأخذ تمسُّكنا ونشقُّه . واما الالف والخمسمائة الاخرى فصار القول اننا ندفعها له قسطَين اعني كل سنة ٧٥٠ غرشًا عند تمام آخر السنة الذي يكون اوّل السنة ٢٣ ايلول سنة ١٧٨٧ والقسط الثاني يستحق في ٢٢ ايلول سنة ١٧٨٨ حسبما هو محرر في التمسُّك الذي سلّمناه بيده بهذا المبلغ وهو ١٥٠٠ غرش . فإلى تمام السنتَين بعد تاريخ مشترانا نكمل القسطَين وحينئذٍ يتسلم غلاقة دراهمه ويخرج من الحارة التي هو ساكنها حسب الشرط الذي صار فيما بيننا » .

واردف البطريرك المغبوط يقول ما نصُّه :

« ١٨٢ غرشًا الواصلة ليده كما هو محرّر . ثم بعد ثمانية ايام سلّمناه تمام الالف غرش . وأخذنا تمسكنا الاول منه امام القس سمعان والشيخ نوفل وابي موسى حنا . وبقيت الحجج عنده الى تمام الموسم فيسلّمها لنا بموجب تمسُّك اخذناه عليه . . .

« وقد وصله قسطٌ آخر وهو ٧٥٠ غرشاً بحضور حضرة المشايخ سنتو ونوفل الخازن في ٢٣ ايلول ١٧٨٧ ووصله آخر قسط قبل حلول الوعدة باربعة اشهر و١١ يوماً . وكان ذاك في ١١ ايار سنة ١٧٨٨ واخذنا منه التمسُّك وشقينا ختمه وحرّرنا عليه سنداً جديداً بقبضه جميع الدراهم عن الشرفة . واشهدنا الخوري صالح والشيخ نوفل والشيخ حكم والقس سمعان »(١) .

٣ — نهاية معاملة المشترى

على هذا الاسلوب تمّ مشترى الشرفة مع ما جاورها من كرم تين وتوت وعرايش وحرش الخ وأخذ البطريرك منذ ١٦ ايلول ١٧٨٦ يشيد بعض الغرف لسكناه ولسكنى حاشيته والتلامذة الذين ازمع ان يستحضرهم من اطراف البلاد . وقد أثبت في الورقة ٥٣ من دفتر حساباته بالحرف الواحد ما ننقله عنه :

« بيان قائمة المصاريف التي تُصرف على عمار ديرنا هذا المدعو « دير سيدة النجاة » افراداً من ابتداء سكنانا الذي كان في ٦ كانون الاول حساب جديد سنة ١٧٨٤ الموافق ١٥ حساب قديم . وقد اشترينا الحارة المذكورة مع الارزاق التي تخصها من أبي فارس الشنيعيّ في ١٥ ايلول حساب جديد سنة ١٧٨٦ وابتدأنا بالعمار في ١٦ ايلول نهار الاربعاء سنة ١٧٨٦ الموافق ٢٧ ايلول حساب جديد . ودفعنا كروة سنة وتسعة اشهر ونصف بيد ابو فارس من تاريخ ٦ كانون الاول سنة ١٧٨٤ حتى ٢٢ ايلول حساب جديد سنة ١٧٨٦ » .

وعربوناً لسرور البطريرك الانطاكي ورضاه عن ابي فارس فقد أهدى الى ابنيه جبّتين من الجوخ الوردي بمثابة حلوان[٢] . فشكر الولدان ووالدهما للبطريرك ميخائيل سخاءه ومحبته وهنّأوه بالمشترى ودعوا له باليمن والتيسير .

وفي السنة ١٧٨٧ أطلق البطريرك على الدير عنوان «دير الكرسي» وكتب مراراً في دفتر حساباته يقول : « بيان ما نصرفه على دير الكرسي » من ابتداء شهر تموز ١٧٨٧ » . وجعل يوقّع مناشيره وعرائضه الرسمية بهذه العبارة : « صدر عن كرسينا الانطاكي في دير سيدة النجاة » .

---

(١) دفتر الحسابات : ورقة ٥٢ و٦٩

(٢) دفتر الحسابات : ورقة ٦٨

الفصل الثالث

بشرى البطريرك الانطاكي للحبر الروماني بمشترى الشرفة

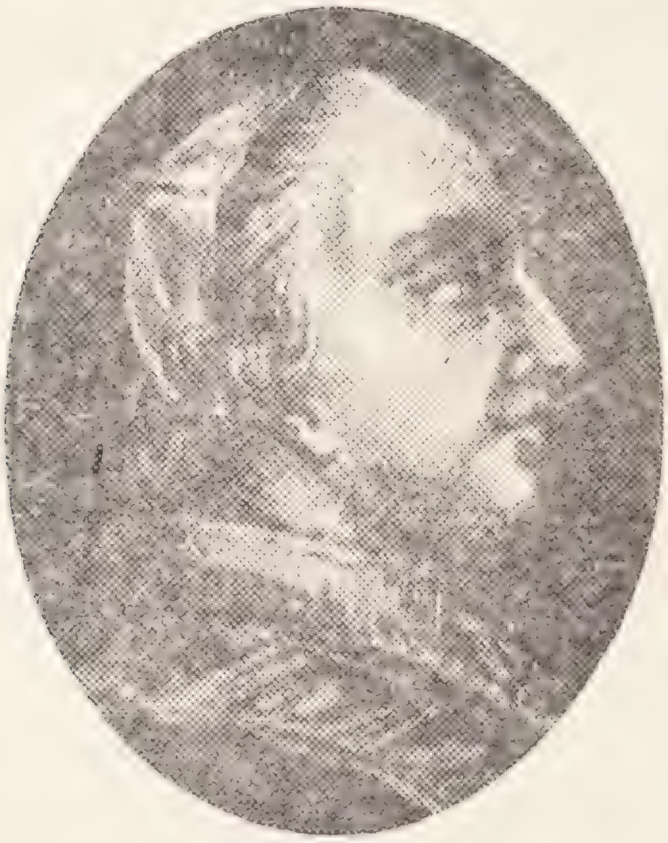

ما كاد ينتهي البطريرك ميخائيل المغبوط من مشترى الشرفة واطلاقه عليها عنوان « سيدة النجاة » و « دير الكرسي البطريركي » كما نوّهنا حتى رفع عريضة الى ابي المؤمنين العام البابا بيوس السادس (١٧٧٥ — ١٧٩٩) يبشره بصُنعه هذا المبرور ويتوسل الى قداسته ان يشمل الدير بنظره ويتخذه تحت حمايته . ويصدر أمره السامي بان يظلّ مخصصاً بسكنى خلفائه من بعده . ثم كتب الى رئيس مجمع نشر الايمان المقدس بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٦ اعني ثمانية ايام بعد الاتفاق على البيع والشراء يخبره بالأمر :

١ — رسالة البطريرك الى رئيس المجمع الكردينال ليونرد انطونلي

هذا هو نص الرسالة التي كتبها البطريرك ميخائيل الى رئيس مجمع بروبغندا :

« نيافة رئيس المجمع المقدس في رومية الكلي الاحترام

« بعد تقدمة ما يليق من الاكرام لنيافتكم . سبقنا فعرضنا على

مجمعكم المقدّس بان ثمن شرفة درعون يساوي سبعة اكياس . والان نفيد نيافتكم اننا في ٢٢ ايلول هذه السنة اشترينا المحل مع ارزاقهِ على اسم الكرسي الانطاكي لطائفة السريان الكاثوليك . وثمنه ٢٦٣٢ غرشاً . وقد قبضنا من هذا المبلغ ١٠٠٠ غرش من جناب الشيخ غندور الخوري عن نفس والده المرحوم سعد الخوري . وتقسط باقي الثمن الى سنتَين .

« اما بشأن اقامتنا في دير مار افرام الرغم[1] فنقول : ١ً — ان اقامتنا هناك تحرمنا اسعافات جمة . فلو اقمنا فيه مثلًا لَمَا نلنا الالف غرش المذكورة. ٢ً — تعوّد حاكم ناحية دير مار افرام ان يسكن في الدير متى ما شاء واراد . ولا يمكننا منعه . وان بطريركاً واكليروسه يسكنون مع عوام لا يرضى به مجمعكم المقدس ولا يصلح لبطريركية متجددة يجب ان تكون فاتحتها سائرةً بكل تحفظ . ٣ً — ان دير الرغم مختص بالرهبان فاذا تحملنا اثقالهم حلَّ بنا ما حلَّ باخوتنا الارمن الذين سكن اول بطاركتهم عند رهبانهم في دير الكريم ثم التزموا اخيراً ان يشتروا دير بزمار .

« فهذا ما اضطرنا ان نتحمل الاتعاب والفقر ونشرع في مشترى هذا المحل ونطلق عليه اسم « سيدة النجاة » وقد رأى اخونا الشماس حنا جروة برجوعه من مصر ومرورهِ بنا الى حلب ان يُحسن الى الدير بمبلغ ٦٥٠ غرشاً حسنة ٤٠ قداساً في كل سنة . فقبضنا منه المبلغ وشرعنا حالًا بعمار محلات ضرورية للاساقفة والكهنة والتلامذة متكلين في كل ذلك على الله عزّ وجلّ وعلى حنوكم تكميلًا لنيتكم المقدسة بشأن البطريركية في مستقبل الزمان .

« فنرغب من نيافتكم ان تقبلوا هذا الدير تحت رعايتكم وان تعرضوا أمره على سيدنا الحبر الاعظم ليصدر اوامره ويحرّج على خلفائنا

---

(١) كان رئيس المجمع قد اقترح على البطريرك الانطاكي ان يقيم في دير الرغم منذ حلوله عام ١٧٨٤ في دير مار انطونيوس النبع فكتب الى نيافته ما نثبته في المتن

وعلى مَن يتوكلون على هذا المحل ان يبيعوه او يبيعوا ارزاقه الحاضرة والمزمعة . لانه ان لم يصدر الاب الاقدس حتماً كهذا نخاف ان يحدث الدير ما حدث لعمارة دير الام المحزونة في زوق مصبح [١] ولارزاق دير الرغم التي بِيعَتْ بثمن زهيد ولم تستفد منها الطائفة فائدة روحية او جسدية بل لحقها ضرر من جرى ذلك .

« ثم نعرض لنيافتكم انه في ٢٨ هذا الشهر وصل حضرة اخينا المطران موسى . ونختم طالبين لنيافتكم تأييد الله تعالى مع مدى الاعمار .

عن دير سيدة النجاة بالشرفة في ٣٠ أيلول سنة ١٧٨٦

الكلي الخضوع اغناطيوس ميخائيل جروة
بطريرك السريان الانطاكي »

٢ – جواب رئيس المجمع الى البطريرك

سُرّ الكردينال لينورد انطونلي رئيس مجمع بروبغندا ببشرى البطريرك الانطاكيّ فكتب اليه هذا الجواب معرباً عن فرحه :

« غبطة السيّد اغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك السريان الانطاكيّ

«حظينا ببشرى غبطتك وعرفنا انك باسعاف الشيخ غندور الخوري [٢] قد اشتريت محلًّا في درعون واطلقت عليه اسم « القديسة مريم سيّدة النجاة» حيث اقمتَ كرسيك الانطاكي . وكيما يبقى الدير مقرّاً لخلفائك من بعدك ولا تتبدد موارده فقد منحك سيدنا البابا براءة ارتضى بموجبها ان يتقبّل الدير المشار اليه تحت حماية الكرسي الرسوليّ ومجمع نشر الايمان المقدّس . ويمنع منعاً باتّاً بيع الدير واملاكه في الزمن الحاضر والمستقبل؛ ذلك طبقاً للبراءة الرسوليّة الواصلة الى غبطتك .

---

(١) دير الامّ المحزونة أسسه المطران غريغوريوس شكرالله جروة عمّ البطريرك ميخائيل عـام ١٧٦٩ واقام فيه حتى وفاته ثم خلفه فيه المطران يوسف قدسي حتى السنة ١٧٧٤ فباعه واندثر ذكره (محفوظات دير الشرفة : مجلد ٥) .

(٢) راجع هذا الكتاب (صفحة ٤٨)

«وقد وجّه اليك المجمع المقدّس لاجل ذلك اسعافاً معتبراً قدره خمسة آلاف سكوت رومانيّ وجاءه الجواب من قسطنطينية مفادهُ ان هذا المبلغ وصل الى غبطتك · فيمكنك بذلك ان توفي الفوائض وكميّة من الديون · والأمل ان غبطتك بهذا الاسعاف وبما تحرزه من المؤمنين الاتقياء تحصل على بعض الطمأنينة والسكينة · وتفرغ اوفر النشاط في النهوض بواجباتك البطريركية · وفي الختام أعلن لغبطتك اخلاصي ومحبّتي القلبية ·

الجزيل الحبّ لينورد انطونليّ

«حرّر في رومية ٢٦ نوار ١٧٨٧ كردينال المجمع المقدس»

اسطفان بورجيا كاتم الاسرار»

٣ – براءة الحبر الرومانيّ

امّا براءة الحبر الرومانيّ فهي مصونة في دير الشرفة بجالي الاحترام والاجلال بنصّها اللاتيني وترجمتها العربية وهي :

«البابا بيوس السادس للذكر المخلّد

ان اخوتنا الموقرين كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدّسة المفوّض اليهم أمر انتشار الايمان المقدّس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الاسرار : أن الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى وامتلك في درعون بجبل لبنان محلّاً سمّاه دير سيّدة النجاة · واستحدث فيه ابنيةً وطلب ان يكون هو وجميع ملحقاتهِ وقفاً دائماً ثابتاً له ولخلفائه البطاركة · والتمس من المجمع ان ينوب منابه في التوسّل الينا لنؤيّد طلبه بسلطاننا ·

«امّا نحن فعلاوةً على مزيد اعتبارنا لِمَا لاقاه هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكي فقد ازداد حبّنا له لسبب كرَمهِ وفضله هذا التقويّ · وقبلنا توسّلهُ ببشاشة وترحاب · ونحن واثقون كلّ الثقة بان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطف الكرسي الرسوليّ عليه والتفاته اليه ·

«ومن ثم نحكم بقوة اسطرنا وبراءتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسولي ان يكون دير سيدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الآن وفي مستقبل الزمان وقفاً ثابتاً مؤبداً حسب نية البطريرك اغناطيوس ميخائيل . وان يكون ذلك تحت تصرفه وتصرف البطاركة خلفائه .

«ونضيف الى ذلك اننا قد قبلناه ونقبله تحت حماية كرسينا الرسولي ومجمع انتشار الايمان ، وننهي بسلطاننا الرسولي كائناً من كان عن التعدي عليه او التلاعب باملاكه او الاستبداد بشيء منه لذاته . ونمنع منعاً مطلقاً عن بيع او هبة شيء منه . ومن خالف امرنا هذا سقط حالاً في الحرم المحفوظ حله لنا ولمن يخلفنا اذا كان المتعدي في قيد الحياة

«أعطي في رومية جانب مار بطرس تحت ختم الصياد ٢٣ ايار سنة ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريتنا «الكردينال رملدس برسكي دي أونسي»

٤ – ابتهاج البطريرك ميخائيل بالبراءة البابوية

تلقى البطريرك الانطاكي هذه البراءة النفيسة بكل ارتياح وحبور ، ونسي شيئاً من رزاياه وبلاياه المتعددة . فكتب الى الحبر الاعظم بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٧ يقول :

«ايها الاب الاقدس

«بعد الانحناء امام سدتكم الرسولية بكل توقير واحترام والتماس بركتكم الرسولية والتوسل الى الله تعالى بحفظ حياتكم المقدسة لرفع شأن الايمان المسيحي اعرض : اني بينما كنتُ في أشد الغموم والهموم وصلتْ اليّ بغتةً براءتكم الرسولية الحاوية آيات عطفكم الابوي الرسولي بقبول دير سيدة النجاة تحت كنفكم وحماية مجمعكم المقدس المعتني بنشر الايمان . وأصبح ذلك واسطةً فعالة لانتشالي من الغرق كما انقذ السيد المسيح بطرس الطوباوي من غرقهِ . وتحقق لي ان هــذا يتعزز

بهمتكم ويستمر ثابتاً الى الابد لفائدة الايمان الكاثوليكي بعنايتكم واهتمام نيافة الكردينال انطونلي لدى كرسيكم المقدس .

« وعليه فاني مع طائفتي السريانية اقدم الشكر لاحسانكم ايها الاب الاقدس ولتبرعاتكم التي شملت هذه الطائفة وشملت حقارتي . مترجياً من الله عز وجل ان يبقي حياتكم زمناً مديداً لتأييد الايمان الكاثوليكي . وثقتنا بك يا وكيل الرب انك لن تتركنا نحن المضطهدين ولا تحرمنا اسعاف كرسيكم المقدس واتصال بركتكم الرسولية

ولدكم

دير سيدة النجاة ٣٠ ايلول ١٧٨٧ — اغناطيوس ميخائيل

بطريرك السريان الانطاكي »

٥ – كتاب البطريرك ميخائيل الى الكردينال انطونلي

وهذا نصّ الكتاب الذي رفعه البطريرك ميخائيل الى نيافة الكردينال لينورد انطونلي رئيس المجمع المقدّس .

« نيافة الكردينال انطونلّي رئيس مجمع نشر الايمان المقدّس

« بعد تقدمة ما يليق من الاكرام والاحترام لنيافتكم المحروسة . نعرض انه في ابهج الساعات وفدت علينا براءة قداسة حبر الاحبار البابا بيوس السادس الجالس سعيداً على السدّة البطرسية حاملة البشرى بقبوله دير سيدة النجاة تحت كنفه وتحت حمايتكم . وقد وضع الحُرم حالّاً على كل من يبيع او يفرّط في ارزاق الدير الثابتة والغير الثابتة .

« واذ كان محققاً عندنا ان ذلك قد نجز بسعيكم وغيرتكم المقدّسة فلذلك نشكر اوّلا الله عزّ وجلّ الذي قضى بان تكون نيافتكم في ايامنا لتسلية قلبنا وإفراج غمومنا وتخفيف وطأة الاحزان والمصايب والضيقات عنّا . ثم نشكر ثانياً فضلكم علينا وملاحظتكم ايانا متوسّلين الى المولى تعالى بقلب منكسر ليكافيئكم عنا في هذه الحياة ويمتعكم بعد الاعمار الطويلة بالسعادة الابديّة . ويجعل الايمان المقدّس ممتدًّا في اقطار المسكونة كلّها بغيرتكم . ونكرّر لنيافتكم في الختام ما وجب من فروض الاكرام والاحترام الكلّي الخضوع

اغناطيوس ميخائيل

دير سيدة النجاة ٣٠ ايلول ١٧٨٧ بطريرك السريان الانطاكيّ[١] » .

وكتب البطريرك ميخائيل المغبوط رسالةً في المعنى عينهِ الى المونسنيور بورجيا كاتب اسرار المجمع المقدّس . والى وكيله في رومية الاب ديونيسيوس حجار الروميّ الملكيّ .

وفي ٨ اذار ١٧٨٨ رفع عريضةً ثانية الى اعتاب الحبر الاعظم يعرب

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٢٥

لقداسته عن وفور امتنانهِ ويشكر له تلطُّفه وتعطُّفه ويقول : « ان دير سيدة النجاة يخصّ البطريرك الانطاكيّ السريانيّ الكاثوليكيّ دون غيره. على شرط ان لا يبيع ولا يرهن ولا يهب شيئاً من ارزاقه البتّة . امّا كهنة الدير وناذرو الفقر والطاعة لنا ولخلفائنا من بعدنا فلهم حقّ المعيشة والكسوة على البطريرك شرعاً وذمّة . لانّ كلّاً منهم هو كجزء من جسد جمعيته » .

٦ – اجلال نيافة الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل تبُّوني للبراءة البابويّة

نظراً الى خطورة البراءة البابويّة المشار اليها واجلالًا لنصّها وتصريحها فقد أمر نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبُّوني المغبوط مذ تبوّأ عام ١٩٢٩ العرش الانطاكي ان تُوضَع ضمن اطار لائق وتُعرَض في ردهة الاستقبال بدير سيدة النجاة للغادين والرائحين كي يطلقوا الالسنة بالأثنية الطيّبة على اولئك المجاهدين الابطال ويترحّموا على نفوسهم البارّة.

الفصل الرابع

البطريرك ميخائيل والامراء الشهابيّون

ما كاد يستقرّ البطريرك ميخائيل في ارض لبنان حتى رفع عريضة عام ١٧٨٤ الى الامير يوسف شهاب (١٧٧٠ – ١٧٨٨ – ١٧٩٠) يخبره بقدومه الى بيت شباب ويسأله ان يشمله بعطفه ويحميه من خصومه . وقد لبّى الامير طلب البطريرك وكتب اليه غير مرّة يطمئن أفكاره . ولمّا تولى الامير بشير الكبير شؤون الجبل اللبنانيّ كتب اليه البطريرك ميخائيل يهنّئه ويدعو له بالنصر والتأييد في مهمّته . وقد وجّه هذا الامير العظيم عدّة رسائل الى مؤسّس دير الشرفة المغبوط نذكر منها رسالةً مؤرخة

عام ١٧٨٨ على اثر توليه شؤون لبنان الكبير هذا نصها :

١ – رسالة الامير بشير الى البطريرك ميخائيل

« الى حضرة عزيزنا بطرك السريان المكرم سلمه الله تعالى

« اولا مزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافية . وبعده نعرف محبتكم انه انعطف علينا خاطر سعادة افندينا ولي النعم الدستور الوقور والوزير المعظم ... وشرفنا بالخلع الفاخرة وأعادنا الى مقر حكومتنا حسب العوايد . ان شاء الله تعالى تكون ابرك السنين على سعادته وعلينا وعلى جميع الرعايا .

« قصدنا تعريفكم بذلك لتأكيدنا انكم تسرون . وان شاء الله تعالى ما تشاهدوا منّا الا كل ما يسركم . ولا تقطعوا اخباركم عنّا ...

الامير بشير »[1]

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٦ ؛ وننبه القارىء ان اغلب رسائل الامير بشير المصونة في خزائن دير الشرفة خالية من التاريخ .

٢ - رسالة البطريرك الى جرجس باز

كان الشيخ جرجس باز بو عساف مدبراً لانجال الامير يوسف شهاب وهم : الامير حسين والامير سعد الدين والامير قاسم . فكتب اليه البطريرك ميخائيل يشكو من اولاد البدوي الذين تعدّوا على رزق دير الشرفة في مزرعة كفردبيان وهذا نصّ الرسالة :

«... اننا حين حضورنا الى هذه البلاد التجأنا الى سعادة المرحوم الامير يوسف شهاب ليقبلنا تحت اكنافه ويحمينا من كلّ تعدٍ . والمرحوم اجاب الى طلبتنا بموجب ثلاثة مراسيم[1] مسجَّلة بختمه الشريف وهي واصلة اليكم مع حضرة اخينا المطران يوليوس انطون لتطّلعوا عليها بخير . فاستناداً اليها أَسسنا لنا محلًّا واشترينا مقدار اربع اواق ونصف بزر . ومن جملة هذا الرزق اخذنا عودة في مزرعة كفردبيان بالنوع المشروح لجنابكم من جناب ولدنا الشيخ سنتو الخازن المحترم

«ففي العام الماضي ١٧٩٣ تعدّى علينا اولاد البدوي ... فنرجو ان تعلمونا هل يرضى الامير ان يحمينا كما كان حامينا المرحوم والده ام لا ؟ لانه لا يمكننا ان نقيم ههنا اذا سعادته ما وضع يده بحمايتنا . فأملنا بجنابكم عظيم وهو حقّ عندنا بمقدار ما كان أملنا بالمرحومين سعد وغندور . لاننا في زمانهم حصلنا على كل راحة . وما احد تجاسر ان يتعدّى علينا بادنى شيء . فنرغب اشهار خاطر الامير وخاطركم معاً حتى نطمئن ونستريح قليلًا . وكفانا همّ عماننا المرسل لنا من يد الله العالي . وقد قبلنا ذلك بكل شكر متضرّعين اليه تعالى بان يحفظ سعادتهم ويديمكم معاً مصانين من كل مكروه بشفاعة سيدة النجاة صاحبة دير كرسينا والبركة تشملكم .

«وصل عرض منا لسعادته — ١١ نوار ١٧٩٤

---

(١) لم نعثر على هذه المراسيم الثلاثة ما بين محفوظات الدير !

٣ – عرض البطريرك الى الامير حسين شهاب

« سلطانم افندم سعادة الامير حسين شهاب المعظَّم

« ... اننا محرَّرون ما هو حادث لنا من المصاب الى حضرة ولدنا الشيخ جرجس باز الاكرم . فيا سعادة افندينا نحن حضرنا الى هذه الديار على جاه المرحوم والدكم الامير يوسف . لان سمعته بحماية المساكين والمقهورين اتَّصلت بنا الي ماردين والي بغداد . وعدالته هذه هي التي جذبتنا الى هذه البلاد . وبوصولنا الى هنا نظرنا ان السمعة هي اقلّ جداً من الحقيقة . لان سعادته قبلنا بكل بشاشة وحمانا في زمانهِ من كل مكروه . وكنا نرغب ان يكون رحيلنا من هذه الدنيا قبل رحيله . ولكن احكامه تعالى لا تُدرك اذ قد ابقانا حتى نحتمل القهر والجبر .

« والآن من كون سعادتكم قد ارتقيتم الى الحكومة الشريفة متخلّفين للمرحوم والدكم الامير يوسف فنلتجي الى سعادتكم لتظهروا حمايتكم نحونا . وأملنا بحلمكم انكم تشيدون مراسيم المرحوم والدكم ولا تسمحوا ان نُهان . هذا ما نؤمله من عميم مراحمكم ودمتم في سعود الى يوم الخلود . والدعاء اغناطيوس ميخائيل

١١ نوار سنة ١٧٩٤ بطريرك السريان الانطاكي »(١)

٤ – رسالة البطريرك الى الامير حسن شهاب

« ... وصل مرسومكم الشريف وحمدنا المولى تعالى على سلامتكم المرغوبة وشكرنا الله عزَّ وجلَّ على جبران خاطر سعادتكم بوصول الخلع الشريفة الفاخرة الى سعادة افندينا الامير بشير المحترم ادام الله تعالى بقاه . فالأمل به وبحسن نيتكم بانها تكون سنة مباركة على رعاياكم وعبيدكم وبركات متصلة دائماً عليكم من غير انقطاع .

« ارسلنا الى سعادتكم قنينتين برنوطي من العطوس المطلوب وهما

(١) محفوظات ٦ – ١١

تحت ختمنا • نرغب من مراحمكم قبولها • اما صحة صديقكم فلله تعالى الحمد بحسن انظاركم الشريفة جيدة . ومن المعلوم ان حياتنا على وجه الارض ان لم تكن ممزوجة بالمرائر فلا تكون حياة زمنية . ويلزمنا قبولها بشكرٍ مرضاةً لله تعالى . ونحن نقدم اتعابنا مع توسلاتنا الى العزة الالهية بنجاح سعادتكم . وحفظكم المولى من كل مكروه»[1] .

٥ – رسالة الامير بشير الى البطاركة في لبنان

حصل نزاع بين السيد البطريرك اغابيوس الثاني مطر (١٧٩٦ – ١٨١٢) والمطران اغناطيوس صرّوف (مطران بيروت) ورُفعت الدعوى الى ديوان الامير بشير الكبير فكتب الامير الى البطريرك يوسف تيان (١٧٩٦ – ١٨٠٩) والى البطريرك ميخائيل (١٧٨٢ – ١٨٠٠) والبطريرك غريغوريوس في دير بزمّار (١٧٨٨ – ١٨١٢) ليتلافوا الأمر وهذا نصّ الكتاب :

« الى حضرة اعزّائنـا البطرك يوسف والبطرك ميخائيل والبطرك غريغوريوس المكرّمين سلّمهم الله تعالى

« اولاً مزيد الاشواق لرؤياكم في خير وعافية • وبعده نخبر محبّتكم بخصوص شريعة عزيزنا البطرك اغابيوس وعزيزنا المطران اغناطيوس • البالمن محبتكم آخذين الأمر في المطاولة (التسويف) • وهم كلّ يوم يقلقوا الرعايا في سجس جديد . والجميع عمال يتعرّضوا لمسامعنا • فالمراد بوصول المكتوب لمحبتكم تحضروا اعزازنا المطران اغناطيوس والمطران بند كتوس اقدّامكم حسب عوايد الشريعة في بلادنا وتمضوا الحكم الشرعي في الحقّ الصارم حسب فطنتكم وذمّتكم ولا يتداخل احد بينكم غير انتم والاخصام • وأنهوا المادّة بوجه الشرعيّ • والدعاوي مثل هذه في الورق والمراسلات لا تخلص . نؤكّد على محبتكم في ذلك ...

١ كانون الاوّل ١٧٩٨ — الامير بشير»[2]

(١) محفوظات ٦ : ٥٥ (٢) محفوظات ٦ : ٥٤

٦ - جواب البطريرك ميخائيل الى الامير بشير

«.. اطّلعنا على مرسوم سعادتكم المرسل الى حضرة اخوينا البطريركين ولنا ايضاً . اذ تذكرون اولاً اننا اخذنا الأمر بالمطاولة . ثانياً تشهرون خاطركم ان نجتمع سويّةً ونطلب حضرة الاخوين المطران اغناطيوس والمطران بندكتوس ونحكم بينهما من غير كتابة بل بالصوت فقط فنقول :

« ان الذي اورد على مسامعكم اننا اخذنا الامر بالمطاولة قد اورد الامر بالبهتان لا بالحقيقة . لاننا من حين جناب افندينا اخيكم الامير حسن المحترم أشهر لنا خاطركم العزيز بنجاز هذه المادة بحق الله الصارم من غير مراعاة بالوجوه . ففي الحال لاجل فقد بصرنا كما هو واضح عند الجميع ارسلنا طلبنا ثلاثة علماء مرسلين خاليّ الغرض مشهورين بالعلم والتقوى من ثلاث رهبنات . وهؤلاء فحصوا الدعوى بالتدقيق بمطالعة الشرايع بموجب ديانتنا . ومن بعد ذلك اعطوا صوتهم مثقلين ذمتهم انهم يردّون جواباً لله تعالى وللكرسي الرسولي . ثم فحصنا نحن بذاتنا بمقدار امكاننا ووضعنا حكمنا وبعد ان جناب حضرة افندينا اخيكم المحترم نظر ان الجمعيَّة متعسرة وربّما ممتنعة طلب منا بواسطة الاخ جرجس .. الحلبي صوتنا وحكمنا فقدَّمناه كما يقتضي الحق . فمن جهتنا ما عاد لنا تعلّق بهذه المادة كليّاً . ولا عاد يلزمنا نحضر ثانيةً من كونها فُحصت عندنا جيداً . فلازم عرض الامر بالتفصيل بين يديكم .

« اما على قولهم الثاني ان تصير الجمعية بخطاب لا بكتابة فهذا لا نفهمه نحن لانه لا يمكن ارسال الكلام الى ديوان الكرسي الرسولي بل الكتابة . وعلى كل حالٍ كما سبق القول وعرضنا ما عاد لنا تعلق بهذه المادة كليّاً لكوننا انجزنا ما يخصنا بموجب رسم جناب افندينا اخيكم المحترم حسب امركم ..

من دير الشرفة ٩ كانون الاول ١٧٩٨ »[١]

(١) محفوظات ٦ : ٥٤

٧ – رسالة البطريرك ميخائيل الى الامير حسن

«... قد وصلنا مرسومكم الكريم وحمدناه تعالى على سلامتكم المرغوبة . لانه بالحقيقة من حين تحرُّك ركابكم السعيد وتوجّه لنواحي دير القمر لم يزل فكرنا عند سعادتكم اولًا : نظراً الى صحتكم . وثانياً : الى الحوادث الواقعة . وفي كل وقت لا نترك من ان نتوسل الى المولى سبحانه بان يمن على سعادتكم بحسن التدبير لراحة العبيد . لان قضية مثل هذه مختصة بالله وحده يمنحها لمن يضع يده على قلبهم . ولنا امل بالله تعالى ان يقبل انكسار قلبنا ويبهجنا باستماع الاخبار المسرة... اذ لا يشق علينا الا بُعد سعادتكم عنا .

«ونحن سابقاً حررنا لسعادته جواباً على مرسومه الشريف الذي حضر لاخوتنا البطاركة ولنا . ونسخنا صورة المرسوم ووضعناها داخل عبوديتنا لسعادتكم وارسلنا الجميع ليد حضرة اخينا المطران اغناطيوس المحترم ليعرضها بين يديكم الكريمة . الامل انها وصلت ليدكم الشريفة بخير . «واصلكم قنينة عطوس جيّد خاص من الذي عندنا . تستعملوه بالصحة...

٢٣ كانون الاول ١٧٩٨»[١] .

الفصل الخامس

افتتاح دير الشرفة

١ – استدعاء شبان الى الدير

استقرّ البطريرك في ديره الجديد واطمأن قلبه نظراً الى مستقبله استناداً الى العناية الربّانية وثقةً بالكرسي الرسولي المقدس فجعل يراسل الابرشيات ويطلب شباناً ممتازين بالتقوى والذكاء ميالين الى الروح الكهنوتي

(١) مخطوطات ٦ : ٥٥

لينهض بتثقيفهم ويهيئهم لقبول الرتبة المقدسة ثم يبعثهم الى مختلف المدن والقرى ليكرزوا بكلمة الحق وينعشوا في النفوس روح الايمان والرجاء والمحبة.

لبّى دعوة البطريرك المغبوط فريق من الشبان النجباء فشخصوا الى دير الشرفة وجعلوا يقتبسون ما يقتبسون من الفضيلة والعلم حتى اختمروا فيها وارتقوا الى الرتبة المقدسة. نذكر من بواكيرهم الشماس زكريا والشماس جرجس والشماس توما. ثم ميخائيل ضاهر وجبرائيل بن يوسف سريدار وروفائيل موسى ويوسف سكّر وبطرس ابن الاسقف بهنام اخطل القرقوشيّ وخاله يوسف وبطرس ابن المقدسي الياس قلدجي البغداديّ. وهؤلاء الثلاثة الآخرون اضطروا ان يعودوا الى الموصل وطنهم بعد وصولهم الى درس الفلسفة. ذلك لمرض عرض لهم. وكان الاثنان منهم قد تلقّنا شيئاً من علم الطب وتلقيح الجدريّ فافادا كثيراً. وقد ارتقيا فيما بعد الى الدرجة الكهنوتية وخدما النفوس خدماً جلّى.

٢ – قدوم مستشرقين الى دير الشرفة

في ١١ آب ١٧٨٦ كتب الشماس نعمةالله جروة الى ابنه البطريرك ميخائيل المغبوط يخبره بانه قد حضر الى حلب مستشرق يرغب ان يتلقن اللغة العربية وان القنصل الفرنسيّ في حلب اشار عليه ان يقصد دير الشرفة للفوز بضالته قال:

«... نخبر قدسكم من طرف الخواجه جاكي قنصلنا بانه قد أتى عنده ضيف من بلاده. وهذا الضيف اسمه اوكر بلان وهو سائح في البلاد قصده بهذا ان يتعلّم لغات متنوّعة. فالرجل يعرف التلياني والفرنساوي والانكليزي والفلمنكيّ واليونانيّ والسريانيّ مع الباقي. فقصد بمجيئه الى حلب ان يتعلّم العربيّ وهو يعرف جزءاً منه. لكن مقصوده ان يتعلمه بحسب اللغة المضبوطة. فاراد القنصل ان يتعلّم اللغة العربيّة حسب القاعدة. وأمرنا وترجّانا ان نكتب لقدسكم عنه. وهو يسأل خاطركم الشريف

ويترجاكم في هذا الامر بان تكملوا للرجل مطلوبه . ومن ميل الاكرام فقدسكم فيكم الكفاية . والرجل ما هو محتاج بل منعم . فاذا وصل عند قدسكم اقبلوه باوفر الاكرام والاعزاز . ومهما عملتم معه فهو واصل لضعفنا ولحضرة القنصل . ونختم

« حرّر في اول شهر آب سنة ١٧٨٦ والدكم

الشماس نعمةالله جروة »

٣ - ارسال تلامذة من دير الشرفة الى بروبغندا

ثم انتقى البطريرك اربعة من الشبان الذين تثقفهم في ديره الجديد وبعثهم عام ١٧٨٩ الى رومية ليكملوا علومهم . نذكر منهم نصرالله وجرجس ولدي اخيه شكرالله جروة . وكتب في ذلك الى نيافة الكردينال رئيس اكليريكية بروبغندا بتاريخ ٥ نيسان ١٧٩٠ يقول ما خلاصته :

« . . . ان سفر الشبان يقتضي مصاريف كثيرة من بلادهم الينا اكثر من بلادنا اليكم . وعندنا الآن في كرسينا دير سيدة النجاة قد علّمناهم(١) ولا نزال نعلّمهم ونعلّم غيرهم فنرجو ان تجعلوا هؤلاء الاربعة ان ينذروا الطاعة لنا ولخلفائنا لسببين : الاول ليفيدوا ديرنا اذ يعلّمون الشبان الآتين اليه . والثاني لنستطيع ان نرسلهم الى المكان الذي يحتاج اليهم بالاكثر . ولا يخفى اني بارسالي ابنَي اخي لم أراعِ لحماً ولا دماً . . » .

---

(١) عادة درس بعض التلامذة في دير الشرفة مدّة طويلة او قصيرة وارسالهم بعد ذلك الى رومية وغيرها ظلت مرعية الى هذا العهد

الفصل السادس

اوّل مجامع دير الشرفة وأساتذة الدير الاوّلون

١ – المجمع الاوّل

عقد البطريرك ميخائيل المغبوط نحو السنة ١٧٨٦ مجمعاً في دير الشرفة حضره السيد يوسف اسطفان بطريرك الموارنة الانطاكي والسيد غريغوريوس جاثليق قيليقيا وسوريا والسيد جرمانس آدم مطران حلب والسيد ميخائيل فاضل مطران بيروت . وعُرضت عليهم هذه الاسئلة وهي :

«ما قول علماء الشرع الكنسي في بطريرك كاثوليكي جمع من البلدان الخاضعة له شباناً يتربّون عنده بالتقوى ويتعلمون العلوم الاقليرسية والطقوس البيعية حتى اذا رآهم أهلاً للكهنوت يدعوهم لينذروا النذور الثلاثة اعني الطاعة له ولخلفائه والعفة الدائمة والفقر الاختياري ثم يسيمهم كهنةً ؟

«فالبطريرك يلتزم ان يقدّم لهم كل ما يلزمهم من قوتٍ وكسوةٍ في حالتَي الصحة والمرض الى آخر حياتهم . وحينئذٍ يلزمه كذلك ان يقوم باوازم دفنهم وتقدمة القداسات عن أنفسهم بعد وفاتهم .

«ويلزم هؤلاء الكهنة ان يسلموا الى البطريرك على سبيل تقدمة لله عزّ وجلّ كل ما يملكونه وقتئذٍ . ويتعهّدون له بانهم مهما حصل لهم من واردات يقدّمونها لغبطته لاجل النفقات المشتركة الضرورية لقيام هذا المكان .

«فاولاً : هل انشاءُ هذا المكان بالطرايق المذكورة هو شرعي كنسي ام لا ؟ ثانياً : هل يستطيع احد الناذرين ان يخصص شيئاً مما يجنيه باقربائه ؟ ثالثاً : واذا توفّي احدهم فهل لورثته ان يدّعوا بشيءٍ مما خلفه بحجة انه نسيبهم وانه قد اخذ معه الى الدير مالاً قبل نذره ؟

«فاجاب الرؤساء المجتمعون : ان إبراز النذر ضروري لقيام المحلِ . وهو

مطابق للشريعة البيعية . وكما ان البطريرك ملتزم ان يقوم بلوازم الكاهن كلها فكذلك الكاهن يلزمه ان يخصص بالدير كل ما يجنيه . ولا يحق لأنسباء ذلك الكاهن ان يدّعوا قطعاً بما يخلفه » .

وقد وقع الاحبار الاربعة المذكورون هذا التقرير وأيدوه .

٢ – اساتذة الدير الاوّلون

يُعدّ في مقدّمة اساتذة دير الشرفة المطران ايونيس نعمةالله الصدّي والمطران اثناسيوس موسى صباغ الحلبي . ففي ٢٠ اذار ١٧٨٨ تم اتفاق البطريرك المغبوط معهما بان يتولى المطران نعمةالله تعليم التلامذة اللغتين السريانية والعربية ويتفرّغ المطران موسى لنساخة الكتب السريانية والعربية . ثم قرّر البطريرك ان يدفع لكل منهما في السنة سبعين غرشاً . وصرّح بان ما يردهما من هدايا خصوصية فهو لهما . وقد وقع الفريقان صكين في هذا الصدد حُفظا في السجل البطريركي تاريخهما ٢٠ اذار ١٧٨٨

٣ – الخوري يوسف اسطفان

تولّى الخوري يوسف اسطفان الغوسطاوي تعليم تلامذة دير الشرفة في اول نشأته . وكان هذا الخوري الفضيل متضلّعاً من السريانية والعربية . نظم عدة قصائد سريانيّة نشرنا في مجلة « المنارة » التي يديرها المرسلون اللبنانيون في جونية قصيدة منها بديعة في تقريظ الامير بشير الكبير مليك لبنان .

وأنشأ هذا العلّامة قصيدة اخرى سريانية عامرة في السنة ١٧٨٥ عدد فيها مناقب مؤسس دير الشرفة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث وذكر ما حلّ به من النكبات والرزايا . وله قصيدة اخرى في تقريظ فضائل المطران ايونيس نعمةالله الصدي(١) الصديق الامين للبطريرك ميخائيل المغبوط .

---

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٥٢١ – ٥٢٣

كل ذلك حمل مؤسس دير الشرفة على ان يفوض الى جدارة الخوري يوسف تعليم اللغة السريانية للتلامذة فنهض بتلك المهمّة خير نهوض .

ونضم الى اولئك الاساتذة القس سمعان صباغ الرومي الملكي الذي ادّى للبطريرك المغبوط خدماً جلّى تذكر فتشكر .

الفصل السابع

عيشة البطريرك ميخائيل في الشرفة

اضطرَّ البطريرك ميخائيل المغبوط بسبب قلة ذات يده وتراكم الديون عليه ان يقيّد تلامذته الاولين بنذر الفقر كما رأيت ويلزمهم ان يقوروا للدير كل ما تجنيه يمينهم . وقد عاش عيشة ضنكة في اول أمره وكان كلما رفع العرائض الى الكرسي الرسولي توّاً او الى كردينال مجمع بروبغندا ابدى لهما عواطفه وحاجاته فكانا بدورهما يساعدانه افضل مساعدة . وتتضح حقيقة معيشته الضيقة خصوصاً من رسالة كتبها بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٧٨٦ الى الخواجا حنا رومي صديقهِ الوفي في ماردين هذا نصها :

« البركة الرسولية والنعمة الالهية تحلّ على ولدنا المكرم الخواجا حنا رومي باركه الله وحفظه بشفاعة سيدة النجاة آمين .

« . . ان كل الاضطهادات ايها الابن العزيز وكل الاتعاب والمشقات والكوارث التي عرضت لي ولرفاقي لم تزل تعرض لنا الى الآن من قبل فقر الحال وذل المعيشة والاحتياج الى ما هو ضروري . فهذه جميعاً تتعلق بي وبوظيفتي . ولستُ متضجراً او مأيوساً بحصولها . بل بخلاف ذلك انا مسرور بما استحقيته وهو ان أهان وأُحتقر لاجل اسم يسوع الاقدس ولاجل ايمانه المقدس . حيث ان جميع هذه الحوادث انما صارت لي قصاصاً لذنوبي .

لانه يا ولدنا الحبيب ماذا يصعد باليد وما الحيلة ونحن محبوسون في هذا الجبل بل منفيون اليه ولا نقدر نذهب يميناً او شمالاً · ونحن منزوون في مكان ضيق بالكروة في راس جبل بين الصخور والاعشاب الشوكية والاودية العميقة · عشيرين للبهائم والوحوش الضارية · بعيدين عن رعيتنا واولادنا ابناء طائفتنا السريانية · واذا اقتضت الضرورة الذهاب الى احدى القرى فلا نقدر لانه ليس عندنا مركوب · واذا صحّ لنا مركوب بالاجرة فلا نقدر نسلك لعسر الطريق وكثرة الصخور ·

« ونحن الآن في منفانا عائشون عيشة الحبساء الأقدمين منسيّين من ابناء جنسنا متقلّبين في القلّة والذلّة · فهذه هي حالتنا الحاضرة · ونرجو من مراحم الله تعالى ان يشفق علينا ويخفّف عنا الضيقة · ونختم عربوناً لمحبّتنا لكم باهداء البركة الرسوليّة والسلام لكم ولاهلكم ثانياً وثالثاً

عن الشرفة — لبنان في ١٥ كانون الثاني ١٧٨٦ [١] »

اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي

وهناك رسائل وافرة العدد كتبها البطريرك ميخائيل المغبوط في هذا المعنى الى اصدقائه وابنائه في حلب وماردين والموصل وغيرهـا · وقد اقتصرنا منها على الرسالة المذكورة بياناً لِما قضاه البطريرك الجليل من العناء والذلّ في اوّل بنيانه هذا المعهد المقدّس ·

---

(١) مخطوطات دير الشرفة : رسائل ماردين

الفصل الثامن

أَمتعة دير الشرفة وكتبه الأُولى

١ – الامتعة

اطمأنت افكار البطريرك ميخائيل المغبوط بشأن انشاء ديره الجديد وافتتاحه لقبول شبَّان يثقِّفهم في العلوم والفضائل . فكتب الى والده الشماس نعمةالله جروة والى وكلائه في حلب ان يرسلوا اليه امتعته واواني بيته ولاسيما كتبه المخطوطة والمطبوعة . فبعثوا اليه باول قسم منها على يد السيد باسيليوس بطريرك الارمن المغبوط صحبة انطون شراباتي الارمني . وارسلوا قسماً ثانياً على يد حنا زوين في طرابلس . نذكر من تلك الامتعة على سبيل المثل : فروة سنجاب . وفروة سوداء . وجبّتين . وثياباً سوداء وبيضاء من صوف وقطن . ومقلمة هندية ومحابر وذخائر واخصها صورة العذراء مريم وصورة مار موسى الحبشي من فضة[1] الخ الخ . وقد وصلت كلها الى السيد البطريرك وأهدى منها شيئاً الى الرهبان الافراميين بدير مار افرام الرغم .

٢ – الكتب الاولى

وكان البطريرك ميخائيل المغبوط يملك في حلب مكتبة عامرة معتبرة من مخطوطات ومطبوعات فارسل اليه والده الشماس نعمةالله اول بدء كتاب ديدسقالية الرسل . وكتاب كنز الاسرار تأليف ابن العبري وفناقيث كاملة وكتاب التوراة . وحساي وكتاب جناز خط سالفه البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان وانجيل سرياني مفضض وكتب حسايات الخ[2] .

---

(١) دفتر الحسابات : ورقة ٤٤

(٢) دفتر الحسابات : ورقة ٤٩

٣ – ما ارسله الى دير الشرفة ميخائيل فتّال ويوسف حمصي

وكان ميخائيل فتّال من أعزّ الابناء على قلب البطريرك ميخائيل المغبوط . فنصبه وكيلًا لدير الشرفة كما سيأتي بيانه . واغتنم ميخائيل فتّال فرصة افتتاح الدير فبعث الى السيد البطريرك بمثابة هديّة بعض الآنية نذكر منها : عشر انكريات نحاس . طنجرتين نحاس . صينية . طست شوربة . طستا واربعة صحون عميقة الخ . وارسل اليه يوسف بن نصرالله حمصي : لَقَناً وطشت غسيل عدد ٣ وطنجرة وستة صحون الخ[1] .

٤ – ما ارسله الخوري شكرالله براغيت من مصر

وكان الخوري شكرالله براغيت الحلبيّ من افاضل الكهنة وفي طليعة الذين ساعدوا البطريرك ميخائيل المغبوط في مشروع دير الشرفة . فقد بعث اليه بجملة من الاواني والامتعة فضلًا عن النقود . في فرصة افتتاح الدير وجّه اليه على يد الشماس حنا جروة شقيق البطريرك : صخرة فضة للقدّاس (طبليث) . حق بخور فضة . ملعقة فضة . صليباً محجراً . مصنفة مع منديل صليب وكتاب فنقيث الصوم والآلام . وثوب جوخ ماهون انكليزي وثوب صوف اسود الخ . وضمّ الشماس حنا جروة الى ذلك عقاقير وبلسماً للميرون[2] . وارسل الخوري شكرالله عينه باسم البطريرك وباسم دير مار افرام الرغم في ٢٧ تشرين الاوّل ١٧٨٦ ثياباً صوفيّة وجبة للبطريرك وجبة للمطران يوسف قدسي وبدلة قدّاس اطلس الخ[3] . وقد أرسلها بواسطة ميخائيل عنحوري بدمياط وانطون مسكاوي ببيروت .

---

(١) دفتر الحسابات : ورقة ٥٩ – راجع كتابنا لاعقد اللآل في شجرة آل فتّال» ومحفوظات دير الشرفة : مجلد ٧ عد ١٠٠

(٢) دفتر الحسابات : ورقة ٤٥

(٣) دفتر الحسابات : ورقة ٥٨

٥ – الامتعة التي نقلها الخوري يوسف حجار

كان الخوري يوسف حجار من افاضل كهنة السريان الحلبيين وأتقاهم استصحبه البطريرك ميخائيل الى ماردين عام ١٧٨١ ثم اقامه رئيساً على خوارنة حلب وجماعتها كافةً . وكان يعتمد عليه في ترويج اشغاله . فلما قصد هـذا الخوري الجليل ان يزور البطريرك الانطاكيّ في ديره الجديد غادر حلب في ٢١ تشرين الثاني ١٧٨٦ في قافلةٍ نقلت معها بعض أمتعة السيد البطريرك منها : فراش ولحاف وشرشف مصري وبساط كبير ولبادان وجوخ ومناديل واثواب خام الخ وعدّة هدايا من حاوى وفستق وغير ذلك مما بعث به كهنة حلب[1] واعيانها الى السيد البطريرك . وقد رحّب البطريرك بابنهِ هذا الخوري الهمام واستمرّ عنده ردحاً من الزمان ثم عاد الى حلب يستأنف خدمة الانفس .

٦ – زوّار البطريرك في دير الشرفة

وكثيراً ما كان يوافي الى زيارة البطريرك ميخائيل في ديره رجالات افاضل من الرها ودياربكر والموصل وماردين وبغداد ومن النبك ودمشق ومصر ولاسيما من حلب وطنه ليتبركوا بلثم يمينه ويتمتعوا برؤيته ومحادثته ويهنّئوه بما أحرزه من العزّ والفخر بعد الذلّ والهوان . وكانوا يحملون اليه الهدايا من كسوة ومأكول ومشروب ويقيمون عنده بضعة ايام او اسابيع ثم يعودون الى اوطانهم مزوّدين ببركته . ومن جملة اولئك الزوّار نذكر المقدسي نعمةالله ابرهيمشاه الذي زار البطريرك الانطاكي في دير الشرفة في صيف السنة ١٧٩٩ وحمل اليه هديةً من اخيه المقدسي انطون وهي ثوب بياض وخمسة ارطال فستق وحرير وستّ قناني مشروب وصنوف الحاوى[2] الخ .

---

(١) دفتر الحسابات : ورقة ٦١

(٢) راجع كتابنا « آل ابرهيمشاه في التاريخ » . قسم ١ صفحة ٦٨–٦٩ الرسالة الثانية .

الفصل العاشر

آل جروة ودير الشرفة

ابتهجت قلوب آل جروة كلَّ الابتهاج بنجاة عميدهم البطريرك المغبوط من المخاطر والاهوال وطفقوا يكتبون اليه الرسائل اجمالًا وافراداً ويهنئونه بانشائه دير سيدة النجاة في شرفة درعون سائلين المولى تعالى ان ينعم عليه بالراحة والطمأنينة . وقد وجّهوا اليه في هذا الصدد عرائض جمّة ضمّناها في مجلد خصوصيّ من «محفوظات دير الشرفة» .

١ – البطريرك ميخائيل وشقيقه الشماس حنا

كان الشماس حنا جروة قد انتزح الى مصر القاهرة وجعل يتعاطى فيها التجارة . ولما سمع ان شقيقه ينوي ان يشتري محلّ الشرفة ويعمر فيه ديراً للطائفة كتب اليه مصرّحاً بانه مستعدّ ان يجود عليه بمبلغ ٥٠٠ غرش بشرط ان يقرّب الكهنة على مذبح سيدة النجاة عدداً من القداديس سنةً فسنةً الى ما شاء الله تعالى . فكتب اليه البطريرك شقيقُه جواباً بتاريخ ١٧ كانون الاوّل ١٧٨٥ هذه خلاصته :

« حضرة شقيقنا العزيز الشماس حنا جروة

« جوابًا على طلبكم اخبركم . اولًا : كان قصدي قبلًا تعمير مكان في قرية بيت شباب . ولكني لما رأيتُ ان العمار سيكون صغيرًا وغير منظم ويكلف نحو ٢٠٠٠٠ غرش دون ارزاق وتوت : ما عدا الاثاث وما يتبعه . . . عدلتُ عن العمارة والبناء . وبعدما مكثنا ٨ اشهر في تلك القرية ذهبنا فزرنا اديرة كسروان مثل اديرة الارمن والروم والافرنج والموارنة . وتوفّقنا في مشاهدة مكان صغير فيه غرفة صغيرة ولكن عماره حصين وجديد ومناخه جيد ومكانه متوسّط بين الجميع . واذا شئنا نقدر ان نكبره ونوسّعه . . . وصاحبه يريد بيعه . فاستخبرنا عن قيمته مع ما يجاوره من توت وكرم الخ فقبل لنا اليكون ٥٠٠٠ غرش .

« فعرضنا القضية على اخينا البطريرك باسيليوس الارمنيّ وعلى رهبانه ومطارينه

فأعجبهم قولي وهو: ان نستكري اوّلًا المحلّ بالمشاهرة ثم نحرّر الى الاصدقاء ليساعدونا في المشترى . وحينئذٍ قطعنا ثمن المحلّ ١،٣٠٠ غرش وكتبنا سند الكروة ٣٠ غرشاً في السنة . واذا اردنا مشتراه فندفع لصاحبه ١،٣٠٠ غرش وغلكه دون ما يتبعه من توت وكروم . واذا اردنا مشترى ما يتبعه فحينئذٍ يحضر مثمنون يثمنونه .

«فعلى هذا الشكل انتقلنا الى هذا المكان لانه موافق للتعمير والراحة وجيرته جيدة وصاحبه يرغب بيعه . ولذا نؤمل ان نشتريه بعد كم شهر .

«امّا قولكم انكم مستعدّون ان تقدّموا لي ٥٠٠ غرش . ثم عرضتم عليّ اربع طلبات ١ً– ان نأخذ لكم ارضاً نزرعها توتاً . ٢ً– ان نعمر في الدير مذبحاً خصوصياً باسمكم . ٣ً– ان يقدّس على نيتكم قدّاس كلّ يوم . ٤ً– ان ترسل لكم ورقة غفران الخطايا لاجل موتة صالحة .

«فاذا وقفنا على ذلك كله تحقق لنا انك لست تدري ماذا تطلب وانك مستكثر هذا المبلغ . ولكن ينبغي ان تعرف ان الذي يطلب هذه الطلبات يجب ان يقدّم اقل ما يكون اربعين او خمسين كيساً لينالها . ولهذا وجب ان افهمكم ١ً– انه بالكاد يؤخذ بمبلغ ٥٠٠ غرش توت يقيم اوقية بزر ومحصولها ياخذ نصفه الشريك ويُدفع منه للميري ولا يفضل باليد من كلّ شي الّا ١٢ ١/٢ غرشاً . هذا هو ربح مبلغ ٥٠٠ غرش . امّا طلبكم ان نعمر مذبحاً فاذا عمرناه بمبلغ ٥٠٠ غرش فماذا يبقى مدخول للدير حتى يتقدّس به . ٣ً– امّا القدّاس اليوميّ فيتطلب اقلها يكون ١،٥٥٠ غرشاً . ٤ً– امّا ورقة الغفران وما يتبع ذلك فهذا لا يُمنَح بثمن او باجرة بتة .

«والآن يلزمنا ان نفهمكم عوائد الاديرة في لبنان . فالقدّاس الابديّ يكون على ثلاثة انواع . فالذي يدفع اكثر من ٣،٠٠٠ غرش يقدّس له قدّاس يوميّ . والذي يدفع نصف المبلغ يقدّس له كلّ سنة او كلّ شهر او كلّ اسبوع ثلاثة او اربعة قداديس . والذي يدفع مبلغاً قليلًا او كثيرًا يقدّس له على قدر فائض غروشه . كلّ ذلك حسبما يتفق عليه الواهب والقابض .

«والآن فنحن نسايركم في هذا مبلغ ٥٠٠ غرش الذي ترغبون ان تدفعوه بما ان ديرنا جديد وليس بيدنا شيء . وانتم تستحقون ذلك فنقول : اذا احببتَ ان تدفع ثمنه كله وهو ١٣٠٠ غرش فنحن نضع شرطاً بان يقدّس على نيتك في السنة ١٣٠ قداساً ما دام الدير قائماً . واذا دفعت ٥٠٠ غرش فاربعون قدّاساً في السنة . ولي رجاء بالله سبحانه ان يقوّيك على عمل هذا الخير العظيم والجاه الكبير الباقي ذكره لبيت جروة الى الابد . لانه به يَتشيد كرسيٌّ لبطريركية السريان الانطاكية على يد اخي ابن جروة .

«فنتوسّل اليه تعالى ان يرتضي فيفتح لك ابواب الخيرات ويفيض عليك البركات . ويوفقك ان تستوفي جميع ديونك . ويكافيك على عملك في الدنيا والآخرة بشفاعة

والدة الله سيدة النجاة التي سمي هذا المكان باسمها المبارك ووُضعت صورتها قبل كلّ شيء في كنيستها ومذبحها من مالكم واتعابكم . لاننا حينما فتحنا الكنيسة لنصلي لم يكن عندنا صورة العذراء فقال لي اخونا المطران نعمة الله : ان عنده صورة العذراء وقد اعطيتموها له انتم . ثم أحضرها فوضعنا لها لوحاً من بلور وجعلناها فوق المذبح .

« ونختم باهداء البركة الرسولية لك ولعائلتك والسلام

« حرّر في ١٧ كانون الاول سنة ١٧٨٥ اخوك

البطريرك ميخائيل جروة » .

وقد توفي الشماس حنا في شباط ١٧٨٧ في مصر رحمه الله تعالى . وما برح كهنة دير الشرفة يقيمون على نيته طبقاً لوصيته ٦٤ قداساً كل سنة حتى هذا اليوم .

وقد اهدى الشماس حنا كذلك الى دير الشرفة في ١٧ آب ١٧٨٦ بعض اوانٍ مطبخية نذكر منها صينية وطنجرة وانكرياً وقفصاً الخ .

٢ – الشماس يوسف جروة

في ٢٨ حزيران ١٧٩٢ وصل الى دير الشرفة الشماس يوسف شقيق البطريرك ميخائيل المغبوط مستصحباً تلميذَين حلبيَّين اولهما جبرائيل سريدار وثانيهما ابن اخي المقدسي نعمة البوّاب . وظلّ الشماس يوسف مقيماً في الدير يؤدّي الخدمة لشقيقه البطريرك مدّة خمسة اعوام حتى توفاه الله تعالى في ٧ شباط ١٧٩٧ فكتب البطريرك الى مادلينا شقيقته يقول : « توفي الشماس يوسف بداء الاستسقاء ودفنّاه قدام باب الكنيسة . وفرّقنا لاجله جملة قداسات . ومنحناه الحلّ والغفران الكامل . وأنفقنا على الدفنة والقداديس ما ينيف على ١٢٠ غرشاً . وعملنا له الاربعين بحضور اخوتنا البطاركة والمطارنة وجملة من الكهنة والرهبان . ووزّعنا على نفسهِ ما يلزم حسب عوايد البلاد . نيّح الله نفسه في احضان ابرهيم واسحق ويعقوب ... »[١] .

---

(١) رسالة البطريرك الى شقيقته في ١٤ نيسان ١٧٩٧

امّا مادلينا شقيقة البطريرك فقد حبست لدير الشرفة ربع الحوش الذي في حارة البرغل بحلب ٠ وترتّب لراحة نفسها سبعة قداديس في السنة[١]

الفصل الحادي عشر

الدولة الاسبانيّة ودير الشرفة

يجب على كلّ مَن تثقف او يتثقف في دير سيدة النجاة بالشرفة بل يُحتّم عليه وعلى كلّ سريانيّ كاثوليكيّ ان يصوغ آيات الثناء للدولة الاسبانية الكريمة لانها في أهول الخطوب وأحرج الحالات ساعدت مؤسس هذا الدير المغبوط بدءا من مليكها ومليكتها الى وزرائها الى سادتها وسيداتها ٠ وهذه صحف هذا المعهد المقدّس ووثائقه وصكوكه أقوى برهان وأدمغ حجة على ما خلفه فيه رجالات اسبانيا النبلاء الفضلاء من الذكريات الجميلة والعوارف الثمينة الخالدة . والى القارىء نخبة من رسائل جمة تبودلت بين اقطاب تلك الدولة الكاثوليكية المجيدة وبين البطريرك ميخائيل المغبوط بشأن دير الشرفة ٠

١ — ارسال البطريرك قسيسَين الى اسبانيا

تعرّف البطريرك ميخائيل الى اقطاب الدولة الاسبانية بوساطة قسيسين سريانيين جليلين من قسانه : احدهما القس الياس ابرهيمشاه شدياق الحلبي وثانيهما الربان ايليا اميرخان الارديني ٠ فالقس الياس غادر الاستانة امتثالا لامر البطريرك الانطاكي وانطلق عام ١٧٨٦ الى برشلونة عاصمة اسبانيا ٠ ثم لحقه الى مدريد عام ١٧٨٧ الربان ايليا ٠ واجمع كلاهما على افراغ كنانة وسعهما في جمع الحسنات من المؤمنين وارسالها الى البطريرك المغبوط ٠

---

(١) سجلّ دير الشرفة : صفحة ٢١٤ رقم ٧

إلّا انهما لم يبلغا كل الغاية المقصودة . ذاك لجهلهما لغة تلك الديار . فكان كل ما جمعاه في اول الامر غير كافٍ لمعيشتهما ونفقات سفرهما .

غير ان الله القدير العطوف العارف سرائر القلوب ألهم أميرتين هما: الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا والكونتس دونيا انطونيا رموروزا فبلّغتا جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا (١٧٨٨ — ١٨٠٨) والملكة ماري لويز زوجته قضية البطريرك الانطاكي وتوسّلتا اليهما لينظرا الى مندوبَيه بعين العطف والشفقة .

٢ — رسالة البطريرك الى الربّان ايليا وكان يومئذٍ في القاهرة

« البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز الربّان ايليا الاكرم . باركه الرب الاله باتم البركات السماويّة آمين .

« حضر لنا علم من ولدنا القس الياس شدياق لنرسل احد اخوتنا الاساقفة الى مملكة اسبانيا ليجمع لنا احساناً . وافادنا ان الذي نرسله يجب ان يتوجّه الى ليفورنا ومن هناك يطلب مكاتيب توصية من الاب الاقدس الى ملك اسبانيا المظفر والى اساقفة تلك المملكة ومن المجمع المقدّس الى القاصد الرسولي .

« ونحن قد اخترناكم بدلًا من الاساقفة فنروم ان تسافروا سرًّا سرًّا ولا تُعلموا احداً عن سبب سفركم . وواصلكم مكاتيب لتتعرفوا باصحابها . وعند وصولكم الى ليفورنا ارسلوا مكتوبنا الى رئيس المجمع المقدس واكتبوا له انتم كذلك واطلبوا منه الاجوبة اللازمة . ومن ليفورنا سافروا الى جينوا ومنها الى برشلونة . ومنها اكتبوا الى القس الياس شدياق وارسلوا مكتوبكم مع مكتوبنا الذي طيه اليه .

« اما اللمّة فارسلوا ثلثهـا الينا والثلثين الى رومية . اما خرجية طريقكم فها اننا محرّرون الى الاب شكرالله براغيت الاكرم ليدفعها لكم .

« وكتبنا ايضاً الى المعلم فرج‌الله في هذا الخصوص . فتقوَّ بالرب

وهو يعضدكم ويرافقكم ويجعل سفركم مفيداً ومباركاً · ولا بدّ في لمتكم من ان تأخذوا علماً من اسقف الابرشية او خوري الرعية شهادةً بما تجمعونه · لان المجمع المقدس سيطالبكم بذلك · فكونوا متحفظين ليتمجد بكم ابوكم السماوي · واصلونا بكتبكم من كل محل لنتعزى بسلامتكم · والبركة عليكم ثانياً وثالثاً —

« صحّ : واصلكم صورة الشهادة اللازمة لتظهروها حينما تُطلب منكم · حُرّر في ١٤ ايلول سنة ١٧٨٧ بجبل كسروان في دير سيدة النجاة كرسي بطريركية السريان الانطاكية على الكاثوليكيين »[١]

٣ – كتاب البطريرك الى ملك اسبانيا

في ١٠ ايار ١٧٨٩ وجّه البطريرك ميخائيل الى جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا كتاباً هذه نسخته :

« ايها الملك الكاثوليكي الى الغاية

« اتانا من سلطنتكم العالية الطلب بان نخبركم عمّا جرى لنا حباً بالايمان · وقد أجّلنا ذلك ورفضناه · امّا الآن فاذ نظرنا ان ذلك يعود الى نجاح وتعزيز الايمان الكاثوليكيّ رأينا ان نكتب لكم ما اردتم · وعرفنا اننا ان لم نكتب نصير مديونين قدّام الله تعالى · ولهذا نترك

(١) مخطوطة دير الشرفة ١٩ : ٤

اشياء كثيرة ونكتب بعض حوادث مختصرة لمجد الله الاعظم وانجازاً لطلب الابرار ·

« فيا ايّها الملك الكاثوليكيّ الى الغاية : اننا نعترف جهراً ونُقرّ باننا أننا في طفوليّتنا كنّا نقاوم بيعة الله الواحدة الرسوليَّة : وكنا متمسكين برأي الهراطقة اليعقوبية ومحامين عنهم وعن رأيهم · فلما سطعت الانوار الالهية في قلبنا بدّلنا ذلك العزم الرديء بعزم صالح حتى اننا بمعونة الله تعالى ضمَّينا كنيسة حلب مع شعبها الى الايمان الكاثوليكيّ · واحتملنا حبوساً وانفقنا اموالًا تفوق طاقتنا . . .

« وبعدما تولّينا اسقفية حلب تضاعفت غيرتنا على الايمان وتزايدت بغضة اليعاقبة لنا · ولم يزالوا يعذّبوني ويخسروني حتى افقروني وافقروا طائفتي وأضحينا افقر اهالي مدينتهم · واخيراً برضى اليعاقبة انفسهم ارتقينا الى الكرامة البطريركية · وهنا فتحت جهنم فمهـا وحاولت ان تبتلعنا بالحبوس والخسائر حتى اثقلت الديون ظهرنا · وبعد ذلك أتينا الى جبل لبنان حيث نحن مقيمون الآن ·

« نعم ان المجمع المقدّس أسعفنا اسعافات جمة ولكن مع ذلك لا يزال علينا ديون مقدار ١٠٬٠٠٠ ريال مع فوائد فظيعة تزداد كلّ سنة · ولما علمنا ان اتعابنا كلّها تذهب سدًى ان لم نعمّر لنا موضعاً لسكنى البطاركة ولكي نقدر نحن والذين يخلفوننا ان نربّي في هذا الموضع كهنة ونرسلهم الى اسعاف المؤمنين وخلاصهم فلذا شرعنا باقامة محلّ على اسم « سيدة النجاة » في جبل كسروان · غير اننا لا نستطيع ان نجمع تلامذة كافين لتتميم مرغوبنا · ذلك لوفور احتياجنا وعوزنا ·

« وعليه فنحن ورعيتنا بأسرها نوجّه الطلب الى جلالتك يا ايّها الملك الغيور على الايمان الكاثوليكي ملتمسين من عظمتك ان تنظروا الينا بعين مراحمكم وتقبلوا ديرنا المذكور تحت حمايتكم وترتبوا له نوعاً من المعاش · فاقبلوا توسّلنا وانكسار قلبنا لاننا محتاجون الى اسعافكم · وانما تشجّعنا

على الطلب طمعاً بسخائكم وسخاء اسلافكم المرحومين وغيرتهم الرسولية. ولا شكّ ان جلالتكم متصفة بمثل هـذه الخلال الحميدة كما هو محقق عندنا . . . فلا ترفض طلبتنا ايّها الملك الحنون بل اقبل ديرنا تحت كنف انظاركم بما انه ليس لنا ملجاء بعد الله تعالى سوى جلالكم الملوكيّ . ونحن نعدكم بتخليد اسمكم الملوكيّ في ديرنا هذا مع احتفالات كنسية نتممها على نيتكم في كلّ سنة . هذا ما نؤمله من مراحمكم الملوكية. والبركة الرسولية تحلّ عليكم وعلى الأسرة الملوكية دائماً وابداً —

الكلي الخضوع

اغناطيوس ميخائيل

دير سيدة النجاة ١٠ ايار ١٧٨٩ بطريرك السريان الانطاكي»(١)

٤ – كتاب البطريرك الى الملكة

وكتب البطريرك ميخائيل الى جلالة الملكة ماري لويز المعظمة هذه الرسالة بتاريخ ١ كانون الاوّل ١٧٩١

«ايّتها الملكة الكاثوليكية الى الغاية

«ان شهرتك التقوية الذائع صيتها في العالم قد حركتنا لنحرر لجلالتك هذه الاسطر . فقد بلّغتنا حضرة السيدة الدوكيسا دي ويلّا

(١) مخطوطة دير الشرفة ١٩ – ٤

هرموزا ما انت عليه من الحب لنا والعطف علينا . وافادتنا انها واجهت عظمتك وكلمت مموكِ وحركت عواطف مراحمكِ نحونا ... فنكرر التوسل – اذا شاءت عظمتكِ وعظمة عريسك الكاثوليكي – ان تتنازلا وتقبلا دير كرسينا البطريركي تحت حمايتكما ونظركما . ونحن مستعدون ان نزينه بصورتيكما ... »

لبت الملكة النبيلة طلب البطريرك الانطاكي فوجهت اليه صورتها وصورة زوجها الملك المعظم . وما برحت الصورتان ضمن اطارين نفيسين تزينان دير الشرفة لهذا العهد .

٥ – تبرع الملك الاسباني اول مرة

على ان ملك اسبانيا المجيد تأثر كل التأثر لدى مطالعته خلاصة أخبار البطريرك الانطاكي فجاد على دير الشرفة بمبلغ ٣٢٨٠٠ ريال دركلي . ثم أوعز الى السنيور كندي دي راويلا وزير دولته ان يُطلق الحرية لعميدَي البطريركِ الاب الياس والربان ايليا كي يجولا في انحاء مملكتهِ ويجمعا الاحسان للبطريرك فيتمكن من انجاز مشروعه المقدس ببنيان دير الشرفة . ولما وصل هذا التبرع الملكي الى السيد البطريرك كتب اليه يشكر له عارفته الملكية ويدعو لجلالته بالتأييد والانتصار وطول الاعمار .

٦ – تبرع الملك الاسباني ثاني مرة

لم يكتفِ الملك السخي بارسال ٣٢٨٠٠ ريال لاجل دير الشرفة بل اضاف الى ذلك المبلغ ١٦٥٠٠ ريال حولها الى البطريرك بوساطة رئيس مجمع نشر الايمان المقدس . فكتب البطريرك في ١ كانون الثاني ١٧٩٢ كتاب ثناء وشكر الى الملك الكريم هذا نصه :

« ايها الملك الكاثوليكي الى الغاية

« ان غيرتكم المشهورة في العالم على تعزيز الايمان الكاثوليكي قد

شملت الآن دير كرسينا البطريركي ... اذ دفعتم بيدٍ سخية ١٦٥٠٠ ريال وصلت الى مجمع نشر الايمان المقدس . ووضعناها في بنك رومية ذكراً مخلداً لعظمتكم . فنقدّم لجلالتكم عن احسانكم هذا الملوكي مديحاً وثناء دائمين متوسلين الى العزة الربانية بتأييد قضيب ملككم مترجين من عواطفكم الملوكية ان تشملونا دائماً بانظاركم . ومن صميم القلب ندعو لجلالتكم بالعزّ والتأييد على المدى»(١).

وكتب البطريرك الى الملكة ماري لويز كتاباً بالمعنى عينهِ تاريخه ١٠ ايلول١٧٩٢ وذكر لها ان مبلغ ١٦٥٠٠ ريال دركلّي قد وصل اليه على يد نيافة الكردينال انطونلي . ثم كتب الى القس الياس شدياق بتاريخ ٥ حزيران ١٧٩٥ يقول :

«بلغنا ان ملكة اسبانيا الجليلة قد صرّحت لكم بقولها : مهما طلب البطريرك ميخائيل فاني مستعدّة ان أُجيب الى طلبه وأُسعفه . وعليه اقول الحقّ اني لست استطيع ان أفيها عن محبّتها وغيرتها الا بتقدمة الذبيحة الالهية للثالوث الاقدس كلّ يوم ما عدا الايام المعيّنة علينا بالالزام . فالرب الاله المقرّب والمقرَّب يمنّ على جلالتها بالسعادة السماويّة».

---

(١) مخطوطة دير الشرفة ١٩-٤

الفصل الثاني عشر

الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا وسائر المحسنات والمحسنين الى دير الشرفة

١- من هي الدوقة دي هرموزا

الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا الاسبانية ذكرى حلوة شهيّة في دير الشرفة يردّدها السريان عامة وخاصّةً ويتحدّثون بمبرّاتها الوافرة . ولسنا نبالغ اذا قلنا انها دعامة متينة لهذا المعهد المقدّس ولتعزيز مشاريع مؤسسه الطيّب الاثر . وقد صانت سجلّاته ومحفوظاته الثمينة وثائق عديدة ورسائل وافرة اسبانية وعربية تبودلت بين الدوقة وبين البطريرك . وساعدها في جهادها هذا المقدّس زوجها الفاضل يوحنا بولس الطيب المحتد ونجلاها الدوق يوسف والدوق يوحنا النجيبان الكريمان . وهم الذين رحّبوا بمعتمدَي البطريرك الانطاكيّ وساعدوهما في منال رغبتهما الصالحة كلّ المساعدة . ويطول بنا الكلام جداً لو رمنا ان ننشر كلّ تلك الرسائل وتلك الاجوبة . الا اننا رأينا ان ننتقي أهمها تخليداً لذكرى المحسنين الكرام واستمطاراً لغيوث المراحم الالهية على نفوسهم ونفوس اولادهم وحفدتهم .

٢ – رسالة البطريرك ميخائيل الى الدوقة دي ويلّا هرموزا بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٩

«البركة الرسوليّة والنعمة الالهيّة التي حلّت على الزمرة الابسطوليّة هي تحلّ وتستقرّ على حضرة ابنتنا السيدة الكلية الشرف الكونتسا[1] المحترمة . لا زالت محروسةً ومصونةً بالبركات السماويّة آمين .

«ورد الينا كتاب حضرة ولدينا القس الياس شدياق والربّان ايليا الاكرمين واوضحا لنا عظم غيرتكِ وشفقتكِ على شيخوختنا . وذكرَ لنا

(١) كذا «الكونتسا» بدلاً من دوقة

ان نفيدكِ عما جرى لنا . فتتميماً لرغبتك ارسلنا لك مختصر ما جرى لنا . وذلك لانتصار الكنيسة وانتشار الايمان . ثم نشكركِ على دفعك ٥٠ ريالا احساناً لنا . ونطلب بانكسار قلب من الله الكريم ان يكتب لكِ ذلك في الخزائن السماويّة ويفيض عليكِ انوفاً الوفاً عوضا عما تكرّمت به علينا في حاجاتنا .

«اعلمني الابوان المذكوران عن شدّة اهتمامكِ بما يؤول الى نجاح الايمان المقدّس وانّنا نعدكِ ايتها السيدة المباركة بعدم انقطاع ذكركِ في الصلوات التي تُقام في ديرنا . وقد كتبنا الى عريسكِ الجليل بان يعين مدخولاً لديرنا الحقير من صندوق الارض المقدّسة كي نربّي كهنة ونرسلهم الى بلاد ما بين النهرين . اذ ان هناك كاثوليكيّين كثيرين يموتون دون وجود قسيس . فنحب ان تكوني الواسطة بيننا وبين دولة اسبانيا المعتبرة في اسعاف كرسينا الانطاكيّ السريانيّ لنستطيع ان نساعد الانفس . ونحن ندعو لكِ ولعريسكِ ولاولادكما بالعافية . ونهدي اليكم جميعاً البركة الرسوليّة ثانياً وثالثاً»[1]

٣ – رسالة البطريرك الى الكونتس دونيا انطونيا روموروزا

وكان في اسبانيا سيّدة اخرى نبيلة كريمة جادت بسخاء على رسولَي البطريرك الانطاكيّ وساعدتهما في مهمتهما . فكتب اليها البطريرك المغبوط بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٩ هذه الرسالة :

«البركة الرسوليّة والنعمة الالهية ... تحلّ على ابنتنا الكونتس دونيا انطونيا روموروزا المحترمة ...

«قد صرنا ملتزمين لفضلكِ . وأذعنا خبر غيرتكِ المقدّسة ولاسيما لما سمعنا انكِ ارسلت نجلكِ المحروس برفقة كاهن يقف على ابواب الكنائس

(١) مخطوط دير الشرفة ١٩ : ٤

لجمع الاحسان العائد الى مجده تعالى وخلاص الانفس . فلساننا يكلّ عن تقدمة الشكر لتقواكِ ايّتها السيدة المباركة ونحن عاجزون عن مكافاتك وليس لنا الا ان نرفع الادعية الى الله سبحانه وتعالى والى سيدة النجاة صاحبة ديرنا ليسكبا عليكِ وعلى نجلكِ السعيد البركات السماويّة . ويحظيكما بالسعادة الابديّة . ومن صميم الفؤاد نمنحكما البركة الرسولية . .

٤ – رسالة البطريرك الى السنيور كندي دي راويلا جيجادوا وزير الدولة الاسبانية في المكسيك

الى هـذا الوزير المجيد كتبت الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا طبقاً لايعـاز البطريرك الانطاكيّ كي يفرغ المجهود في مساعدة معهد الشرفة الكهنوتيّ . وقد نهض الوزير الهمام بما كلفته نهوضاً شريفاً استحق بسببهِ ان تخلّد ذكراه الجميلة في هـذا الدير المقدس . ذلك انه جال مع الاب يوسف كانبو مدّة ٣٦ يوماً وجمع من مكارم المؤمنين ما اناف عـلى خمسة آلاف ريال عموديّ وحولها الى البطريرك الانطاكي بوساطة كردينال المجمع المقدس . فكتب اليه البطريرك جواب ثناء وشكر حميم بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٩ قال :

« . . . قبلنا من ولدنا القس الياس شدياق ترجمـان الدولة الاسبانية المتلألئة بالعظمة والمؤيدة بالنعمة الالهية كتاباً يعلمنا انكم تنازلتم وسمحتم بجمع احسانٍ لنا . وجلتم مع الاب يوسف كانبو لاجل هذا السبب . فنشكر لكم اتعابكم ونسأل الرب ان يؤيدكم . . . »

٥ – رسالة ثانية من البطريرك الى السيدة انطونيا المشار اليها

« . . . بعد اهداء البركة والأشواق . . . لا يمكننا ان ننسى ما صنعتهِ ايتها الكونتس الفاضلة من الاحسان مع ولدنا الربّان ايليا الاكرم انتِ وولدكِ العزيز السنيور ويشنتة . وبناتكِ السيدات الوقورات . وقد كتبنا

الى تقواك بتاريخ ٣٠ ايلول ١٧٨٩ وشكرناك على مساعيك وفضلك. والآن نجدد الكتابة اولًا لنقدم لك شكرنا مضاعفاً متوسلين اليه تعالى لينظر اليك والى عيلتك المحروسة بعين رحمته. وثانياً لكي نحصل منك على جواب الاطمئنان عن سلامتك وسلامة عيلتك المباركة...»

حرر في ٢٠ تموز سنة ١٧٩٠

الفصل الثالث عشر

عوارف الدوقة دي ويلّا هرموزا وهداياها الثمينة الى دير الشرفة

خصصنا هذا الفصل بالسيدة مريم دي ويلّا هرموزا التي جادت بتحف ثمينة فاخرة على دير الشرفة. وخلدت لعطفها عليه ازكى الذكريات وأعطرها. فكأنها رحمها الله تعالى تشربت روح التقى والغيرة على مجد الله الاعظم والتفاني في خلاص النفوس واغاثة المعوزين من قلب ابنة وطنها القديسة تريزيا (١٥١٥ — ١٥٨٢) الاسبانية المجيدة التي طالما رددت هذه العاطفة الشهية وهي: «ليتني اقبض بيدي على قلوب البشر طرًّا واشعلها كلها بنيران المحبة لله تعالى!».

فهذه الدوقة الاسبانية الكريمة لم تقتصر على مراسلاتها الى البطريرك الانطاكي المغبوط بل اسعفته بمبالغ طائلة لاجل تعزيز دير سيدة النجاة بالشرفة واتحفته باوانٍ قدسية ذهبية وفضية ثمينة جداً وأهدت اليه حلّة حبريّة مزركشة ليتوشح بها في المواسم والحفلات الطقسية.

وما برحت تلك الاواني وتلك الحلة الفاخرة محفوظة بكل احترام واكرام في خزائن هذا المعهد المقدّس. وقد عثرنا على مجموعة رسائل من

تلك الدوقة الكريمة كتبتها الى البطريرك المغبوط[١] وعلى اجوبتها اللطيفة فرأينا ان ننتقي بعضها تخليداً لذكراها وذكرى أسرتها الشريفة :

١ – جواب البطريرك الى الدوقة

« ... لم نزل نواظب على الصلوات لاجلكِ ولاجل عيلتك المباركة وسنواظب على ذلك ما دمنا في قيد الحياة وسيواظب على ذلك ايضاً خلفاؤنا من بعدنا وقد عرفنا انكِ تكلمتِ مع جلالة الملكة المعظمة. فذلك كله دليل على غيرتك المتوقدة . والآن فاننا نبشرك ان الايمان الكاثوليكي انتشر في بلاد ما بين النهرين حتى بلغ عدد الكاثوليك نحو ثلاثة آلاف نفس . وكذلك في جبل الطور ببلاد ميزوبوتاميا وهو غير جبل طور الجليل بفلسطين . فقد انفتح الباب هناك للايمان الكاثوليكي. والآن عندنا كاهن حلّيناه من ارتقة اليعقوبية واخذنا نعلمه الاسرار المقدّسة ولاسيما سرّ الاعتراف . وعما قريب نرسله الى آزخ قريتهِ ليذيع فيها الايمان المقدّس[٢] » .

« ونخبركِ أيضاً اننا ارسلنا طلبنا كاهناً من قرقوش القريبة من الموصل لنرسمه اسقفاً ثم نرسله الى ما بين النهرين ليسيم كهنةً ويسعى لانتشار الايمان المقدّس . غير ان عدو الخير لا يزال يضطهدنا لان البطرك الدخيل ارسل المفريان بشارة مع مطرانَين الى حلب فعذّبوا ابناء جماعتنا وحاولوا ان يُقنعوهم ليرتدّوا الى اليعقوبية ولكنهم لم يقدروا عليهم . ثم حضر هذا المفريان مع المطرانَين الى الشام ثم يعودون الى حلب ليسترجعوا الكنيسة. وقد نفثوا سمهم في قرية تدعى راشيا قريبة من دمشق انضم اهلها الينا

---

(١) كتبت الدوقة الكريمة رسائلها كلها بلغتها الاسبانية وكان الاب الياس شدياق يبعث بها مع ترجمتها العربية الى السيد البطريرك

(٢) هو القس عبدالله الآزخي قصد دير الشرفة عام ١٧٩٠ ونال الحلّ والبركة من البطريرك ميخائيل المغبوط (تاريخ المطران افرام نقاشة ٣٣٦) .

منذ ثلاث سنوات وأقمنا لهم كنيسة هناك . فان اليعاقبة ظفروا بكاثوليك ماردين وحبسوهم وغرّموهم اموالاً وضبطوا أرزاقهم . ولذلك فالبعض رجعوا بسبب ضعفهم واغلبهم احتملوا العذاب وهربوا الى بلاد اخرى . ولنا الأمل بالله تعالى وسيدة النجاة صاحبة كرسينا اننا نسترجع الكنيسة ونفتحها وهي الآن مغلقة . وقيل لنا ان اليعاقبة دفعوا اموالاً الى حاكم ماردين فأمر بهدمها . وهذا كله لم يضعف قلبنا لعلمنا ان الايمان الكاثوليكي ينمو بالحبوس والاضطهاد وسفك الدم . وكما ان الارض لا تُعطي ثمراً ان لم يسقِها المطر : هكذا الايمان لا ينجح ان لم تسقِهِ مياه العذاب والاضطهاد . فعلينا نحن ان نزرع وعلى الله القادر على كل شي ان ينمي رعيته ويحميها ...

«عن دير سيدة النجاة ١٢ آب ١٧٩٠»[1].

٢ – جواب ثانٍ من البطريرك الى الدوقة

كتب البطريرك المغبوط الى الدوقة النبيلة جواباً بتاريخ ٩ كانون الاول ١٧٩٠ وضمّ الى ذلك عريضةً الى جلالة الملك . وبعد هذا حدث ان يوحنا بولس قرين الدوقة دي ويلّا هرموزا انتقل الى جوار ربهِ في اوائل السنة ١٧٩١ وما ان بلغ منعاه الى السيد البطريرك حتى كتب الى الدوقة كتاب تعزية مؤرّخ في ١ اذار ١٧٩١ جاء فيه :

«... لا يمكننا ان نصف لكِ ما المّ بقلبنا من الاحزان وقتما بلغنا الخبر بوفاة قرينك رحمه الله تعالى . فبادرنا بتقدمة الجناز والصلوات والقداسات لراحة نفسهِ . ويسوغ لنا ان نتقدّم بكل شجاعة وطمأنينة لنعزّي حضرتكِ بوفاة زوجك هذا الورع المؤمن . فان الرجاء يؤكد لنا انه حصل على الافراح الابدية . لانه كان ممتازاً بتقواه المشتهرة وسيرته

---

(١) مخطوطة دير الشرفة : ١٩ – ٤

الممدوحة . وعندما نفتكر في غصنَيه البهيين ولدَيك الشريفَين (الدوق يوسف والدوق يوحنا) نقول انه لم يمت بل عاش بمن خلّفه ... »

٣ – تعزية البطريرك للدوقة دي هرموزا بوفاة زوجها يوحنا بولس

« ... سبقنا فحرّرنا لحضرتكِ رسالة تقويّة اوضحنا فيها شيئاً من حزننا على فقد المرحوم عريسكِ يوحنا بولس . والآن نؤكّد لكِ بان احزانكِ وغمومكِ لا تزال مصوّرة امام عيننا . ولهذا فنحن نمزج دموعنا بدموعكِ على خسارة هذا الرجل الشريف المؤمن الذي أَنار في حياتهِ اكثر سكان مملكة اسبانيا المؤيّدة . وكان لهم كشمس مضيئة بسيرتهِ الصالحة يجتذبهم من ظلام مصر الى ارض الميعاد .

« ولذا يجب ان نحزن ونفرح معاً . فنحزن لان مملكة اسبانيا فقدت رجلًا مزيّناً لا بالشرف العالي فقط بل بصفات اكثر قرباً لله تعالى . وعليه فقد لبسنا الحداد كما لبسه اهل اسبانيا وأقمنا الصلوات والجنازات لراحة نفسهِ ولاسيما لانه ساعدنا من بلاد بعيدة في تشييد دير سيدة النجاة كرسيّ بطريركيتنا لاجل نموّ الايمان الكاثوليكيّ . ولا شكّ ان دموعنا من بعيد تمتزج مع دموعكِ ودموع سكان وطنكِ . ولكننا عند تذكرنا تشوّق الرسول بولس الى ان ينحلّ ويكون مع المسيح نعتقد اننا عابرون وليس لنا محلّ اقامة في هذه الدنيا . وقد كانت اعماله كسلّم يعقوب يصعد على درجاتها حتى يبلغ الى السعادة الابديّة .

« فعندما تفكرنا في ذلك ألقينا عنا ثوب الحداد وتهلل قلبنا بالفرح لان عريسكِ المرحوم أصبح في أمان من خلاصه الابديّ كما نرجو من مراحم الله السخيّ . واصبحتِ انتِ شريكته منذ الآن في سعادتهِ . فلا تَدَعي الحزن يطعن قلبكِ ويشمل روحكِ بل تعزّي بالرب يسوع واتّكلي عليه بموجب عوائدكِ الحميدة ولاسيما لاجل تسلية نجلَيكِ المحبوبين . نسأله تعالى ان يحفظهما ويوفّقهما ويطيل عمرهما . ونختم ».

٤ – هدايا الدوقة دي هرموزا الى الشرفة

كتب الاب الياس ابرهيمشاه شدياق الى السيد البطريرك ميخائيل المغبوط عريضة طويلة تاريخها ٧ ايلول ١٧٩٣ يصف فيها الهدايا والتحف والنقود التي جادت بها الدوقة دي هرموزا على دير الشرفة وهذا نصها :

« ايها السيد الكلي الغبطة

« غبّ لثم انامِلكم مع تقبيل مواطىء اقدامكم . وصلني أمس عزيز كتابكم المؤرّخ في ١٥ نيسان . ففرحتُ جدًّا باعلام سلامتكم لكني حزنت بما اخبرتموني عن تلَف المغلف المرسل لكم من داعيكم تحت يد رهبان القدس . حقًّا ان هذا الخبر قد آلَمَ قلبي وكدّرني . ولكن هذه الدار لا تخلو من الاكدار .

« والآن ينبغي ان ترسلوا واحدًا او اثنَين من تلاميذكم الى يافا ليتسلم المال والاثاث بموجب هذه القائمة التي احرّرها لكم ههنا .

« اولًا : صحارة (صندوقة) كبيرة ملفوفة بشمع أسود عليه ختم الكمرك وكتابة ايطالية باسم الاب رئيس دير حريصا . تحوي اربع علب صغيرة وهي : صناديق مربّعة ملفوفة بجلد احمر منقش ومذهّب الحواشي . ولكلّ صندوق قفل ومفتاح . ففي الصندوق الاوّل كاس وصينية وريشة وملعقة تناول وملعقة مزج الماء بالخمر . فقبة الكاس والصينية والريشة اعني الكوكب وملعقة التناول هي كلها من الذهب الخالص . امّا ساعد الكاس وملعقة المزج فمن الفضة ملطوخة بالذهب .

« والصندوقة الثانية تحوي قطعة واحدة اي بيت قربان مع غطاء (حُقّ) . فالقبة والغطاء هما من الذهب الخالص . امّا الساعد فمن فضة مطلية .

« والصندوقة الثالثة فيها ثلاث قطع : اعني زوج مزكات ... مع صينيتها من فضة ملطوخة

« والصندوقة الرابعة تحوي مجمرة بخور وحقها وملعقتها فضة ملطوخة

« ومع وهذه الصناديق الاربعة الصغيرة تجدون البدلة الحبريّة مع تاج حبري مزركش وبطرشيلين كبير وصغير وغفارة ومصنفة وزنّار . وبعض مناديل وسفنجات وغطاء كاس وغطاء صينية ... والجميع في لفائف ورق حرير وقطن حفظًا لها من الرطوبة .

« امّا الصحّارة الثانية فهي أصغر من الاولى ملفوفة بشمع أسود داخلها ١٥٠٠ ريال

عمودي . وهي فضة نقد من معاملة هذه الدولة السنية .

« والصحارة والعلبة الثالثة هي أصغر . طولها نحو شبر وعرضها ثلث الشبر . داخلها ٣١٢ ونصف ذهب كبير من معاملة هذه الدولة الاسبانيولية وكل ذهبي كبير منها يوازي ١٦ ريالاً عمودياً . ومجموع المبلغ كله ٥٠٠٠ ريال عمودي بالتمام .

« فالصحارة الكبيرة الاولى يمكنكم تجلبوها على يد رئيس حريصا دون ان يطلع عليها الكمرك في بيروت . أمّا الصندوقة الحاوية ١٥٠٠ ريال فيمكنكم ان ترسلوها صرّة الى مصر القاهرة ومن هناك تسحبوها بوالس رويداً رويداً . أمّا العلبة الصغيرة الحاوية ٣١٢ ½ ذهباً فيمكنكم جلبها بالكمرات خفيةً . . .

« وهذا المبلغ المرقوم اعلاه اعني ٦٥٠٠ ريال عمودي قد ارسلته لكم السيدة المعروفة وهي الدوكيسا دي ويلا هرموزا هبةً لله تعالى لاسعاف قدسكم . وقد حرّرتُ لكم مكتوباً عن ذلك وضمن المغلف الذي تبدّد وضاع . ومثل ذلك أرسلت لكم البدلة الحبرية والاواني لتلبسوها وتستخدموها في مباشرة الاسرار الالهية . وينبغي ان تجعلوا ذكرها وذكر زوجها في تقريب القرابين . وثمن البدلة والاواني ينيف على ٢٥٠٠ ريال عمودي .

« والآن ارجو من قدسكم ان ترسلوا قائمة ما تتسلموه من فرا (الاخ) جبرائيل (الفرنسيسي) فرداً فرداً لاطمئن وتطمئن السيدة المحسنة . ثم ارجو ان تكتبوا وثيقة باسمكم واسم السادة الاساقفة والكهنة والشمامسة تجعلوا الدير بموجبها لهذه السيدة التقية وعيلتها الشريفة . وتجعلوها صاحبة الكرسيّ وموسّستَه وحاميته . لانه قد تأسس وقام باحسانها وكَرَمها وعطاياها . ليكون ذلك ذكراً مخلداً لهذه العائلة الشريفة . ويجب ان تكون هذه الوثيقة بخط ظريف عربيّ او كرشونيّ على ورق رقّ مجدول مزركش بالحواشي والالوان .

« وبعد امضاء اسمائكم لفوه وضعوه في حقّ من تنك وأرسلوه صحبة مشرفاتكم . وانا اقدّمه للسيدة الكريمة لتفرح وتتعزّى بقيام الكرسي عن يدها . وتؤدّي الشكر لله تعالى الذي ألهمها عمل مثل هذا الخير العظيم . واذا رأيتم مناسباً فاكتبوا في الوثيقة ذكر بعض قداديس يجب تقدمتها في السنة عن روح قرينها المرحوم وحفظ هذه العيلة العظيمة الشرف اعني عيلة دي ويلا هرموزا . وان القاطنين في ذلك الدير ما دام قائماً يلتزمون ان يقدّسوا القداديس ويقدّموا الصلوات والسهرانات .

« ثم اخبر غبطتكم انه لما سمع رئيس المجمع المقدس بارسال المال والهديّة الحبرية عرض ذلك على قداسة سيدنا حبر الاحبار ادام الله تعالى رئاسته ففرح جداً وارسل كتاباً خصوصياً الى السيدة الكريمة مملوءاً من الحبّ والعطف الابويّ شاكراً فضلها

مادحاً احسانها بقوله : « لا ريب ان الله عزّ شأنه قد ألهمها مساعدة هذا الراعي الصالح الكلي الاستحقاق لسبب ما عاناه من الشدائد والاضطهاد من اعداء الايمان . ولسبب الفقر الحاصل فيه » .

فحينما وصل كتاب الاب الاقدس هذا المحرّر على الرقّ الى حضرة النائب الرسولي المتغيّب عن مدريد مع مولانا الملك في دار التنزّه : فحالاً أرسله الى ولدكم وانا الفقير نيابةً عنه قدّمته للسيدة الجليلة وهو مختوم بختم الصيّاد . فلما فكت الختم واخذتْ تقرأ المقدّمة باللاتينية وهي : «بيوس السادس البابا الحبر الرومانيّ الى السيدة الشريفة الدوقة دي ويلّا هرموزا . السلام والبركة الرسولية » . فحالاً قبلته مندهشة وسكبت الدموع من عينيها وصارت تقول : لماذا هذا التكليف لقداسته ؟ وما الذي حمله ليفتقد أَمَته المسكينة ؟ ثم جعلت تعاتبني وتقول : لماذا أخبرتَ الاب الاقدس بما أُرسله من الاحسان ؟ فاستعذرتُ منها . ثم تمّمت قراءة الكتاب بكلّ تعزيةٍ . واعتنت بترجمته من اللاتينية الى الاسبانيولية . وانا الفقير التمستُ منها نسخة وترجمتُها الى العربية وسارسلها اليكم ان شاء الله تعالى لتُحفظ عندكم للذكر المخلد . وبعد ايّام وجيزة كتبت السيدة عبوديةً الى الاب الاقدس مملوءةً من الخضوع والاحترام والشكر . والتمست منه ان يتعطف بنظره على غبطتكم دواماً .

« حقاً يا سيدي المغبوط لا اقدر ان اصف لكم عظم فرحي . ولستُ اشك في ان يد الربّ القويّة تُسندكم لقيام كرسيكم المؤيّد بشفاعة سيدة النجاة صاحبته . . . هذا ما وجب تحريره بسرعة بعد تقبيل مواطىء اقدامكم والتماس بركتكم ثانياً وثالثاً . ومني تقبيل ايادي السادات المطارنة المحترمين والشمامسة المهذبين ودمتم

« حُرّر في مدريد في ٧ ايلول سنة ١٧٩٣

« صحّ يكون بعلمكم الشريف ان الاواني هي غير مكرسة ولكم محفوظ تكريسها . امّا البدلة الحبروّية فقد كرّسها اسقف هذه الابرشية وقدّستُ بها انا الفقير مرّة واحدة بدار السيدة هرموزا لاجل تعزيتها والسلام . الملتمس البركة والدعاء

خادمكم القسّ الياس شدياق»(١)

---

(١) المحفوظات : مجلد ٢٥

٥ – رسالة الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا الى السيد البطريرك

« ايّها السيد الكلي الاحترام

« حضرة سيدي وابي الروحاني

« اني اشكر فضل سيدنا يسوع المسيح وجوده الغير المتناهي لانه وفّقني ان ارسل الى غبطتكم مساعدة وافرة لديركم . وبما ان الرهبان الموكلين على نقل احسانات المؤمنين الى الاماكن المقدّسة قادمون الى سوريا فقد انتهزتُ الفرصة لارسل اليكم صحبتهم صندوقاً ضمنه بدلة بطريركية كاملة مع الاواني المقدّسة اللازمة لتقدمة الذبيحة الالهية . وضممتُ الى ذلك ٦٬٥٠٠ ريال دركلي لتنفقوها في حاجاتكم . . .

« ارجو ان تقرّبوا الذبيحة الالهية بالبدلة والاواني وتلتمسوا من سيدنا يسوع المسيح ليتقبل مني هذه التقدمة كعرف بخور مقبول لديه ويغفر لي خطاياي الجسيمة ويقبل نفسي في الراحة الابديّة .

« ارجو كذلك ان تدعوا لولديَّ ليعيشا عيشة صالحة ويستحقا نعمة الله عز وجل . وتدعوا كذلك لزوجي ليفوز بالراحة الابديّة ونحظى جميعاً بالسعادة في المجد السماوي . . .

« لستُ اعلم هل وصل اليكم الاسعاف الذي ارسلته منذ سنة ونصف وقدره ٣٬٠٠٠ ريال دركي . ثم ١٬٥٠٠ ريال من كرم الملكة ؟ اني اعتقد ان الربّ الاله يفيض على قلبكم التعزية بنموّ الايمان الكاثوليكي في الابرشيات المستودعة الى رعايتكم . وارجو البركة والادعية منكم ومن السادة الاساقفة ومن الكهنة الملازمين لكم . وارغب ان تقرّبوا بعض قداديس لاجل احتياجي واتعابي الخصوصية . ولكي لا اطيل الشرح اكتفي بالدعاء الى المولى ليحفظ غبطتكم سنين عديدة واختم بتقبيل يديكم

« حرّر بمدريد ١ ايلول سنة ١٧٩٣ » الحقيرة ابنتكم

الدوقة دي ويلّا هرموزا »

٦ – رسالة ثانية من الدوقة الى السيد البطريرك

هذه الرسالة البديعة سطرتها الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا الكريمة كعادتها بلغتها الاسبانية وصدّرتها بعبارة سريانية دوّنتها بخطّ يدها هذا نصها : « ܡܠܟܐ ܘܡܪܝܐ ܡܪܝ ܝܘܣܦ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܝܠܝ » . والى القارىء تعريبها :

« ايّها السيد الكلي الشرف والاحترام

« قد حرّرت هذا السطر باللغة السريانية بخطّ يدي كي اتعزّى بمكاتبتي لغبطتكم مصرّحةً بوفرة اشتياقي الى مراسلتكم بلغتكم الشريفة . واني اسأل لكم من سيدنا يسوع المسيح الصلح والسلام والطمأنينة في كنيستكم بعد احتمالكم المشقات الوافرة .

« انتظر اخباركم منذ زمان طويل . وافيدكم ان الله سبحانه قد ألهم وزير دولتنا الاسبانية في بلاد المكسيك السنيور كنده دي راويلا جيجادوا والقس يوسف الكاهن القانوني فبذلا الجهود حتى جمعا لمساعدتكم في ٣٦ يوماً فقط مبلغ ٥٠٠٠٠ ريال عموديّ . فهل ترومون ان ارسل لكم المبلغ مع رهبان القدس الى جبل لبنان ام ارسله الى مجمع انتشار الايمان المقدّس ؟ . . .

« اني اتجاسر لاكشف لكم ما في ضميري بشأن هذا المبلغ . فانا أرى قبل كلّ شيء ان توفوا به ديونكم وتكملوا بناء مكان اقامتكم وتتدبّروا في سدّ حاجتكم اليومية . لانكم ان اجلتم وفاء الديون حصل من ذلك ضرر لاصحابها . وضرر كذلك لخلفائكم من بعدكم لانهم اذا احتاجوا فلن يقرضهم احدٌ . ثم انكم اذا وفيتم حقوق الغرماء تزداد رغبتهم في مساعدتكم وتتضاعف محاماتهم عن الايمان الكاثوليكيّ ويمجدون العناية الربّانية التي وفقتكم في تسديد الديون . . .

« اني افرغ جهدي لدى الاب الاقدس ليكتب الى ملكنا الجليل كي يعيّن لكم راتباً سنوياً . وافيدكم ان خالي شقيق أمي هو كاهن

يسوعيّ توجّه منذ مدة قصيرة الى رومية العظمى فكتبتُ له ليساعدكم في هـذه القضية . فارجو ان توازروه بدعائكم وادعية الاساقفة والكهنة والرهبان القاطنين في ديركم . ولا تنسوا كذلك الوزير حاكم المكسيك والقس يوسف السابق ذكرهما . وقد كتبت اسميهما لتدرجوهما في لائحة المحسنين الى ديركم وتشركوهما في صلواتكم .

« في اوّل شباط يوم عيـد القدّيس العظيم مار اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية حضر عندي القس الياس شدياق مندوبكم وقرّب الذبيحة الالهية في داري . واني اشعر بان هذا الشهيد لن يخيب طلباتي. واشكر فضل السيدة الجزيلة الطوبى مريم العذراء التي سألتها بثقة ان تساعدني في جمع الاحسان من اهالي المكسيك . وقد نلتُ بشفاعتها غاية رغبتي .

« اني مستعدة لخدمتكم مـع ولديّ اللذين يتمتعان بفضله تعالى ودعائكم الصالح بعافية تامّة . والتمس من حنوكم ان تواصلوهما بصلاتكم .

« لقد سررتُ كل السرور بالبراءة التي تكرّم بها علي الاب الاقدس وقد ارسل اليكم القس الياس نسختها وترجمتها . واختم بالدعاء الى المولى ليديم حياتكم الثمينة اعواماً مديدة لخير بيعة الله المقدّسة .

تقبل ايدي غبطتكم الشريفة ايها السيد الجزيل الاحترام خادمتكم وابنتكم الكلية الخضوع مريم عامانويلا دي ويلّا هرموزا — مدريد ٢١ شباط ١٧٩٤ »(١) .

٧ – جواب البطريرك الى الدوقة

ابتهج قلب البطريرك الانطاكي برسالتي الدوقة دي ويلّا هرموزا وبتحفها البيعية النفيسة فكتب اليها بتاريخ ٣ تشرين الاوّل ١٧٩٤ هذه الرسالة :

« البركة الرسولية والنعمة الالهية التي حلت على الزمرة الابسطولية تحل

(١) مخطوطة دير الشرفة ١٩ – ٤

وتستقرّ على ابنتنا الكلية الشرف والوافرة السخاء الدوكسا المحترمة ·

« وصل الينا تحريرك بتاريخ ١ ايلول ١٧٩٢ و٢١ شباط ١٧٩٣ وشكرنا الله تعالى على سلامتك وسلامة ولدينا نجليك الدوق خوسف (يوسف) والدوق خوان (يوحنا) المحترمين · وكررنا الأدعية الى المولى عزّ وجلّ ليصونكم جميعاً بشفاعة سيدتنا مريم العذراء شفيعة الانام ويحميكم من كلّ مكروه روحي وجسدي ·

« ونفيدك ان مكتوبك الاول تعوّق سنة كاملة عند الفرير (الاخ) جبرائيل في يافا مع ان الشخاتير من يافا تحضر الى بيروت باقلّ من ٢٤ ساعة · والسفر بالبرّ بخمسة ايام · ومن بيروت الينا بخمس ساعات لا غير ·

« والآن نقول ان سخاءك الملوكيّ قد شملنا بارسالك صندوق البدلة الحبرية التامّة المعتبرة مع الاواني المقدّسة اللازمة لتقديم الذبيحة الالهية · وهي حقّاً اواني تليق بسخائك ولا تليق بحقارتنا · وقد تزيّنا بها في قداس حبريّ قرّبناه لاجلك ولاجل انجالك · وقرّبنا كذلك جملة قداسات وصلوات على نيّتك ملتمسين منه تعالى ان يجعل نجليك غرسة مقدّسة ويحفظكم جميعاً من كل ضرر روحي وجسدي ·

« ثم رتّبنا جملة قداسات في مدار السنة ورتّلنا جنازاً احتفالياً مع قدّاس احتفالي يوم تذكار الموتى ٢ تشرين الثاني لراحة نفس عريسك وكافة المتنيحين من عيلتك الشريفة · وسجلنا اسمك واسم عريسك ووالدك وولدك في سجل القداسات اليومي ليصير لهم تذكار في كل قداس يقام في دير كرسينا بكنيسة سيدة النجاة ·

« وصل كذلك مع صندوق البدلة ١٫٥٠٠ ريال دركلي ثم ٣١٢½ ذهبي · وكتبنا لجنابك بتاريخ ١٠ ايلول ١٧٩٢ عن وصول ٣٫٠٠٠ ريال دركلي من كرمك و١٫٥٠٠ ريال من جلالة الملكة · وكتبنا الى نيافة الكردينال انطونلي ليضع ذلك كله في البنك · وقد وعدنا بتكميل طلبتنا ·

« ونجاوب رسالتك المؤرّخة في ٢١ شباط ١٧٩٣ بقولنا : اننا ابتهجنا

جداً حينما عرّفنا كاتب سرّنا انكِ كتبتِ بخطكِ الشريف عبارة باللغة السريانية وهي « [illegible] » . وكنا نتوق ان نشاهد خطكِ هذا بعيننا . ولكن الاله الرحيم قصاصاً لآثامنا قد افقدنا البصر ولم يبقَ لنا منه الّا ما يكفي لمشاهـدة الاعراض السرّية وقت تقديم القدّاس وقد تأكدنا من عملكِ هذا وفرة محبتكِ لنا اللائقة بتقواكِ وعظمتكِ

« وقد مجدنا الله تعالى الذي منح سعادتكِ روح المشورة المقدّسة وزيّنكِ بين النساء بمثل هذه الفضيلة السامية يا ايتها السيدة الشريفة . فنِعمَ المشورة المقدّسة وهي ان نهتمّ بايفاء ديوننا ١ً – لان العدل يتطلب ذلك . ٢ً – لاننا اذا اهملنا ايفاء ديوننا يكون ذلك سبباً لمنع الخير عنا في المستقبل . وعليه فاننا نكرّر الثناء على مشورتكِ هذه المقدّسة ونتخذ الفرصة لنصرّح لكِ بسبب ديوننا فنقول :

« اننا لم نرضَ ان نتوجه من حلب الى ماردين لقبول البطريركية الّا بعدما نصارى السريان في بـلاد ما بين النهرين كفلونا وتعهدوا بمصاريفنا وخسائرنا وكتبوا لنا عن ذلك رسائل متعدّدة محفوظة الى الآن عندنا . ولكنّنا لماّ وقعنا في المعركة تخلوا عنّا وصرنا بين ايدي ذئاب خاطفة والتزمنا ان نستقرض من اهالي ماردين بموجب سندات من ١ تشرين الاول ١٧٨١ حتى اذار ١٧٨٣ مبلغ ٥٦،٥٩٧ غرشاً و ٢٥ فضة . وقد تكرّم رئيس المجمع المقدس علينا بمبلغ ٢٧،١٧٩ غرشاً و ٣٠ فضة دفعناها الى اصحاب الديون وبقي علينا ٢٩،٤١٩ وخمسة فضة . ثم ارسل الينا ولدنا الربان ايليا ١،٤٠٠ سكوت روماني . وارسلت الينا حضرتكِ مبلغاً ودفعنا كذلك شيئاً من عندنا . . . واخيراً لم يبق علينا من الديون الا مبلغ ١٢،٧٨٦ غرشاً و ١٢ فضة .

« وليس لنا ايراد من طائفتنا الفقيرة سوى ٧٠٠ غرش من حلب . فالأمل بالله الكريم وبجهودكِ اننا نتمكّن من ايفاء الدين المتبقي علينا ولو كنّا شرعاً لا نلتزم به . . . ولولا حسنات المجمع المقدّس وحسناتكِ ايتها

الكريمة الشريفة لعجزنا عن الوفاء تماماً . ولذا يجب ان يقال عنكِ انكِ اشتريتِ بطركية السريان الكاثوليكية وأنقذتِها بسعيكِ ومالكِ من اثقال لم يكن يمكنها ان تنهض بها ابداً . وليس هذا فقط بل سيترتب من مالكِ ومساعيكِ المقدسة معاشٌ لنا وللبطريرك الكاثوليكي المزمع ان يخلفنا وللناذرين في دير كرسينا .

« اما قولكِ ان نرجع الى كرسينا الاوّل فنقول : ان ذلك أمرٌ مستبعد جداً ما دامت الدولة العثمانية ساحبةً سيفها ضد الكاثوليكيين ... ثم اننا نشكركِ على توصيتكِ لجناب خالكِ الاب اليسوعيّ المقيم في ايطاليا كي يتكلّم مع الاب الاقدس لاجلنا ليكتب الى ملك اسبانيا المظفر ليسعفنا . وقد كمّلنا رغبتكِ العادلة فأمرنا ان يسجّل اسم الوزير حاكم مدينة ماسيكوا (المكسيك) في ينكي دنيا (اميركا الجديدة) واسم القس يوسف المحترم في سجلّ المحسنين الى ديرنا وفي دفتر القداسات التي تُستعمل بموجب طقسنا بذكرانيَّة المحسنين في الذبيحة الالهيَّة . ونرسل طيّه مكتوبَي شكر : الواحد للوزير والثاني للقس يوسف المشار اليهما .

« فرحنا بحضور ولدنا القس الياس شدياق الى داركِ في ١ شباط تذكار مار اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية واقامته القداس في المسجد الذي ضمن قصركِ العامر . وقد شعرتِ بان الشهيد القدّيس لا يخيّب رجاكِ . والأمل ان تحصلي بشفاعتهِ على انعامات روحيَّة وجسديّة .

« ابتهجنا كذلك بوصول البراءة الرسوليّة الى سعادتكِ . وفي الحقيقة انكِ تستحقين اعظم من ذلك . ونختم متوسلين الى سيدنا يسوع المسيح ليرفع عينه من علوّ سمائهِ ويبارك عليكِ وعلى ولديكِ وعلى منزلكِ العامر ونمنحك نحن من صميم القلب البركة الرسوليّة والسلام —

« حرّر في دير سيدة النجاة بالشرفة   اغناطيوس ميخائيل

في ٣ تشرين الاوّل ١٧٩٤   بطريرك السريان الانطاكي »

٨ – هدية البطريرك الى الدوقة دي هرموزا

رأى البطريرك ميخائيل المغبوط ان يقابل هدية الدوقة دي هرموزا الكريمة بهديّة تروقها وتعجبها فانتقى مخطوطتين دقيقتين نفيستين من مكتبته العامرة وعوّل على ارسالها اليها . فكتب في ذلك الى وكيله الخواجا يوسف فرّا بحلب بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٧٩٦ يقول :

« ... خطر ببالنا ان عندنا كتاب انجيل كرشوني بقطع صغير وخط دقيق جداً . وجهه مخمل أخضر . وكتاب مزمور سرياني خطه كذلك رفيع كالانجيل المومأ اليه . فقصدنا ان نرسل هذين الكتابَين الى السيّدة الدوكيسا المحسنة الى ديرنا . ومن ثم سلّمناهما الى ولدنا القس يوسف سكّر المتوجه الى حلب ليسلمهما اليكم كي تأمروا ان يصنَع لكل منهما علبة فضة ملطوخة ومحجرة . ثم ان يتجلّدا بمخمل وعليه فضّة كذلك محجرة او مصورّ في اعلاها تصوير ...

« ولا يخفى ان السيّدة الدوكيسا الكريمة قد حررت لنا بخط يدها بعض كلمات سريانيّة . وهي تحب لغتنا هذه كما افادنا ولدنا القس الياس وتريد مكاتبتنا بها . ولذلك أحببنا ان نرسل لها هذين الكتابَين .

« فمن بعد تجليدهما كما وصفنا ضعوا كلًّا منهما في علبة فضية مطلية ومحجرة وأرسلوهما اليها راساً . او ارسلوهما الينا لنرسلهما نحن اليها على طريق يافا . ومن هناك يرسلان اليها في مركب الكمسارية . ونختم باهداء البركة الرسولية ...

« عن دير سيدة النجاة في ٢١ كانون الثاني ١٧٩٦ »

٩ – رسالة البطريرك الى الدوقة دي هرموزا

توالت الرسائل بين البطريرك الانطاكي والدوقة الاسبانية حتى السنة ١٧٩٨ فكتب اليها البطريرك المغبوط يقول: « وصل مكتوباكِ المؤرخان في ٣٠ تشرين الاول ١٧٩٧ و٢٨ تموز ١٧٩٨ وكان وصولها معاً في مدة

٢٠ يوماً. وقد فُتحا بأمر الحكومة لان الدولة الفرنساوية ملكت مصر. وقد ابتهجنا جدًّا بوصول البراءة الرسولية الى سعادتك وبموجبها تشتركين معنا في تاسيس دير الشرفة. ومتى هدئت الاحوال نرسل اليك مكاتيب مستطيلة . . . »

« دير سيدة النجاة في ٢١ تشرين الاول ١٧٩٨ ».

١٠ – رسالة البطريرك الى دُون يوسف ابن الدوقة هرموزا

وكتب البطريرك المغبوط كذلك في ٢١ تشرين الاول ١٧٩٨ الى دُون يوسف نجل الدوقة دي هرموزا يقول: « فرحنا بوصول كتابكم الشريف. واكتمل فرحنا بين مصائبنا بوصول البراءة البابوية الى يدكم مصرحةً بمشاركتكم حقارتنا في تأسيس ديرنا العائد الى مجد الله الاعظم وحقًّا ان فرحنا هذا لا يوصف ولا يُقدَّر. وقد كتبنا الى والدتكم الجليلة باختصار. ونهدي التحيَّات والادعية مع البركة الرسوليَة لكم ولولدنا الحبيب اخيكم دون يوحنا بولس الشريف . . . ».

اكتفينا بهذا النزر من الرسائل المتبادلة بين البطريرك الانطاكي وبين الدوقة دي هرموزا الاسبانية الكريمة مثنين كل الثناء على جهودها ومكارمها وعوارفها داعين لنفسها بالتمتع في السعادة الابدية. وواصلت هذه الكريمة النبيلة مراسلاتها وعوارفها الى دير الشرفة حتى عهد السيد غريغوريوس بطرس جروة كما سنذكره ان شاء المولى تعالى في حينهِ.

الفصل الرابع عشر

تقرير إقامة الكرسيّ البطريركي في لبنان بدلًا من دير الزعفران

أشار بعض ألي الأمر والنهي ولاسيما الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان المقدّس على البطريرك اغناطيوس ميخائيل المغبوط ان يعود الى دير الزعفران اذا صدر الفرمان الشاهانيّ باسمه . فرأى البطريرك ان يعقد مجمعاً في دير الشرفة عام ١٧٨٩ بحضور بعض الاساقفة ويشاورهم في الأمر ثم يلخص تقريرهم ويبعث به الى نيافة الكردينال المومأ اليه والى القارىء خلاصة ما قرّروه :

« ادّعى البعض انه اذا صدر الفرمان باسم البطريرك ميخائيل تيسر له ان يمتلك دير الزعفران ويضبط كنائس السريان باجمعها ويطالب الابرشيات قاطبةً بالحقوق البطريركية. ويكون في مأمن من غدر الخصوم والحكام .

« فقرّر الاساقفة المجتمعون أنّ دير الزعفران منفرد عن ماردين وأنّ الاهالي المحيطين به ليسوا كلهم كاثوليكيين . وأنّ حوله اكرادًا كثيرين ويعاقبةً ولاسيما في طورعبدين المجاور له . ومن ثم يسهل على البطريرك الدخيل ان يثيرهم على البطريرك ميخائيل الشرعيّ . ثم صرّحوا بان اغلب كنائس اليعاقبة يتولاها حكام اكراد لا يعرفون الله تعالى ولا يحسبون حسابًا للسلطان ولفرمانهِ . بل ان الرشوة والخُلَع هي فرامينهم . ثم ان البطريرك الحاصل على الفرمان يضطر ان يحارب خصومه او يدفع الرشوات الوافرة لاستجلاب خواطرهم مدّة من الزمان .

« وصرّح بعضهم بان املاك دير الزعفران والكنائس هي تحت أمر الاكراد وأوامر الحكومة . وان البطرك الدخيل باع كثيرًا منها لينتقم من البطريرك ميخائيل الشرعيّ وينتصر عليه . ومن الجملة رتّب على كنيسة دياربكر وحدها مبلغ ٣٠،٠٠٠ غرش . وقس عليها سائر الكنائس في الموصل وماردين وحلب والشام الخ . ثم ان دير الزعفران هو اليوم محطّ للاكراد والعسكر العثمانيّ ولا يمكن البطريرك الكاثوليكيّ ان يساكنهم هناك .

«وعليه نقرّر ان يكون جبل كسروان بمنزلة فرمان لننظر هل تحصل الفوائد للطائفة من اقامة البطريرك ميخائيل فيه ام لا ؟ فاذا حصلت الفوائد وجب ان نوجّه الالحاظ كلها الى هذا الجبل .

«فالفائدة الاولى هي : ان البطريرك ميخائيل يتوقّف في مشروعهِ اذا أَنفق ما يلزم انفاقه على الفرمان لاجل اقامة مكان خصوصيّ في هذا الجبل يُطلَق عليه اسم « دير الكرسي الانطاكي » . وهو قريب جدًّا من انطاكية وخاضع لحكم أمير مسيحيّ خائف من الله عزّ وجلّ . ثم ان مقرّه هذا هو ما بين بطاركة ومطارين ومسيحيين يسعفونه ويدافعون عن حقوقهِ وحقوق الكنيسة الجامعة وحقوق رئيسها الاب الاقدس . فضلًا عن كونه قريباً من مدينة حلب المدعوّة « انطاكية الجديدة » . وسكانها واغلب اساقفتها هم كاثوليك منذ القديم . نذكر منهم الأحبار الصالحين البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان والبطريرك اغناطيوس بطرس شهبادين والمطران ديونيسيوس رزق‌الله اميرخان وغيرهم . ثم مطرانها الحاليّ السيد ميخائيل الذي نُصب بطريركاً شرعياً على يد اساقفة كاثوليكيين وقد ثبته الكرسيّ الرسوليّ .

«فاذاً امتلاك محلّ في لبنان وصيرورته كرسياً للبطريركية موافق جدًّا ولاسيما اذا صادق على ذلك رئيس المجمع المقدّس وجاد على البطريرك الانطاكيّ في تأسيس كرسيه بلبنان بما كان ينوي ان يجود عليه لاجل الحصول على الفرمان . فحينئذٍ يتأيد هذا الكرسيّ وتتسلسل فيه الخلافة البطريركية دواماً حسب أمر المجمع ورغبتهِ . ويكون كبطاركة الروم والارمن المقيمين في لبنان منذ سنين من دون فرامين . وهم يجتهدون ان يربّوا ويثقفوا كهنةً واساقفةً يرسلونهم الى تلك البلاد ليرشدوا اهاليها .

«وبالنتيجة ان مشترى املاك واوقاف لاجل اقامة الكرسيّ البطريركيّ وثباته في لبنان مفيد ونافع جدًّا . . . »

الفصل الخامس عشر

السريان المصريّون ودير الشرفة

١ – الخوري شكرالله براغيت

لا نرى بدًّا من اثبات كلمة وجيزة عن السريان في القطر المصريّ ولاسيما عن رئيس كهنتهم الغيور الخوري شكرالله براغيت الحلبيّ . وكنا نشرنا عام ١٩٢٥ على صفحات مجلّة المشرق « بحثاً تاريخياً » في هذا

الصدد وافرزنا الفصل الثالث عشر منه بدير الشرفة والقطر المصري · وقلنا هناك ان البطريرك ميخائيل المغبوط وجّه عام ١٧٨٣ الخوري شكرالله[1] المشار اليه ليتولّى خدمة ابناء الرعية السريانية في القاهرة وفي ١٧ كانون الاوّل ١٧٨٤ كتب اليه البطريرك صكّ الوكالة وصرّح فيه بقوله : « اننا اقمنا ولدنا الاب شكرالله براغيت الحلبيّ وكيلًا لنا في مصر وجعلنا ولدنا القس يوسف اليان الشامي مساعداً له » · على ان الخوري شكرالله نهض بالوكالة نهوض الكاهن النشيط الغيور وخلّد لصنائعه بجانب دير الشرفة ذكرى جميلة طيبة[2] . وفي ٢٤ تموز ١٧٩٥ كتب اليه البطريرك يقول :

« اننا اقمناك وكيلًا لنا منذ ١٢ سنة في مصر لتساعد ديرك هذا الجديد اقتداء برؤساء الطوائف المسيحية في مصر وغيرها وهم يساعدون اديرتهم التي هنا في لبنان . وقد تركتنا عام اوّل في ضيقةٍ شديدة وما افتكرتَ فينا . ونحن الآن ما طلبنا منك جوخاً بل بعض اصواف ترى قائمتها من طيه · لان قصدنا السترة لا غير · ونحن نعلم انك مقبول عند جميع الطوائف في مصر من روم وارمن وقبط فضلًا عن السريان · وهم يعتبرونك نائباً لنا وخوري رعية من قِبلنا · وهكذا نحن نعرفك ونحسبك من اولاد الدير الناذرين . أفما يجب ان تغار عليه وهو حديث بعدُ ؟ وان تبذل مجهودك في جمع ما يتيسر لهذا الدير المقام كقلعة حصينة يلتجىء اليه المضطهدون ؟

« واعلم انه قد حضر الينا الآن قسيسان شيخان هربا من ماردين وحضرا واحتميا في هذا الدير وهما : القس جرجس جاجة والقس اصلان وقد قبلناهما ورحّبنا بهما وقدّمنا لهما اللوازم من كسوة ومعاش . وهما يحتاجان الى بدلتَين للقدّاس . . .

---

(١) المحفوظات : مجلد ٢٥

(٢) راجع هذا الكتاب : صفحة ٨٦

« ثم ان عيلتنا قد نمت وكثرت وصارت قرب عشرين شخصاً غير الشاردين والواردين من مشايخ وكبار وصغار · ويلزم للجميع مصروف زايد لانه اشتهر باسم « دير كرسي البطريركية السريانية » · وكثيرون يقصدونه من البلاد ومن هذه الاطراف · ومن الجملة يقتضي لنا من البنّ في السنة اكثر من ٤٠ رطلاً · وهذه السنة بيع رطله بخمسة عشر غرشاً · وجميع الاشياء نشتريها وليس لنا مدخول ·

« فأفرغوا جهدكم في مساعدتنا · ولسنا نقبل لكم عذراً ابداً · ولا تحوجونا ان نكتب لكم رسالة رابعة في هذا المعنى · فقد كتبنا لكم ثلاث مرّات ولم نأخذ منكم جواباً ·

« امّا الاغراض التي نطلبها منكم فهذه هي قائمتها :

« اولًا ١٥ — ثوب صوف مميك لكسوتنا وكسوة سكان الدير · وكتان للقمصان · لان الكتان الذي ارسلتموه سابقاً في ١٩ شباط ١٧٩٥ ما كفي لنصف سكان الدير · ثانياً : بدلتان كاملتان للكهنة اعني قميصين وهمنيخين ܗܡܢܝܟܐ اي بطرشيلَين وزنّارين وزندين وبدلتَين ثالثاً — ثوبان كتان لاجل صمدات المذابح ولاجل الطبليت · رابعاً — ماعون ورق نصف عبادي اي ٥٠٠ ورقة مصقولة من الوجهَين لاجل نسخ فناقيت الاعياد وفرض الصوم · خامساً : ٦ ارطال بهار وفلفل و٥ ارطال سكر · فهذه هي القائمة المطلوبة الآن · ونختم —

« دير سيدة النجاة ٢٤ تموز سنة ١٧٩٥ »

٢ — مريم ارملة فرج الله مبارك كشاه

كتبت هذه السيدة الكريمة نصف دارها في القاهرة وقفاً للدير الشرفة · وتقرّر ان يقام بنصف ريع الدار خمسة جنازات مع خمسة قدّاسات لراحة نفسها يقدّسها رئيس الدير ثاني عيد انتقال السيدة المجيدة وفي مدار السنة ·

وقد سُجلت الوقفية في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨ , وتم ذلك بسعي القس بطرس جروة[1] .

٣ - وقف مريم امرأة المرحوم يوسف مرشد

وهذه المحسنة السريانية التقية وقفت في القاهرة داراً نحو السنة ١٨٠٧ بهمة الخوري شكرالله وقد انفق الخوري مبلغاً على مرمّتها لمنفعة قاطنيها . وتشتمل الدار على واجهتين شرقية وشمالية , وعلى دهليز مفروش ببلاط وعلى سقف خشب وعلى بئر ماء معين ومنافع ومرافق ولواحق . وأيّد هذا الوقف القس بطرس جروة ابن شقيق البطريرك ميخائيل المغبوط .

٤ - وقف القس يوسف صُبيّ الحلبي

كان هذا القسيس الجليل من بواكير تلامذة دير الشرفة . ارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ٢٨ حزيران ١٧٩٣ ثم عينه البطريرك ميخائيل المغبوط لخدمة ابناء الملة السريانية في القاهرة . ومن اعماله المبرورة انه حضّ بعض السريان المصريّين فاشتروا بالاشتراك مع بطريركية الاقباط ارضاً وقفوها لدير الشرفة وتمّ ذلك سنة ١٨٠٩ ولما باعت بطريركية القبط تلك الارض طالبها المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري تلميذ دير الشرفة بحقوق الدير وقبض ٩٠ ليرة مصريّة حوّلها في ٢٣ نيسان ١٩١٠ الى الخوري موسى سركيس رئيس دير الشرفة .

٥ - الشماس حنا جروة

ذكرنا في الفصل العاشر من هذا القسم الثاني ما تكرم به الشماس حنا جروة شقيق البطريرك ميخائيل على دير الشرفة . وكان هذا الشماس يوم ذاك مقيماً في القاهرة فأدرجنا اسمه هنا بين المحسنين المتبرّعين على دير الشرفة بصدقاتهم مستمطرين على نفوسهم غيوث الرحمات الالهية .

---

(١) سجلّ دير الشرفة : صفحة ١٨٧

الفصل السادس عشر

المعلم ميخائيل فتّال وكيل دير الشرفة

١ - من هم آل فتال

أسرة قديمة سريانية حلبية انضمت الى البيعة الكاثوليكية على يد السيد اغناطيوس ميخائيل جروة . واشتهر بعض افرادها بخدمة كنيسة حلب وخدمة دير الشرفة . نذكر منهم المعلم ميخائيل بن انطون ابن المقدسي اليان ابن المقدسي حنا بن نعمة بن ابراهيم فتال الذي عينه مار اغناطيوس ميخائيل المشار اليه وكيلاً لدير الشرفة . وقد عثرنا على عدة رسائل تبودلت بينهما اثبتناها بحرفها الواحد في كتاب دعوناه « عقد اللآل في شجرة آل فتّال » لم يزل غير مطبوع . وصرّحنا هناك بقِدَم هذه الأسرة واخلاصها الخدمة لدير الشرفة . والى القارىء النجيب شذرات من رسائل البطريرك الى وكيله المعلم ميخائيل فتال الموما اليه :

٢ - الرسالة الاولى ١٣ تشرين الاوّل ١٧٨٦

كتب البطريرك المغبوط الى الخوري انطون والمعلم ميخائيل فتّال يقول : « اننا اقمناكما وكيلَين فيما يخص حقوقنا بحلب . . . وانت ايها الابن الحبيب الخواجا ميخائيل انظر الى مصابنا بعين ابنٍ محبٍّ لوالده ولا تخيب املنا . وكلما جمعت خمسين غرشاً فادفع المبلغ الى والدنا الخواجا يوسف فرّا ليرسله لنا . . . ثم نخبركم انه قد وصلت الينا اواني النحاس بالتمام [1] . فسيدة النجاة صاحبة هذا المكان المقدس تنجيكم من كلّ شرّ وتكافيكم بكلّ خير لاجل اهتمامكم في عمار ديرها وتعزيزه

(١) راجع هنا : صفحة ٨٤

ومشاركتكم ايانا في خدمته . اخيراً نخبركم اننا ارسلنا الى وكيلنا السابق ليأخذ لنا بعض حوائج فنرغب ان تأخذوا منه قائمتها وتشتروا ما فيها وترسلوه الينا .

« امّا قولكم ان الخجل يستحوذ عليكم من قبل خطكم فنقول: ان خطكم هذا الذي تستحقرونه قد سبَّب لنا فرحاً زايداً . فاكتب لنا بخطك هذا وارفع عنك كلّ خجل . لاننا نحن راضون به . ونختم باهداء البركة الرسولية لكلّ من حوت منازلكم ثانياً وثالثاً »

٣ – الرسالة الثانية ٣ كانون الثاني ١٧٨٧

كتب البطريرك ميخائيل المغبوط منشوراً الى كهنة حلب وجماعتها جاء فيه قوله : « اولًا في اربعة آحاد الصوم نأمر ولدنا الخوري روفائيل مع كاهن آخر يعاونهما حضرات اولادنا الخواجات ميخائيل فتال ويوسف حمصي فيمسكون صينية في المكان الذي يستصوبه حضرة وكيلنا الخواجا ميخائيل فتال ويجمعون احساناً باسم دير سيدة النجاة بالشرفة . ونأمر كذلك ونحتم ان تُمسك الصينية في عيد مار ديمتريوس ونريد ان يكون منشورنا هذا فعالًا دائماً لا في حياتنا فقط بل ايضاً في زمان مَن يخلفنا في الكرسي البطريركي الانطاكي السرياني الكاثوليكي . والذي يُجمع في العيد المذكور وفي الآحاد الاربعة المذكورة باسم دير سيدة النجاة يجب ان يُسلم الى حضرة وكيلنا الخواجا ميخائيل فتال الذي نُقيمه باسطرنا هذه وكيلًا لدير سيدة النجاة الكرسي البطريركي . فهذا ما لزم تحريره لمحبتكم ... »

٤ – الرسالة الثالثة بالتاريخ المذكور ايضاً

« جناب ولدنا الخواجا ميخائيل فتال المكرم

« قبل تاريخه وجّهنا لمحبتكم مكاتيب ان شاء الله تعالى وصلتكم بخير . ثم نخبركم اننا موجّهون اليوم منشوراً ومكتوباً الى حضرة نائبنا الخوري روفائيل نحتم عليه ان يجمع احساناً لدير سيدة النجاة في اربعة حدود من الصوم وفي عيد مار ديمتريوس . وبما

ان محبتكم من اخصّ اولادنا الغيورين على بيت الله العليّ فقد اقمناك ايضاً وكيلاً لدير سيدة النجاة الكرسيّ البطريركيّ الانطاكيّ السريانيّ . فالمراد منكم ايها الابن الغيور ان تنهضوا بهذا السعي المقدّس المرضي لله عزّ وجلّ والعائد الى نجاح الايمان الكاثوليكي .

« ولا يلزمنا ان نصرّح لهمتكم بان كلّ ما تسعون به لقيام هذا الكرسي سيكتب لمحبتكم بقلم ذهبيّ في الخزائن السماويّة . لانكم تعلمون اننا ان لم نجعل هذا الدير يقوم بحاجات البطريرك المزمع فان جميع اتعابنا تذهب فارغة . وهذا شيء معروف عند فطنتكم . فاشتركوا معنا اذاً بثبات هذا الكرسي وتوطيده . وعلينا ان نسعى وعلى الله القدير ان يؤيّد سعينا ويوفّقنا . ومنا البركة لحضرة قرينتكم وانجالكم المكرّمين ولمحبتكم ثانياً وثالثاً » .

٥ – الرسالة الرابعة ١٣ شباط ١٧٨٧

« . . . في ١٠ شباط وصلنا كتابكم المحرّر في ١١ كانون الثاني وحمدناه تعالى على سلامتكم المرغوبة . وصار معلوماً انكم دفعتم ٢٥٠ غرشاً الى ولدنا الخواجا يوسف فرا المكرّم . فالربّ يكافيكم ويديم لنا غيرتكم وهمتكم . . . ومن المحقق عندنا انكم ما تغفلون عما يخصنا . ونحن لا نحمل ثقلة كلياً بتكليف خاطركم لعلمنا بودّكم . ولا تظنوا ان احداً تكلم معنا او كتب لنا بان حضرتكم متكرّهون من خدمتنا كما تشيرون في مكتوبكم المذكور . فنحن شاكرون افضالكم واتعابكم وخدمتكم ونلتمس من مراحم الله تعالى ان يكافيكم عنا لاجلها . . .

« ثمّ انكم اعلمتمونا عن عجز الكهنة وان الكنيسة ليس فيها ترتيب . فيا حضرة ولدنا العزيز ان هذا الأمر يسبب لنا غماً زائداً . . . فنرغب ونريد منكم بان تهتموا بانتخاب اثنين او ثلاثة وترسلوهم الينا الى دير كرسينا لكي نعلمهم ونرسمهم كهنةً . فالمراد اجعلوا عناية في انجاز هذه المادّة ولا تغفلوا عنها كلياً بل أسرعوا بها .

« وقد كتبنا بهذا المعنى الى حضرة وكيلنا الخوري روفائيل ايضاً . والمأمول من حضرتكم ان تحركوا غيرة وكيلنا المذكور وباقي الكهنة ليعتنوا باسعافنا لاننا في غاية الضيق من مصاب هذه السنة . ولولا شدّة الاحتياج ما اتعبنا سرّكم . هذا ما لزم ومنا البركة لحضرة قرينتكم المكرمة واولادكم الاعزّاء ولمحبتكم ثانياً وثالثاً . . . »

نكتفي بهذه الشذرات للدلالة على اهتمام المعلم ميخائيل فتال بصالح دير الشرفة تلبيةً لطلب مؤسسه البطريرك مار ميخائيل المغبوط ، ونسأل له المكافأة المضاعفة في المجد السماويّ .

الكومندور خليل بن فارس بن جرجس ابن الشماس يوسف
ابن المعلم ميخائيل فتّال

على ان هــذا الروح التقي الصافي تسلسل في هذه الاسرة السريانية الكريمة حتى يومنا . وقد عرفنا عميدها الطيّب الأثر الكومندور خليل (١٨٥٨ — ١٩٣٥) الذي يشاهد القارئ رسمه ههنا وهو يتحدّر من فارس بن جرجس ابن الشماس يوسف ابن المعلم ميخائيل المشار اليه . واطلعنا على شيء من مبرّاته وحسناته . نذكر من ذلك صورة العذراء المغبوطة التي تزيّن مذبح كاتدرائية دمشق السريانية . امّا نجلاه الفاضلان السيد ميشيل والكومندور جان فقد نهجا نهج والدهما الكومندور خليل النبيل في صنع الاعمال المبرورة والمشاريع المشكورة . فنسأل المولى المنان ان يحرسهما ويحرس اسرتيهما المباركتَين ويغمرهم جميعاً بأغزر المنح والبركات الروحية والزمنية .

الفصل السابع عشر

أبنية البطريرك ميخائيل في الشرفة

وجّه البطريرك ميخائيل المغبوط عنايته اوّل بدء الى تحويل الغرفة او « المدرس » الذي ابتناه الخوري يوسف مارون عام ١٧٥٤ الى مصلى او بيعة صغيرة يتلو فيها الفروض الدينية مع حاشيته الاقليريسية وتلامذته . فجدّد بنيانها وشاد فيها مذبحاً لطيفاً في الناحية الشرقية طبقاً للتقاليد السريانية الرسوليّة . ووضع في صدر المذبح صورة سيدة النجاة المرسومة على الدف . ثم زيّن وسط المذبح ببيت للقربان الاقدس دبّج بابه بلوح من فضة وحفر عليه آية يوحنا الانجيلي في السريانية وهي « ܗܢܘ ܠܚܡܐ ܕܢܚܬ ܡܢ ܫܡܝܐ. » (يوحنا ٦ : ٥٨) . وكلّف احد الكهنة الممتازين بجودة الخطّ فكتب حول رواق المذبح وصايا الله العشر بالحروف السطرنجيلية الرائعة . ثم نقر على باب المصلّى الغربي هذه العبارة في السريانية وهي : « ܒܟܝ ܐܬܐܡܪ ܩܕܝܫ ܕܚܝܐ ܐܢܬܝ. » اشارةً الى العذراء سيدة النجاة صاحبة المصلى عليها السلام .

وفي هذه البيعة الضيّقة الصغيرة أجرى البطريرك الانطاكيّ وخلفاؤه من بعده جميع الاحتفالات الحبريّة كالسيامات الكهنوتية وتقديس الميرون والطباليت وحفلات المواسم المارانيَّة على مدار السنة . وقد سبقنا فذكرنا اوّل احتفال قام به في هذا المصلى صباح جمعة المعترفين ٢٥ نيسان ١٧٨٥ عندما توشّح بالدرع البطريركيّ(١) .

وبعدما فرغ البطريرك من تجديد المصلى وتقديسه بالميرون وتزيينه بما تيسر من الصور والذخائر القدسية راح يفتكر في إحداث غرفٍ لسكناه وسكنى حاشيته وتلامذته . فابتنى بيت المؤونة (الكلار) وابتنى الى جانبه غرفة المائدة والغرف الملاصقة لها حتى باب الدير الخارجيّ الباقي على

---

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٤٥

هيئته القديمة حتى اليوم يدخل منه الداخل في رواق معقود بالحجارة ٠

ثم شيَّد البطريرك المغبوط في الدور الاعلى غرفتَين لسكناه وقد حوّلها صاحب النيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني الجزيل الطوبى الى غرف جديدة جميلة خصصها بسكناه منذ السنة ١٩٣٥

وشيّد البطريرك ميخائيل كذلك غرفة المكتبة الحاليّة وغرفة ثانية الى شرقيّها ملاصقة لها وكلتاهما فوق المصلّى ٠ وصرف عنايته منذ السنة ١٧٨٨ فنقر في فناء الدير قدّام غرفة المائدة لجهة الغرب بئراً واسعة تصب فيها مياه الامطار وتكفي لحاجات الدير والقاطنين فيه ٠

وقرأنا في دفتر حسابات البطريرك المغبوط (ورقة ٥٥ و٧٢) ما نصه : « الواصل ليد زكريا تلميذنا لاجل الفعلة والحجار والكلس والاخشاب الخ من ابتداء ١٦ ايلول ١٧٨٦ والمجموع في اوّل العمارة بلغ ٥٣٧ غرشاً » ٠ هذا سوى ما دفعه البطريرك الى المعلّم صليبا البنّاء عن كلّ يوم ٢٥ فضة ٠ وما دفعه الى المعلّم بطرس البنّاء (ورقة ٥٤) والى المعلّم نعمة البنّاء منذ ١٠ آب ١٧٨٧ والى المعلّم منسّى في السنة عينها والى النجّارَين شاهين ويعقوب اخيه (ورقة ٧٧) الخ الخ ٠

ثم قرأنا في الدفتر عينهِ هذه العبارة غير مرّة وهي : « الواصل الى يد الشماس زكريا لاجل المصرف والعمارة » الخ ٠ نكتفي بالاشارة الى ذلك دلالة على تدقيق البطريرك المغبوط في حساباتهِ ٠

وقرأنا في الورقة (٦٨) ما نصه : « بيان الذي نصرفه على دير الكرسي من ابتداء شهر تموز ١٧٨٧ ومن ابتداء شهر تموز كذلك ١٧٨٨ دلالة على ان العمارة استغرقت اكثر من ثلاث سنوات ٠ ويطالع القارىء في الورقة (٨١) ما نصه : « عندنا لابي جرجس الحدّاد في غزير ثمن حديد وعمل حديد عن سنة كاملة من ١٧ آب ١٧٨٧ مبلغ ١١٣ غرشاً ٠ اننا نقف عند هذا الحدّ من ذكر ما شاده البطريرك ميخائيل في ديره الجديد حذراً من ملل القارىء النجيب ٠

الفصل الثامن عشر

احتفال البطريرك الانطاكي بسيامة اسقفين في مصلى سيدة النجاة

١ – سيامة السيد يوليوس انطون القطربليّ

استراح البطريرك الانطاكيّ هنيهةً من اتعابه وتعزّى قلبه الكئيب بما جاد به عليه الحبر الروماني وكردينال مجمع نشر الايمان المقدّس وانتعشت آماله بعوارف ملك اسبانيا وحسنات السيدة مريم دي فيلّا هرموزا وغيرهم من المحسنين والمحسنات . وابتنى بعض الغرف في ديره الجديد لسكناه وسكنى حاشيته وتلامذته . وبعد هذا كله عقد النية على مكافأة زكريّا ابن الخوري اسحق القطربليّ شماسهِ الأمين الذي رافقه في اسفاره الشاقة الخطرة من ماردين الى الموصل الى بغداد الى قريتَي العدرى والمازه بجوار دمشق الى بيت شباب في المتن بلبنان الى الشرفة في كسروان . وشاركه في محنه وضيقاته وأدّى له خدمةً نصوحاً طول حياتهِ .

بناءً عليه أمره ان ينقطع الى الرياضة الروحية مدّة اربعة ايّام . ثم رقّاه الى الدرجة الكهنوتية صباح الاحد ٢٤ اذار ١٧٨٨ وسماه القس يوسف . وواصل هذا القسيس الجديد الوفيّ خدمة أَبيه ورئيسهِ المغبوط وأشرف على عمارة ديره وارزاقه دون كلال كمألوف عادتهِ حتى صباح الاحد ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ فرقاه البطريرك المغبوط الى الرتبة الاسقفية بموآزرة السيد ايونيس نعمةالله الصددي مطران دمشق وراشيا والسيد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم . وأطلق عليه اسم « يوليوس انطون » واتخذه وكيلاً له في اعماله ومشاريعهِ . فجدّد هذا الاسقف المفضال عهود الولاء والطاعة للبطريرك الانطاكيّ . وثابر على خدمته وخدمة

دير سيدة النجاة في الروحانيات والزمنيات حتى آخر رمق من حياته .
وسيأتي ذكره في غير هذا الفصل .

٢- استدعاء الخوري بشاره من الموصل الى الشرفة

رفعت رعية الموصل عرائض الى المقام البطريركي تتوسل اليه توسلاً شديداً ليقيم لها راعياً يتولى شؤونها وينصب لها كهنة وشمامسة يقومون بخدمتها وقد عضد المواصلة في طلبهم وإلحاحهم الاب موريس كرزوني المرسل الرسولي الهمام . فلم يرَ البطريرك الانطاكي الا ان يلبي طلبهم فكتب يأمرهم طبقاً للقوانين البيعية ان يصطفوا كاهناً ويوجهوه الى دير سيدة النجاة ليرقيه الى الرتبة الاسقفية السامية . فوقع اختيارهم أجمع على الخوري بشارة اخطل القرقوشي . وكان هذا الخوري الغيور قد قدم الى حلب ورقاه البطريرك المومأ اليه يوم كان مطرانها الى الدرجة الكهنوتية في ٢٥ نيسان ١٧٧٨

بلغت عريضة الشعب الموصلي الى السيد البطريرك فكتب الى الخوري بشارة يستقدمه الى دير الشرفة . فانحدر الخوري الى بغداد متنكراً بزي اعرابي مستصحباً ثلاثة فتيان وهم بطرس ابنه ويوسف وبطرس قلدجي[1] . ومن بغداد استأجر جمّالاً وركب هو والفتيان الثلاثة حتى وصلوا الى لبنان في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٩٠

رحب البطريرك الانطاكي بالخوري بشارة ترحيباً ابوياً وعانقه معانقة يعقوب ابي الأسباط ليوسف ابنه المحبوب في ارض مصر وجعل يثني على غيرته الرسولية ويهنئه بثمرات غرساته الشهية اذ انه اجتذب الى الايمان الكاثوليكي المقدس اغلب اهالي وطنه القرقوشيين وجمهوراً صالحاً من المواصلة . ثم طفق يلقنه الواجبات الاسقفية مدة ٢٠ يوماً ويفقهه في القوانين الرعوية حتى اختمر فيها .

---

(١) راجع هنا : صفحة ٧٧

٣ – سيامة الخوري بشارة اسقفاً

وصباح الاحد ٢١ كانون الاوّل ١٧٩٠ احتفل البطريرك الانطاكيّ احتفالاً مهيباً مؤثراً جداً بطقس السيامة الاسقفية يوآزره ثلاثة اساقفة وهم: السادة غريغوريوس يوسف قدسي وايونيس نعمةالله الصدّي ويوليوس انطون قطربليّ وسمّاه «قرلّس بهنام» واناط به رعاية السريان في الموصل وقرقوش ودير مار بهنام وبرطلّي . وما كاد يدفع البطريرك عكاز الاسقفية الى الحبر الجديد وهو يرتّل «ܫܒܛܐ ܕܥܘܫܢܐ ܢܫܕܪ ܠܟ ܡܪܝܐ ܡܢ ܨܗܝܘܢ : ܘܐܫܬܠܛ ܒܓܘ ܒܥܠܕܒܒܝܟ» . (مز ١١٠ : ٢) حتى طفح قلبه بهجةً وحبوراً. فاكبّ على ذراعَيه وجعل يعانقه معانقة أحنّ الآباء لأبر الابناء . وتحدرت الدموع من عيون كلا الحبرين وعلا هتاف الحضور بحياتهما وهم يصرخون «ܐܟܣܝܘܣ ܐܟܣܝܘܣ ܐܟܣܝܘܣ ܡܪܝ ܘܪܒܝ» .

وعند نهاية السيامة انبرى البطريرك المغبوط مفعم القلب آمالاً وهنأ الاسقف الجديد بعبارات حلوة عذبة . ثم ذكر خبر التمثال الذي رآه نبوخدنصر ملك بابل في حلمه . وقد وصفه دانيال النبي الشهي بقوله: ان ذلك التمثال الذهبي الفضي النحاسي قد ضَرَبه حَجَرٌ عظيمٌ عجيبٌ غير مصنوعٍ بالايدي ضربةً قاضيةً وسحقه سحقاً تامًّا ولم يُبقِ له أثراً. وهذا «الحجر الذي ضرب التمثال قد صار جبلاً كبيراً وملأ الارض كلها» (دانيال ٢ : ٣٢ – ٣٥) .

ثم اردف البطريرك يقول: «انا واثق بالله العظيم القدير ان يكتمل فيك أيها الاسقف والاخ الحبيب هذا النصّ النبويّ الكريم فتعود الى ابرشيتك العزيزة الواسعة وتحطم بكلامك القاطع صنم البدع والهرطقات . وتسحق بمثلك الصالح تمثال الخرافات الخبيثة والعادات السيئة وتلقن رعيتك المحبوبة علم الخلاص وتجهد في جمعها كلها برمتها رعية واحدة لراع واحد . فتنمو وتنتعش وتتقوّى وتملأ الارض كلها . . . !» .

مكث الاسقف الجديد ٣٤ يوماً عند البطريرك المغبوط ضيفاً كريماً في دير سيدة النجاة وكتب له البطريرك طبقاً للعادات الابوية «سوسطاثيقوناً» محكماً . ثم قرر الاسقف بهنام ان يؤدي للسيد البطريرك سنةً فسنةً ٤٠ قرشاً عن قرقوش و٣٠ قرشاً عن الموصل و٢٠ قرشاً عن جماعة مار توما و١٠ غروش عن جماعة برطلي والمجموع ١٠٠ غرش[1] .

بعد هذا ودع الاسقف الجديد البطريرك الانطاكي وغادر دير الشرفة في اذار ١٧٩١ وتوجه الى ابرشيته ماراً بحلب . فوصل الى الموصل ليلة سبت لعازار وخرج المؤمنون الى لقائه مرحبين به شاكرين الله تعالى على وصوله اليهم بالعافية .

٤ – عريضة السيد قورلس بهنام بشارة الى رئيس البروبغندا

وصل الاسقف بشارة الى الموصل وكتب في ٢٧ آيار ١٧٩١ عريضة الى كردينال المجمع المقدس يصف لنيافته تفاصيل رحلته وسيامته وعودته الى ابرشيته واعماله الاولى قال :

«... سافرتُ من الموصل الى بغداد ومنها الى الشام ومنها الى دير سيدة النجاة بالشرفة . ورسمني البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس ميخائيل اسقفاً في ٢١ كانون الاول سنة ١٧٩٠ ومكثنا عند البطريرك بعد الرسامة مقدار ٣٤ يوماً . وبعدما تزودنا بصلواته رجعنا على طريق حلب ووصلنا الى دياربكر وماردين والموصل . ورحنا الى قرقوش ورسمنا فيها ١٠ قسوس و٣٢ شماساً . وبعد كم يوم رجعنا الى الموصل . ثم رسمنا في كنيسة السيدة بمحلة القلعة ٣ قسوس و٢٠ شماساً . وفي كنيسة مار توما رسمنا قساً واحداً و٧ شمامسة . وبعد كم يوم نمضي الى برطلي وبعشيقا ...»

قورلس بهنام اسقف الموصل وقرقوش
وما يليها ابن عبد الاحد اخطل

---

(١) المحفوظات : مجلد ١٠

٥ – مراسلات البطريرك والاسقف بهنام

ظل البطريرك الانطاكي والاسقف بهنام بشارة يتراسلان في الشؤون الطائفية . وفي ٣ كانون الاول ١٧٩٣ كتب البطريرك الى الاسقف يهنئهُ لنجاحه في اجتذاب ٣٠ عائلة في قرقوش مع قسيسها الى الايمان المقدّس . ثم فوّض اليه ان يقدّس زيت الميرون مرّةً في كل ثلاث سنوات وشرط ان تُقضى رتبة التقديس بحضور سبعة قسوس .

الفصل التاسع عشر

بواكير قسوس دير الشرفة (١٧٨٦ — ١٨٠٠)

أزهرت الكرمة التي نصبها البطريرك ميخائيل المغبوط في حقل دير سيدة النجاة بالشرفة . ونضجت عناقيدها الحلوة . فتلذّذ البطريرك بعذوبتها وأَحبّ ان يشاطره مذاقَها شعبُه السرياني المحبوب . وقد أَحببنا ان نفرز هذا الفصل لذكر بواكير القسوس الذين تخرّجوا على يد مؤسّس الدير ثم انطلقوا لخدموا النفوس في مختلف الابرشيات .

ولا بد لنا من الاشارة ههنا الى اعتناء البطريرك المغبوط بتثقيف فئةٍ من تلامذته وتهيئتهم للانطلاق الى اكليريكية بروبغندا برومية لينجزوا هناك العلوم الكهنوتية . فقد سيّر سبعة من اولئك التلامذة الى رومية في السنة ١٧٩٢ وكتب في هذا الصدد الى وكيله القس الياس ابرهيمشاه شدياق قال :

« . . . ان ٧٠٠ ريال المرسلة من ولدنا الربّان ايليا خصصناها بالاولاد السبعة الذين ارسلناهم الى مدرسة انتشار الايمان . وبعضهم من حلب وبعضهم من الموصل وبغداد . . . والآن ديرنا يحوي ١٧ نفرًا ما عدا الضيوف والشحادين . . . » عن دير سيدة النجاة ١٠ ايلول ١٧٩٢ » .

وكان هؤلاء التلامذة الاوفياء يكتبون الى السيد البطريرك المرّة بعد

المرّة ولاسيما في فرصة المواسم الكبيرة ويطلعونه على احوالهم · واليك بعد هذا التفصيل ذكر الكهنة الذين تخرّجوا في دير الشرفة على يد البطريرك ميخائيل المغبوط واحداً فواحداً :

١ - الاب يوسف القطربليّ

هو الشماس زكريا ابن الخوري اسحق الذي رافق البطريرك المغبوط في سفره الشاق كما ذكرنا في الفصل السابق · وقد علّمه البطريرك نفسه العلوم الكهنوتية ثم سامه قسيساً في ٢٤ اذار ١٧٨٨ واخيراً رقاه الى الكرامة الاسقفية في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ وسماه يوليوس انطون · وقد خلفه في رئاسة دير سيّدة النجاة وفي النيابة الرسولية وستأتيك أخباره في فصول متتابعة ·

٢ - الاب ميخائيل ضاهر الحلبيّ

قدم الى دير الشرفة شابًا يافعاً في السنّ الرابعة والعشرين · وكان ملمًا بكلتا اللغتَين السريانيّة والعربيّة موصوفاً بصلاح السيرة · فلقَّنه البطريرك المغبوط أصول العلوم الكهنوتيَّة ثم رقّاه في ٣ تموز ١٧٨٨ الى الرتبة القسوسيّة[1] · وبعثه الى حلب ليخدم النفوس · فنهض بوظيفته نهوض افاضل الكهنة · وتداولت الرسائل بين البطريرك وبينه فكان يمتثل أوامر استاذه ونواهيه في كلّ شيء حتى اشتهر بين اقرانه الكهنة باخلاصه وتفانيهِ فضلًا عن صلاحه وثقافتهِ · وقد أهلته فضائله وعلومه ان يخلف معلّمه المغبوط في الكرسيّ الانطاكيّ كما سيجيء ·

٣ - الاب يوحنا عاقل الحلبيّ (١٧٨٨ - ١٨١٩)

يُعدّ هذا الخوري في مقدّمة القسوس الذين أبرموا النذور الثلاثة طبقاً لمرسوم مؤسس دير سيّدة النجاة · وقد تمّ ذلك في ٢٦ تشرين

---

(١) المحفوظات ١٧ : ١٩

الاول ١٧٨٨[١] . وعلى اثر سيامته الكهنوتيّة قضى ردحاً من الزمان يناظر الرهبان في دير مار افرام الرغم بلبنان . وبعد ذلك انطلق بامر البطريرك الانطاكيّ الى حلب وطنه مثابراً على خدمة النفوس حتى توفاه الله تعالى عام ١٨١٩

٤ – القس يعقوب الامدي (١٧٨٩ – ١٨٠٦)

أدّى هذا القسيس الغيور للسيّد اغناطيوس ميخائيل جروة خدماً بنويّة جلّى أهلته لقبول درجة الكهنوت المقدّسة عام ١٧٨٩ وقد عاد الى دياربكر مسقط رأسه وخدم النفوس حتى آخر حياته عام ١٨٠٦

٥ – القس توما الرهاويّ (١٧٩٠ – ١٨١٧)

كان في جملة الفتيان الذين رحّب بهم السيّد ميخائيل جروة في اول عهد افتتاح دير سيّدة النجاة . وهو الذي تولى تثقيفه في المزايا والعلوم الكهنوتيّة ورقّاه الى الرتبة المقدّسة عام ١٧٩٠ وتوفاه الله تعالى عام ١٨١٧

٦ – الخوري يوسف اليان الدمشقيّ (١٧٩١ – ١٧٩٦)

تلقى العلوم اول بدء في دير مار افرام الرغم وأنجزها في دير سيّدة النجاة وارتقى الى الرتبة المقدّسة نحو السنة ١٧٩١ ووجهه البطريرك ميخائيل المغبوط الى القاهرة فتولّى هناك ادارة مدرسة الآباء الفرنسيسيّين . وفي السنة ١٧٩١ المذكورة وجّه البطريرك عينه منشوراً أبويّا الى أبنائه السريان في القطر المصريّ بشأن الاعياد والاصوام المفروضة صدّره باسم الخوري يوسف اليان الدمشقيّ والخوري شكرالله براغيت . ولم تستغرق مدّة الخوري يوسف اكثر من خمس سنوات فتوفاه الله تعالى في ميعة شبابه في تشرين ١٧٩٦ وحبس جميع مخلّفاته لدير مار افرام الرغم .

---

(١) مخطوطة دير الشرفة ٧ – ٩

٧ - القس يوسف سريان الرهاوي (١٧٩٢ - ١٨٢٦)
٨ - القس حنا قرقور الصددي (١٧٩٢ - ١٨٢٧)
٩ - القس جبرائيل طعمة الراشياني (١٧٩٢ - ١٨٢٣)

هؤلاء القسوس الثلاثة استقبلهم البطريرك ميخائيل المغبوط في ديره ودرّسهم حقبة من الزمان ومرّنهم على الفضائل الضروريّة للخلاص . ثم رقّاهم الى الرتبة الكهنوتيّة عام ١٧٩٢ وفي قلبه آمال وثيقة بنجاحهم في دعوتهم المقدّسة وتأييد ابناء أوطانهم في العقيدة الكاثوليكيّة . غير اننا لم نقف على شيء من اخبارهم .

١٠ - القسّ يوسف مقدسي نعوم الماردينيّ (١٧٩٣ - ١٨٣٦)
١١ - القسّ يوسف حوّاره الحلبيّ (١٧٩٣ - ١٨٢٥)

هذان القسيسان اعتكفا على الدرس والمطالعة في دير سيّدة النجاة حتى أحرزا من العلوم الكهنوتية نصيبهما . ثم ارتقيا معاً في السنة ١٧٩٣ الى الرتبة المقدّسة وخدم الرعية كلٌّ منهما في وطنه حتى وفاتهما .

١٢ - القسّ يوسف صُبيّ الحلبيّ (١٧٩٣ - ١٨٢١)

أكبّ على اقتباس العلوم الاوّلية في دير الشرفة حتى ٢٤ تشرين الثاني ١٧٩٠ ثم استأنف الدروس الفلسفية واللاهوتية حتى ٢٨ حزيران ١٧٩٣ فارتقى الى الدرجة المقدّسة . ووجّهه البطريرك الانطاكي الى حلب ليخدم النفوس . وفي السنة ١٨٠٩ عُيّن خادماً لرعية مصر القاهرة فنهض بمهمته نهوضاً حسناً حتى السنة ١٨٢١ وخلّف الدير الذي فيه تثقف عقاراً في القاهرة .

١٣ - القس جرجس ماردينيّ (١٧٩٤ - ١٨٢٣)

ارتقى هـذا القسيس الى الرتبة المقدّسة في ١٥ آب ١٧٩٤ بعدما أكمل علومه في دير سيدة النجاة بالشرفة . ووجهه البطريرك ميخائيل في

٢٣ نيسان ١٧٩٦ الى راشيا لينهض بخدمة النفوس ويرمم كنيسة مار الياس المتداعية . وكتب القس جرجس الى السيد البطريرك يخبره بوصوله ويهدي تحياته الى القس جبرائيل والقس يوسف والقس سمعان والقس اصلان الخ[1] وحلّت وفاته سنة ١٨٢٣ ولسنا ندري أين قضى أجلَهُ .

١٤ – الخوري جبرائيل سريدار الحلبي (١٧٩٥ – ١٨٤٥)

وصل الى دير الشرفة في ١٩ كانون الثاني ١٧٨٨ وقد ملأت الآمال الطيبة جوانحه فاكب على اقتباس العلوم والفضائل حتى ارتقى في ١ تشرين الاول ١٧٩٥ الى الرتبة الكهنوتية .

ثم رقّاه البطريرك اغناطيوس بطرس جروة الى رتبة خورفسقفوس في ٨ كانون الثاني ١٨٢٢ في كنيسة مار افرام الرغم مكافاة لغيرته وتعبه. وقد خدم النفوس ٥٠ سنة كاملة حتى وافته المنون عام ١٨٤٥ .

١٥ – القس يوسف سكّر الحلبي (١٧٩٥ – ١٨٢٩)

رحّب به البطريرك الانطاكي وهو ينظر اليه نظر أبٍ عطوف الى ابن يفتقر الى الحماية والحبّ والعون . وقد قرأنا رسالة كتبها البطريرك المغبوط بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٧٩٦ الى وكيله الخوري روفائيل طنبرجي في حلب يقول : « رسمنا ولدنا الشماس يوسف سكّر قسيساً واوصيناه ان يقدّس في الجمعة (الاسبوع) ثلاثة ايام بالسرياني . وكنّا نرغب من اولادنا الكهنة جميعاً ان يكملوا هذا الترتيب باللغة السريانية[2] .. » يستنتج من ذلك ان قسوس حلب منذ ذلك العهد جعلوا يؤثرون ان يكملوا خدمة القداس السرياني باللغة العربية . ولهذا اوصاهم البطريرك ان يقيموا القداس أقله ثلاثة ايام في الاسبوع باللغة السريانية الجليلة .

---

(١) المحفوظات ١٢ : ٨٨ و٩٨

(٢) المحفوظات : مجلّد ٨

وللقس يوسف سكَّر مخطوط في خزانة دير الشرفة يشتمل على علم الفصاحة والخطابة دخل في حوزته سنة ١٧٩٦[١] .

١٦ — القسّ يوسف سوخي الحلبي (١٧٩٥ - ١٨١٨)

جرت سيامة هذا القسيس في اول تشرين الاول ١٧٩٥ بعد ما قضى بضع سنوات يدرس العلوم في دير سيدة النجاة . ولم تستغرق مدته القسوسية اكثر من ٢٣ سنة فتوفاه الله تعالى عام ١٨١٨ وقد ذكرنا له مخطوطاً في خزانة دير الشرفة عنوانه « مرآة الحق الوضيئة في شرف الملّة المارونية » ورد في آخره بالسريانية ما تعريبُه : « انتهى بيد القس يوسف سوخي الحلبي في ١٩ ايار ١٨٠٥ في دير سيدة النجاة . في عهد اغناطيوس ميخائيل ظاهر (الرابع ١٨٠٢ — ١٨١٠) قبل عودته من سفره الى رومية .. وكان في الدير ابونا مار يوليوس انطونيوس النائب البطريركي »[٢] .

١٧ — القسّ جرجس جاجة المارديني ١٧٩٥
١٨ — القسّ اصلان الماردينيّ ١٧٩٥
١٩ — الربان توما بن ملكون الامديّ ١٧٩٥

هؤلاء القسوس الثلاثة انهزموا من وجه البطرك متى الدخيل وقدموا الى دير الشرفة في ٢٤ تموز ١٧٩٥ . فرحّب بهم البطريرك الانطاكي ترحيبه باعز الابناء. وأنس اليهم وتفرّغ لتثقيفهم وتمرينهم على العادات الكاثوليكية حتى اختبروا فيها . وبعد هذا قرّروا دستور الايمان الكاثوليكي المقدّس بين يدي البطريرك والاساقفة والقسوس فحلّهم البطريرك وأذن لهم في ممارسة الاسرار . واقاموا ردحاً من الزمان في الدير ثم عاد كل منهم الى وطنه وقام بخدمة النفوس . وسمعنا شيوخ ماردين يتحدّثون غير مرّة بغيرة القس جرجس جاجة خصوصاً على اجتذاب السريان المنفصلين الى الحظيرة الواحدة .

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٤٤٩
(٢) فهرس المخطوطات صفحة ٣٥١

٢٠ – القسّ يوسف اليان البغدادي (١٧٩٧ – ١٨٠٤)
٢١ – القسّ يوسف الآمدي (١٧٩٨ – ١٨١٨)

لم نعثر على شيء من اخبار هذين القسيسين الموقرين اللّذين اعتكفا على الدرس والمطالعة واقتباس المزايا الكهنوتية ردحاً من الزمان في دير سيدة النجاة ثم انطلق كلٌ منهما الى وطنه وقام بخدمة النفوس حتى وفاته .

فهؤلاء الكهنة يُحسبون باكورة ثمار دير سيدة النجاة بالشرفة منذ تأسيسه حتى السنة ١٨٠٠ . وقد ضربنا الصفح عن ذكر فريق من الفتيان او الشبّان الذين أَمّوا هذا المعهد المبارك ومكثوا فيه مدّة قصيرة ام طويلة ثم عادوا الى اوطانهم دون ان يتمموا دروسهم . نذكر منهم مثلاً الفتى مينا ابن المعلم عبدالله مباركشاه الذي وصل الى دير الشرفة في آب ١٧٩٢ وتعلّم السرياني والعربي والكتابة . ثم قفل راجعاً الى مصر القاهرة . وقس عليه الشماس يعقوب بوطو الامديّ الذي رافق البطريرك ميخائيل المغبوط من ماردين الى كسروان وظلّ قائماً بخدمته حتى ١٤ اذار ١٧٨٥ ثم استأذنه في العودة الى دياربكر وطنه . والشماس توما (دلّال) جدّ السيد المطران قرلُس جرجس دلّال مطران الموصل وقد ترك الدير في ١٨ ايار ١٧٨٩ وعاد الى بلده الخ الخ .

الفصل العشرون

اواخر حياة البطريرك ميخائيل الثالث ورقاده بالربّ

قضى البطريرك الانطاكي المغبوط اواخر حياته مفعمَ القلب آمالاً وثيقة بنجاح مساعيه الرسولية لا في دير سيدة النجاة فحسبُ بل في جميع الابرشيات السريانية بدءًا من حلب الى الرها وديار بكر الى ماردين والموصل الى بغداد والبصرة الى دمشق والنبك الى بيروت ولبنان الى القطر المصري .

١ – رسائل البطريرك ميخائيل ومناشيره الوافرة .

وهذه الرسائل الجمة الواردة اليه من تلك المدن وملحقاتها والاجوبة عليها جواباً فجواباً تبرهن برهاناً قاطعاً صادعاً على غيرته وتفانيه في تعزيز شعبه السرياني . وقد جمعنا نحن تلك الرسائل رسالةً فرسالةً وضمناها في ٢٦ مجلداً ضخماً تولّى تجليدها على نفقته صديقنا الفيكنت فيليب دي طرّازي الوجيه الكريم . ولا شك في ان البطريرك الغيور الهمام قد وجّه الاجوبة الكافية الوافيه على تلك الرسائل برمتها . وقد حُفظت نسخ بعضها بخط يده المباركة حتى اليوم . بيد اننا لم نعن بتنظيمها وتنسيقها عنايتنا بتنظيم الرسائل والعرائض الواردة اليه .

وهناك مناشير رعويّة دينية وطقسية وجدليَّة بعث بها الى مختلف المدن والقرى ولاسيما حينما أجمعت الامة السريانية قاطبةً على انتخابه للكرسي الانطاكي . وقد أحصينا منها ٢٣ منشوراً خصصها البطريرك المغبوط بجماعات ماردين وقراها فقط كجماعة قلعة المرأة وبيعة الاربعين وبيعة مار ميخائيل وبيعة الشهيدة شموني وقرى الكولية والمنصورية وبنابيل والابرهمية الخ الخ. هذا ما عدا مناشيره المتواترة الى حلب والى الموصل وهي كلها تدل على روحه النقي وعلى غيرته الوقادة وعلى اهتمامه المتواصل باجتذاب جميع المنفصلين الى الحظيرة الواحدة . وبالنتيجة ساغ له ان يقول ما قاله رسول الامم لجماعة غلاطية وهو : « انظروا ما اعظم الرسائل التي كتبتُها اليكم بخط يدي » (غلاطية ٦ : ١١) فقد نصح وثقّف وحاجج وبكّت وعلّم وفقّه وفصَّل كلمة الحقّ بإحكام واناةٍ وفطنة دون محاباة او حياء .

هذا ما عدا دفاتر حساباته المدقّقة يوماً فيوماً وشهراً فشهراً وسنةً فسنةً . وهي محفوظة حتى اليوم في ديره .

ولا بد لنا من اثبات عبارة كتبها هذا البطريرك الغيور الى رئيس المجمع المقدس برومية عام ١٧٧٥ على اثر مجاهرته بالعقيدة الكاثوليكية قال : « اني اعرف كل الطقوس . واني بنعمة الله تعالى مدرّب في كل

شيء ومواظب منذ صغر سني على قراءة الكتب الالهية والكنسية واقوال الآباء القديسين وتفاسيرهم. وكم من رسائل كتبتُ وبعثتُ وارشدت المؤمنين في بلاد ما بين النهرين لاجل الانضمام الى الايمان المقدس!» . ولقد راسله بطاركة المشرق والاساقفة والمرسلون والقصاد والقناصل والرهبان والراهبات والاعيان موارنة وملكيين وارمناً وكلداناً وسرياناً واوربيين . فكان يطالع تلك الرسائل برمتها ويكتب او يستكتب أجوبتها دون تأخر .

٢- رسالة البطريرك يوسف بطرس تيان الى البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة

نذكر من ذلك على سبيل المثال رسالة لطيفة كتبها السيد يوسف بطرس تيان بطريرك الموارنة (١٧٩٦ - ١٨٠٩) الى البطريرك ميخائيل يدعوه الى حضور حفلة توشيحه بالدرع المقدس هذا نصها :

« ايها الاخ الكلي الطوبى البطريرك اغناطيوس ميخائيل بطريرك السريان الكلي القداسة

« المعروض على اخوتكم بعد قبلة اياديكم المقدسة والسؤال عن حسن خاطركم اننا اعتمدنا بتوفيق الباري تعالى على ملاقاة الباليون المقدس الممنوح لحقارتنا من الكرسي الرسولي بتفضل امنا الكنيسة الرومانية وحبرها الاعظم اب الآباء الاقدس قدس سيدنا البابا مار بيوس السادس واستقباله باحتفال واجب نهار بكرة الخميس وثاني يوم نهار الجمعة نتوشح به في قداسنا الاحتفالي بكنيسة ديرنا دير القديس مار شليطا .

« فلزم ابلاغ اخوتكم اذ نكلفكم بان تشرفوا محلكم وصحبتكم حضرة الاخوة مطارنتكم المحترمين في هذا الاحتفال المعلوم عند اخيكم انه يسرُّكم الجزيل رغبتكم نحو ما يخص نمو شأن كنيستنا الانطاكية بمقتضى ودكم الخالص . واطال الله بقاكم بكل خير .

عن دير مار شليطا ٣ كانون الثاني	اخيكم يوسف بطرس
سنة ١٧٩٨	البطريرك الانطاكي »[1]

(١) المحفوظات ٦ - ١٤٥

٣ – تأهب البطريرك ميخائيل للرحيل الى دار البقاء

منذ افتتاح السنة ١٨٠٠ جعل البطريرك ميخائيل المغبوط يردّد القول مراراً لمن حوله مصرّحاً بان تلك السنة هي خاتمة سنيّ حياته . وفي ٦ كانون الثاني وهو تاريخ عماده عام ١٧٣١ بكر الى الكنيسة وقرّب الذبيحة السرّية وأعلن بعد ذلك لشمامسه بسرائر قلبه وجعل يضاعف الصلوات والاعمال التقوية . ثم جدّد في اول شباط السنة عينها وصيته التي سبق فكتبها عام ١٧٩٠ . ولما وافى عيد الجسد الاقدس استدعى القسوس والشمامسة والتلامذة الى قلّايته وطفق يحدثهم عن شرف سر القربان وعظمته ويحرضهم على احترامه وزيارته بعواطف الاجلال كلما سمحت لهم الفرص . ثم صرّح لهم بقوله : « اني اقضي معكم الاحتفال بهذا العيد المجيد لآخر مرة » .

٤ – مأتمه

وصباح الاحد ٢٩ آب قرّب آخر قدّاس على مذبح شفيعته سيدة النجاة وشعر في ذلك اليوم بوجع أليم أقعده عن اقامة القداس في اليوم التالي فتناول القربان الاقدس في ٤ ايلول . ومُسح بزيت المرضى بحضور جمهور الدير أجمع . ثم باركهم قاطبة واستمطر عليهم وعلى ابناء طائفته وعلى المحسنين والمحسنات الى ديره وعلى اصدقائه وخصومه معاً غيوث البركات السماوية والخيرات الارضية . وفي ذلك اليوم زاره السيد غريغوريوس بطريرك الارمن المغبوط ومنحه الحلة الاخيرة والغفران الكامل وقد لفظ روحه الطاهرة بين يديه . وظل جثمانه المبارك ٤٨ ساعة اعني يومين كاملين كان الاقليرس يتناوبون اذ ذاك في زيارته والصلاة لراحة نفسه ليلَ نهار .

وصباح ٦ ايلول احتشد الاقليرس من اطراف الجبل اللبناني يتقدمهم البطريرك يوسف تيان المغبوط واساقفته الاجلاء والبطريرك غريغوريوس المشار اليه واقليرسه ورؤساء الديورة والرهبان والقسان واشتركوا في

صلاة الجناز بعوامل الخشوع والاسف على فقدهم تلك الجوهرة الثمينة . وابّنه صديقه السيد اغناطيوس صرّوف مطران بيروت الملكي بعبارات جميلة مؤثرة جداً ومما قاله : « اننا خاطبناكم مراراً عن الرسل الاطهار . والآن ظهر مَن عادَلهم بالفضل والقداسة . وهو قدس السيد اغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك اخوتنا السريان المضطهد من اجل الايمان القويم . فهو الرجل القديس العامل والرسول الشهم والراعي الغيور الفطن . . . »

وعلى اثر ذلك طاف به الاقليرس في ذلك المصلى الجميل ثم لحدوه متوشحاً بالبدلة الحبرية جالساً على الكرسي في المغارة التي تحت المذبح تغمّد الله تعالى نفسه باغزر رحماته .

الفصل الحادي والعشرون

مزايا البطريرك ميخائيل المغبوط

انتشرت منعاة البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس ميخائيل الثالث في الابرشيات السريانية جمعاء فاستعظم المصاب ابناؤه البررَة وذرّفوا الدموع الغزار على خسارة ابيهم وعميدهم الكبير . وتناقلوا اخبار مناقبه الشريفة ومشاريعه العظيمة . واثبتوا له بعض آيات اجراها الله القدير على يد وليّه في اثناء حياته [1] . ولقد جادت عليه النعمة الالهيَّة بنفس شهمة كريمة وعزيمة راسخة قوية فبذل ما لا مزيد عليه من الغيرة والهمة والنشاط في سبيل رعيته وتلامذته . ولم يفتر عن النهوض بفروضه . ولم يقصِّر في تكميل واجباته ولم ينحرف عن غايته المقدسة . بل كابد ما شاءت الاحكام الربانية ان يكابده من المحن والمضادّات والرزايا حتى الحّت عليه الشيخوخة وأضنته ونهكت قواه فاستودع ابناءه الحاضرين والغائبين

(١) مخطوط دير الشرفة ٦ – ٢٧ صفحة ٣٧٥

سيدة النجاة شفيعته ومحاميته ومعينته في كل ادوار حياته وراح ينال اكليل صبره وجهاده ·

والى القارىء الحبيب بعض ما صرح به رهط من احبار الكنيسة الكاثوليكية وفي طليعتهم الحبر الروماني ابو المؤمنين العامّ ·

١ – البابا بيوس السابع والبطريرك ميخائيل

ما بلغت وفاة البطريرك الانطاكي مسمع البابا بيوس السابع (١٨٠٠–١٨٢٣) حتى صرّح لرهط الكرادلة بهذه العبارة الذهبية قال : « ايها الاخوة المكرمون · لقد شملنا في الحقيقة حزن عظيم لما سمعنا خبر وفاة البطريرك الصالح الذكر اغناطيوس ميخائيل جروة الذي امتاز بوفرة صلاحه وجزيل اجتهاده حتى انه ردّ الى حضن الام الكنيسة المقدسة بطريركية السريان الانطاكية التي اختلسها اليعاقبة منذ زمن مديد · وقد ساسها بعناية تستحق الذكر مدة ١٨ سنة · · · »

٢ – بطريرك الكلدان مار يوحنا هرمز والبطريرك ميخائيل

وسبق السيد المطران يوحنا هرمز الذي تولى البطريركية الكلدانية (١٧٧٦ – ١٨٣٨) فكتب الى البطريرك ميخائيل الثالث بتاريخ ٩ نيسان ١٧٨٢ يهنئه بتنصيبه البطريركي في دير الزعفران قال :

« . . . اننا من يوم سمعنا انك ارتسمت بطريركاً واصبحت راعياً ورئيساً على الطائفة الارثوذكسية السريانية وأنـــه تعالى اقامك خزنداراً واميناً على الكرسي الانطاكي المقدس المتسلسل من الرسل : صدّق يا ابانا حينما سمعنا ذلك فرحنا فرحاً عظيماً بغير حدّ . ليس انا وحدي بل جميع اولاد طائفتنا (الكلدانية) . لاننا عرفنا ان لك غيرة بالروح ومعرفة بالعلم الروحاني والنفساني . وانك مجتهد راغب في ان تتشبّه بالرسولين المعظمين بطرس وبولس . . .

« فأبناؤك يشتهون ان يسمعوا كلماتك ويتمتعوا بحلاوة وظرافة لسانك لانك حكيم طبيب تشفي بمرهمك العجيب. ولذا قد عظمك الرب حتى اتصل خبرك الى اقطار المسكونة الاربعة . فانت هو بالحقيقة سليمان الثاني الذي قصدتك ملكة سبا وقدمت لـك الهدايا والعطايا . انت الذي من البحار والجزائر يتلهفون ويأتون لاستماع كلماتك . انت رب البيت الأمين الحكيم . اذ كملت اختيار سيدك . فتستمع الكلمة المفرحة : نعما يا عبداً صالحاً واميناً ... انت الذي تسقي ابناء رعيتك لبناً وعسلاً... فطوباك وطوبى لنفسك ! وطوبى للشعب الذي تدبره وترئسه. وطوبى لغنم رعيتك التي ترعاها على مرج العز وتغذيها في الصباح والمساء والنهار والليل . وطوبى لنا نحن الذين اهلنا الرب ان نتحد مع بعضنا . وما أحسن وما أجمل ان تسكن الاخوة سوية . فالرب يكمل معك ومعنا... » (١)

٣ – المطران اغناطيوس صرّوف والبطريرك ميخائيل

كتب هذا الحبر الجليل رسائل جمة الى البطريرك ميخائيل المغبوط . نذكر منها رسالة ارّخها في ١٥ تشرين الاول ١٧٨٥ هذا نصها :

«... اني اشكركم على العواطف الصادرة من صفاتكم الكاملة التي زيّن بها الله سبحانه اقنومكم الكامل . فلا أعدم الله عز وجل كنيسته المقدسة مثل غبطتكم . واسأله ان يمن عليّ بان اتعظ بنموذجكم... كيف لا وقدسكم من المحقق قد جددتم بايامنا هذه آثارات اولئك الشهداء الابطال الذين ابدوا

(١) المحفوظات ٢٢ : ٧٣

ايمان ابن الله تعالى وكنيسته في حياتهم نفسها . نسأل المولى ان يحفظكم ذخيرة البر وواسطة الانتصار ونموذج الكمال للجميع... » (١)

٤ - المطران شمعون الكلداني والبطريرك ميخائيل

حضر هذا المطران الجليل الاحتفال بتسليم العكاز البطريركي في دير الزعفران الى البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة كما ذكرنا . ثم كتب اليه رسالة تاريخها ٢٥ تشرين الاول ١٧٨٥ وبعث بها الى دير الشرفة قال: « وردت الينا رسالتكم العزيزة المنطوية على اخبار ما قاسيتم من المشقات والاهوال والاتعاب في سفرتكم وغربتكم . . . فحقاً لقد اضحيت اساساً وعموداً ثابتاً في البيعة الكاثوليكية . ووضعت العناية الالهية ادماسها على ايديك المقدسات . واما قولكم ان نضع نظرنا على ابناء رعيتكم فنحن ليس لنا بذلك تقصير بل هو من واجبات وظيفتنا.. » (٢)

نكتفي بهذا النزر اليسير المعلن مزايا البطريرك ميخائيل الثالث ومناقبه الحبرية . ولو تعرّضنا للاسترسال في ذكر ما كتبه احبار الكنيسة في هذا الصدد لطال بنا المجال جداً جداً . وحسبنا القول انه قضى حياته مفعمة كلها جداً وعملاً وكداً متواصلاً . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

الفصل الثاني والعشرون

اوقاف البطريرك ميخائيل لدير الشرفة

ما عدا ما اشتراه البطريرك ميخائيل المغبوط من اراض وعودات وكروم وبيوت مجاورة لديره في شرفة درعون فقد صرف الهمة لاقتناء عقارات في لبنان يسد بريعها او غلتها ما يلزم التلامذة والقسوس والمعلمين من نفقات ورواتب . واول عقار اشتراه من هذا القبيل عودات واراض في

(١) المحفوظات ٦ : ٥٩ (٢) المحفوظات ٢٢ : ٧١

مزرعة كفردبيان لعب امر بيعها وشرائها دوراً خطيراً استغرق الاخذ والرد فيه مدة عشر سنوات حتى بلغ رومية العظمى وتوسط في حل تلك المعضلة نيافة كردينال المجمع المقدس والامير حسين الشهابي واليك خلاصة ذلك :

١ – عقار مزرعة كفردبيان وما جاورها

اشتمل عقار مزرعة كفردبيان على حارة وعودة واسعة وعريشة وكرم وعلى اراض في المزرعة وفي مراح شدَّاد وفي المواصي وفي النقيرة وفي قلعة فقرا . وقد اشترى البطريرك المغبوط ذلك كله في السنة ١٧٩٣ من الشيخ حصن بن نادر الخازن بمبلغ ١٦٨١ غرشاً . وتم البيع والشراء بموجب حجة رسمية تاريخها ١٠ ايلول السنة المذكورة .

٢ – صكوك العقار المذكور

عثرنا ما بين محفوظات دير الشرفة على إضبارة من الصكوك والاوراق تحكي عن مشترى الاراضي المذكورة . نلخصها في ما يلي : ارض في جبيال بالمزرعة بمبلغ ٥٠ غرشاً عام ١٧٩٤ – توتات في ارض جيال بمبلغ ١٣٥ غرشاً في ١٥ شباط ١٧٩٤ – ارض جورة الجريد كانت في ملك الشيخ سجعان الخازن جرى مشتراها في ٩ كانون الاول ١٧٩٥ الخ .

٣ – الاختلاف في البيع والشراء

ما كاد ينتهي مشترى الاراضي والعقارات المذكورة حتى نشب الخلاف بين البائع والشاري . واضطر البطريرك المغبوط ان يراجع الامير حسين ابن الامير يوسف شهاب . فكتب اليه رسالة في حسم هذا الخلاف[١] . غير ان الاختلاف ظل مستحكماً مدة طويلة كما قلنا حتى اتصل خبره بالكرسي الرسولي فكتب رئيس المجمع المقدس الى الامير حسين ما نصه :

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٧٢ وحوى المجلد السادس من محفوظات الدير عدة رسائل من الامير حسين الى البطريرك ميخائيل .

٤ – رسالة الكردينال الى الامير حسين

« الى سمو الامير حسين شهاب امير كسروان المكرم

« ايها الامير الكلي الجلال والاقتدار

« ورد لقداسة سيدنا البابا بيوس السابع (١٨٠٠ – ١٨٢٣) ان دير القديسة مريم سيدة النجاة للسريان قد نُزعت من ارزاقه عودة كان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة السعيد الذكر قد اقتناها شرعاً عن يد الشيخ سنتو الخازن الذي اشتراها من جرجس طراد . . . وقد حدد الاب الاقدس ان تسلم الدعوى الى غبطة بطريرك قيليقية الارمني ليبتّ فيها ثم تُعرَض تحديداته على سعادتكم . والاب الاقدس واثق بسموكم للحصول على النتيجة المرغوبة . . .

الخادم

« دومنيكوس رئيس اساقفة ميرا — الكردينال ميخائيل دي بيترو

كاتم الاسرار — رئيس المجمع

« رومية من مجمع بروبغندا ٢١ كانون الاول ١٨٠٥ » [١] .

٥ – رسالة القس بطرس جروة من رومية الى رئيس الشرفة

وكتب القس بطرس جروة الى المطران يوليوس انطون رئيس دير الشرفة في هذا الصدد قال : « . . . اخبركم ان العناية الالهية سهلت لي الحصول على ثلاثة مكاتيب من المجمع المقدس على لسان الحبر الاعظم . الواحد الى الامير حسين به يظهر ان الاب الاقدس يعلن حمايته لدير سيدة النجاة وللحقوق الكنسية . ويصرح بانه يجب اعادة الشريعة والنظر في دعوى ارزاق مزرعة كفردبيان . والثاني الى البطريرك غريغوريوس الارمني (١٧٨٨–١٨١٢) الكلي الطوبى وقد انتخبه قداسته لينظر جديداً في هذه الدعوى نيابة عنه . والثالث الى البادري لويس العازري ليبحث

(١) المحفوظات : رسائل القس بطرس جروة : رقم ٢٢٤

الامير حسين ويقنعه بوجوب اعادة الشريعة. . . » [١] اعني اعادة العقارات الى دير الشرفة ·

يُستخلص مما سردناه ان البطريرك غريغوريوس المغبوط قرر ان تعود ارزاق مزرعة كفردبيان الى دير الشرفة وأيد سمو الامير حسين الشهابي تقريره · وما برحت تلك الارزاق في حوزة الدير الى هذا العهد ·

٦ – سائر عقارات البطريرك ميخائيل المغبوط

قرأنا في محفوظات دير الشرفة اسماء عقارات اخرى اشتراها البطريرك ميخائيل المغبوط في برج البراجنة وحبسها لدير الشرفة وهي سبعة كروم

اً – كرم زيتون رقم ١٧٨ اشتراه من يوسف شاهين ومن ابن عمه ضاهر ·

٢ً – كرم زيتون اشتراه من طانيوس بونصار واخيه موسى رقم ١٧٩

٣ً – كرم زيتون من موسى بو نصار رقمه ١٨٠ اشتراه سنة ١٨٠٠ الخ. الخ ،

وعلاوة على كل ما تقدم فقد خلف هذا البطريرك الخالد الاثر لدير سيدة النجاة راسي مال أودِعا في رومية · وكمية راس المال الاول مبلغ ٣٨٠٠ سكوت روماني · وكمّية راس المال الثاني ١٦٥٠٠ سكوت روماني · وصرّح البابا بيوس السابع بذلك في براءة تاريخها ١ نيسان ١٨٠٦ [٢] ·

الفصل الثالث والعشرون

مكتبة البطريرك ميخائيل في دير الشرفة وتآليفه

اشتملت مكتبة مؤسس دير سيدة النجاة في الشرفة على خزانتين كبيرتين ضمت الاولى كتباً مخطوطة والثانية كتباً مطبوعة · وقد ثابر البطريرك على مشترى الكتب ونسخها واستنساخها منذ حداثة سنه ·

(١) فيه رقم ٩٢

(٢) عريضة القس بطرس جروة الى رئيس المجمع المقدّس بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٨٠٦

وجمعها في غرفةٍ خصوصية ببيت والده الشماس نعمةالله جروة (+ ١٧٨٨) ثم نقلها الى القلاَّية المطرانية وحرص عليها حرصه على أثمن التحف وأغلى الدرر.

١ – نقل الكتب الى دير الشرفة

ولما استتبَّ الأمر للبطريرك المغبوط وقرَّر الاقامة في لبنان وأسس ديره هـذا الجديد كتب الى اخوتهِ ووكلائهِ ان يجمعوا تلك الكتب ويبعثوا بها اليه في صناديق محكمة مع رجال امناء. فقاموا بما أمرهم وارسلوها اليه مع ستّ قوافل القافلة تلو القافلة كما يُستفاد من دفتر حساباته. ثم اعدّ لها غرفة واسعة تجاه غرفتهِ هي غرفة المكتبة الخطيَّة والاواني والحلل البيعية الثمينة حتى يومنا.

٢ – نشر فهرس المخطوطات

تلبيةً لطلب السيد الجليل المطران اقليميس ميخائيل نجاش رئيس دير الشرفة (١٩٢٢ – ١٩٢٦) انصرفنا في صيف السنة ١٩٢٥ الى فحص مخطوطات دير الشرفة والوقوف على مضامينها مخطوطة مخطوطة. ثم انشأنا لها فهرساً مطولاً ونشرناه بالطبع عام ١٩٣٦ في ٥٤٠ صفحة. ويطالع القارىء النجيب في تضاعيف كتابنا المذكور اسم البطريرك ميخائيل الحميد الآثار في اغلب تلك المخطوطات مكتوباً بخطّ يده المباركة منذ كان شماساً حتى عهد بطريركيته. هذا ما عدا مخطوطات طقسية استنسخها هو اجابةً الى طلب بعض الاساقفة والكهنة وبعث بها اليهم وأَمرهم ان يمارسوا تلك الطقوس في كنائسهم دون انثلام شيء منها.

٣ – كتب البطريرك ميخائيل المطبوعة

اما خزانة الكتب المطبوعة فقد ضمت رفوفها اسفاراً ثمينة نادرة يشاهد في اولها او في اخرها اسم صاحبها المذكور في الخير مكتوباً بخط يده وموقعاً بامضائه وختمه. نذكر منها خصوصاً المكتبة الشرقية للعلامة

المونسنيور يوسف السمعاني الحميد الآثار . ففي كلٍّ من مجلداتها الاربعة يُقرأ ما نصه: « هذه الكتب الاربعة التي للسمعاني هي ملك اغناطيوس ميخائيل جروة البطريرك الاول على الكرسي الانطاكي السرياني الكاثوليكي . ومن بعد وفاته تكون وقفاً مؤبداً مخلداً لدير سيدة النجاة الكرسي البطريركي للسريان الكائن بشرفة درعون في كسروان . ومن اخرجها من هذه الوقفية يكون تحت طائلة الحرم صح صح . وكان ذلك في ١٥ ايلول سنة ١٧٨٧ للتجسّد الالهي »

وقس على المكتبة السمعانية ثلاثة مجلّدات من تآليف ابينا مار افرام الملفان المعظم في السريانية واللاتينية طبع السمعاني والاب بطرس مبارك . والانجيل السرياني الذي نشره القس موسى المارديني عام ١٥٥٥ في ڤيينّة . والانجيل السرياني الذي نشره عام ١٦٦٤ المستشرق اجيديوس في همبورغ وكتاب النافور الماروني المطبوع اول مرة عام ١٦٩٥ في رومية الخ .

مآثر كتب البطريرك ميخائيل

بعد استحضار الكتب المخطوطة والمطبوعة من حلب الى دير الشرفة كما ذكرنا كتب الخوري روفائيل والخوري جبرائيل والقس حنا الى البطريرك المغبوط بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٧٨٨ يقولون : « نجيب عن مشرفتكم الثالثة التي فيها تذكرون عن نقص الكتب : اننا واجهنا حضرة اخيكم الشماس يوسف وشقيقتكم مادلينا ونسول والشماس جرجي وقرأنا لهم البراءة الرسولية بخصوص وقفية الدير وثقلنا ذمّتهم فلم نرَ عندهم سوى ٢٩ كتاباً كتبنا اسماءها بورقة واصلة طيه . وعلى ما نرى ان ضبط الكتب كلها لا يتمّ الّا من بعد وصولها كلها الى قدسكم...»(١)

(١) المحفوظات : مجلد ٧

٥ – تصانيف البطريرك ميخائيل وشروحه

على رغم ما انتاب البطريرك ميخائيل المغبوط من الكوارث والغوائل وعلى رغم ما قام به من الاسفار الشاقة في اثناء اسقفيته وبطريركيته على ما شرحنا فقد خصص جانباً من اوقاته الثمينة للتأليف والترجمة. ونشير ههنا اشارة خفيفة الى ما وقفنا عليه منها وهي:

١ – صلوات قانونيّة للايام الثمانية التالية لعيد الجسد وعيد قلب يسوع الاقدس. انشأها البطريرك ميخائيل وسبّقها بمقدّمة في كيفية الاحتفال بزياح القربان الاقدس والتطواف في كنيسة حلب[1].

٢ً – نبذة في سرّ التجسد. ٣ً – نبذة في التقاديس الثلاثة.

٤ً – نبذة في انبثاق الروح القدس من الآب والابن ٥ً – نبذة في حقيقة وجود المطهر.

٦ً – ترجم البطريرك المغبوط عدّة حسّايات عن السريانية الى العربية

٧ً – نظم صلوات جنّاز الموتى

٨ً – انشأ قوانين للبنات او الراهبات العابدات

٩ً – نظم قوانين محكمة يجري بموجبها كهنة بيعة حلب وقندلفتها

١٠ً – ضبط عدة نوافير للقدّاس واستنسخها على ورق صفيق وأعدّها للطبع منذ السنة ١٧٦٠ وهذه المخطوطة محفوظة في مكتبة دير الشرفة حتى اليوم[2].

ههنا نختم كلامنا الوجيز عن مؤسّس دير سيدة النجاة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث الحميد الآثار. ونحن على يقين تامّ من اننا مقصرون ومقصرون جداً عن توفيته حقه من الثناء والوفاء. وحسبه انه صرف الى تكوين هذا المعهد الكهنوتي كلّ مساعيه. وانفق في تعزيزه كلّ همته. فنسأل المولى تعالى بلساننا الحقير والسنة تلامذة ديره قاطبة ان يجزل له المكافأة المضاعفة ويمتع نفسه البارّة مع الأحبار المغبوطين في جنات النعيم آمين.

(١) فهرس المخطوطات صفحة ١١٥ الخ (٢) فهرس المخطوطات صفحة ٥١

القسم الثالث

دير الشرفة منذ السنة ١٨٠٠ حتى السنة ١٨٤٢

الفصل الاوّل

البطريرك اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر ودير الشرفة
(١٨٠٠ ـ ١٨١٠)

مار اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر

على أثر انتقال البطريرك الانطاكيّ مار اغناطيوس ميخائيل الثالث الى جوار ربّه تولّى رئاسة دير الشرفة السيّد يوليوس انطون القطربليّ . واليه فوّض الحبر الرومانيّ مار بيوس السابع ان يقوم بالنيابة الرسوليّة ريثما ينتهيّأ انتخاب خلف للبطريرك المثلّث الرحمات .

١ – انتخاب اسقف الموصل للبطريركية واستعفاؤه

اجتمع النائب الرسوليّ بالسيد ايونّيس نعمةالله مطران دمشق وراشيا

وشاوروا السيد لويس غندلفي القاصد الرسولي فوقع اختيار ثلاثتهم على السيد قرلس بهنام بشارة اسقف الموصل · وكتبوا اليه يستدعونه الى الدير· غير انه استعفى بكل قواه لدواع صوابية فأعفوه واصطفوا الخوري ميخائيل ضاهر الحلبي تلميذ دير الشرفة «المشهور بصلاحه وعلمه وثباته» · فكتب اليهم هذا المنتخب جواباً مفعماً من التوسل والالحاح ليعفوه من تلك الوظيفة السامية محتجاً بعدم كفاءته ·

٢ - استعفاء الخوري ميخائيل ضاهر

الى القارىء نص الجواب الذي كتبه الخوري ميخائيل بتاريخ ٨ ايلول ١٨٠١ الى النائب الرسولي قال :

«... وصل الى عبدكم تحريركم المملو شوقاً منكم والمملو انعكاساً من عبدكم بخصوص الانتخاب البطريركي الذي ما تصورته ... فأجيب انا عبدكم انه غير ممكن ان اقبل هذا الانتخاب اولاً : من قبل عدم معرفتي الكافية . ثانياً : من قبل شراسة اخلاقي . ثالثاً : من قبل صغر سني · رابعاً : من قبل تعلقاتي الحاصل انا فيها · خامساً : ان كنتُ لا اعرف أسوس ذاتي فكيف اقدر ان أسوس ابرشيّات عالية ؟

«وعليه فاني انا عبدكم اترامى على اقدامكم بدموع مترادفة · وبقلب ممزق أسألكم باحشاء مراحم يسوع ان تعفوا عبدكم من هذا الانتخاب الذي ما يقدر عقلي يتصوره ... واصبحتُ متوقفاً عن ممارسة الأسرار الالهية كلياً بسببه ... وقد اضطررتُ ان أمسك ساعياً خصوصياً لارسل اليكم هذا الجواب بقصد ان تعفوني من هذا الانتخاب ...» ·

لكن الاساقفة كرروا الطلب والالحاح على الخوري ميخائيل في الشخوص الى دير سيدة النجاة والخضوع لاشارتهم · وجرت بين الفريقين مراسلات في هذا الصدد أسفرت اخيراً عن اضطرار الخوري لقبول الدعوة ·

٣ - بطريركية السيد ميخائيل ضاهر

لم يرَ الخوري ميخائيل ضاهر بعد مراسلات استغرقت اكثر من سنة الّا الخضوع والانقياد للامر · فأقبل الى دير الشرفة واعتكف اسبوعاً في اعمال الرياضة · وصباح الاحد ٤ ايّار ١٨٠٢ احتفل المطران يوليوس انطون بالسيامة يعاونه السيد يوسف بطرس تيّان بطريرك الموارنة والسيد غريغوريوس الخامس بطريرك الارمن والسيد اغناطيوس صروف مطران بيروت والسيد ايونيس نعمةالله مطران دمشق وراشيا ونادوا به بطريركاً انطاكيًّا باسم « اغناطيوس ميخائيل الرابع » · وباشر وظيفته بمنتهى التفاني لا في سبيل تعزيز الطائفة جمعاء فقط بل في سبيل رقيّ دير سيدة النجاة دعامتها وركنها ايضاً ·

٤ - تأييد الحبر الاعظم للبطريرك الجديد

في ٢٠ كانون الاوّل ١٨٠٢ ايّد الحبر الروماني البابا بيوس السابع انتخاب البطريرك ميخائيل الرابع ومنحه درع التثبيت وأعلنه بطريركاً انطاكيًّا وراعياً عاماً للطائفة السريانية · فاعتزم البطريرك الجديد ان يزور الاعتاب الرسولية وغادر دير الشرفة مستصحباً القس بطرس جروة ووصل الى رومية في شباط ١٨٠٤ وزار خليفه مار بطرس راس الرسل ثم عاد الى الدير عام ١٨٠٥ واقام فيه ثلاثة اعوام صارفاً الجهود في تعزيز التلامذة والاوقاف معاً ولم يغمض عن احداث بناء جديد فيه ·

٥ - مشاريع البطريرك في دير الشرفة واوقافه

نسج البطريرك ميخائيل ضاهر على منوال سالفه مار ميخائيل الثالث في ملاحظة دير الكرسي البطريركيّ ورقيهِ · وانجز عمارة رواقهِ التحتاني عام ١٨٠٧ ثم كتب بتاريخ ٢٤ آب تلك السنة الى القس بطرس جروة وكان يومئذٍ في القاهرة يقول :« ·· لا يمكننا الآن ان نحوّل لك الذي

غرش لاجل شراء دار في مصر لكوننا مهتمين في عمارة رواق الدير وغيره . ويلزمنا لذلك كلف ومصاريف زائدة . ربنا يكمل المقاصد بالخير . وان شاء احدٌ من اولادنا المسيحيين ان يعمل همّة في عمار الدير فنرغب ان تحرّروا اسماءهم في ورقة وتعرّفونا عنهم . ويجب ان تنهوا اشغالكم وتحضروا الينا قبل دخول الايام الباردة . وقد حررّنا في ذلك الى الاب شكرالله ايضاً ليحضر سريعاً والرجاء اننا نشاهدكم بخير وعافية ..»

ثم ان البطريرك المغبوط اشترى بعض اراضٍ حبسها لدير الشرفة نذكر منها :

١ً – نصف عودة الشيخ كليم الخازن في جونية اشتراها البطريرك في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٠٦ بمبلغ ٤٧٨٦ غرشاً . ٢ً – ارض سليخ في شعرة التحتا بخراج مزرعة كفردبيان اشتراها عام ١٨٠٧ من فرجان وكنعان الخازن . ٣ً – اشترى عام ١٨٠٧ من الشيخَين المذكورَين قطعتَي ارض في المزرعة بمبلغ ٨٢٠ غرشاً . ٤ً – كرم في شميس بالمزرعة اشتراه في ٢ كانون الاول ١٨٠٧ بمبلغ ٢٣٥ غرشاً من الشيخ سمعان . ٥ً – ارض في ساقية ابو الدبس بالمزرعة ايضاً اشتراها في ٨ كانون الاول ١٨٠٧ بمائة غرش . ٦ً – نصف ناعورة في سهل جونية اشتراها من كليم وايوب ويعقوب الخازن في ٢ شباط ١٨٠٨ بمبلغ ٣٧٥ غرشاً .

٦ – انتقال البطريرك ميخائيل الرابع الى دير مار افرام الرغم

منذ السنة ١٨٠٥ حدث بين البطريرك وبين المطران انطون والخوري بطرس جروة خلافٌ بسبب وصية سلفهِ مار اغناطيوس ميخائيل الثالث . فرأى ان يرفع القضيَّة الى الكرسيّ الرسوليّ ليبتّ فيها بما يراه .

وفي ١١ ايار ١٨٠٨ انطلق الى دير مار افرام بالشبانية ينتظر جواب رومية . واغتنم فرصة اقامته في ذلك الدير فاشترى عدة اراض وقفها لرهبانه نذكر منها : جلّ العين اشتراه من نجمة بنت عسّاف بو مغلبية .

واشترى كذلك كرماً في الغابة بالوطا وسليخات في عين عدي . وجلاً في راحة الدقاق . وجل توت في النواويس . وسليخاً في قلعة النقش . وكرماً في عين الباردة الخ الخ . وتتناقل الألسنة ان حرج الصنوبر الكبير الذي تحت دير مار افرام الرغم هو الذي امر ببذره وزرعه .

٧ – استقالة البطريرك ميخائيل الرابع

اعتمد البطريرك ميخائيل على الاستقالة من اثقال البطريركيّة الانطاكية اعتماداً تامًّا . وفي ايلول ١٨١٠ عُقدت جمعية في دير الآباء الفرنسيسيّين بحريصا حضرها السيد يوسف تيّان بطريرك الموارنة السابق والقاصد الرسولي والمطران انطون والقس بطرس جروة . وكان المقدسي يوحنا عجوري محامياً ومدافعاً عن البطريرك . واستغرق الاجتماع خمسة ايام متوالية من ٣ حتى ٧ ايلول . وبعد التداول قررت الجمعيّة بان الحقّ بجانب البطريرك ثم انشأوا ١١ بنداً وسجلوها وتباحثوا بشأن اقامة البطريرك في دير الشرفة كسالفهِ فأبى فألحوا عليه فرفض . وبعد هذا كله توجه البطريرك الى دير الشرفة ومكث فيه يومين كاملين مع البطريرك يوسف والقاصد الرسوليّ والاب سلفادور رئيس دير حريصا . وفي ١٠ ايلول ١٨١٠ اعلن البطريرك استقالته طوعاً واجمع الحضور على توجيه ابرشيّة حلب الى عهدتهِ .

٨ – تعيين السيد ميخائيل ضاهر مطراناً لحلب

في ١٣ شباط ١٨١١ كتب ابناء السريان قاطبة في حلب مضبطة رسميَّة وقّعها جميع الوجهاء وفيها يطلبون ان يكون السيّد ميخائيل ضاهر مطراناً شرعياً عليهم [1] . ورفعوا تلك المضبطة الى النائب الرسوليّ فأيّدها في ٢٧ نيسان السنة عينها ووقّع على ذلك التأييد المطران ايونيس نعمةالله والمطران غريغوريوس بطرس جروة والاب لويس غندلفي القاصد الرسوليّ .

(١) اطّلعنا على هذه المضبطة بين وثائق دير الشرفة .

واتخذ اسم ديونيسيوس ميخائيل .

وعلى أثر ذلك حجّ المطران ديونيسيوس ميخائيل ضاهر الاراضي المقدّسة ثم توجه الى ابرشيته ناهضاً بسياستها خير نهوض حتى توفاه الله تعالى في ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢ ودُفن في كنيسة السيدة رحمه الله تعالى.

وظلّ المطران ميخائيل ضاهر ناسجاً على منوال سالفه مار ميخائيل الثالث في رعاية الابرشية الحلبية متفانياً في خدمتها . وكان يبعث كلّ سنة الى دير الشرفة بمبلغ ١٦٠٠٠ غرش جرياً على أوامر سالفه الحميد الأثر .

الفصل الثاني

الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا ودير الشرفة

يحلو لنا ان نعود الى ذكرى هذه المحسنة الاسبانية الكريمة . لانها ثابرت على جهودها بشأن دير سيدة النجاة وعلى عوارفها السخية لاجل تعزيزه . وهذه رسائل القس بطرس جروة تؤيد تلك الحقيقة . فانه تلقن من عمه البطريرك ميخائيل الثالث عواطف الاخلاص ومعرفة الجميل لتلك الدوقة النبيلة . وجعل يراسلها في كل ما ينوط بتعزيز الدير ورقيه ولاسيما لاجل ابتناء كنيسة كبيرة فيه بدلاً من الكنيسة الضيقة الصغيرة .

١ - الدوقة دي هرموزا وكنيسة دير الشرفة

كلّفت هذه الدوقة النشيطة احد المهندسين الاسبانيّين البارعين فانشأ رسماً جميلاً محكماً للكنيسة التي نوت ان تؤسسها في دير سيدة النجاة . وبعثت بذلك الرسم الظريف الى كاتم اسرار المجمع المقدّس برومية لينظر فيه . وقد جاء مطابقاً لكنيسة مار اقليميس ومار اغناطيوس النوراني القديمة في عاصمة الكثلكة . وفي ٣٠ نيسان ١٨٠٥ كتب القس بطرس جروة من رومية الى القسّ الياس شدياق بمدريد يقول : « ... بالحقيقة ان

الرسم هو رسم كنيسة شرقية جليلة ويجب اتّباع رأي الدوكيسا فيه · وعلى ما استبان لي انّ ابوّتكم اعطيتم رموزه واشكاله للمهندس ··· ولا يخفاكم ان القرمز المرسل من الدوكيسا هو لعمار المدرسة ··· ونتمنى ان نباشر بعمار المدرسة والكنيسة معاً ·· »[1]

٢ – رسالة القس بطرس الى الدوقة دي هرموزا

وكتب القس بطرس جروة من رومية بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٨٠٥ الى الدوقة هذه الرسالة قال : « ··· واجهتُ في ١٧ كانون الاول المونسنيور كوبيلا كاتم اسرار المجمع المقدس فأخبرني عن وصول رسم الكنيسة من سعادتك باسم الكردينال دي پيترو بواسطة الكردينال كاسوني وأطلعني عليه · فرأيت انه يفوق جداً رسم كنيسة مار اقليميس وهو بالحقيقة يستحقّ الاعتبار ويليق ان يشيد مثله هيكلٌ لاكرام والدة الله سيدة النجاة في ديركِ! ».

ثم أخذ القس بطرس يصف الدوقة الكريمة ويمثلها بالمرأة الحكيمة الوارد ذكرها في سفر الامثال (ص ٣١) الى ان قال : « لانكِ ما عدا الهبات الثمينة التي تقدّمينها للكنيسة الرومانية وللكنائس العظيمة المشيدة ما بين غير المؤمنين من سخائكِ · وما عدا المدرسة التي ترومين ان تقيميها في ديركِ بالشرفة فانكِ تريدين ان تبني هيكلاً لاكرام سيدة النجاة · ومن ثم لم يبقَ لي الّا ان ادعوكِ طوباويّةً مع يسوع المسيح لانكِ تعرفين ارادته وتتبعينها ···»[1].

٣ – رسالة ثانية من القس بطرس الى الدوقة دي هرموزا

وفي ٣٠ نيسان ١٨٠٦ كتب القس بطرس الى الدوقة الجليلة يقول :

---

(١) رسائل القس بطرس جروة : رقم ٨٨

(١) رسائل القس بطرس جروة : رقم ٨٧

«...أخبركِ بوصول قدس السيد البطريرك الكلي الشرف الى ديركِ في جبل لبنان... امّا نظراً الى الكنيسة فقد صار الاتفاق بموجب امركِ مع الكردينال رئيس المجمع حسب القياسات التي طيه وقد حررها المهندس... فأسأله تعالى ان يبرز نيتك الى العمل ويحقق غايتكِ بقيام هذا المقام المخصص بسيدة النجاة...وقريباً اسافر من رومية الى لبنان...

«تنازلي ايتها الدوكسا الجزيلة التواضع والحلم ان تكوني أمّاً لي لكونكِ صرتِ من قِبل تقواكِ مرضعة باحساناتكِ التقوية . ومن الآن فصاعداً ادعوكِ امّي واقدّم لكِ الخضوع البنويّ...

«ان الكنيسة يجب ان يكون عرضها ١٠٠ شبر مهندس اعني شبراً طبيعيّاً . وطولها ١٧٠ شبراً من الباب حتى صدر الهيكل . والرواق الوسطانيّ من الارض حتى العقد ٦٥ شبراً . ومن الارض حتى سقف القبة ٩٤ شبراً . ثم من بعد ان يُصعد درجات ٤ من الارض الى عقد الهيكل يوجد علوّ ٦٦ شبراً . امّا من ارض الرواقَين الصغيرين الى العقد فيكون ٤٦ شبراً .

«ثم ان المذبح الوسطانيّ يكون كالجزيرة عرضه من اسفل ١١ ½ شبراً وعلوه ٢٥ ½ شبراً ما عدا الصليب . وعواميد المذبح غلظ كل واحد شبر واحد . وواجهة الكنيسة عرضها ١١٠ اشبار مع الحيطان . وعلوها من الدرجة الاعلى حتى رواق الواجهة ٦٢ شبراً . ومن الارض حتى الكنيسة يوجد ٥ درجات.. وقد تمّ الاتّفاق على ذلك مع رئيس المجمع المقدّس...»[1].

٤ – رسالة ثالثة

وكتب القس بطرس كذلك الى الدوقة النبيلة بتاريخ ١٨ آب ١٨١٦ يقول: «...قد تعمَّرتُ كثيراً من نموذجات تواضعكِ اذ تنازلتِ واعطيتني

(١) رسائل القس بطرس جروة : رقم ١١٩

الحريّة لاتصرف معك مثل ابن . فهلّا يمكنني ان انسب لذاتي القول النبوي : ان شباناً كثيرين امتلكوا الغنى . اما انا فقد فقتُ جميعهم . فليس لي الا ان التجي الى سيدة النجاة لتحفظك وتظلّلك باكناف حمايتها ... وعند وصولي الى لبنان ارسل الى سموك الاخبار المدققه عن عمار المدرسة وغير ذلك »[1].

٥ – رسالتا القس بطرس الى الدوق يوسف والى الدوق يوحنا نجلَي الدوقة دي هرموزا

ضم القس بطرس جروة الى رسالته المذكورة رسالتين : الاولى الى نجلها الدوق يوسف والثانية الى نجلها الدوق يوحنا . فقال في الاولى : «... بعد ايام يسيرة اتوجه الى قبرس ومن هناك بعد حين يسير اتوجه الى ديركم دير سيّدة النجاة ومحاميتكم الخاصّة »[2].

وقال في رسالته الى الدوق يوحنا : « ... صرفتُ نحو ثلاث سنوات في ايطاليا ولم يسمح لي الربّ ان ازوركم . وعندما اصل الى ديركم دير سيّدة النجاة محاميتكم اضاعف صلواتي لاجلكم ...»[3]

٦ – رسالة القس بطرس من قبرس الى الدوقة

«.. سافرتُ من ليفورنو في ٢٤ ايلول ١٨٠٦ الى قبرس وطالت مدّة سفري ٢١ يوماً . وعند وصولي الى هذه الجزيرة حررتُ الى الدير لاجل ابتداء العمار . ولا بدّ من انه دائر الآن كما بلغني . ربّنا يكمّل انجازه في ايامك ايتها المحسنة الكريمة ...»[4]

٧ – رسالة القس بطرس الى المطران يوليوس انطون بشأن الدوقة

ذكر القس بطرس في رسالته الى المطران انطون بتاريخ ٨ كانون

---

(١) فيه : رقم ١٦٦ (٢) فيه : رقم ١٦٧

(٣) رسائل القس بطرس جروة : رقم ١٦٨ (٤) فيه : رقم ١٧٣

الاول ١٨٠٦ ان السيدة الدوقة دي هرموزا : «تحبّ ان تعرف المصاريف التي تقتضي لمعاش الدارسين وتعليمهم ... فارجو من الآن ان تهيئوا مادة بعيدة لعمار الكنيسة في الشرفة وتحادثوا الشيخ نوفل وتشتروا منه ارضاً بجانب الدير من رزقه ولو بزيادة كم قرش ... ومتى صارت جمعيّة ديرنا رهبنة ذات قانون كما ترغب الدوكيسا الجليلة والمجمع المقدّس نفسه فلا ترتابوا في استرجاع ديرنا الذي بيع في رومية والخيرات التي تتبعه[1] . اما الحاجة مريم امراة فرج‌الله مباركشاه فقد وقفت نصف دارها لديركم والنصف الآخر لرهبانتي الروم الكاثوليك . وهي دار معتبرة ينوف ثمنها على عشرة اكياس»[2] .

غير ان نيّة الدوقة الكريمة بشأن ابتناء الكنيسة الجديدة في دير الشرفة لم تكمل كما كانت تحبّ وترغب . وبقي آباء الدير والتلامذة يقضون فروضهم وحفلاتهم في الكنيسة الصغرى حتى ايام البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت المثلّث الرحمات كما سيجيء في محله .

الفصل الثالث

قسوس دير الشرفة في عهد البطريرك ميخائيل الرابع

(١٨٠٠ — ١٨١٠)

أدرجنا في الفصل التاسع عشر من القسم الثاني اسماء بواكير القسوس المتخرّجين في دير سيدة النجاة على يد مؤسّسهِ الوافر المبرّات . والآن نسرد اسماء القسوس في عهد بطريركيّة خلفه مار اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر ونردفها بشيء من اخبارهم وهم :

---

(١) هذا الدير اسّسه الاسقف اثناسيوس سفر المارديني في اواخر القرن السابع عشر في رومية ومع تراخي الزمان احتلته الدولة الايطالية ...

(٢) رسائل القس بطرس جروة : رقم ٢١٦

١ – القسّ يوسف محبّ الله النبكي (١٨٠٣ – ١٨٤٨)

ارتقى الى الدرجة القسوسيّة في ١٠ ايار ١٨٠٣ وخدم النفوس ٤٥ سنة تارةً في دمشق وطوراً في النبك وطنهِ . وقد عثرنا على بعض رسائل كتبها ذاكراً فيها اسماء الاطفال الذين عمذهم في دمشق وفي النبك . وكان كاهناً جليلاً ورعاً فلح في كرم الربّ دون كلال واثمرت اتعابه غلات طيّبة وتوفاه الله تعالى عام ١٨٤٨ مخلِّفاً ذكرى حسنة في كلتا المدينتين المذكورتين

٢ – القس بولس توما الموصليّ (١٨٠٣ – ١٨٤٩)

ثابر على الدروس الكهنوتية نحو سبع سنوات في دير الشرفة ثم سيم قسيساً في ٣١ ايار ١٨٠٣ وخدم النفوس في وطنه حتى انقضاء اجله عام ١٨٤٩

٣ – القس توما الماردينيّ (١٨٠٥ – ١٨٥١)

لم نقف على شيء من اخبار هذا القسيس مع انه خدم النفوس زهاء نصف قرن رحمه الله تعالى .

٤ – الخوري انطون قدسي الدمشقيّ (١٨٠٦ – ١٨٣٥)

تلقّى العلوم اوّلًا في دير مار افرام الرغم وأكملها في دير سيدة النجاة وتم ارتقاؤه الى الرتبة المقدسة عام ١٨٠٦ وتولى التعليم والتثقيف في دير مار افرام مدة من الزمان ثم انطلق الى دمشق وخدم النفوس فيها حتى ادركته المنون عام ١٨٣٥

٥ – القس جبرائيل بهنا الحلبيّ (١٨٠٧ – ١٨٢٨)

ينتمي الى اسرة بهنا (بهنام) الحلبية المباركة المشهورة بصنع الخير والصلاح . شخص الى دير الشرفة في اوائل السنة ١٨٠٠ وانصرف الى الدرس واقتباس الفضائل حتى صار قسيساً في ١٧ شباط ١٨٠٧ وخدم النفوس ٢١ سنة في حلب وطنه حتى رقد بالرب عام ١٨٢٨!

٦ - القس عبد المسيح خانجي الموصلي (١٨٠٧ - ١٨٣٢)

واظب على اقتباس العلوم الكهنوتية في دير سيدة النجاة نحو ثمانية اعوام وفي السنة ١٨٠٧ ارتــقى الى الرتبة القسوسية وانطلق الى وطنه وخدم النفوس فيها حتى اخترمته المنون عام ١٨٣٢

٧ - القس منصور عبد الاحد الموصلي (١٨٠٨ - ١٨٤٧)

تلقّى العلوم في دير سيدة النجاة مع رفاقه السابق ذكرهم . ثم رسِمَ قسيساً عام ٨ ١٨ وتوفي عام ١٨٤٧

٨ - القس يوسف خدر الموصلي (١٨٠٨ - ١٨٤٥)

كان رفيقاً للقس منصور ابن وطنه في دروسهِ وسيم معه قسيساً عام ١٨٠٨ وتوفي في الموصل عام ١٨٤٥

٩ - القس ميخائيل مارين الحلبي (١٨٠٨ - ١٨٢١)

عثرنا ما بين محفوظات دير الشرفة على اضبارة حوت بعض عرائض كتبها هذا القسيس النشيط استخلصنا منها انه درس حيناً في دير مار افرام الرغم وحيناً في دير الشرفة . وقد وضع اليد عليه مار اغناطيوس ميخائيل ضاهر البطريرك الانطاكي عام ١٨٠٨ وعلى اثر سيامته حج الاراضي المقدسة واقام في اورشليم من تموز ١٨٠٩ حتى ١٣ حزيران ١٨١١ ثم انطلق الى حلب ونهض بخدمة النفوس .

وكان جبرائيل مارين شقيق القس ميخائيل يتعاطى التجارة يومئذٍ في بغداد . وجرت بين الشقيقَين مراسلاتٌ حتى السنة ١٨١٧ فسافر القس ميخائيل الى رومية وكتب من هناك عــدة رسائل الى دير الشرفة استنتجنا منها ان صحته توعكت فقضى نحبه هناك عام ١٨٢١ رحمه الله تعالى

وتُعَـد أُسرة مارين من الاسر السريانية النبيلة انتزحت من حلب وطنهــا الاصلي الى العراق في اوائل القرن التاسع عشر واستقرت في

البصرة . وتولى عميدها انطون مارين القنصلية الانكليزية فأدى لها خدماً جلّى . واشتغل يوسف شقيقه في التجارة فنجح فيها نجاحاً محسوساً ومات دون عقب . اما الكنشلير انطون فقد اقترن بالسيدة تريز نجلة الكونت جبرائيل اصفر النبيل ورزقهما الله تعالى ثلاثة بنين : اولهم جبرائيل الذي اقترن بالسيدة جوزفين نجلة خاله الكونت جبرائيل المشار اليه . ثانيهم جان وثالثهم فيليب

فيليب ابن الكنشلير انطون مارين

ونسج هؤلاء البنون الثلاثة على منوال ابيهم انطون السعيد الذكر ونجحت اشغالهم في البصرة نجاحاً تاماً . وقد قضى فيليب النجيب المهجة مدّة الحرب الماضية (١٩١٤ - ١٩١٨) في دير للشرفة وتزيّا بزي التلامذة نحمته سيدة النجاة المغبوطة من الخطوب والاخطار . ولمّا عاد الى وطنه غانماً سالماً بعث الى الدير بمبلغ من المال عربوناً لمعرفة الجميل . وكان على اتصال وثيق مع المثلّث الرحمة السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الذي سبق فعرف والده معرفة تامة منذ كان قسيساً في البصرة . وما برح فيليب المومأ اليه وشقيقاه السيد جبرائيل والسيد جان في مقدّمة الأُسر السريانية النبيلة يحافظون على تراث والدهم المقدّس في صنع الاحسان والمبرات ويستودعونه الى خلفهم كما أداه لهم والدهم تغمّد المولى نفسه بغزير رحمته . وأمد في حياتهم باليمن والتوفيق والعافية .

١٠ – القس باسيل حكيم الراشياني (١٨٠٨ – ١٨٣٤)

وُلد في راشيا المأهولة بجماعة سريانية قديمة العهد ممتازة بثباتها في العقيدة الكاثوليكية ومحاماتها عنها . وكان قدومه الى دير الشرفة عام ١٨٠١ فاعتكف على اقتباس العلوم والمزايا الكهنوتية سبعة اعوام ثم ارتقى عام ١٨٠٨ الى الرتبة المقدسة وخدم النفوس في راشيّا وطنه حتى قضى أجله عام ١٨٣٤ . وحوت خزانة دير الشرفة مخطوطة سريانية اشتملت على مطالع الانغام السريانية وخلاصة الصلوات الاشحيمية وصلوات الاستعداد للقداس والشكر بعده جاء في آخرها : « ܫܠܡܘ ܕܐܡܝܪ̈ܐ ... ܫܡܡܐ ܕܫܘܠܡܐܘܗ̈ܝ ܫܡܫܐ ܡܢ ܡܪܘܬܐ ܕܩܘܕܫܐ »[1]

١١ – القس الياس هزاز الحلبيّ (١٨٠٩ – ١٨٣٩)

قضى هذا القسيس الموقر سبعة اعوام في دير سيدة النجاة مكبّاً على تحصيل العلوم فنجح في اللغتين السريانية والعربية معاً . وارتقى في ٢٠ تموز ١٨٠٩ الى الرتبة المقدسة بوضع يد البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر وتولى خدمة النفوس في وطنه مدة ٣٠ سنة وتوفاه الله تعالى عام ١٨٣٩

١٢ – القس يوحنا سكّر الموصليّ (١٨١٠ – ١٨٢٩)

تلقّى العلوم في دير الشرفة منذ السنة ١٨٠٢ وسيم قسيساً في السنة ١٨١٠ . وخدم النفوس في الموصل وطنه حتى اخترمته المنيّة عام ١٨٢٩

وكلف هذا القسيس التقيّ بنظم الزجليات الوطنيّة فخلف فيها عدّة اناشيد مؤثّرة ما زالت عالقة بالألسن يترنّم بها المؤمنون ولاسيا الشيوخ في الموصل وفي ماردين لهذا العهد ويلقّبونه بابي هزار .

وتنطوي اغلب مدائح القس يوحنا على تقريظ العذراء المجيدة وابنها يسوع فادي الانام . من ذلك قوله من زجليّة :

---

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٥١٥

أرحمي عبداً دعاكِ ومن ذنوبهِ شاكي
ملتجئاً في حماكِ أيا زينة النصارى
فيكِ حبلُ اتصالي أنصتي الى اقوالي
لا تردّي سؤالي أيا فخر العذارى
انت هي باب الجنّة منكِ اطلب والتمنى
ناظم مدحك يوحنا حقيراً في النصارى

ونسج على منواله ابن اخيه يوسف سكّر فنظم اناشيد خشوعية ما برح المواصلة يترنمون بها لهذا العهد[1]. وليوسف سكّر مناظرات عربية بين البحر والبرّ وبين البر والبحر. وبين القفر والبساتين الخ طالعناها في مخطوطة لطيفة تخصّ مكتبة البطريركية السريانية في بيروت.

١٣ – القس اندراوس يغمور الحلبيّ (١٨١٠ – ١٨٤٨)

أَصل أسرة يغمور نبكية انتزح جدّها من النبك الى حلب فاستطابها واقام فيها. وقد احرز القس اندراوُس بن توما بن شكور يغمور نصيباً صالحاً من الخلال المأثورة والعلوم الكهنوتية. وارتقى صباح عيد انتقال السيدة المجيدة ١٥ آب ١٨١٠ الى الدرجة المقدّسة وظلّ مقيماً في دير الشرفة متولّياً ادارة عقاراته ثم ترأس عليه اربعة عشر عاماً (١٨٢٨–١٨٤٢). وسيأتيك الكلام عنه في الفصل الحادي عشر من هذا القسم.

الفصل الرابع

المطران يوليوس انطون ودير الشرفة

(١٨١٠ ـ ١٨١٤)

استعفى مار اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر كما قلنا فأنيطت رئاسة دير سيدة النجاة بالسيد يوليوس انطون القطربليّ. وعينه الكرسيّ الرسولي كالمرّة السابقة (١٨٠٠ – ١٨٠٢) نائباً رسوليّاً. فنهض هذا المطران الهمام

(١) المشرق ٧ : ١٩٠٤ صفحة ١٠٩٤ – ١٠٩٥

الامين بكلتا الوظيفتين مدّة اربع سنوات (١٨١٠ — ١٨١٤) .

١ - ترقية القس بطرس جروة الى الكرامة الاسقفية وتدريسه تلامذة الشرفة

صباح عيد الصليب الكريم ١٤ ايلول ١٨١٠ احتفل المطران انطون في كنيسة سيدة النجاة بترقية القس بطرس جروة الى الرتبة الاسقفية على كرسيّ اورشليم وسمّاه « غريغوريوس بطرس » وكان يوآزره في السيامة السيد ايونيس نعمةالله مطران دمشق وراشيا . وحضر الاحتفال السيد يوسف تيّان البطريرك المارونيّ السابق والسيد يوسف الخازن مطران بعلبك . وتعين المطران الجديد استاذاً لتلامذة الشرفة في السريانية والعربية ولاسيما في علم الفلسفة واللاهوت . وقد كتب النائب الرسوليّ الى الاب نيقولا المرسل اللعازريّ في حلب بتاريخ ١٤ حزيران ١٨١١ يقول : « عندنا الآن مكان لقبول شبّان في الدير يتهذّبون في العلوم الكهنوتية . والمطران بطرس جروة يدرّس العلوم اللغوية واللاهوتية . والجميع يشهدون له بالعلم الزاخر »(١) .

٢ - بناء العقود والغرف في غربي الكنيسة

انصرف المطران يوليوس انطون الهمام منذ السنة ١٨١١ الى تأسيس العقود (الاقبية) السفلى في غربي الكنيسة . وهي العقود التي خُصص بعضها ببراميل الخمر والزيت والبعض الآخر بمراح المواشي والدواب . وابتنى فوقها عشر غرف نصفها لجهة الشمال والنصف الثاني لجهة الجنوب يتوسطها دهليز جميل يؤدي الى شُرفة (سطحة) بهية بديعة تُطل على وادي درعون وعلى حريصا وعلى قرى شتى من الجبل اللبناني . وهي من أبهى شرفات الجبل وأجملها . وخُصصت الغرف العشر المذكورة برئيس الدير وحاشيته كالاساتذة والوكلاء والضيوف .

---

(١) مجموعة رسائل في خزانة دير الشرفة : رقم ١٩ - ٥

وفي ٢ نيسان ١٨١٢ كتب المطران انطون الى تلميذ دير الشرفة القس يوسف صبّي خادم الرعية في القاهرة يقول : « ابتدأنا نبني الغرف فوق القبو لانه لا يوجد محل لسكنى التلامذة . وقد التزمنا ان نبني على رغم شدة حاجتنا وضيقتنا » . وكتب المطران عينه بتاريخ ٤ تموز ١٨١٢ الى القس توما المارديني ما نصه : « ... اما بشان العمار فنحن اليوم مشغولون ببناء الغرف . وان شاء الله تعالى ينتهي في الشتاء ولا نقدر ان نزيد العمَلة لضيق ذات يدنا ».

٣ – ارسال الربّان توما الماردينيّ الى الموصل وبغداد والهند

في السنة ١٨١٠ جاهر الربّان توما المارديني بالعقيدة الكاثوليكية وكان من افاضل الرهبان ونجبائهم . فقدم الى حلب وحل ضيفاً على السيد ديونيسيوس ميخائيل ضاهر . ولمّا درى بأمره النائب الرسولي كتب اليه من دير الشرفة منشوراً مؤرخاً في ١٨ كانون الثاني ١٨١١ موقعاً بامضائه وامضاء المطران نعمةالله والمطران بطرس جروة يفوض اليه بموجبه ان يرتحل الى الموصل وبغداد يجمع اسعافاً لدير سيدة النجاة . وقد وافق على هذا المنشور السيد لويس غندلفي القاصد الرسولي واضاف اليه توصيةً بالمعنى نفسه مؤرخةً في ٥ تموز ١٨١١ جاءَ فيها : « ان القس توما متوجه الى البلاد ليجمع احسانات المؤمنين في سبيل دير القديسة مريم سيدة النجاة لانشاء مدرسة يتهذب فيها شبّان الطائفة السريانية الراغبين في الدعوة الكهنوتية . وهذا هو مقصد السيد يوليوس انطونيوس النائب البطريركي ومطارنة الدير – أُعطي من مقر رسالتنا عينطورا في ١٥ تموز ١٨١١ ».

٤ – رحلة الربّان توما الماردينيّ

سافر الربّان توما حاملاً منشور النائب الرسولي مشفوعاً بتوصية القاصد الجليل ووصل الى الموصل وجمع من المؤمنين ١٢٥٠ غرشاً يساعده في ذلك الاسقف قرلس بهنام بشارة . ثم انحدر الى بغداد حاملاً اسماء العيال

السريانية التي سبق فكتبها البطريرك ميخائيل الثالث في مذكراته يوم كان في تلك المدينة. وهناك ورده الامر من المطران انطون ليتوجه الى كلكتة وسورت ببلاد الهند لان فيها تجاراً سريانيين أصلهم من الموصل ودياربكر قد راجت اسواق تجارتهم واصبحوا اصحاب ثروة وان عدداً وافراً من سكّان الملبار ينيف على ١١٤٩٠٠ عائلة ولهم ٤٦ كنيسة ميالون الى الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية. فذكر المطران انطون ذلك كلّه الربان توما وحثّه على قصد تلك الاطراف القاصية لعلّه يتمكّن من اكتساب نفوسهم للايمان الكاثوليكيّ ويتوفّق في جمع الحسنات لدير الشرفة. واستغرقت رحلة الربّان توما ثلاث سنوات وافرغ الوسع في النهوض بمهمّته واخيراً عاد الى دير الشرفة حاملاً ما تيسر له جمعه. وأقامه البطريرك اغناطيوس سمعان زورة عام ١٨١٥ مدبّراً لابرشيّة دمشق بمنشور تاريخه ٢٨ نيسان تلك السنة.

٥ – وفاة المطران ايونيس نعمةالله في دير الشرفة

بلغ السيّد ايونّيس نعمةالله ثابت الصدديّ شيخوخة مباركة اقعدته عن مواصلة اعماله الرسوليّة فترك دمشق وراشيا ويمم دير سيدة النجاة يستعدّ لملاقاة ربّه الرحيم الكريم. وقضى اواخر حياته معتكفاً على التأمل في الابديّة حتى أستأثرت به رحمة الله تعالى في ٢١ آيار ١٨١٢ فنهض النائب الرسوليّ بفروض جنازته والصلاة على نفسه يشاركه بطريرك الموارنة السيّد يوحنا الحلو (١٨٠٩ – ١٨٢٣) وبطريرك الارمن السيد غريغوريوس (١٨١٢ – ١٨٤٠) المغبوطان واساقفة كسروان الموارنة وجماهير القسان والرهبان والخوارنة. فاحتفلوا بمأتمه احتفالاً مهيباً خاشعاً وأبنه السيّد اغناطيوس الرابع صرّوف بطريرك الملكيّين (٢١ شباط ١٨١٢ – ٦ تشرين الثاني ١٨١٢) بعبارات بليغة مؤثرة ذاكراً خصوصاً ثباته في الايمان المقدّس على رغم ما اعترضه من الصعوبات والاهوال. قال المطران يوليوس انطون: «توفي

المطران ايونّيس نعمةالله وفــاة الابرار الصالحين . وأقمنا له مأتماً عظيماً بكامل البطاركة والمطارنة وخوارنة كسروان . ومدحه البطريرك اغناطيوس صرّوف بعظة مؤثّرة . وتكلّفت جنازته ٥٠٠ غرش » . رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وكافأه على امانته وتقواه بالسعادة الابديّة .

٦ - ما خلّفه المطران نعمةالله لديَر الشرفة

حبس المطران نعمةالله على دير سيدة النجاة بعض اراضٍ مجاورة له رأينا ان نثبتها ههنا اقراراً بجميله وتخليداً لفضله وهي ١ً - اشترى من ابي يوسف انطون شبير توتات في البياض مع سليخ وعريش وتين وعمار في ١ كانون الاول ١٧٨٧ بمبلغ ١٧٩ غرشاً . ٢ً - اشترى من طنّوس ويعقوب عويني توتات الفتاح عام ١٧٩١ وأيد البيع والشراء السيّد انطون الخــازن مطران بعلبك . ٣ً - اشترى من حنا موسى الدرعونيّ توتات دوميط اخيه في الفتاح سنة ١٧٩٢ - ٤ً - اشترى في بطحا سنة ١٧٩٣ توت الفتاح وبورة . ٥ً - اشترى في ١٨ آب ١٧٩٨ عودة بجراج الفتاح من منصور يوسف عبالة بقرية بطحا .

٧ - سيامة الربّان هندي الموصليّ مطراناً لدمشق في دير الشرفة

في نيسان ١٨١٢ انهزم الربّان هندي بن اسحق زورا(١) الموصليّ رئيس دير مار بهنام الشهيد من الموصل وطنه وقصــد دير الشرفة مستصحباً الشماس ميخائيل ابن القس نعمة صانج وشاباً برطلياً . وسافر ثلاثتهم على طريق بغــداد ودمشق حاملين ١٢٢٠٠ غرش اسعافاً لدير سيّدة النجاة . وكانت اخبار جهاد الربان هندي في سبيل الايمان المقدّس وما قاساه من الوان العــذاب في شوارع الموصل فضلاً عمّا تحلّى به من فريد الخصال وحميــد المزايا قد ذاعت وشاعت وبلغت مسمع النائب الرسوليّ فرحب

(١) زورا : تحريف ܙܥܘܪܐ ومعناه الصغير .

به اجمل ترحيب . وما مرّ القليل على اقامته في الدير حتى رقّاه الى رتبة خورفسقفوس وسمّاه سمعان .

وصباح ثاني عيد العنصرة ١٠ حزيران رقاه الى كرسي دمشق خلفاً للسيّد ايونيس نعمةالله المذكور في الخير وسماه « غريغوريوس سمعان » . وحضر السيامة السيّد غريغوريوس بطرس جروة واسقفان مارونيان . وما عتم ان توجه المطران الجديد الى دمشق حاملاً سوسطاتيقون سيامته كمألوف العادة مستصحباً القس حنا صائح عثابة مساعدٍ له . فتلقّاهما الشعب الدمشقي بمزيد البهجة والتكريم . وحلّا ضيفين كريمين على آل شيحا وجهاء الطائفة السريانية في تلك المدينة .

٨ – قدوم تلامذة جدد الى دير الشرفة

شاع أمر البناء الذي أحدثه المطران انطون في دير الشرفة وبلغ الابرشيات السريانية إقامة المطران بطرس جروة استاذاً للتلامذة فقدم اليه من الموصل ثلاثة شبان صحبة ابن القس طعمة وثلاثة فتيان من حلب وفتى من دياربكر وانضمّوا الى التلامذة واعتكفوا على اقتباس العلوم الكهنوتية في هذا المعهد المبارك . وسيأتيك ذكر من ارتقى منهم الى الرتبة المقدّسة .

٩ – وصيّة الخوري روفائيل طنبرجي لدير الشرفة

هو الايكونومس روفائيل بن موسى طنبرجي . وأسرته ماردينية الاصل عمت حلب في اواسط القرن الثامن عشر واستوطنتها . وتتلمذ روفائيل للسيد ديونيسيوس ميخائيل جروة الحميد الذكر فرقاه في ٢٣ كانون الاول ١٧٧٥ الى الرتبة الكهنوتية(١) وخدم النفوس في حلب خدمة مشكورة . وفي ٨ ايلول ١٨١١ انتخب للرتبة الاسقفية على كرسيّ الرها فاستعفى

(١) مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٢ - ٢٩

بكل قواه وشخص الى دير الشرفة ليقضي فيه اواخر ايامه . وقد لبى دعوة ربه في الدير عينه بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٨١٣ وتولى المطران انطون وسائر الاساقفة والكهنة والرهبان والتلامذة الاحتفال بدفنه وصلوا عليه صلوات جناز الاساقفة[١] . وقد أوصى بماله وكتبه لدير سيدة النجاة . غير ان ابن عمه جبرائيل بن انطون طنبرجي اقام دعوى في حلب اسفرت عن قبضه مبلغ ١٦٧٠٠ غرش من المقدسي انطون باسيل وكيل دير الشرفة وانتهى النزاع . ويُقرأ في سجل دير الشرفة اسم الخوري طنبرجي في ١٢ ايلول ١٨٢٢ بين المحسنين الى هذا المعهد المبارك[٢] .

الفصل الخامس

بطريركية السيد اغناطيوس سمعان زورا ودير الشرفة (١٨١٤ — ١٨١٨)

١ - رتبة الجلوس على الكرسي

كتب الحبر الاعظم البابا بيوس السابع (١٨٠٠ — ١٨٢٣) الى المطران انطون النائب الرسولي ليدعو الاساقفة ويفاوضهم في انتخاب خلف للبطريرك ميخائيل الرابع ضاهر ولاسيما لانه مر على استقالته اربعة اعوام . فامتثل النائب أمر خليفة مار بطرس وكتب في ذلك الى مطران حلب السيد ديونيسيوس ميخائيل ضاهر والى اسقف الموصل السيد قورلس بهنام بشارة . وصباح الاحد ٢ كانون الثاني ١٨١٤ اقام النائب حفلة تسليم العكاز البطريركي في بيعة سيدة النجاة ونادى بالسيد غريغوريوس سمعان زورا مطران دمشق بطريركاً انطاكياً باسم « اغناطيوس سمعان » . وساعده في تلك الحفلة

(١) سجل المكاتيب : رقم ١٩ - ٥

(٢) سجل الدير : صفحة ١٨٨

البيعة السيّد غريغوريوس بطريرك الارمن والسيّد لويس غندلفي القاصد الرسوليّ والسيد جرمانس ثابت مطران جبيل والبترون الماروني والسيد غريغوريوس بطرس جروة مطران اورشليم . وتفرّغ البطريرك الجديد لسياسة الطائفة السريانيَّة بما منحه الربّ الجوّاد من همةٍ وغيرةٍ وتفانٍ .

٢ ـ عناية البطريرك سمعان بتلامذة دير الشرفة

باشر البطريرك سمعان المغبوط مهمّته في تعزيز دير سيدة النجاة تكملةً لأماني سالفه مار اغناطيوس ميخائيل الثالث الحميد الآثار . فاستدعى السيد غريغوريوس بطرس جروة من دمشق وولّاه ادارة الدير طبقاً لوثيقة مؤرخة في ٥ كانون الاوّل ١٨١٤ ونصبه استاذاً للتلامذة الكبار يلقي عليهم الدروس الفلسفية واللاهوتية .

ولم يتغاض البطريرك سمعان عن تدبير الملّة السريانية في كلّ الابرشيات بل كان يرسل المناشير الابويّة والرسائل الجميلة الى كلّ من رؤسائها يحثهم على الحبّ والاتفاق والتعاضد . ويبثّ في قلوبهم روح الغيرة على نشر الايمان الكاثوليكيّ وعلى خلاص الانفس ويتّضح روح هذا الحبر الانطاكيّ التقيّ خصوصاً من كتاباته الحلوة التي كان يمزجها بآيات محكمة يقتطفها من كلا العهدين القديم والجديد .

٣ – قدوم قسّيسَين من ماردين الى دير الشرفة

في السنة ١٨١٤ قدم من ماردين الى دير سيدة النجاة قسيسان وهما القس بطرس والقس يوسف[1] واخبرا البطريرك سمعان بما جرى للكاثوليك السريان في وطنهما من حبوس وتجريم وتغريم اموال وصفع واهانة . فلم يرَ البطريرك الّا ان يوجّه اليهم منشوراً ابويًّا مفعماً من عبارات التشجيع والتعزية قال : « ... بلغنا انكم فرحتم بسيامتنا البطريركية وبيَّنتم لنا جزيل اضطهادكم وكيف اضمحلّ كنسيج العنكبوت .. فنظراً الى حضرتكم والى حضرات اولادنا مسيحيّي ماردين يقول لكم السيد المسيح : « وانتم الذين ثبتُّم معي في تجاربي . فانا أُعدّ لكم الملكوت كما أعدّه لي ابي » (لوقا ٢٢ : ٢٨ و٢٩) . لان الثبات حتى الانتهاء في حفظ الايمان والفضيلة هو عين الخلاص ... »[2]

٤ – سيامة ثلاثة اساقفة في دير الشرفة

برهاناً على غيرة البطريرك سمعان المغبوط وتفانيه في نجاح ملّته السريانية اصطفى ثلاثة من الكهنة ورقاهم الى الدرجة الاسقفية احدهم لدياربكر وثانيهم لحمص وثالثهم لبيروت . في صباح ٢٣ تموز ١٨١٦ اقام حفلة جميلة في بيعة سيدة النجاة وسقَّف قسيسين حلبيين من تلامذة دير الشرفة : احدهما القس اغناطيوس هداية وثانيهما القس جبرائيل حمصي . فنصب الاول اسقفاً لماردين ودياربكر وسماه باسيليوس ميخائيل . والثاني اسقفاً لحمص وحماة وسماه اثناسيوس جبرائيل . وتمّ ذلك الاحتفال الجميل بموآزرة السيد يوليوس انطون والسيد غريغوريوس بطرس جروة . وحضر السيامة السيد غريغوريوس بطريرك الارمن مع اثنين من اساقفته هما السيد

(١) رسالة البطريرك سمعان الى ابرهيم خليل رومي : مخطوطة الشرفة ١٩ – ٥

(٢) مخطوطة الشرفة ١٩ – ٥ وكتابنا الزهرة الذكيّة في البطريركيّة السريانية الانطاكيّة : صفحة ١٠١

جبرائيل والسيد يعقوب[1].

أمّا الاسقف الثالث فهو السيد قورطس انطون الدياربكرلي نصبه البطريرك سمعان المغبوط عام ١٨١٧ مطراناً لبيروت في بيعة سيدة النجاة. وامتاز هذا المطران بزهده وتقشفه وغيرته المتوقدة على خلاص الانفس.

٥ - وفاة المطران يوليوس انطون ومتروكاته

قضى هذا الاسقف الجليل اعوامه الاخيرة في دير مار افرام الرغم يُشرف على رهبانه ويعتني بارزاقه. وفي شتاء السنة ١٨١٦ قدم الى دير الشرفة يتأهب الرحيل من هذه الدنيا الغرور. وقد فاضت روحه بيد خالقها في ١٢ نيسان. واقام له البطريرك الانطاكي جنازاً حافلاً مكافاة لصنائعه وفضائله واتعابه لاجل دير سيدة النجاة. وأودع جثمانه في مغارة الآباء بجانب البطريرك ميخائيل الثالث الطيب الاثر.

واتصف المطران انطون بخدمته النصوح للبطريرك ميخائيل الثالث وشدة حرصه على مصالح دير الشرفة ووفور اجتهاده في ازدياد ارزاقه. ويُقرأ في صكوك هذا المعهد المبارك ذكر عودات وكروم واراضٍ اشتراها المطران انطون باسم الدير نذكر منها:

١ً - عودة بشارة صقر في زوق مصبح. ٢ً - بيت في عشقوت. ٣ً - عودة في عشقوت. ٤ً - عودة بيت حنا ديب. ٥ً - كرم في عشقوت اشتراه من يوسف تابت واخوانه. ٦ً - ارض حنا سمعان في عشقوت كذلك. ٧ً - ارض في القطب من يوسف تابت واخويه حنا وسركيس. ٨ً - ارض القطب بذار نصف كيل قمح وضمنها عرايش وحرش اشتراها من حنا تابت».

أضف الى ذلك ارضاً وربع ماء ناعورة. ونصف عودة في جونية الخ. وقس عليها ثماني حجج بمشترى عودات واراضٍ اغلبها في قرية عشقوت. وقد بيعت تلك الاوقاف فيما بعد واستُبدلت بغيرها.

---

(١) مخطوطة دير الشرفة ٧ - ٣

الفصل السادس

استعفاء البطريرك اغناطيوس سمعان ووقفه ووصيّته الاخيرة

١ – استعفاء البطريرك سمعان

ظلّ البطريرك اغناطيوس سمعان زورا المغبوط يشكو ما اصابه من الضربات القاسية في الموصل وطنهِ قبل فراره الى جبل لبنان كما نوّهنا . وكان الاب يوسف المرسل الدومنيكيّ الجليل والطبيب الماهر في الموصل قد قضى يومئذٍ بان ايامه امست معدودة . على ان الامراض والاوجاع انتهكت قواه وأضنته وأقعدته عن استئناف سياسة الطائفة وتدبير الكرسيّ البطريركيّ في دير سيّدة النجاة . ذلك كلّه اضطرّه ان يرفع استقالته الى الكرسيّ الرسوليّ ليعفيه من اثقال البطريركيَّة . ثم كتب عام ١٨١٧ صكًّا باستعفائه هذا نصه :

٢ – صكّ الاستعفاء

« اعلام بالربّ لكلّ من يخصه ذلك

« اقول انا الحقير في رؤساء الكهنة : اغناطيوس سمعان بطريرك طائفة السريان الكاثوليكيّين اني قد اعتبرتُ ذاتي من قبل عجزي الصادر من امراضي الصعبة المتواصلة وضعفي المتزايد فلم اعد استطيع ان اسهر على الرعيَّة . ولا اقدر على سياسة دير الكرسيّ البطريركيّ كما يجب . وما عاد يمكنني ان اواظب على الاعتناء كما يُطلَب من وظيفتي ليتمّ كلّ شيء بحسن النظام ويأول الى مجد الله تعالى وعمار نفوس هذه الطائفة . ومن ثم لم أرَ طريقة اخرى ليتمجد الله عزّ وجلّ وتخلّص ذمّتي ويرتاح قلبي الّا بان اهتمّ بخلاص نفسي . وأُلقي نير كلّ هذه الاثقال عني بتنازلي عن هذه الوظيفة الامر الذي كنتُ اشتاق اليه منذ عدّة سنوات .

« فمن بعد الالتجاء الى ابي المراحم قد أعلنت وأعلن اني برضاي واختياري قد تنازلت واتنازل عن الوظيفة البطريركية على طائفة السريان مع ابقاء حقي على الكسوة والمعاش نظير اخوتي . وقد ثقلت ضمير اخوتي المطارين في نظام دير الكرسي وتدبير الطائفة كلها في كل البلاد . ولتأكيد ذلك قد أصدرتُ هذا الاعلام الممضيّ من حقارتي والمشهود به من الانام المحرّرة اسماؤهم ادناه

« تحريراً سنة ١٨١٧ يوم عيد الجسد في دير الشرفة —

غريغوريوس مطران سمعان

الشهود

قد عُرض عليّ هذا الصكّ من كاتبه البطريرك اغناطيوس سمعان بطريرك طائفة السريان المحترم وآذنّي بالشهادة عليه بما هو محرّر اعلاه . فمن ثمّ اشهد على اقراره كما هو محرّر بهذا الصكّ :

« الحقير انطون الخازن مطران بعلبك .

« الحقير جرمانس ثابت مطران جبيل والبترون .

« الحقير ديونيسيوس ميخائيل (هداية) مطران حلب ونائب بطريركي حالاً

« الحقير اثناسيوس جبرائيل حمصي مطران حمص

« الحقير قورلس انطون مطران بيروت

ويلي ذلك تصديق السيد لويس غندلفي القاصد الرسولي باللغة الايطالية .

٣ — اوقاف السيد غريغوريوس سمعان زورا

على اثر تنزّل السيد غريغوريوس سمعان عن الكرسي البطريركي انقطع الى اعمال الزهد والعبادة . فعاش في دير سيدة النجاة عيشة النساك والحبساء معتكفاً على الصلاة والصوم والاعمال المبرورة . ثم حبس لهذا المعهد المقدس ما ملكته يمينه . واليك لائحة في ذلك الوقف المعروف حتى اليوم باسمه الكريم :

اولاً : ارض البياض في بطحا اشتراها في ١٠ ايلول ١٨١٣ بمبلغ ١٣٠٠ غرش .

ثانياً : حجّة ارض بجانب « البياضة » باعهـا البطريرك بطرس جروة للمطران سمعان زورا . رقمها ٢٢ في السجلّ .

ثالثاً : حجّة ارض ثانية بجانب البياضة اشتراها المطران سمعان من البطريرك المشار اليه . رقمها ٢٥ وجرى بيع الارضين في تشرين الثاني ١٨٢٣

رابعاً : قطعة ارض حدّ عودة البياض اشتراهـا المطران سمعان من المطران انطون الخازن . رقمها ٤١ في السجلّ .

خامساً : ارض في فرخ السقم ببطحا . جرى مشتراها في ٤ تشرين الاوّل ١٨٢٨

سادساً : ارض صالح هيكل الخازن . يحدّها جنوباً رزق امراة جرمانس الخازن . وشرقاً درب السكّة . وشمالاً رزق الشاري المطران سمعان . وجهة البحر رزق ارسانيوس شاول لحدّ الصليب . وجرى البيع والشراء في ١٥ كانون الاوّل ١٨٢٨

٤ - وصيّة المطران غريغوريوس سمعان زورا لدير الشرفة

كتب السيد سمعان زورا المغبوط وصيته الاخيرة في السنة ١٨٢٣ اعني ستّ سنوات قبل انتقاله الى راحة الابرار وهذا نصها :

« اني انا الحقير غريغوريوس المطران سمعان السرياني الموصليّ قد حضرتُ الى دير سيدة النجاة الكرسيّ الانطاكيّ لطائفتنا . وانتُدبتُ وتكرّستُ مطراناً لدمشق الشام . وبعد سنتَين انتُخبتُ بطريركاً انطاكيا وثبّت انتخابي الكرسي الرسوليّ . ومنحني سيدنا الحبر الاعظم الباليوم . ولكن لراحة ضميري قبل وصول التثبيت والباليوم تفرّغتُ باختياري عن الوظيفة البطريركيّة وقبلَ الكرسي الرسوليّ تفرّغي . . .

« والآن باختياري ورضاي احرّر وصيّتي بخطي وأُمضيها وأُشهد فيها عليّ جملة شهود ليُعمَل بموجبها بعد وفاتي . . . فأقول :

« قد اقتنيتُ في كسروان جانب البياض وغرستُ ونصبتُ فيه . وما زلت اعتني به . وبما انه مالي وفي حوزتي وتصرّفي فلي الحرّية ان افعل به ما اشاء . فأريد بحرّيتي المطلقة ان يتولّاه بعد وفاتي السيد بطريرك طائفتنا وجمعيّة الناذرين في دير سيدة النجاة لا غيرهم . وليس لاحد غير البطريرك والناذرين : لا مطران ولا غيره ولا احد من اهلي واقربائي ان يستولي عليه بايّة حجّة كانت . لاني لله تعالى . وكلّ ما يختص بي فهو لله عزّ وجلّ . ومماً لله . واقدّمه لله عزّ شانه .

« امّا مدخوله فاريد واطلب من السيد البطريرك ومن جمعيّة الناذرين لدير سيدة النجاة واثقل ذمّتهم امام الله تعالى : ان يتقدّم بالثلث قداسات بحسنة مضاعفة بموجب نيّتي ما دام الدير قائماً والرزق مغلّاً . والثلث الثاني يكون اسعافاً لدير سيدة النجاة .

والثلث الثالث يعود الى عمار الزق وتفسيخة ورمي سواد فيه والى سائر لوازمه جيلاً فجيلاً.
« هذه هي نيّتي وارادتي الاخيرة. وقد حرّرتُ وصيّتي وامضيتُها باسمي وبخطّي.
وسجّلتها بختمي في دير سيدة النجاة بكسروان في ٧ ايلول سنة ١٨٢٣ صح »

الحقير

المطران سمعان السرياني

شهود

شهد بذلك : الحقير : ابرهيم مطران ارمن حلب – انطون الخازن مطران بعلبك –
الحقير : القس الياس حمصي السرياني » .

٥ – انتقال المطران سمعان الى دار البقاء

واظب هذا الحبر الجليل البارّ على اعمال التقى والتقشف حتى ٢١ آب ١٨٢٩ ففاضت روحه بيد خالقها واحتفل بجنازته مار اغناطيوس بطرس جروة البطريرك الانطاكيّ ورهط من اساقفة السريان والموارنة والارمن وجمهور غفير من الكهنة والرهبان . وأُودع جثمانه الطاهر في مقبرة الآباء بجانب ضريح سالفه البطريرك ميخائيل الثالث جروة . تغمد المولى الكريم نفسيهما بغزير رحماته .

الفصل السابع

عودٌ على بَدءٍ

نثبت في هذا الفصل رسالة ضافية كتبها السيد غريغوريوس بطرس جروة الى القس الياس ابرهيمشاه شدياق في مدريد سرد فيها اخبار دير الشرفة من السنة ١٨١٠ حتى السنة ١٨١٤ قال :

١ – قضيّة البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر

«... ان السيد اغناطيوس ميخائيل ضاهر البطريرك الانطاكي بعد رجوعه من رومية ذهب الى دير مار افرام الرغم . فاخبرنا رئيس المجمع المقدّس عن رحيله فحرّر له رسالة لطيفة . ولمّا لم تحصل النتيجة المرغوبة عين

الحبر الاعظم قاصداً من الآباء اللعازريّين لفحص الموادّ المختلف عليها والحكم فيها بالسلطان الرسوليّ · وقد عُقدت الجمعية في ١٥ آب ١٨١٠ في دير حريصا · وهناك نجزت الامور . . . غير ان البطريرك اراد بعد ذلك ان يتنازل طوعاً عن البطريركية وقال ان ضميره لا يرتاح فيها · ولعلّه قصد بذلك ان يذهب الى حلب كمطران · فعجزنا نحن واخوته البطاركة والقاصد عن كفهِ عن مرادهِ فما امكن · وفي ٧ ايلول ١٨١٠ تنازل واخذ رعية حلب ليرعاها كمطران ·

٢ – سيامة المطران بطرس جروة ووفاة المطران نعمةالله وبطريركية السيد سمعان زورة

واستلى المطران بطرس جروة في رسالته الى القس الياس يقول: «امّا انا فاني في ١٤ ايلول ١٨١٠ عيد ارتفاع الصليب الكريم تكرّستُ بدون استحقاق مطراناً على اورشليم باسم غريغوريوس بطرس · وفي ٢١ ايّار ١٨١٢ توفي السيد ايونّيس نعمةالله مطران دمشق · وبعد وفاته بخمسة ايام انتخب مكانه الخوري سمعان (زورا) الموصلي وسُمّي غريغوريوس سمعان وتمّت سيامته في بيعة سيّدة النجاة في ١٠ حزيران السنة المذكورة · وفي العام الماضي وردت الاجوبة من رومية بقبول استعفاء البطريرك ميخائيل ضاهر · وأمر الحبر الاعظم ان يصير انتخاب آخر للبطريركية عوضاً عنه ·

« وفي افتتاح هذه السنة ١٨١٤ وقع الانتخاب على السيد غريغوريوس سمعان مطران دمشق واشتهر بطريركاً انطاكيًّا باسمه الكريم «اغناطيوس سمعان» وقبلته الابرشيات كلّها · ورفعنا عريضةً الى الحبر الاعظم بطلب تثبيتهِ وارسال الباليوم اليه · ومن رسالتنا الى سموّ الدوكيسا دي ويلّا هرموزا تطلعون على كمال سيرتهِ وصلاحهِ ·

٣ - هدية دير الشرفة الى الدوقة

وختم المطران بطرس جروة رسالته بقوله : « ثم نفيدكم اننا ارسلنا الى سمو الدوكيسا الفاضلة ثمانين رطلاً من فستق حلب وصورة سيدة النجاة عرق لؤلؤ وصليباً وصلبوتاً معتبراً لكابلتها . نؤمل ان ذلك يحظى عندها بالقبول .

« طيه مكتوب لحضرتكم من غبطة السيد البطريرك . وسيادة الاخ المطران بوليوس انطون يهدي اليكم البركة والدعاء . واولادنا الكهنة والشمامسة وجميع سكان الدير العامر يبلّغونكم السلام —

الحقير

غريغوريوس بطرس مطران اورشليم

« دير سيدة النجاة في ٢٨ حزيران سنة ١٨١٤ »[1] .

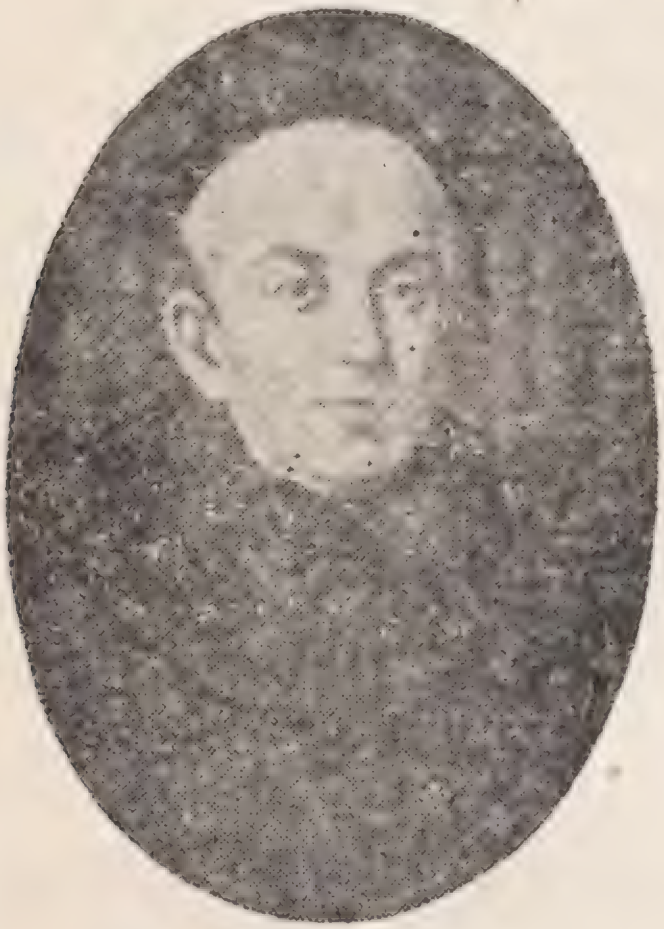

٤ - الاب الياس ابرهيمشاه شدياق الحلبي (١٧٦٢ - ١٨١٨)

سبقنا فادرجنا بعض رسائل تداولت بين البطريرك ميخائيل الثالث

---

(١) مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٩ — ٥

المغبوط وبين الاب الياس عميده الهمام في الاستانة وفي مدريد[١] . والآن تدعونا معرفه الجميل لنكتب عنه كلمة قصيرة اذ كان رحمه الله تعالى من افضل الآباء الذين ساعدوا مؤسس دير سيّدة النجاة وخلفاءه المغبوطين في مهمّتهم المقدّسة :

هو الياس بن فرج‌الله ابن الشماس شكرالله بن حلبشاه ابن الشماس ابرهيمشاه بن منصور بن نوري جلبي ابن الكونت سفر الوجيه النبيل[٢] . اختصه مار اغناطيوس ميخائيل جروة بعطفه واصطفاه للدعوة الاكليريكية ووجّهه الى عاصمة الكثلكة عام ١٧٧٥ فدرس العلوم الكهنوتيّة وأحرز منها نصيباً صالحاً . وعلى اثر ارتقائه الى الدرجة المقدّسة كتب اليه البطريرك المشار اليه ان يقصد الاستانة ليهتمّ بشؤون البطريركيّة الكاثوليكية ثم بعثه عام ١٧٨٦ الى مدريد عاصمة الدولة الاسبانيّة فتجلّت غيرته على مصالح دير الشرفة كما اثبتنا ذلك خصوصاً في الفصول ١١ و١٢ و١٣ من القسم الثاني من كتابنا هذا . ولم تفتر حركته المباركة ولم تنثنِ عزيمته عن مساعدته حتى اخر رمق من حياته .

وقد ارتفعت منزلة القس الياس شدياق لدى الاسرة المالكة في اسبانية ولدى ادباء عصره حتى نُصب وكيلاً واميناً لمكتبة «الاسكوريال» الشهيرة فأدّى لها مدّة ٣٠ سنة خدماً جلّى وحفظت له في صكوكها اجمل الذكرى .

وقد تعرّف القس الياس بوجهاء مدريد واعيانها ولاسيما بالدوقة مريم دي ويلّا هرموزا وقرينها يوحنا بولس ونجليها الدوق يوسف والدوق يوحنا . وهذه الرسائل الجمة المتبادلة بين البطريرك الانطاكيّ وبينه وهي مصونة في سجلّ الدير تعرب عن روحه النقيّ الصافي وعن وفور اهتمامه بشؤون البطريركيّة السريانيّة وشؤون دير كرسيها الانطاكيّ في الشرفة .

---

(١) طالع هذا الكتاب صفحة : ٤٣ و٨٩ و٩٦ و١٠٣ الخ

(٢) طالع كتابنا « آل ابرهيمشاه في التاريخ » : فصل ١٢

ومما نذكره لهذا الاب الغيور انه كتب لدير سيدة النجاة مبلغ ٤٦٥٦ غرشاً أنفقه البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت المغبوط في عمارة كنيسة الدير الجديدة (١٨٧٤ – ١٨٧٧) كما سترى . وحتم ان يقرّب عن نفسه كلّ سنة سبعة قداديس[1] تغمّد المولى نفسه بغزير رحماته .

الفصل الثامن

كهنة دير الشرفة

(١٨١١ ــ ١٨٢٢)

١ - السيد قورطس انطون دياربكرليّ مطران بيروت (١٨١٧ – ١٨٤٢)

في بحثنا المتواصل وتفتيشنا عن اخبار تلامذة دير الشرفة الاوّلين لم نعثر على تواريخ دخولهم الى ذلك المعهد المقدّس منذ اوّل انشائه حتى السنة ١٨٤٢ ولذلك افترضنا في اخبار بعضهم مدّة اقامتهم في الدير افتراضاً . ومن جملة التلامذة الاوّلين السيّد قورطس انطون مطران بيروت . فقد شخص الى دير الشرفة في صدر القرن التاسع عشر وحصّل ما حصّل من العلوم والفضائل الكهنوتيّة . ثم سيم قسيساً وفي السنة ١٨١٧ رقّاه البطريرك سمعان زورا الى كرسيّ مطرانيّة بيروت كما ذكرنا آنفاً . وقد عاش هذا الاسقف في ابرشيته عيشة الزهّاد والنساك معتكفاً على الصوم والصلاة معتنياً بتثقيف بعض الفتيان يرعى الشرذمة السريانية في بيروت بحكمة وغيرة تامّة . وفي ٣٠ ايلول١٨٤٢ اخترمته المنية فجأة في بيت المرحوم بطرس لورلا خلال زيارته له[2] . ثم نُقل جثمانه الى دير الشرفة واحتفل رئيس الدير القس جرجس صعب ولفيف الكهنة والتلامذة بالصلاة لراحة نفسه . والى القارئ ما اثبته الرئيس المومأ اليه في دفتر حسابات الدير قال :

---

(١) سجلّ الشرفة : صفحة ٢٢٢

(٢) السلاسل التاريخيّة : للفيكنت فيليب دي طرّازي ٤٠٤

« بيان ما صُرف في موتة المرحوم المطران انطون السرياني المتوفى في ٣٠ ايلول ١٨٤٢ — كروة مرسال الى دير الشرفة لاجل الاخبار عن وفاة المرحوم . وقد كلّفت طلعته ودفنته وحسنات قداديس لراحة نفسهِ ٦٨٨ غرشاً . ووُجد عنده بعد موته ٢٣٥٩ » . نُقل اذاً جثمان هـذا المطران التقيّ الفاضل من بيروت الى دير الشرفة وبعد صلاة الجنّاز أُودع رفاته في مغارة الآباء بكنيسة سيدة النجاة رحمه الله تعالى .

٢ — السيد قورلس يوسف حائك مطران بيروت الحلبيّ (١٨١٤-١٨٦٣)

هو من نخبة تلامذة دير الشرفة ومن افاضل الاساقفة . رضع افاويق العلوم والفضائل في هذا المقام المقدّس في العشر الاول من القرن التاسع عشر وسيم قسيساً في ١٨ ايار ١٨١٤ ثم رقّاه البطريرك اغناطيوس بطرس جروة في ٢٥ ايلول ١٨٢١ الى رتبة خورفسقفوس . واقام ردحاً من الزمان متولياً رئاسة دير مار افرام الرغم حتى ٢ شباط ١٨٤١ فانهزم الى دير الشرفة من وجه الثوار الدروز وأفلت معه بعض الكهنة والرهبان . فانقضّ اولئك الثوار على الدير ونهبوه واحرقوا امتعته ومخطوطاته وغلّاته .

وبعد هذا كتب السيد اغناطيوس بطرس جروة الى الخوري يوسف حائك واستدعاه الى حلب ورقّاه الى كرسيّ اسقفية بيروت . وفي نواحي

السنة ١٨٤٦ توجه المطران يوسف الى القطر المصريّ وجعل يراسل المطران اقليميس بولس صعب رئيس الشرفة وكتب له في ١٨ تموز ١٨٤٩ يقول: «اثنينا على غيرتكم لاجل نجاح المدرسة واجتهادكم في تدريس العربيّ والسريانيّ بواسطة الشدياق؟ ومثله التليياني بواسطة الاب اليسوعيّ».

ثم عاد المطران يوسف الى حلب عام ١٨٥٤ وانتقل الى جوار ربّه في ٢٨ شباط ١٨٦٣ ودُفن في كنيسة والدة الله. وخلّف لدير الشرفة جميع متروكاته في جملتها دار في حلب رحمه الله تعالى.

٣ – القس توما عبد الاحد (١٨١١ – ١٨٥٥)

وُلد في دياربكر ووصل عام ١٨٠٧ الى دير الشرفة واقام اربع سنوات يدرس العلوم اللاهوتية حتى ارتقى في ٩ ايار ١٨١١ الى الرتبة القسوسية وخدم النفوس في وطنهِ واخترمته المنون عام ١٨٥٥

٤ – الخوري ميخائيل صائح الموصليّ (١٨١٢ – ١٨٢٨)

هو ابن القس نعمة صائح الموصليّ قدم الى دير الشرفة في نيسان ١٨١٢ مع الربّان هندي رئيس دير مار بهنام الذي صار اسقفاً ثم بطريركاً كما نوّهنا. وكان ذكيًا متضلعاً من العلوم فاكملها في دير الشرفة وارتقى الى درجة القسوسية في ١٠ حزيران السنة المذكورة وسُمي «القس يوحنا» وخدم النفوس في دمشق. وامتاز بخطبهِ البليغة ومواعظه الزاجرة فكان يحضرها المؤمنون سرياناً وملكيين وموارنة ويستفيدون منها. ثم انتقل القس يوحنا الى النبك واجتذب اكثر الاهالي الى البيعة الرومانية. وصنّف كتاباً عنوانه «ايضاح الحجج اليقينية في حقيقة الامانة الارثوذكسية». ورقاهُ البطريرك اغناطيوس بطرس جروة الى رتبة خورفسقفوس عام ١٨٢٢ في بيعة دير مار افرام الرغم وسمّاهُ ميخائيل. وعاد الى دمشق يخدم النفوس. فثار عليه الخصوم وألقوه في السجن والقوا معه وجهاء جماعة السريان الكاثوليك. واستمرّوا مسجونين ٥٤ يوماً.

– ثم ترأس الخوري ميخائيل على دير مار موسى الحبشي بالنبك. وفي ١٠ كانون الثاني ١٨٢٣ عاد الى الموصل وطنه وزار في طريقه ضريح ابينا مار افرام بالرها ورغّب الرهاويين في الكثلكة فحردوا عليه ووشوا به الى الحاكم التركيّ فقبض عليه وطرحه في السجن ولم يطلق سبيله الا بعد ما استنزف منه مبلغاً من المال . ولمّا وصل الى وطنه عُيّن لخورنية مار توما الرسول . وجعل بيته مدرسة لقسوس المدينة وقراها يمرّنهم في العلوم اللاهوتية . وقد رُشّح للرتبة الاسقفية خلفاً للاسقف قرلس بهنام بشارة . لكن المنية عاجلته في ٧ اذار ١٨٢٨ بحضور الشماس يوسف بن الياس زرازير .

وخلّف الخوري ميخائيل مكتبة معتبرة من مخطوطات ومطبوعات ثمينة . وطالعنا رسالة كتبها البطريرك بطرس جروة المغبوط في ٢٨ حزيران ١٨٢٩ الى الشماس جبرائيل صائغ يصرّح له بان اكثر كتب اخيه المتوفى هي لمكتبة دير الشرفة وانما أخذهـا اخوه ليطالعها ويستفيد منها ثم يردّها الى الدير . ومن ثم يترتّب عليه ان يكون اميناً فيردّ الكتب الى محلّها الاصليّ . غير ان الشماس لم يُعر اذناً صاغية لأمر البطريرك فتبدّدت المكتبة ودخلت في خبر كان[1] .

٥ – القس ميخائيل جروة الحلبيّ (١٨١٤ – ١٨٦٦)

درس العلوم في دير الشرفة وارتقى الى الرتبة المقدّسة في ٥ نيسان ١٨١٤ وخدم النفوس في حلب وطنه حتى توفّاه الله تعالى عام ١٨٦٦ ولم نقف على شيء من أخباره .

٦ – القس جرجس شدياق

شدياق كنية لاسرة حلبية سريانية قديمة العهد تفرّق بعضها في

(١) تاريخ المطران افرام نقاشة ٤٠٨ و٤٤٢ و٤٤٥ و٤٤٩ و٤٨٨ و٤٨٩

الاسكندرية وفي القاهرة وقد نزل عند آل شدياق في الاسكندرية السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة[١] يوم انهزامه من حلب عام ١٧٧٨ من وجه اعدائهِ ومكث عندهم سبعة شهور . امّا القس جرجس شدياق فكان وصوله الى دير الشرفة عام ١٨٠٨ ومكث ستّ سنوات مكبّاً على اقتباس ما ينبغي اقتباسه للدعوة المقدّسة . وسيم قسيساً في ١٣ كانون الاوّل ١٨١٤ وخدم النفوس في وطنه حتى توفّاه الله تعالى عام ١٨٤١

٧ – القسّ يوسف طبّاخ الحلبي (١٨١٧ – ١٨٣٩)

هذا ايضاً وُلد في حلب وتلقى العلوم في دير الشرفة حتى صار قسيساً في ٢٢ تموز ١٨١٧ وادركته الوفاة عام ١٨٣٩

٨ – القس بولس متّايا الموصليّ (١٨١٨ – ١٨٥٨)

وُلد في الموصل وتهذب في دير سيدة النجاة بالشرفة وارتقى الى الرتبة المقدسة عام ١٨١٨ واقام مدة في دير مار افرام الرغم يتولى تعليم الرهبان . ومن آثاره التقوية كتاب «قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت» تأليف الاب لويس الجسري اليسوعي وترجمة الاب بطرس فروماج فقد نسخه القس بولس متّايا بحروف عربية دقيقة جلية وكتب في آخره . «اعتنيتُ بنسخ هذا الكتاب انا القس بولس متّايا الموصليّ لمطالعتي وفائدة نفسي . وكان النجاز منه في ١١ نيسان ١٨٣٧ مسيحية . واردف بالسريانية ܡܛܠ ܚܘܣܝܐ ܕܟܬܘܒܐ ܘܩܪܘܝܐ ܘܫܡܘܥܐ »[٢] . ونسخ القس بولس كتاباً آخر يُعرَف بكتاب المعدعانَ وهو كذلك يخصّ مكتبة دير الشرفة جاء فيه : «كمل هذا الكتاب بيد القس بولس متّايا الموصلي في ٢٢ اذار ١٨٣٨ في دير القديس ماري افرام في عين الرغم . وهو وقف للدير ذاته»[٣] .

(١) راجع هذا الكتاب ١٧

(٢) فهرس المخطوطات : صفحة ٤٠٤

(٣) فيه : صفحة ١٤٣ – ١٤٤

٩ – القس انطون يازجي (١٨٢٠ – ١٨٤١)

ينتمي الى اسرة سريانيّة حلبية قديمة العهد . وصل الى دير الشرفة نحو السنة ١٨١٤ ومارس الفضائل الكهنوتية واكبّ على الدروس العالية حتى ارتقى الى المنصب الكهنوتيّ في ٨ آب ١٨٢٠ وخدم النفوس في حلب ٢١ سنة .

١٠ – القس الياس حمصي (١٨٢١ – ١٨٤٧)

ينتمي الى أسرة حمصي السريانية الحلبية . اكبّ على المطالعة واقتباس العلوم في دير الشرفة حتى صباح ١٦ كانون الثاني ١٨٢١ فسيم قسيساً وأدركه الاجل عام ١٨٤٧

١١ – الخوري افرام مدلاداتي الحلبي (١٨٢١ – ١٨٤٥)

يتحدّر من أسرة حلبية موصوفة بالتقوى وعمل الخير . تلقّى علومه في دير سيدة النجاة حتى انضمّ الى مصافّ القسوس صباح عيد انتقال العذراء المجيدة عام ١٨٢١ وخدم الرعية في حلب ٢٤ سنة . وقد حبس هذا القسيس الورع على دير الشرفة الذي تثقّف فيه داره الكائنة بزقاق عبد الرحيم خارج باب النصر في حلب . وكانت تشتمل على بيتّين تعلوهما غرفة مربعة . ويُقرأ في الحجة ان القس افرام « وقفه وقفاً على فقراء دير سيدة النجاة الكائن في شرفة درعون بجبل كسروان سنة ١٢٧١ للهجرة (١٨٤٥ م) رحمه الله تعالى »[١] . وهذه الدار قد بيعت عام ١٩٣٨ بمبلغ ١٢٥ ليرة عثمانية ذهبية وحوّل الى رئيس الدير[٢] .

١٢ – المطران ديونيسيوس يوسف سمنة (١٨٢١ – ١٨٧٠)

تلقى العلوم في دير الشرفة منذ نحو السنة ١٨١٣ وارتقى الى رتبة الكهنوت عام ١٨٢١ بوضع يد البطريرك اغناطيوس بطرس جروة . ثم انطلق بأمر

(١) المحفوظات : مجلد ٣

(٢) رسالة السيد ديونيسيوس حبيب نعساني في ٦ شباط ١٩٤٦

البطريرك الانطاكي الى مصر القاهرة وخدم النفوس فيها زهاء ٢٤ سنة. ولما كانت السنة ١٨٤٥ طمع في المرتبة الاسقفية فقصد احد اساقفة السريان المنفصلين واراده على ترقيته الى تلك الرتبة . فتمّ له ما طلب ثم قرّعه ضميره وعنّفه شديداً فقدم الى حلب عام ١٨٤٦ متوسّلاً الى السيد البطريرك بطرس جروة ليقبله في صفوف الاقليرس فحتم عليه البطريرك ان يتخلى عن حقوق الاسقفية فاصاخ طائعاً ولبث يخدم النفوس في كنيسة مار اسيا بحلب حتى اخترمته المنون في ١٩ اذار ١٨٧٠ وجنّز جناز الاساقفة .

١٣ – الخوري يوحنا اسلامبولية (١٨٢٢ – ١٨٣٨)

اقام في دير الشرفة ستة اعوام يثابر على اقتباس ما تتطلبه الرتبة الكهنوتية المقدّسة من الفضائل والعلوم وسائر المزايا . وفي ٢٩ تشرين الاول ١٨٢٢ ضُمّ الى مصافّ القسوس وخدم النفوس اولاً في دمشق ثم في حلب وطنه واختطفته المنون عام ١٨٣٨ رحمه الله تعالى .

هذا مجموع القسوس الذي تلقوا العلوم الكهنوتية في دير سيدة النجاة بالشرفة مدّة ١١ سنة (١٨١١ – ١٨٢٢) وهناك شبّان كثيرون يمّموا هذا المعهد المقدّس ومكثوا فيه مدّة طويلة او قصيرة يواظبون على المطالعة والدرس لكنهم لم يرتقوا الى الرتبة المقدّسة لدواعٍ صوابية . ولا بأس ان نذكر ههنا طائفةً ممن اتصلت بنا اسماؤهم وهم: ميخائيل دقاق شلحت . وفتح‌الله الطونجي . والياس بن يوسف شقّال . وانطون عرقتنجي . ويوسف قسطلي . ومينا مباركشاه السابق ذكره . وانطون عبد المعطي حمصي . وميخائيل عوكوس . وعبدالله كويفاتي . ويعقوب حائك . وجرجس وديمتري ولدا ميخائيل شيحا وموسى بن نعمة شيحا الخ . فهؤلاء باجمعهم وغيرهم ممن غابت عنا اسماؤهم عادوا الى اوطانهم ولبثوا محافظين على عهود الولاء لدير سيدة النجاة مقرّين بما بذله من الجهود في تهذيبهم وتثقيفهم.

الفصل التاسع

دير الشرفة في عهد المطران ديونيسيوس ميخائيل هداية

(١٨١٧ ـــ ١٨٢٠)

بعد ما استعفى السيد اغناطيوس سمعان زورا البطريرك الانطاكي نُصب السيد ديونيسيوس ميخائيل هداية الحلبي نائباً رسولياً . وكان هذا المطران من قدماء تلامذة دير الشرفة . وما كاد يمر على قسوسيته عام واحد حتى نُصب اسقفاً لماردين ودياربكر في ٢٣ تموز ١٨١٦ ثم نُقل في القابل اعني سنة ١٨١٧ الى كرسي حلب وفيها سمّاه الكرسي الرسولي نائباً عاماً فقدم الى دير سيّدة النجاة وتولّى ادارة شؤونه العلمية والادارية .

١ – المطران ميخائيل ودير مار افرام الرغم

وفي تلك الغضون توفي الخوري شكرالله فولية الحلبي رئيس دير مار افرام الرغم (١٧٨٤ – ١٨١٧) فوجه المطران ميخائيل هــداية من دير الشرفة المطران اثناسيوس جبرائيل حمصي والقس رافائيل حائك الى ذلك الدير فاجتمعا بالقس توما الدياربكري وحرروا موجودات الدير برمتها فكانت الكتب ٤٤٦ كتاباً ما عدا ما كان منها في الكنيسة من الكتب الفرضية كالفناقيث والحسّايات والنافورات وعددها نحو ٤٠ مجلداً [١] . فكتبوها بجملتها وضموا اليها اسماء بعض ارزاق الدير منها : تسعة كروم وعشر اراض سليخ لزرع الغلات من قمح وشعير ودخن وعدس الخ واربع عودات تغل ٧٠ حملاً من الورق الخ . فاطلع عليها النائب وايدها بختمه في اول تشرين الاول عام ١٨١٧

---

(١) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١٩ – ٥

٢ – المطران ميخائيل هداية والخوري ميخائيل صائغ

سبقنا فتكلمنا عن هذا الخوري الجليل وعن كتابه في « ايضاح الحجج اليقينية » وقد عرضه على المطران ميخائيل هداية فطالعه وأثنى على ذكاء مصنفه ونوى ان يرقّيه الى كرسي مطرانيَّة حلب. لكن الخوري استمهله ريثما يكتب في ذلك الى اسقفه السيّد قرلّس بهنام بشارة. وقد كتب له الاسقف جواباً يقول: « ... هل نسيتَ يا ولدي ان اقامتك في الموصل هي أفيد والزم من سيامتك مطراناً لحلب؟ فحلب قد استتبَّت فيها الكثلكة بخلاف الموصل المعرَّضة بعدُ للتهديد والمفتقرة الى علماء وواعظين يساعدوني. فكيف ارضى ببقائك بعيداً عني وانت تربية يدي وثمرة اتعابي! »[1]. بناء عليه عدل النائب الرسوليّ عن اخراج فكرته الى العمل. وقد ذكرنا سابقاً ما كان من أمر هذا الخوري الجليل.

٣ – الكرسيّ الرسوليّ والمطران ميخائيل هداية

لم يفتر الكرسي الرسوليّ المقدّس من الاهتمام بشؤون الملّة السريانيّة في كلّ حين وبكلّ ذريعة. وقد كتب غير مرّة الى المطران ميخائيل هداية والى السيّد لويس يوسف غندلفي القاصد الرسوليّ يحرّضهما ويحضهما ليفرغا الجهود في انتخاب بطريرك جديد للطائفة خلفاً للبطريرك سمعان. لكن ذلك لم يتيسر قبل دخول السنة ١٨٢٠ وحين ذاك اجتمع الاساقفة وعقدوا النيّة على الانتخاب فوقع اختيارهم على السيّد غريغوريوس بطرس جروة وهو ابن شكرالله جروة شقيق البطريرك ميخائيل الثالث.

---

(١) تاريخ المطران افرام نقاشة ٤٤٢ – ٤٤٣

الفصل العاشر

البطريرك اغناطيوس بطرس جروة ودير الشرفة

١ – ارتقاؤه الى المنصب البطريركي

اجتمع في دير سيدة النجاة خمسة من اساقفة الملّة السريانية وهم : السيّد غريغوريوس بطرس جروة والسيّد اغناطيوس سمعان زورا البطريرك السابق وديونيسيوس ميخائيل هدايا واثناسيوس جبرائيل حمصي وقورلس انطون دياربكري واتفقوا على انتخاب السيّد غريغوريوس بطرس جروة مطران اورشليم للكرسي الانطاكي بالصوت الحيّ . وعيّن المنتخب الجديد يوم الاحد ٢٥ شباط ١٨٢٠ للاحتفال بتسليم العكّاز البطريركيّ في كنيسة سيدة النجاة . وتم ذلك برئاسة السيد اغناطيوس سمعان البطريرك المستعفي فدفع اليه عصا الرعاية بحضور السيد غريغوريوس بطريرك الارمن (١٨١٢ — ١٨٤٠) والسيد لويس غندلفي القاصد الرسولي وبعض اساقفة الموارنة وجمهور غفير من الرهبان والقسّان للموارنة والارمن والسريان والمشايخ الخوازنة وبعض اعيان الطائفة السريانية الذين قدموا خصوصاً من حلب ومن دمشق

ومن بيروت . فكان ذلك اليوم من أسعد ايام دير الشرفة وأطيبها . وقد توثقت امال التلامذة واماني القسوس كافة بالتوفيق والنجاح التام في ظل راعيهم الجديد الذي ضُمّ الى مصافّ بطاركة مدينة الله انطاكية العظمى بكلّ جدارة واستحقاق .

٢ – مشاريع البطريرك بطرس

سبق هذا البطريرك المغبوط فسافر عام ١٨١٦ الى بلاد اوربا واستحضر مطبعةً كاملةً من لندن بآلاتها وحروفها ومعدّاتها ونقلها الى دير مار افرام الرغم ليشتغل بها الرهبان ودفع قيمتها ٢٠٠٠٠ فرنك . وحبس لها في مصرف « جياري » برومية مبلغ الف ريال روماني تنفق ثماره السنويّة في سبيل طبع ما يلزم من الكتب للطائفة السريانية .

غير ان المطران ميخائيل هداية والمطران جبرائيل حمصي ادّعيا ان البطريرك بطرس انما استجلب المطبعة من بلاد الانكليز متواطئاً مع البروتستان لينشر تعاليمهم في العربية والسريانية . وبناء على تلك الدعوى الباطلة التي بلغت الحبر الرومانيّ توقف تأييد البطريرك الجديد وارسال الدرع البطريركيّ اليه . وهذا ما حمل البطريرك المغبوط على ان يستقرّ تارة في دير الشرفة وآونة في دير الرغم حتى راى اخيراً ان يقصد عاصمة الكثلكة للمدافعة عن نفسه وتبرئة ساحتهِ مما قُرِف به .

٣ – سفر البطريرك الى رومية ونيابة المطران جبرائيل حمصي في الشرفة

في ٢١ ايلول ١٨٢٥ غادر البطريرك بطرس دير الشرفة مستصحباً القس روفائيل جروة ابن اخيه فتح‌الله . واقام نائباً عنه في دير سيدة النجاة المطران جبرائيل حمصي . فاغتنم هذا المطران تلك الفرصة وكتب عريضة الى الامير عبدالله ابن الامير حسن شهاب بشأن ذخيرة تقوية ثمينة سُلبت من الدير في عهد البطريرك ميخائيل ضاهر وهذا نصّ العريضة:

٤ – عريضة المطران جبرائيل الى الامير عبدالله

« جناب افندينا الامير عبدالله المحترم سلطانم حفظه الله تعالى آمين

« من بعد اهداء جنابكم البركة الرسوليّة والسلام بالربّ يسوع . . . المعروض لجنابكم مادّة الذخيرة التي سُلبت منا بالقهر والاغتصاب في زمان بطريركنا مار اغناطيوس ميخائيل ضاهر المثلّث الرحمة . فان جناب والدكم المرحوم الامير حسن بلغه من البعض ان ذخائر ملوك الفرس تشفي جناب ولدنا الامير ابرهيم المحترم من المرض فيطلب والدكم ذخاير دير الشرفة على يد المثلّث الرحمة البطريرك يوسف تيّان الكلي الغبطة . فالبطريرك ميخائيل ضاهر لم يرتضِ ان يُسلِم الذخيرة ولهذا السبب ارسل الامير وأخذها غصباً .

« ومن كون طائفتنا كلّها وروءسائها جميعهم متعلّقين بهذا الكنز الروحيّ وراغبين استرجاعه فلذلك نرجوكم ان تعيدوها الى الدير لان الحقّ والعدل يلزمان ردّ الشيء لصاحبه . فنرجو ان تأمروا باعادتها الى دير سيدة النجاة مكانها الاصليّ حيث قد رجعت الآن المياه الى مجاريها . وحصل العمار في الدير كما ترغبون حضرتكم ايضاً .

« ولئلّا تبقى داركم العامرة خالية من ذخيرة فنحن نقدّم لجنابكم ذخيرة عوضها مخصوصة لائقة بجنابكم وذلك بخاطرنا وتمام رضانا . وثقتنا بتقواكم وصفاوة طويّتكم انكم تجيبون الى طلبتنا . ونسأله تعالى ان يحفظكم ويوفّقكم . واطال المولى بقاكم

الحقير في روءساء الكهنة

اثناسيوس جبرائيل حمصي مطران حمص وما يليها » .

٥ – فوز البطريرك بطرس في رومية وعودته منصوراً الى الشرفة

مكث البطريرك بطرس جروة المغبوط اياماً في رومية ريثما اغتنم الفرصة ورفع عريضة الى الاب الاقدس البابا لاون الثاني عشر (١٨٢٣ – ١٨٢٩) يلتمس من قداسته ان ينظر في أمره ويتعطف عليه بتأييده في منصبه . وفي ٢٨ كانون الثاني ١٨٢٨ عقد الكرادلة جمعيّةً في ديوان الحبر الاعظم وحضر البطريرك الانطاكيّ وقرّر على مسامعهم دستور الايمان المقدّس فقضى خليفة شمعون كيفا بصحة انتخاب البطريرك بطرس ووشّحه بدرع التثبيت بيمينه المباركة . فشكر البطريرك الانطاكي للحبر الاعظم عطفه ومحبّته وقضى في رومية مدّةً يراجع كتاب القدّاس السريانيّ الذي سبق عمّه البطريرك ميخائيل وأعدّه للنشر . ثم دفعه الى المطبعة الفاتيكانيّة

فنشرته عام ١٨٤٣ مكمّلاً مدقّقاً في كلّياته وجزئيّاته بنصوصه السريانيّة ونقله العربيّ وقوانينه وملاحظاته . فجاء من اجمل الكتب وأبدعها . ولمّا انتهى طبع الكتاب جعل البطريرك يوزّعه في الابرشيّات السريانية آمراً بالتمشي بموجبه دون انثلام .

٢ – اوقاف البطريرك بطرس ومكتبته

بالغ البطريرك بطرس في رقّي دير سيدة النجاة طبقاً لوصية عمه المغبوط فصرف العناية في تثقيف تلامذته خلال قسوسيّته واسقفيّته وبطريركيته . وهو الذي اقنع مريم ارملة فرج‌الله مبارك‌شاه فحبست نصف دارها في القاهرة على دير الشّرفة عام ١٨٠٨[1] .

وفي السنة ١٨١٤ و١٨١٥ اشترى البطريرك بطرس لدير الشرفة ارض توت وشورة الدرب في عشقوت . واضاف اليهما عام ١٨٢٠ شورتين في القرية عينها . وفي نيسان ١٨٢١ اشترى ارضين في بطحا من روكس السقيم . واشترى عام ١٨٣٥ ارض توت وبور في عشقوت من اسطفان بو سمرا . وهناك اراض اخرى اشتراها البطريرك ما زالت حججها محفوظة في سجلّات الدير لهذا العهد .

ونشير هنا اشارة خفيفة الى اراض اشتراها البطريرك بطرس المغبوط عام ١٨٢٢ – ١٨٢٤ و١٨٢٩ – ١٨٣٠ لدير مار افرام الرغم بقرية الشبانية لا حاجة الى وصفها هنا .

غير اننا لا نرى بدّاً من التلميح الى وصية هذا البطريرك الجليل فقد اثبت فيها مقرّراً في البند التاسع قوله : « نظراً الى المكتبة التي اقتنيتُها فاحترقت . فالكتب التي تتحصل منها تكون وقفاً للكرسي البطريركيّ مؤبداً » .

---

(١) راجع كتابنا هذا : ١١٧

٧ – سيامة الخوري ميخائيل يوحانا مطراناً للموصل في كنيسة دير الشرفة

في ٣ تموز ١٨٢٨ استأثرت المراحم الالهية بالاسقف قورلس بهنام بشارة الذائع صيت فضائله ومناقبه الرعوية في كلّ الابرشيات السريانية. فأجمع المواصلة على انتخاب الخوري ميخائيل بن عيسى يوحانا ليكون خلفاً له. فاعتذر الخوري بسبب شيخوخته. لكنهم الحّوا والحفوا عليه في الاجابة الى طلبهم وحصلوا له التوصيات اللازمة من عبد الرحمن باشا وشفعوها بعضبطة وقعوها باجمعهم مع خمسة قسوس وتوسّلوا الى البطريرك الانطاكي ان يرقّيه الى الرتبة المفريانية باسم باسيليوس جرياً على العادات المألوفة في الطائفة السريانيّة منذ عهدٍ بعيدٍ وان يُطلق عليه عنوان « ܒܣܝܠܝܘܣ ܡܦܪܝܢܐ ܕܡܕܢܚܐ ܘܕܒܝܬ ܢܗܪܝܢ »(١) لكنّ البطريرك الانطاكيّ لم يُعرهم اذناً صاغيةً بل اكتفى بترقيته مطراناً.

سافر المنتخب كسالفه الاسقف بهنام الطيّب الاثر على طريق بغداد ودمشق حتى بلغ الى دير سيّدة النجاة فاحتفى به البطريرك الانطاكي احتفاءً ابوياً. ثم استطلعه طلع اخبار ابرشية الموصل العزيزة وملحقاتها. فذكر المنتخب تفاصيلها للبطريرك المغبوط فابتهج بها كل الابتهاج وأمره ان ينقطع اياماً الى الاعتكاف. وصباح ١٣ كانون الثاني ١٨٢٨ نادى به اسقفاً للموصل وسمّاه « قورلس ميخائيل » بحضور فريق من اساقفة الموارنة والارمن والسريان. نذكر منهم السيد غريغوريوس سمعان زورا البطريرك السابق واثناسيوس جبرائيل حمصي ويوليوس انطون دياربكرلي وغريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق. ثم كتب البطريرك الى الاستانة في طلب فرمانٍ للمطران الجديد. وبعد ما مكث المطران ميخائيل في دير الشرفة محفوفاً بالاكرام والاجلال ودّع البطريرك المغبوط وسائر الاساقفة وعاد الى ابرشيته. لكن رئاسته لم تستغرق اكثر من ثلاثة اعوام قضاها

(١) المحفوظات : مجلد ١٠

متفانياً في خير شعبه الموصلي فتوفي يوم ثلاثاء اسبوع الحاش عام ١٨٣١ ورقى في غضون اسقفيته ١٥ شماساً الى الدرجة القسوسية رحمه الله تعالى ·

٨ – قدوم المطران يوليوس انطون سمحيري الى دير الشرفة

وفي ٩ تشرين الاول ١٨٢٩ غادر السيد يوليوس انطون سمحيري مدينة ماردين كرسيه وشخص الى حلب وزار القنصل الفرنسي وسأله ان يبعث بكتاب توصية الى مسيو غليمينو السفير الفرنسي في الاستانة ليجتهد في الحصول على فرمان رسمي بتحرير السريان الكاثوليك واستقلالهم عن السريان المنفصلين واطلاق المطران غريغوريوس عيسى وخوارنته من سجن ماردين · فلبّى القنصل الهمام طلبه ودفع اليه كتاب التوصية فحمله المطران انطون ووافى الى دير الشرفة ·

سارع البطريرك الانطاكي المغبوط الى لقاء المطران انطون سمحيري ورحب به اجمل ترحيب وعانقه بدموع البهجة والانعطاف وهنّاه بنجاته من الغوائل والاهوال · وتحادث البطريرك وزائره الجليل ساعات طويلة في شؤون جماعة ماردين وكهنتها وشمامستها · فوصف له المطران انطون ما ذاقه هو وهم من المرائر والحبوس والخسائر ثم أديا الشكر معاً للقدرة الالهية التي ساعدتهم جميعاً على اقتحام تلك الاخطار والغوائل ونجاتهم من افواه الذئاب الخاطفة

بعد ما مكث المطران انطون أياماً في دير الشرفة محفوفاً بكل تكريم وتبجيل قرّره البطريرك الانطاكي مطراناً شرعيًا على ماردين وملحقاتها · ثم ارتحل المطران الى الاستانة وزار توًا سفير الدولة الفرنسيّة مسيو غليمينو ودفع اليه كتابَي التوصية من القنصل ومن البطريرك · فتوقدت في قلبه جذوة الغيرة الفرنسيّة وعرض الأمر على الباب العالي وحصّل منه فرمان الاستقلال المنشود في اربع نسخ وافق عليها السلطان وسجلها الباب العالي ثم أحرز المطران انطون براءةً باسمه تعلنه مطراناً شرعياً لماردين · وبعد هذا

كلّه عاد المطران فائزاً منصوراً وكان من أمره ما كان ممّا هو ذائع مشهور في بلاد المشرق والمغرب معاً ٠

٩ – سفر البطريرك بطرس الى حلب

ما كاد يصل فرمان الاستقلال الى يد البطريرك بطرس المغبوط حتى عزم ان يغادر دير الشرفة ويتوجّه الى حلب وطنهِ تلبيةً لنيّة الكرسي الرسوليّ المقدّس ٠ وقد تمّ ذلك عام ١٨٣٠ ودخل مدينة الشهباء باحتفال مهيب منقطع النظر ٠ وتقاطر الجماهير الى زيارته والتبرّك بلثم يمينه ٠ وجعل يراسل اساقفة الابرشيات وخوارنة الرعايا ولاسيما رئيس دير الشرفة ويمدّهم بالمساعدات الروحيّة والماليّة ٠ وواصل تلك المساعي الرسولية حتى آخر حياته فاسلم روحه النقيّة بيد خالقها في ١٦ تشرين الاول ١٨٥١ تغمّد المولى الرحيم نفسه بغيوث رحماته ٠

الفصل الحادي عشر

القس اندراوس يغمور الحلبي رئيس دير الشرفة

(١٨٢٨ ــ ١٨٤٢)

هو اندراوس بن توما بن شكور يغمور ٠ اصل أُسرته من النبك التابعة لابرشية حمص وحماة ٠ اشتهر منها في اواسط القرن السادس عشر السيد اثناسيوس ابرهيم يغمور الذي خلف الاسقف ابرهيم حديبان في ابرشية حردين السريانية بلبنان ٠ وقد طالعنا اسم المطران اثناسيوس ابرهيم يغمور في كتاب « فنفيث » ضخم يخصّ المكتبة البطريركية ببيروت منسوخ في السنة ١٥٥٧ م ٠ ومنذ القرن السابع عشر انتزحت أُسرة يغمور الى حلب واستوطنتها ٠ وقد اشتملت محفوظات دير الشرفة على اسماء أجداد هـذه الاسرة كالشماس فرج‌الله ابن القس حنا يغمور ٠ والشماس جرجي يغمور ٠

وتوما بن شكور يغمور[1] والد القس اندراوس رئيس دير الشرفة · وكان أولئك الاجداد الافاضل في جملة اعيان السريان الحلبيين الذين نادوا بالايمان الكاثوليكي بمساعي البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة مؤسس دير الشرفة الحميد الأثر ·

ويُعدّ القس اندراوس يغمور في طليعة تلامذة الشرفة النجباء الموصوفين بالغيرة والمزايا الشريفة · فاصطفاه البطريرك اغناطيوس بطرس جروة المغبوط عام ١٨٢٨ رئيساً على دير سيدة النجاة فقضى في خدمته ١٤ سنة مستفرغاً الوسع في انعاش الروح الكهنوتيّ في قلوب تلامذته غير مغمض عن تعزيز ارزاقه وانماء عقاراته ·

١ – حسابات القس اندراوس يغمور

عثرنا ما بين مخطوطات دير الشرفة على بعض حجج تضمّنت ما اشتراه القس اندراوس الهمام ووقفه للدير · من ذلك ١ً – سند موقع بامضاء عبود قريح بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٨٤٠ يقرر فيه انه قبض من القس اندراوس رئيس دير الشرفة مبلغ ٧٧٥ غرشاً · ٢ً – مبلغ ١٨٥٠ غرشاً بامضاء جرجس مهان من بقعاتا تاريخ السند كانون الثاني ١٨٤١ وهو موقع بامضاء الرئيس · ٣ً – مبلغ ٢٧٨ غرشاً بامضاء عبود قريح السابق الذكر وهذا السند مؤرخ في ١١ شباط ١٨٤٢ الخ ·

نهض القس اندراوس نهوضاً شريفاً مشكوراً بخدمة دير سيدة النجاة مدة ١٤ سنة كما قلنا عاش التلامذة في عهده متشبعين بروح التقوى متفرغين الدرس والمطالعة منقادين لمراسيم رئيسهم الجليل · وارتقى بعضهم الى الرتبة المقدسة كما نذكر ذلك في فصل لاحق ·

---

(١) مخطوطات الدير : مجلد ٣ : ٣٣.

٢ – تعيين القس اندراوس مرسلًا للرها

في السنة ١٨٤٢ قرّ رأي البطريرك الانطاكي على تعيين القس اندراوس يغمور مرسلًا لمدينة الرها لِمَا عهده فيه من التفاني في سبيل الانفس. فامتثل هذا الكاهن الغيور أوامر البطريرك وأخذ يُعدّ العدّة للسفر. ودفع دفاتر الحسابات الى الخوري جرجس صعب الذي خلفه في رئاسة الدير وقد قرأنا في ورقة بقلم القس اندراوس اثبت فيها: ان الدين الباقي له عند الشركاء عام ١٨٤١ بلغ ٧٧٨٨ غرشاً. وفي ١٢ حزيران ١٨٤٢ كتب وثيقة دفعها الى الخوري جرجس خلفهِ هذا نصّها:

« سبب تحريره هو انه انا الفقير المحرر اسمي ادناه قد سلمتُ الى حضرة الخوري جرجس صعب رئيس دير الشرفة الان كامل الدَّين الذي لي بذمة الشركاء بموجب قائمة مع السندات المحررة على البعض منهم مع الدَّين الباقي لي ايضاً على الدير بموجب الحساب وقدر المبلغ جميعه غروش ٧٧٨٨ غرشاً. وعرضنا عن هـذا المبلغ جميعه لديوان السيد البطريرك. فحسبما يصدر الحكم عنه من غبطته نسلك بموجبه مع حضرته. فاذا حكم غبطته لنا بالفائض فنأخـذه من حضرة الاب الخوري المشار اليه حسبما هو متعاهـد لنا بالسند الذي بيدنا منه ولا يبقى لنا طلب عـلى الشركاء بشيء. وقد اتّفقنا ان نسلمه نسخة بحساب الدير مثل النسخة المرسلة منا الى غبطته. وسلمناه هذه الوثيقة الشرعية بيده لاجل البيان وعدم النزاع –

« تحريرًا في اليوم الثاني عشر من شهر حزيران سنة ١٨٤٢

محرر بيد القس اندراوس يغمور

رئيس الشرفة السابق ».

وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٨٤٢ قبض القس اندراوس يغمور من الخوري جرجس صعب ٤٠٠ غرش لاجل مصاريف سفره الى حلب.

٣ – سفر القس اندراوس الى حلب فالرها

في تشرين الثاني ١٨٤٢ سافر القس اندراوس يغمور من دير الشرفة متوجهاً الى حلب. فاستقبله البطريرك بطرس المغبوط بترحاب وأثنى على ما أداه من الأمانة والغيرة لاجل مصلحتي دير سيدة النجاة العلمية والعمرانية.

ثم انعش فيه روح الشجاعة والجهاد ووجّهه الى الرها ليقوم بخدمة النفوس فيها . فامتثل القس اندراوس أوامر البطريرك واقام هناك بضعة أشهر يفرّغ كلّ الجهود في استجلاب المنفصلين الى الكنيسة الكاثوليكية وكان من التساهل معهم ما كانه مع تلامذة الشرفة . غير ان اتعابه لم تثمر الثمار المرغوبة ولاسيما لجهله التركية والارمنية اللتين كانتا يومئذٍ متفشيتين في تلك الحاضرة السريانية البحتة . بناء عليه كتب الى صاحب الغبطة يعرض عليه الصعوبات ومكث في الرها ينتظر الجواب .

٤ — سفر القس اندراوس الى ماردين

وصلت عريضة القس اندراوس الى السيد البطريرك فكتب اليه ان يستأنف السفر الى ماردين ويخدم النفوس بادارة السيد يوليوس انطون سمحيري . فلبى القس اندراوس أمر البطريرك المغبوط وتوجه الى تلك المدينة فرحب به مطرانها الجليل كلّ الترحيب وأقامه خادماً للنفوس ثم كتب الى رئيس الشرفة بتاريخ ٧ شباط ١٨٤٤ يقول: «نحن في حاجة الى كهنة والى معلِّم يعلّم في المكتب . فغبطة السيّد البطريرك قد ارسل الينا حضرة القس اندراوس يغمور المكرّم الموصوف بفصاحة لسانهِ . ولكننا نحن محتاجون الى غيره ايضاً فنرجو ان تستعجلوا بتعليم الولدين افرام كَرش مرش وباسيل توبجان وترسلوهما الينا ... »

٥ — عودة القس اندراوس الى حلب ووفاته

لم تستغرق اقامة القس اندراوس يغمور في ماردين اكثر من اربعة اعوام فقد اعتراه داء اضطرّه ان يعود الى وطنه وهناك انتقل بعد ايام معدودة الى جوار ربّه في السنة ١٨٤٨ رحمه الله تعالى .

ولا بدّ لنا من الالماع ههنا بمبرّات المرحوم ميشيل بن نعوم يغمور (١٨٦٨ — ١٩٣٦) المذكور في الخير نسيب القس اندراوس رئيس دير

الشرفة . فقد غرس الله المنان في قلبه منذ حداثته عواطف رقيقة تعهّدها بلطفه وسخائهِ في كلّ ادوار حياتهِ حتى أَصبح قدوةً صالحةً في ايمانهِ وآدابهِ وشمائلهِ واخلاقهِ ولاسيما في صنائعه الخيريّة ومشاريعه المليّة . اذ كان همه تفريج كربة المكروب والأَخذ بيد البائس المنكوب . وقد سمعناه نحن مراراً يندب لوعات المساكين وشاهدناه بعيننا يسمع الكاهن يرتّل في اثناء القدّاس قائلًا : « لاتغفل يا ربّ ولا تُعرض عن ضيق

المطيّب الآثار والمآثر السيّد ميشيل نعوم يعقوب الحلبي

البائسين وصراخ المساكين وغمّ المتضايقين وتنهّد المتعبين » فيستغرق في الصلاة عطفاً عليهم ورأفةً ببلاياهم . وهذه عوارفه في حلب وطنه وفي القاهرة مركز تجارتهِ اقوى برهان على مكنونات قلبه الرقيق العطوف . اذ انه رحمه الله تعالى لم يقتصر على اغاثة الفقير وتخفيف هموم البائس الحزين بل أَسس في القاهرة حذاء كنيسة الورديّة مدرسة لفتيان الطائفة ليتلقّنوا المبادىء السريانيّة والعربيّة والخدم البيعيّة . لله ما أنقى هذا الروح ! وما أَشهى هذا القلب ! وما اكرم هذه النفس ! انها ولعمري تستوجب كلّ ثناء

وامتنان وتستحقّ افضل المكافاة ممن صرّح قائلاً «طوبى للرحماء فانهم يرحمون».

أَجل لقد غـدا اسم ميشيل يغمور الشهيّ متغلغلاً في قلوب الفقراء والفتيان البؤساء معاً تغلغل أَعذب النسائم في ازكى الزهور . وسيدوم متغلغلاً في القلوب الى ما شاء الله الكريم .

ويسرّنا جدّاً ان انجاله الثلاثة اعني الكومندور نعيم والسيّدين بشير ونقولا الفضلاء ناسجون على منوال ابيهم ميشيل السعيد الذكر سالكون مسلكه القويم . اطال المولى تعالى أَعمارهم باليمن والتوفيق . وأَسبغ عليهم وعلى أسرهم المباركة أَنعمه الوافرة وآلاءه الفائضة .

الفصل الثاني عشر

قسوس دير الشرفة من السنة ١٨٢٥ حتى السنة ١٨٤١

١ – القس حنا هزاز الحلبي (١٨٢٥ – ١٨٥٢)

اسرة هزّاز قديمة العهد في حلب قصد حنا احـد افرادها دير سيّدة النجاة وتثقّف في العلوم الكهنوتية حتى ارتقى الى الدرجة المقدّسة في ١٧ آيار ١٨٢٥ وخدم النفوس في وطنه وادركته المنون عام ١٨٥٢

٢ – القس توما صبّاغ ابرهيمشاه (١٨٢٥ – ١٨٤٧)

هو توما ابن الياس ابن المقدسي نعمه بن يوسف بن فتح‌الله بن جرجس بن الياس بن فتح‌الله ابن الكونت سفر ابرهيمشاه[1] ابصر النور عام ١٧٩٨ ثم قدم الى لبنان وقضى ايامه تارة في دير الرغم وطوراً في دير الشرفة حتى ارتقى الى الرتبة المقدّسة في ١٧ آيار ١٨٢٥ وخدم النفوس في حلب وطنه وانتقل عام ١٨٤٧ الى جوار ربّه .

---

(١) راجع كتابنا « آل ابرهيمشاه في التاريخ » فصل ٥

٣ – القس لوقا حسن الموصلي (١٨٢٧ – ١٨٣٣)

قدم هـذا القسيس الفاضل الى دير سيدة النجاة عام ١٨٢٣ وكان السيّد قرلّس بهنام بشارة مطران الموصل قد رقّاه الى الرتبة الدياقونيَّة مكافأة له على خدمه المتواترة في الكنيسة . ولمّا نوى الانضمام الى السلك الكهنوتيّ حمّله الخوري ميخائيل صائح كتاب توصية الى رئيس الشرفة . فسافر الشماس وبلغ الى الدير واقام معتكفاً على اقتباس العلوم الفلسفية واللاهوتية حتى ١ آب ١٨٢٧ فسيم قسيساً وعاد الى وطنه . لكنّ المنون عاجلته في السنة ١٨٣٣ وهي السنة السادسة لقسوسيّته .

٤ – الخوري فيلبس قزازة الموصلي (١٨٢٨ – ١٨٧٦)

مكث هذا الخوري الجليل مدّة ستة اعوام في دير الشرفة مكبّاً على الدرس واقتباس الفضائل الكهنوتية حتى انضمّ في ٢٢ شباط ١٨٢٨ الى السلك الكهنوتيّ . وعُيّن خادماً للنفوس اولًا في دمشق الشام . ثم جعل يتنقّل من دمشق الى راشيا ومنها الى قطنة ومنها الى قلعة جندل مفرغاً كنانة وسعه في خدمة النفوس العزيزة على قلب يسوع الفادي . وقد نهض بمساعيه الطيبة الحسنة نهوضاً اميناً مقدّساً وخلّد لغيرته ذكرى طيبة يردّدها شيوخ دمشق وملحقاتها حتى اليوم . وادركه الاجل المحتوم عام ١٨٧٦

ومن صنائع الخوري فيلبُّس المبرورة انه اشترك في بنيان كنيسة الدير بمبلغ ٨٢ ليرة ذهبية . وحبس عليه داراً اشتراها في دمشق . وقد بيعت بأمر البطريرك مار اغناطيوس جرجس شلحت بمبلغ ٢٨،٥٠٠ غرش واستبدلت باربعة مخازن ابتناها الخوري باسيل قندلفت رئيس دير الشرفة يومئذٍ في ميناء جونية ملاصقة لملك السيد البطريرك المشار اليه وملك الخوري انطون قرواني رحمهم الله تعالى .

٥ – القس اسطفان داود (١٨٢٨ – ١٨٦٧)

يُنسب هذا القسيس الفاضل الى أسرة داود احدى الاسر السريانيّة الشريفة في بلدة راشيا . انضمّت الى البيعة الكاثوليكيّة بارشاد السيّد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق (١٨٢٤ – ١٨٧٦) . وثابر القس اسطفان على التشرّب من العلوم والفضائل الكهنوتيّة ستة اعوام حتى استحق الانضمام الى سلك القسوس في ٢٥ اذار ١٨٢٨ وخدم الرعيّة في راشيا مسقط راسه مدّة ٣٩ سنة بكلّ جدّ واجتهاد ورقد بالربّ عام ١٨٦٧

٦ – القس يوسف سنبل (١٨٣٠ – ١٨٨٤)

اتّصفت أسرة سنبل الموصليّة بغلوّها بالايمان الكاثوليكي المقدّس حتى ان السيّد غريغوريوس عيسى محفوظ مطران الموصل (١٨٢٦ – ١٨٥٥) اقام احد افرادها وهو الشماس الياس سنبل معاوناً للقسّ انطون حبش في اخويّة « الحبل بمريم العذراء بلا دنس »[١] . وقد وصل يوسف سنبل الى دير الشرفة عام ١٨٢٤ وثابر على الدرس والمطالعة ستة اعوام ريثما اندمج في السلك الكهنوتيّ في ١٩ اذار عيد مار يوسف خطيب العذراء مريم عام ١٨٣٠ وعاد الى وطنه يقوم بخدمة النفوس . وادركته الوفاة عام ١٨٨٤

---

(١) تاريخ المطران افرام نقاشة ٥٣٦

٧ – القس جرجس شمعونة الحلبيّ (١٨٣٠ – ١٨٤١)

امتاز هذا القسيس الوقور بتقواه واعتكافه على نساخة الكتب . وقضى حياته تارةً في دير الشرفة وطوراً في دير مار افرام الرغم . وكانت سيامته الكهنوتيّة عام ١٨٣٠ على ان ثوار الدروز فتكوا بهذا القسيس الفاضل عام ١٨٤١ واليك ما كتبه الخوري ميخائيل ازرق في هذا الصدد الى نيافة الكردينال برنابو بتاريخ ٢٤ آب ١٨٦٨ قال ما خلاصته :

«...في عهدي صارت الحرب بين الدروز والنصارى فأتى الدروز ونهبوا دير مار افرام الرغم وشلحوني انا والاخ مبارك . وتمّ ذلك سنة ١٨٤١ فحضرت وقتئذٍ الى دير الشرفة وعرضتُ الأمر على الخوري جرجس صعب رئيسه فجعلني راعياً على التلاميذ . امّا دير الرغم فبقي من السنة ١٨٤١ حتى السنة ١٨٦٠ متروكاً لسبب المخاوف . وفي هذه المدّة قُتِل الاخ مبارك فوليّة الحلبيّ وراهب مبتدىء اسمه عبدالله . وتشلح المطران يوسف حائك . واحرق الاعداء كلّ اماكن الدير الخشبيّة وهي قرب ٢٠ مسكناً . وقتلوا الكاهن الساكن فيه وهو القس جرجس شمعونة الحلبيّ . ولم يبقَ من الدير شيء سالم من الضرر الا الكنيسة وخمس أوَض والكلار والمطبخ . . . واصبح مسكناً للوحوش ... »[1] .

هكذا انقضت حياة هذا الكاهن الشهيد وقد خلف بعض مخطوطات ذكرناها في كتابنا « فهرس مخطوطات دير الشرفة » منها كتاب « مرشد المستفحصين » ترجمة البطريرك بطرس جروة • ومنها كتاب الصلاة العقلية تأليف القدّيس الفونس دي ليكوري • وكتاب « الصحيفة العبقريّة في الاصول المنطقية » تأليف القس يواكيم الراهب الباسيلي الملكيّ عام ١٧٥٤ الخ[2] .

---

(١) سجلّ دير الشرفة (تقرير حقوق دير سيدة النجاة ودير مار افرام الرغم بقلم الخوري ميخائيل ازرق) .

(٢) فهرس المخطوطات : صفحة ٤٠٧ و٤١١ و٤٣٣

٨ – القس يوسف شمعون الموصليّ (١٨٣٥ – ١٨٦٦)

بعدما انهى دروسه في دير سيدة النجاة انضمّ الى مصافّ القسوس عام ١٨٣٥ وخدم الرعية السريانية في مصر (١٨٤٩ – ١٨٥١) ثم عاد الى وطنه وفيه أدركه الاجل عام ١٨٦٦ واكبّ القس يوسف على نساخة الكتب التقويّة رأينا منها تسعة محفوظة في خزانة مخطوطات دير الشرفة نذكر منها ١ً – محاورة جدلية ضدّ مزاعم البروتستان . ٢ً – تواريخ الفرنسيسكانية . ٣ً – سير قديسين ومواعظ . ٤ً – اخبار مريم العذراء المغبوطة . ٥ً – اخبار تقويّة شتى . ٦ً – تنبيهات القدّيس كارلس بورومااوس ٧ً – سعادة الانفس ٨ً – فحص الضمير للاعتراف . ٩ً – صلوات واخبار تقوية الخ[1].

٩ – الخوري بطرس محب الله النبكي (١٨٣٨ – ١٨٦٦)

هو من أنسباء القس يوسف محبّ الله السابق ذكره (ص ١٥٩) . ارتقى الى الرتبة المقدّسة في ٢٩ حزيران ١٨٣٨ وخدم النفوس في وطنه وخلّف في النبك وما جاورها من البلدان اسماً طيّباً يردّده الاهالي بعذوبةٍ حتى يومنا .

١٠ – القس اسطفان حلياني (١٨٤١ – ١٨٦٢)

وُلد في راشيّاً احدى قرى لبنان الشهيرة وتلقّن العلوم في دير الشرفة حتى أضحى قسيساً عام ١٨٤١ وخدم ابناء ملّته السريانية في راشيا وطنه وفي كفرقوق وقلعة جندل وبيتيما وقطنة . وكان من أخلص الكهنة طاعة واوفرهم تقوى . وقضى نحبه عام ١٨٦٢ وله مخطوطة في خزانة دير الشرفة ذكرناها في كتابنا الفهرس[2] .

---

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٣٥٠ و٣٦٧ و٣٦٩ و٣٧٠ و٣٧٢ و٤١٠ و٤١٢ و٤١٣ و٤١٨ .

(٢) فهرس المخطوطات : صفحة ٤٠٧

القسم الرابع

دير الشرفة منذ السنة ١٨٤٢ حتى السنة ١٨٧٩

الفصل الاول

نظرة اجمالية في ما سبق

نهج رؤساء دير الشرفة والكهنة تلامذته مدّة ٥٦ سنة (١٧٨٦ — ١٨٤٢) ذات المنهاج الذي وضعه مؤسسه الطيّب الاثر مار اغناطيوس ميخائيل الثالث . فكانوا يعيشون عيشة تكاد تكون كعيشة الرهبان في صلاتهم ودرسهم ومطعمهم ومشربهم وانتباههم ورقادهم . يفرغون الطاقة في احراز اللغتين السريانية والعربية ويتعلّم كبارهم مبادىء الفلسفة واللاهوت الادبيّ . وكان السيد البطريرك وهو رئيس الدير الاعلى يضمن للكهنة ما يلزمهم من قوتٍ وكسوة في حالتي صحتهم ومرضهم وكانوا هم بدورهم ينذرون للدير كلّ ما تجنيه يمينهم من كليّ وجزئيّ .

وعلى تمادي الزمان رأى الرؤساء ان ينقحوا هذا القانون ويتساهلوا في ذلك النذر ويقتصروا على الزام من تثقف في الدير وارتقى الى رتبة الكهنوت ان ينذر له ثلث ما يخلفه فقط . هذا علاوةً على نذرَي الطاعة والعفة . وقد نسج الجميع على ذلك المنوال كما يتضح من القيود المثبتة في سجلّ التلامذة اذ يشاهد تاريخ عماذ التلميذ واسم وطنه وتاريخ وصوله الى الدير وسنة قسوسيته ونصّ نذره مكتوباً بخط يده . واستثنى الرؤساء من ذلك النذر كلّ من أهلته فضائله الكهنوتية وعلومه الكافية للرتبة الاسقفية السامية فأطلقوا له الحريّة في ايفاء نذره او إلغائه .

ثم قرّر الآباء فوق ذلك ان يتلقن التلامذة لغة اوربية علاوة عـلى اللغتين السريانية والعربية . وكانت تلك اللغة في اول الامر اللغة الايطالية ثم صارت اللغة الفرنسية .

وأصدر الحبر الاعظم البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١-١٨٤٦) أوامره بان يُطلَقَ على هـذا المعهد الكهنوتيّ اسم « مدرسة اقليرسية » او بالحريّ « اكليريكية » ويقابله بالفرنسية لفظ Séminaire اعني ܒܝܬ ܡܕܪܫܐ او ܡܕܪܫܬܐ ܩܕܝܫܬܐ . وحتم الاب الاقدس ان يشرف على هذه الاكليريكية المونسنيور فرنسيس فلردل القاصد الرسولي[1] . ووافق عـلى ذلك بطريرك الملّة مار اغناطيوس بطرس جروة المغبوط .

بيد ان الشرفة ظلّت معروفةً لدى العامّة حتى هـذا اليوم باسم « دير الشرفة » وفقـاً لتقرير المؤسس الجليلِ او دير « سيدة النجاة » . وللسيد البطريرك الانطاكيّ ان ينصب ويعزل من يراه ويأمر وينهي بما يستصوبه في كلّ ما ينوط بهذا المعهد الكهنوتيّ من الشؤون العلمية والاداريّة معاً .

---

(١) سجل تلامذة الشرفة : مجلد ١ تولى السيد فلردل القصادة الرسولية عام ١٨٤١ وارتحل الى الموصل بمثابة زائر رسولي . واستحضر من فرنسا راهباتِ مار يوسف ففتحن مدرسة للفتيات في بيروت . وتبرع بمبلغ وافر لتشييد كنيسة سيدة النجاة في بكفيا . وتوفي عام ١٨٥٢ (راجع كتابنا « اثار فرنسا ومآ ثرها في لبنان وفي سوريا » صفحة ١٦٧

الفصل الثاني

رئاسة المطران اقليميس بولس صعب الحلبي
(١٨٤٢ — ١٨٤٩)

١ – مبادىء المطران بولس

تلقى علومه الابتدائية اولًا في دير الشرفة · ثم ارسله البطريرك بطرس جروة عام ١٨٢٨ الى اكليريكية نشر الايمان المقدس برومية · فمكث هناك ١٢ سنة مكبًّا على تشرب العلوم من ينابيعها الصافية · وفي السنة ١٨٤٠ عاد الى حلب فرقاه البطريرك الانطاكي الى الرتبة الكهنوتية وسمّاه جرجس · ومن اقطع الادلة على سموّ فضائله وثقافته ما سُجّل عنه في قيود تلك الاكليريكية الاوربانية الشهيرة وهذا تعريبه عن اللاتينية: « كان جرجس صعب شابًا تلوح عليه مخايل النجابة · اشتهر بالادب وحفظ القوانين والتقوى · كان مغرمًا بتحصيل العلوم محبوبًا لدى الجميع · رُزق جانبًا من الذكاء · فارق المدرسة ولها فيه آمال عظيمة » ·

٢ – اختيار القس جرجس صعب لرسالة ماردين

على اثر سيامة القس جرجس قسيسًا عرض عليه السيد البطريرك ان يتوجه الى ماردين ليساعد المطران يوليوس انطون سمحيري في رعاية النفوس واجتذابها الى الحظيرة الواحدة · وقد سُرّ المطران انطون بذلك سرورًا وافرًا حمله على ان يكتب في ٣ اذار ١٨٤٢ الى القس جرجس ما نصه:

« عرفنا انكم كنتم مصممين ان توآنسونا برؤيتكم في ماردين · ثم تغيرت التدابير من سوء حظنا وتوجهتم الى دير الشرفة · فنرجو ان تجعلوا نظركم على ولدينا ايليا وتوما المحروسين وتبذلوا كل اهتمامكم في ما يلزمهما · وكان الاعداء قد ضبطوا معبدنا ومقبرتنا · وبعونه تعالى انتصرنا واسترجعنا المعبد وضبطنا المقابر · · · » ·

٣ – قدوم القس جرجس صعب الى الشرفة

واخيراً قرّ رأي البطريرك الانطاكي على اقامة القس جرجس رئيساً على دير الشرفة فغادر حلب عام ١٨٤٢ ووصل الى الدير في ١٠ ايلول وتسلّم دفاتر الحسابات من سالفه القس اندراوس يغمور كما ذكرنا . وعلى اثر غائلة دير مار افرام الرغم كما ألمعنا انهزم الى دير الشرفة القس ميخائيل ازرق الراهب الافراميّ فاقامه القس جرجس الرئيس راعياً للتلامذة . وقد نهض الرئيس والراعي معاً بخدمة دير سيّدة النجاة خير نهوض . وفي ٢٥ نيسان ١٨٤٢ سار الراعي المذكور الى زحلة ونقل من طاحون دير مار افرام الرغم ٦ اكيال قمح الى الشرفة . وتعوّد مذ تلك السنة ان يُشرف المرّة بعد المرّة على تلك الطاحون وينقل غلّاتها الى دير الشرفة .

٤ – قدوم تلميذين من ماردين

ما عدا التلميذَين ايليا كرشمرش وتوما تومجان السابق ذكرهما فقد وجّه المطران انطون سمحيري الى دير الشرفة تلميذَين آخرين وهما : روفائيل بن الياس جرخي وفيلبس بن سعيد عركوس فانضما الى سلك التلامذة وجعلا يثابران على اكتساب الفضائل والعلوم الكهنوتية . وكتب المطران انطون سمحيري بتاريخ ٢٤ آيار ١٨٤٤ الى رئيس الشرفة الخوري جرجس صعب يقول :

«حضرنا الى حلب صحبة السيد لورنسيوس تريوش القاصد الرسولي (١) لاجل مدينة الرها . ولطائفتنا السريانية أمل في ارتداد بعض اخوتنا السريان هناك . وقد استصحبنا معنا ولدينا روفائيل الياس جرخي وفيلبس سعيد عركوس وهما متوجّهان الى طرفكم . فنلفت نظركم اليهما . ثم نسألكم ان تستعجلوا في تعليم ولدينا الاولين توما وايليا وولدنا يوسف سعيد متاح ليتقوا في اللغة السريانية وفي اللاهوت الادبي ... وأرغب ان تضعوا اسم افرام لولدنا ايليا كرشمرش واسم بطرس لولدنا عبد الاحد طوبال» (٢) .

(١) تولى قصادة ما بين النهرين من السنة ١٨٣١ حتى السنة ١٨٥٠

(٢) ان تلامذة الشرفة الاربعة اعني : روفائيل جرخي وفيلبس عركوس ويوسف متاح وبطرس طوبال ارتقوا الى الكرامة الاسقفية كما سترى في المتن .

٥ – كتاب المطران انطون سمحيري الى رئيس الشرفة

كتب السيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين الجليل رسائل جمة الى رئيس الشرفة منها ما ذكرناه آنفاً ومنها رسالة سيّرها اليه بتاريخ ١٩ تموز ١٨٤٥ قال فيها :

« وصل ولدانا افرام وتوما فنشكر فضلكم . وقد استقبلناهما في دياربكر بعدما ظلا ٢٥ يوماً عند شقيقكم في حلب . وان شاء الله تعالى بعد ٢٠ يوماً نتوجّه الى ماردين ونصحبهما معنا . وان أردتم تلاميذ غير التلاميذ الستّة الذين بعثناهم اليكم فاذكروا لنا ذلك . وسأعرض ههنا على التلميذَين صورة النذر طبقاً لأمر غبطته . لكنّي لا ارضى ان هؤلاء الستّة يتولون خدمة النفوس الا في ابرشيّتي فقط . واذا كان شرطي هذا ما يُعجبكم فأرجو ان ترجعوا لي التلاميذ الاربعة الذين عندكم ... ولا يصعب عليكم كلامي هذا لانّ غبطته كان يجب ان يخبّرني عن ذلك من الاوّل ... » .

٦ – سيامة رئيس الشرفة اسقفاً

اختبر البطريرك الانطاكيّ ما امتاز به الخوري جرجس صعب رئيس دير الشرفة من الغيرة والدراية والحكمة في سبيل التلامذة وتثقيفهم وفي تعزيز مصالح الدير فاحبّ ان يكافيئه على جهوده وتقواه . بناء عليه

بعدما قضى شؤون الملة في الاستانة وحصل على الفرمان المعلن استقلالها عاد الى دير الشرفة في ايار ١٨٤٥ وفي ٢١ آب السنة عينها اقام حفلة جميلة في مصلّى سيدة النجاة ورقّى رئيس الدير المشار اليه الى الرتبة الاسقفية على كرسيّ طرابلس وسماه «اقليميس بولس» وحضر السيامة السيد قورطس يوسف حائك مطران بيروت والسيد انطون الخازن المارونيّ مطران بعلبك . فاستأنف المطران الجديد خدمة دير سيدة النجاة باوفر نشاط واخلاص .

٧ – تهنئة مطران ماردين للمطران الجديد

سُرّ السيد يوليوس انطون سمحيري بسيامة المطران اقليميس بولس صعب فكتب اليه كتاب تهنئة مؤرّخاً في ١ اذار ١٨٤٦ ثم استنهض همته ليفرغ الوسع في تثقيف تلميذه يوسف متاح قال :
« نرغب ان ترسلوه الينا بعد احد العنصرة او بعد عيد انتقال السيّدة المجيدة... ثم نرجو ان تأمروا ولدكم بطرس عبد الاحد طوبال ليكتب لنا اوّلا كتاب ܗܕܝܐ الحفلات البيعيّة وكتاب الحسّايات من احد تقديس البيعة حتى عيد القيامة . وان كان ولدكم فيلبّس عركوس قد تعلم الكتابة السريانيّة فدَعُوه يكتب لنا فناقيث تقديس البيعة الى عيد القيامة . والا فليكتب فيلبّس الحسّايات بخطّ عربيّ وليكتب بطرس الفناقيث لان ذلك ضروريّ جداً . لانه من دونه كتب الطقس لا يصير ميل للبعاقبة الى الارتداد الى الايمان المقدّس... » .

٨ – سرور الاساقفة برئاسة المطران بولس صعب

جعل احبار الملّة يراسلون رئيس دير الشرفة من دمشق وحلب وديابكر وماردين والموصل وبغداد وغيرها معربين عن سرورهم بنجاح اكليريكية الشرفة وتقدّم تلامذتها في العلوم اللغويّة والفلسفية واللاهوتية . وطابت لهم البشرى باستدعاء كاهن يسوعيّ ليمرّنهم بتلك العلوم . ونكتفي للدلالة على ذلك بما كتبه السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق

بتاريخ ٣ آيار ١٨٤٩ الى المطران بولس صعب قال :

« ٠٠٠فهمنا انه حضر اليكم احد البادرية اليسوعيَّة (الاب بطرس سودانية) ليعلم عندكم في المدرسة ٠ فسرنا الخبر جداً لعلمنا الاكيد ان روح هوءلاء المرسلين اليسوعيين هو كروح يسوع المسيح ٠ فمن دون شك نوءمل ان يحصل منه ثمار صالحة ٠ ثم نرجو ان ترسلوا لنا بدلاتنا الثلاث التي أبقيناها عندكم في الشرفة ٠ واهدوا سلامنا الى اخينا المطران متى (نقار) الذي ربما الان هو موآنسكم ودمتم »

٩ – تعيين الاب بطرس سودانية معلماً

قرأنا في سجل تلامذة دير الشرفة ما نصه : « في ١٠ نيسان ١٨٤٥ حضر الى المدرسة البادري بطرس سودانيا اليسوعي ليرشد التلاميذ ويعلمهم اللاتيني لاجل درس اللاهوت . لان المطران بولس صعب بسبب مرضه لم يقدر ان يعلِّم ٠ وقد دُفع الى رئيس اليسوعيين العام عوض تدريس الاب سودانيا ثلاثمائة غرش في السنة لاجل كسوتهِ ٠ وفي ٢٤ كانون الاول ١٨٥٠ انطلق البادري من المدرسة وتولى رئاسة اليسوعيين في غزير ٠ وحضر عوضاً عنه البادري لويس كانوتي رئيس غزير سابقاً . وتم ذلك برضى رئيس المحكمة في فرنسا ورئيس اليسوعيين البادري يوحنا القاطن في بيروت »(١)

١٠ – وفاة المطران بولس رئيس الشرفة

لم تتمتع اكليريكية الشرفة برئاسة هذا المطران الهمام الا مدة قصيرة لم تستغرق اكثر من سبعة اعوام وقد كان احبار الملة كافة يؤملون الحصول على عدد غفير من القسوس المثقفين في عهد رئاسته . لكن احكام الله الغامضة قضت ان يُتوفى في ميروبا بتاريخ ١٧ آب ١٨٤٩ اذ كان قد قصدها بمشورة الطبيب انتجاعاً للعافية . فعُني بأمر تشييعه الى دير الشرفة ابن خاله الخوري يوسف اسلامبولية الورع . وأُقيم في كنيسة الدير مأتم حافل لراحة الراحل الوقور حضره جمهور من الاساقفة وقسوس قرى كسروان ورهبان الاديرة المجاورة . وقد خلّف رحمه الله تعالى في قلوب الكهنة والتلامذة ذكرى جميلة لجهودهِ المتواصلة واعماله الصالحة .

---

(١) سجل تلامذة الشرفة : المجلد الاول

الفصل الثالث

كهنة دير الشرفة (١٨٤١ — ١٨٤٩)

١ – الخوري افرام كرشمرش المارديني (١٨٤٥ - ١٨٨٨)

بعثه الى دير الشرفة عام ١٨٤١ المطران يوليوس انطون سمحيري وعمره يوم ذاك ١٨ سنة فثابر على الدروس الكهنوتية وبرع في الخط السرياني خصوصاً . وفي صيف السنة ١٨٤٥ عاد الى ماردين فرقاه المطران المشار اليه في ١٠ ايلول السنة عينها الى الرتبة المقدّسة في بيعة ماردين. وخدم النفوس بكل غيرة ونشاط ثم رُقي عام ١٨٦٩ الى رتبة خورفسقفوس بيد السيد اغناطيوس فيلبس عركوس البطريرك الانطاكي . وامتاز بخطه السرياني الجميل فنسخ لبيعة ماردين عدّة كتب طقسية نذكر منها الفناقيث السنوية واسبوع الآلام والاشحيم والسهرانة الخ وهذه المخطوطات قد نُقلت الى بيروت وضُمّت الى مخطوطات البطريركيّة الانطاكية .

واعتنى الخوري افرام بسجلّات كنيسة ماردين فنظم اسماء العيال طبقاً للحروف الهجائية . وخصّص لكل اسرة ورقة او اكثر ليسهل على المطالع مراجعتها . وقس على ذلك سجلّات الزواجات والوفيات الخ . وما برحت تلك السجلّات محفوظة لهذا العهد في ماردين . ووقف الخوري افرام لكنيسة ماردين بستاناً مشهورة باسم « المشرفة » وداراً حوّلت الى كنيسة دُعيت كنيسة مار اسيا وهي في شرقيّ المدينة . وانتُدب الخوري افرام الى المقام الاسقفيّ فاستعفى . وفي اواخر حياته أصيب بداء الفالج الوبيل وانعقد لسانه فاصطبر على مضض الاوجاع حتى انتقل في السنة ١٨٨٨ الى جوار ربّهِ رحمه الله تعالى .

٢ – الخوري باسيل توهجان الماردينيّ (١٨٤٥ – ١٨٧٩)

قدم الى دير الشرفة مع الخوري افرام كرشمرش المذكور آنفاً ومعه تلقى العلوم وعاد الى ماردين . وكان ميلاده عام ١٨٢٣ واسمه توما . فلما رقاه السيّد انطون سمحيري الى الرتبة القسوسية سماه باسيل في ١٠ ايلول ١٨٤٥ وخدم النفوس في بيروت ثم انطلق الى مذيات وجال في خربوط واديامان وكان في سويرك عام ١٨٦٧ فكتب اليه البطريرك اغناطيوس فيلبُّس عركوس عام ١٨٦٨ يقول : « ... اخبرونا بالصدق المسيحيّ عن جماعة سويرك وعن ثباتهم لئلّا يصير بنا مثلما صار في خربوط اذ جلتم مدة مديدة بغير فائدة ... »(١)

وفي ١٢ حزيران ١٨٦٨ كتب اليه البطريرك المشار اليه هذه الرسالة :

« حضرة ولدنا الاب الاكرم القس باسيل توهجان المحترم .

« البركة الرسوليّة والسلام بالربّ يسوع . غب التحيّة والسؤال عن عزيز خاطركم وصلنا تحريركم المدوّن في ٣١ ايّار شرقيّ وشكرنا الربّ لدوام سلامتكم وبه تقولون انكم دفعتم ١٠٠ غرش مقيدة عن البيت لمدّة شهرين ... فنجيب ان تحريرنا لكم بالحضور الى ماردين ما هو احتياجاً لوجودكم في ماردين حيث لا شغل لكم فيها . لكن الضرورة اوجبتنا ان نصدّق كلامكم بانه لا شغل لكم في سويرك . ثم تطلبون ان نأذن لكم بالحضور عند والدتكم ... فالآن ان حضرتم سريعاً ام تأخّرتم فالامر عندنا متساوي قصدنا افادتكم . واهدوا منا البركة لاولادنا الكاثوليك واخصّهم المقدسي جرجس غنيمة ... »(٢)

وفي آب السنة ١٨٦٨ المذكورة عاد الخوري باسيل توهجان الى ماردين وقدّم استعفاءه من خدمة النفوس . ثم شخص الى دمشق وفيها ادركه الاجل

---

(١) سجل البطريرك فيلبس : ورقة ٣٨٣ تاريخ ١٧ آب ١٨٦٨

(٢) سجل البطريرك فيلبس : صفحة ٢٧٥

عام ١٨٧٩ وله مخطوطة في خزانة دير الشرفة عنوانها « الرياضة اليومية في الحقائق الابديّة »[١].

٣ – المطران فلبيانس بطرس متاح المارديني (١٨٤٦ – ١٨٦٣ – ١٨٧٤)

وصل الى دير الشرفة في ١٠ تشرين الثاني ١٨٤٣ واقتبس من العلوم الكهنوتية ما اقتبس وصار قسيساً في ٣ ايلول ١٨٤٦ وكان اسمه يوسف وخدم النفوس في ماردين زماناً واصبح مثالاً للجدّ والعمل والخضوع لمطرانه الجليل . وفي ٢٠ ايّار ١٨٥١ توجّه الى مذيات قاعدة طور عبدين صحبة الاب ريموند الكبُوشيّ اجابة الى طلب المطران زيتون الذي انضمّ الى الكنيسة الكاثوليكية[٢] زماناً ثم أخلف في ميثاقه فعاد القس يوسف متاح الى ماردين ورقّاه البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري الى كرسيّ اسقفية الجزيرة صباح ١١ تشرين الثاني ١٨٦٣ وسماه « فلبيانس بطرس » واستصحبه البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس عام ١٨٦٩ الى المجمع الفاتيكانيّ برومية . ثم عاد الى مركزه في الجزيرة وهناك أُصيب بداء دويّ اضطره

(١) فهرس المخطوطات صفحة ٤١١

(٢) رسالة القس بطرس طوبال الامدي الى القس ميخائيل ازرق عام ١٨٥١

ان يعود الى ماردين وفيها لفظ روحه بيد خالقها في ١٦ حزيران ١٨٧٤ ودُفن جثمانه في مقبرة الاساقفة تحت مذبح ابينا مار افرام الملفان . وقد خلّف هذا المطران الجليل اوقافاً معتبرة لكنيسة والدة الله بماردين . رحمه الله تعالى .

٤ – المطران ماروثا بطرس طوبال الآمدي (١٨٤٨ – ١٨٨٨ – ١٩١٥)

أبصر النور في ديابكر في ٤ كانون الثاني ١٨٢٦ . واطمأنت الى الحياة الاكليريكية نفسه فشخص الى دير الشرفة مع يوسف متّاح المذكور آنفاً . وسيم كاهناً في ٢٩ شباط ١٨٤٨ وفي ٢٢ ايار السنة المرقومة كتب الى رئيس الشرفة يقول :

« حسب امر غبطة البطريرك نذرنا الطاعة اولا لغبطته ثم لمطراننا يوليوس انطون سمحيري ولخلفائه من بعده . وارتسمنا على كنيسة مار بطرس ومار بولس بدياربكر وطننا . ونذرنا كذلك ثلث ما يتبقّى من متروكاتنا للدير (الشرفة) والثلثين الآخرَين عن نفسنا ولوارثينا حسبما نذر القسوس رفاقنا : اعني القس افرام كرشمرش والقسّ باسيل

توبجان والقس يوسف متاح الماردينيّين. ونحن الآن نعلّم في الاسكول (المدرسة) اولاد طائفتنا القراءَة سريانياً وعربياً . وقبل شهر ارتسم من تلاميذنا ١٥ فتًى بالدرجات الصغيرة ليخدموا في الكنيسة المبنيّة حديثاً منذ ٧ اشهر . وكتبنا مكتوباً لاخينا فيلبس عركوس وهو داخل مكتوبكم . ونترجّى ان تستعجلوا في تعليمه ...».

وفي السنة ١٨٨٧ حجّ القس بطرس طوبال عاصمة الكثلكة حاملاً الهدايا الى الحبر الروماني البابا لاون الثالث عشر في فرصة يوبيله الكهنوتيّ وعاد الى دير الشرفة عام ١٨٨٨ وانضمّ الى آباء مجمع الشرفة فرقّاه السيد اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكيّ صباح ٣٠ ايلول من تلك السنة الى كرسيّ مطرانية ميافرقين وسماه « ماروثا بطرس » وحضر تلك السيامة الجميلة احبار الملة السريانية وهم : السادة قرلّس بهنام بنيّ مطران الموصل : واثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد . واقليميس يوسف داود مطران دمشق الشام ويعقوب متى احمردقنه مطران الجزيرة وثنوفيلس انطون قندلفت مطران طرابلس وربولا افرام رحماني مطران الرها . وعاد المطران ماروثا بطرس الى دياربكر وطنه مندفعاً الى خدمة رعيته حتى ادركته المنون عام ١٩١٥

وخلف المطران ماروثا رحمه الله تعالى آثاراً طيبة في الملة السريانية اذ كان ممتازاً بسعة معارفه ونبوغه في التركية والسريانية والعربية وتضلعه خصوصاً من الاسفار المقدسة. هذا فضلاً عن فصاحة لهجتهِ في القاء المواعظ بالتركية والعربية وجودة خطهِ السرياني والعربي. وله في خزانة دير الشرفة بعض مخطوطات أتينا على وصفها. منها شرح انجيل مار لوقا. و« الصحيفة العبقرية في الاصول المنطقية » . و« منظومة على نسق مثلثات قطرب »[1] وهذان المخطوطان الاخيران قد نسخهما في دير الشرفة عام ١٨٦٠ تغمد الله تعالى نفسه بغزير رحماته .

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٣٢٢ و٣٢٤ و٤٥٣

٥ – البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس الماrديني (١٨٥٠ – ١٨٧٤)

لهذا البطريرك المغبوط تلميذ دير الشرفة الوفي ذكرى جميلة حلوة يرددها كل من تربى وتثقف في هذا المعهد المقدس . فقد انبثق فجر حياته عام ١٨٢٧ واقبل عام ١٨٤٤ الى دير سيدة النجاة . فاكب على تحصيل العلوم حتى نبغ في السريانية والعربية علاوة على اللغة التركية وبلغ من العلوم والفضيلة ما لم يبلغه الا القليلون من اترابه . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٥٠ وفي السنة ١٨٥٤ وجّهه راعيه الجليل الى ازها اذ كان قد انضم فيها الى البيعة الكاثوليكية ٧٠ بيتاً . فسرّ به المتكثلكون واحتفوا به كلّ الاحتفاء . ثم عرضوا عليه ان يمكث عندهم بشرط ان يرضى بقبول الرتبة الاسقفية من البطريرك يعقوب المنوفيزيتيّ القلعتمراوي (١٨٤٧ – ١٨٧١) ويدفع له ١٥٠ ليرة ذهبيَّة . فاضطرب القسّ فيلبس كلّ الاضطراب وصباح اليوم التالي بكّر الى المصلّى وقرّب الذبيحة الالهية بحضور اولئك الرجال ثم اتشح بحلّة سوداء والتفت يعنِّفهم بزواجره البليغة ويعاتبهم . ثم خلع البدلة وخرج من الكنيسة وقفل راجعاً الى دياربكر واخبر مطرانه بالأمر . وظلّ يخدم النفوس في وطنه بغيرة متوقّدة .

وفي ٢٨ ايلول ١٨٦٢ استدعاه البطريرك مار اغناطيوس انطون سمحيري الى ماردين ورقّاه الى كرسيّ اسقفية دياربكر وسماه « يوليوس فيلبس » . وفي ٢١ حزيران ١٨٦٦ أجمع الاساقفة في حلب على اصطفائه للكرسيّ البطريركيّ وتمّت حفلة الجلوس على الكرسيّ في كنيسة السيّدة على اتمّ ما يرام من الأبّهة والنظام . ثم توجّه البطريرك اغناطيوس فيلبس فوراً الى عاصمة الكثلكة فزيّن صدره الحبر الاعظم مار بيوس التاسع (١٨٤٦ – ١٨٧٨) بدرع التثبيت في ٦ آب السنة ١٨٦٦ عينها . وزار السلطان عبد العزيز في تشرين الثاني تلك السنة وألقى في بلاطه الملكيّ خطاباً شائقاً بليغاً [1] فاتحفه بالفرمان الشاهانيّ . وبعد هذا تعهّد البطريرك فيلبس الابرشيات

(١) ترى نص الخطاب في سجل البطريرك فيلبس : ورقة ٨٥

السريانية وعاد الى ماردين مركزه ٠

وفي ٥ آب ١٨٦٩ ارتحل البطريرك فيلبس الى عاصمة الكثلكة لحضور المجمع الفاتيكاني واستصحب معه ستة من مطارنة الكرسي الانطاكي وهم: السادة ديونيسيوس جرجس شلحت مطران حلب ٠ وقورلس بهنام بني مطران الموصل ٠ واثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد ٠ وفلبيانس بطرس متاح مطران الجزيرة ٠ واوسطاثيوس افرام توكمجي مطران خربوط ٠ وايونيس ايلياً عتمة مطران قلاية ماردين ٠ غير ان الامراض نهكت قوى هذا البطريرك المغبوط فعاد الى ماردين مقره يشكو مضض الآلام حتى لفظ روحه بيد خالقها في ٧ اذار ١٨٧٤ بالغاً السن السابعة والاربعين مخلفاً للطائفة السريانية لوعات من الاسى والاسف على خسارة افضل البطاركة وانجبهم وأعزهم رحمه الله تعالى ٠

٦ – المطران اثناسيوس روفائيل جرخي الماردينى (١٨٤٨ – ١٨٦٢ – ١٨٩٠)

هو رفيق السيد اغناطيوس فيلبس عركوس شخصا معاً من ماردين الى دير الشرفة عام ١٨٤٤ وهو في السن الثامنة عشرة وارتقى في ٨ ايلول

١٨٤٨ الى الرتبة المقدسة . وخدم النفوس ١٠ اعوام في ماردين وطنه ثم وجهه مار اغناطيوس انطون سمحيري الى بغداد لخدم فيها النفوس ٤ اعوام ، وبعد ذلك استدعاه البطريرك الانطاكي الى ماردين ونصبه في ٢٨ ايلول ١٨٦٢ مطراناً لبغداد وسماه « اثناسيوس روفائيل » . فعاد الى ابرشيته يرعى غنمه على مروج الفضيلة والاداب المسيحية . وحضر المجمع الفاتيكاني عام ١٨٦٩ ومجمع الشرفة عام ١٨٨٨ وانتقل الى جوار ربه في ٢٩ نيسان ١٨٩٠ وما برح ابناء ابرشيته البغدادية حتى اليوم يلهجون بجميل صفاته الرسولية ويستمطرون غيوث المراحم الالهية على نفسه الزكية .

٧ – المطران يعقوب متى احمردقنه المارديني (١٨٥٨ – ١٨٧٩ – ١٩٠٨)

رحب به المطران بولس صعب رئيس دير الشرفة في ٢٣ حزيران ١٨٤٩ وضمه الى مصاف التلامذة فاعتكف على اقتناء العلوم والفضائل سبعة اعوام حتى توشح بحلة الكهنوت في ٣ تشرين الاول ١٨٥٨ وخدم الرعية في ماردين خدمة مشكورة افتت اليه نظر البطريرك الانطاكي فاستدعاه الى حلب ورقاه الى اسقفية نصيبين صباح الاحد ٢١ ايلول

١٨٧٩ وسماه « يعقوب متى » وجعله نائباً عنه في ماردين · وبعد سيامته هذه قدم الى دير الشرفة فاستقبله الرئيس والكهنة والتلامذة اجمل استقبال · ورقى بعض المبتدئين الى الرتب الكهنوتية الاولية · ثم حج اورشليم ومن هناك عاد الى ماردين يرعى الرعية بكل جد وتفانٍ · ولمَّا عقد الآباء مجمع دير الشرفة عام ١٨٨٨ وكان هو في جملتهم قرروا ان يكون راعياً في الجزيرة فقضى فيها بضع سنوات ثم عاد الى ماردين مريضاً مرضاً وبيلاً · وظل مقيماً في ماردين حتى انتقل الى جوار ربهِ في ١ نيسان ١٩٠٨ ودُفن في ضريح الاساقفة بالبيعة الكاتدرائية بالغاً الخامسة والسبعين ·

واشتهر المطران متى بدماثة اخلاقه ووداعة قلبه وحسن معاملاته ووثيق صلاته بارباب الحكومة حتى توصل الى ان يشيد كنائس في بنابيل وقلعة المرأة والقصور وغيرها · وامتاز برخامة صوتهِ وتضلّعه من الطقوس البيعية فكان يحتفل بها بمجالي الابهة والهيبة والاتقان · وخلّف المكتبة البطريركية مخطوطين ضخمين : احدهما كتاب ܣܕܪܐ الاحتفالات البيعية وثانيهما تقديس الكنائس والطباليث · وقد نسخهما على ورق صفيق بحروف خشنة ظريفة ورفعهما هديةً بنويةً الى البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس فيلبس عركوس · وقد وصفنا المطران متى الطيب الاثر مخطوطاً نفيساً هو كتاب « الخدم الكهنوتية » نسخه يوم كان شماساً في دير الشرفة وكتب في آخره : « تم بعون الملك الوهَّاب كتاب « العب » بيد ناسخه الشماس يوسف بن ابراهيم احمردقنه في عهد اغناطيوس انطون سمحيري البطريرك الانطاكي في ٢٠ ايار سنة ١٨٥٨ »[١] .

٨ – الخوري يوحنا طوّاف (١٨٤٤ – ١٩٠٤)

أُسرة طوّاف موصليّة الاصل اشتهر بعض افرادها بالعلم وجودة الخطّ

---

(١) فهرس المخطوطات ١٧٠ و١٧١

كالقسّ باخس في القرن الثالث عشر[1]. ثم انتقلت الى حلب وأطلق عليها اسم «دمبكلي» عرفنا منهـا السيّد الياس دمبكلي الفاضل الذي اشرف ردحاً من الزمان على عقارات دير الشرفة.

امّا الخوري يوحنا طوّاف فقد انضمّ الى تلامذة الشرفة في ١٠ ايلول ١٨٤١ وارتقى الى الرتبة الكهنوتيّة في ١٤ ايلول ١٨٤٦ بوضع يد المطران بولس صعب رئيس الدير. وخلّف الخوري يوحنا طوّاف ذكريات جميلة في الاكليريكيّة التي تثقّف فيها وفي الرعيّة السريانيّة المصريّة التي خدمها خدماً مشكورة مفعمة غيرة وتفانياً. وقد حبس عـلى دير الشرفة ارض سليخ في المواصي بمبلغ ٨٦٥٠٠ غرش في ١٢ نيسان ١٨٧٨ اضاف اليها ارضاً ثانيةً في المواصي كذلك بمبلغ ٥٠٠٠٠ غرش[2] ووقف الدير ايضاً في ٢٣ اذار ١٨٨٣ ارضاً بجوار نبع اللبن وقرّر في وصيّته ان يُقسم ريعها قسمين الاوّل لمساعدة الدير والثاني لحسنات قداديس. واشترك في عمارة كنيسة مار جرجس ببيروت ومدرستها وفي معبد اورشليم. وحُفظ رسمه الكريم في القلّاية الاسقفيّة ببيروت اقراراً بفضله وجميله. وشاهدنا اسمه الكريم

(١) اللؤلؤ المنثور: للبطريرك افرام برصوم: ٢٩

(٢) سجلّ الدير: رقم ١٧٢ و١٧٥

معلّقاً على مخطوطة في خزانة الدير اشتملت على حسّايات سريانيّة[1] . وقد توفّاه الله تعالى في القاهرة بشيخوخة مباركة عام ١٩٠٤ تغمّد المولى نفسه بعزيز رحماته .

٩ – الخوري يوسف اسلامبوليّة الحلبي (١٨٤٩ – ١٨٩٤)

اقبل الى دير الشرفة في استكمال الفتوّة عام ١٨٣٦ ثم قرّر عام ١٨٤١ الانضمام الى سلك التلامذة وكان ميلاده عام ١٨٢٥ وثابر على احراز الفضائل والعلوم الكهنوتيّة حتى ارتقى الى رتبة القسوس في ٩ نيسان ١٨٤٩ ولمّا عاد الى حلب وطنه تولّى الاشراف على عقارات دير الشرفة مدّة ٤٠ سنة (١٨٤٩ – ١٨٨٩) بكلّ امانة وغيرة . وظلّ يخدم النفوس حتى اخترمته المنيّة عام ١٨٩٤

١٠ – الخوري بولس قصّار الحلبي (١٨٤٩ – ١٨٧٧)

وُلد في حلب عام ١٨٢٥ واحتضنته الشرفة في ١٠ ايلول ١٨٤٣ وسيم قسّيساً في ٩ نيسان ١٨٤٩ وسافر عام ١٨٥٨ الى ماردين طبقاً لامر البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري المغبوط . ثم قفل عائداً الى وطنه وفيه اغتالته المنيّة عام ١٨٧٧ ومن حسناته المشكورة تبرّعه بمبلغ ٦٩٥٠ غرشاً لبنيان كنيسة سيّدة النجاة بالشرفة .

١١ – القس توما خربوطي (١٨٥١ – ١٨٨٢)

اصله من خربوط المجاورة لمدينة معمورة العزيز أبصر النور في الرها وقدم عام ١٨٤٣ الى دير الشرفة . وبعدما اكبّ على تحصيل المزايا والعلوم الكهنوتيّة اربعة اعوام رُقي الى الدرجة المقدّسة وخدم النفوس في الرها وفي دياربكر وفي خربوط . وحلّت وفاته عام ١٨٨٢

---

(١) فهرس المخطوطات ١٢٩

الفصل الرابع

رئاسة الخورفسقفوس ميخائيل ازرق الاولى
(١٨٤٩ ـــ ١٨٥١)

١ – عريضة الرئيس الى البطريرك بشأن المطبعة

تولّى الخوري ميخائيل ازرق الحلبيّ تلميذ دير مار افرام الرغم رعاية تلامذة دير الشرفة ثمانية اعوام (١٨٤١ – ١٨٤٩) فكان خلال ذلك انموذجاً للاجتهاد والعمل في حقل الاكليريكيّة . ولهذا السبب اصطفاه السيّد البطريرك بطرس جروة خلفاً للمطران بولس صعب المتوفّى . فضاعف الهمّة في تثقيف تلامذتها ونموّ عقاراتها . واحبّ ان ينشر بعض كتب علميّة وطقسيَّة يضعها في ايدي تلامذته فكتب الى السيّد البطريرك ملتمساً منه ان يصدر الأمر في نقل المطبعة من دير مار افرام الرغم الى دير الشرفة . فكتب اليه البطريرك هذا الجواب :

«...ذكرتم لنا انكم عرضتم على نيافة القاصد الرسوليّ ان كان يشاء تدوير المطبعة وكان جوابه : ان هذه المادة يلزمها اعتبار وتمعّن . ولربّما يكون أرسل يستفهم منّا عن ذلك . ففي الحقيقة كان هذا قصدنا لمّا كنّا في جبل لبنان لانه كان عندنا اناس يقدرون يشتغلون في المطبعة . ولكنَّه ما توفّق وجودهم . وبعد ذلك انتهبت دائرة المطبعة بالكليَّة في دير الرغم سنة ١٨٤١ كما هو معلوم فما عدنا سألنا بعد ذلك . وعليه فالامل بتدوير المطبعة الآن بطّال ...».

٢ – اهتمام الرئيس بعمارة الديوان والغرف التابعة له

انصرف الخوري ميخائيل ازرق الى انشاء ديوان جديد فوق باب الدير القديم مع غرفٍ لاحقة به يؤسّسها فوق غرف المائدة وملحقاتها فكتب الى السيّد البطريرك يستشيره فجاءه الجواب يقول :

«...قولكم لازم عمار الاوض ومشاورتكم ايّانا هل يكون سقفها من خشب او قبو فنقول : حيث ان العمار الاسفل هو قبو فتكون الارض كذلك من حجر . واما رأي المعمارين بوضع ركايز فوق ريش البئر فيُخشى منه لان الممشى يبقى ضيقاً ويصير انبوبة قصبة . واصلكم ٤٠٠٠ غرش للعمار...».

«حلب في ٨ اذار سنة ١٨٥١»

٣ – وكالة المطران يوسف حائك

ازداد شغل رئيس الشرفة في تلك الغضون فكتب اليه البطريرك يقول : «وكّلنا الاخ المطران يوسف حائك على دير الشرفة وعلى دير مار افرام الرغم ليقبض هو مدخولهما من ابتداء هذه السنة ١٨٥١ وقد حوّلنا لكم الآن مبلغ ٦٥٠٠ غرش لاجل عمارة الأوض . فصار مجموع ما حوّلنا لكم لاجل البناء مبلغ ١٠٥٠٠ غرش .

٤ – مشروع الخوري ميخائيل ازرق

نهض الخوري ميخائيل الهمام بخدمة دير سيّدة النجاة نهوضاً شريفاً مدّة ثلاثة اعوام معتنياً بتعليم التلامذة غيوراً على نموّ الارزاق باذلاً قصيّ الجهد في العمارة الجديدة فجاء الديوان مع ما تبعه من الغرف الضيّقة من احسن ابنية ذلك العهد . ويشاهد اسمه محفوراً على باب هذا الديوان في ابيات شعريّة مختومة ببيت تاريخيّ وهي :

هذا مقامٌ لكسب العلم شيّدهُ ... ذو غيرةٍ بين اهل الفضلِ قد نبُتتْ
من الأزيرقِ ميخائيل رئيسنا ... ربّ الاياديَ من بالنفع قد نبغتْ
أقامه في ذرى لبنان فارتفعتْ ... له مقامات أجرٍ للعلى بلغتْ
وحين تمّ بعون الله كان لنا ... برجاً بتاريخه شمس الهدا بزغتْ

١٨٥٠

ويكتنف هذا الديوان الجميل اللّطيف قناطر صغيرة في اربعة اطرافه كانت تزيّنها رسوم آبائنا البطاركة المغبوطين . ثم نُقلت عام ١٩٠٠ الى الردهة الجديدة .

٥ — الخوري ميخائيل ازرق وانطوش بيروت

خرب دير مار افرام الرغم عام ١٨٤١ كما ذكرنا (صفحة ٢٠٣) ولم يبقَ فيه ساكن وأُنيطت التولية على ارزاقه بالخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة. فاشترى عام ١٨٥٣ عقاراً في بيروت كان يخص الياس ويوسف ولدَي جرجس مرزي وأطلق عليه اسم «انطوش دير الشرفة» وكان وكلاء الشرفة يشرفون عليه ويؤجرون مشتملاته.

وفي السنة ١٩٢٤ انتوى البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط ان يحدث في الانطوش ابنية جديدة فارتأى ان تباع اوقاف الشرفة في حلب وتُنفَق مبالغها على العمارة الجديدة. هكذا باع عام ١٩٢٥ الاب حبيب نعساني وكيل الاوقاف داراً من دور الشرفة في حلب واقعة في محلّة العريان بمبلغ ٤٨٥ ليرة عثمانيّة ذهبيّة وحوّلها الى صاحب الغبطة فأنفقها في هذه العمارة[1].

والى القارىء النجيب خلاصة حجّة عقار بيروت نقلًا عن سجل الشرفة رقم ١٥٧ :

« حضر بمجلس الشرع ببيروت الياس بن جرجس مرزي الوكيل الشرعيّ عن اخيه يوسف بشهادة الياس بن ابرهيم صافي وحنا بن جبرائيل خوكاز الحلبيّ . وباع لفقراء رهبان دير الرغم الكاثوليك السريان المقيمين في الدير المذكور بقرية الشبانية بالمتن وهم تحت رئاسة القس ميخائيل ازرق . وقبل لهم الشراء بالنيابة عنهم نعوم بن انطون طرّازة الحلبيّ بمال المناب عنهم لانفسهم دون غيرهم . وذلك المبيع هو جميع قطعة الارض المفرزة من جنينة بني الشلفون المعروفة الآن بجنينة مرزي الكائنة عند بركة المطران بالقرب من كنيسة الروم وكنيسة الموارنة ومقام الرجال الاربعين وبوّابة ادّه الشهير .

« وهي محتوية على عمار قديم وجديد فيه ستّة اقبية وايوان واوضتان صغيرتان ومطبخ ومرتفق مسقوف ذلك كلّه بجسور واخشاب . وعلى فسيحة دار سماويّة يعلو ذلك كلّه دار بخمس أوض وايوان ومطبخ وبئر ماء وعليّة تعلو احدى الاوض وممشى مسقوف . . . ذلك كله بيع بيعاً واشتراءً صحيحين شرعيين . . . بثمن قدره واحد وخمسون الف وخمسمائة غرش فضّة كلّ غرش اربعون مصريّة مقبوضة من مال المشترى

(١) رسالة السيد ديونيسيوس حبيب نعساني مطران حلب بتاريخ ٦ شباط ١٩٤٦.

لهم الفقراء المذكورين من يد الخواجا نعوم طرّازة النائب القابل المذكور بيد الياس بن جرجس مرزي البائع حسب اعترافه بقبضه جميعه قبضاً صحيحاً شرعياً كافياً وافياً . . .

« وحرّر هذا الصكّ ليكون سنداً يعلن بذلك . . . جرى ذلك وحُرّر في ١٦ رجب سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣م) – كاتبه السيد عبدالله مرزي . الشهود : محمّد ابوسعيد سعادة – الحاج عبد الرحمن بيضون – احمد ناصر زنتوت . . . (وهم سبعة شهود) . يلي ذلك امضاء ابرهيم بن عبد الله الموصلّي وجرجس بن يوسف داغر » .

الفصل الخامس

رئاسة المطران قورطس يوسف حائك (١٨٥١ – ١٨٥٤)

على اثر وفاة البطريرك بطرس جروة في ١٦ تشرين الاول ١٨٥١ في حلب اوعز الكرسيّ الرسوليّ في ٢٢ اذار ١٨٥٢ الى السيّد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين ان يتولّى النيابة الرسوليّة ريثما يُقام خلف للبطريرك المتوفّى . فاناط رئاسة دير سيّدة النجاة بالسيّد قورطس يوسف حائك مطران بيروت . وكان يساعده في القاء الدروس والاشراف على العقارات والارزاق الخوري ميخائيل ازرق الرئيس السابق . وقد حبس هذا المطران الفاضل على دير الشرفة نصف دار في زقاق الخلّ بحلب بيعت عام ١٩٣١ وحُوّل المبلغ الى رئيس الدير .

١ – اجتماع الاساقفة في دير الشرفة لانتخاب بطريرك جديد

كتب كردينال المجمع المقدّس من رومية الى السيد غريغوريوس عيسى محفوظ مطران الموصل ليتوجه الى دير الشرفة ويحضر اجتماع الاساقفة لانتخاب بطريرك جديد . لكن المطران المشار اليه تعذّر عليه السفر بسبب شيخوخته وامراضه المضنية . فكتب الى السيد مبارك بلانشة القاصد

الرسولي[1] لينوب منابه في حضور المجمع واعرب له عن رغبته في القاء مقاليد البطريركية الى رفيقه في جهاده وعذابه اعني المطران يوليوس انطون سمحيري ·

تأهب مطران ماردين للسفر وكتب الى السادة الاساقفة في الحضور الى دير الشرفة · فاجتمع السادة غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق وغريغوريوس متى نقار مطران حمص وحمـاة والنبك · وقورلس يوسف حائك مطران بيروت · وحضر كذلك السيّد مبارك بالانشة القاصد الرسوليّ نائباً عن الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع وعن السيّد غريغوريوس عيسى محفوظ السابق الذكر وانضمّ الى هؤلاء الاساقفة الخوري جرجس شلحت نائباً عن ابرشيّة حلب[2] ·

٢ – اجماع الاصوات على انتخاب مطران ماردين بطريركاً

في ١ كانون الاوّل ١٨٥٣ اعتكف الاحبار المشار اليهم في كنيسة سيّدة النجاة واجمعوا بالصوت الحيّ على انتخاب السيّد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين ودياربكر بطريركاً للكرسيّ الانطاكيّ · وصباح عيد الحبل الطاهر بسيّدتنا مريم العذراء صاحبة دير الشرفة ٨ كانون الاول احتفل الاساقفة بالرتبة الطقسيّة بحضور السيّد يوسف بطرس الخازن بطريرك السريان الموارنة (١٨٤٥–١٨٥٤) وفريق من اساقفته ونادوا بالمنتخب بطريركاً انطاكياً باسم اغناطيوس انطون وهتفوا باجمعهم اكسيوس ܐܟܣܝܘܣ · وصرّحوا بقولهم : «لسنا نحن بل الروح القدس انتخبك لتكون بطريركاً على انطاكية مدينة الله العظمى» . ذلك طبقاً للعادة المألوفة في البيعة السريانيّة منذ قرون النصرانيّة الاولى ·

---

(١) تولّى القصادة الرسوليّة على بلاد ما بين النهرين سبعة اعوام (١٨٥٢–١٨٥٩) وقد قتلت به الاكراد في طريقه ما بين دياربكر وسوبرك ونُقل جثمانه الى الرها ودُفن في كنيسة المرسلين الكبّوشيين الفرنسيين ·

(٢) سجلّ مطرانيّة حلب : تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٨٥٣

واول تقرير اقترحه البطريرك الجديد على رهط الاساقفة هو جعل ماردين مركزاً للكرسي البطريركيّ لكونها افضل موقع لسياسة الطائفة وهي مجاورة لدير الزعفران مقام بطاركة السريان المنفصلين منذ عهدٍ بعيد. فوافق الجميع على رأيه واقتراحه.

ظلّ البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري مقيماً في دير الشرفة حتى ايار ١٨٥٤ ينظر في شؤونه العلميَّة والماديّة ويفرغ الجهود في انمائهِ. ثم ارتحل الى رومية مستصحباً كاتب اسراره القس يوحنا معمارباشي والشماس بطرس بوصنيك الماردينيَّين.

الفصل السادس

رئاسة المطران غريغوريوس يعقوب حلياني
(١٨٥٤ — ١٨٥٦)

١ — مَن هو المطران يعقوب

نُصب السيّد غريغوريوس يعقوب حلياني مطراناً لدمشق وراشيا وتوابعها عام ١٨٢٩ وأصله من آل حلياني الذين انتزحوا من عين حليا وعَموا راشيا

واتخذوها موطناً لهم . وما عتم ان جاهر المطران يعقوب بالايمان الكاثوليكي على يد السيد اغناطيوس عجوري مطران الروم الملكيين في الفرزل وزحلة . ولما عاد البطريرك اغناطيوس بطرس جروة من رومية الى دير الشرفة قصده المطران يعقوب في حزيران السنة ١٨٢٩ وأعلن له الشركة في الايمان المقدس . فابتهج البطريرك الانطاكي ابتهاجاً عظيماً وأيده في الكرسي الدمشقي . وما مر القليل حتى انضم اليه جميع السريان الدمشقيين في قسوسهم وشمامستهم وكنائسهم .

٣ — مناهضة السريان المنفصلين للمطران يعقوب

وفي شباط ١٨٣٢ قصد دمشق المطران غريغوريوس متى نقار موفداً من بطريرك السريان المنفصلين اغناطيوس جرجس سيار (١٨١٨ — ١٨٣٦) وجعل يعنف المطران يعقوب ويتهدده ليعود الى مذهبه السابق والا فانه يرافعه الى والي دمشق فيقضي عليه بالعذاب والسجن . فاستشار المطران يعقوب وجهاء جماعته فاشاروا عليه ان ينهزم الى لبنان ريثما تنجلي الامور ويستتب السلام . لكن المطران متى أصر على تهديده وقصد الكنيسة في

نفر من اصحابه وطلب المفاتيح فلم يفز بها فكسر اصحابه الباب ودخلوها عنوةً . ثم قبض الوالي على ٢٥ رجلاً من السريان الكاثوليك والقاهم في السجن وظلّوا كذلك ٢٥ يوماً .

٣ – استغاثة المطران يعقوب بالامير بشير الكبير

فرّ المطران يعقوب الى لبنان تلبيةً لمشورة اعيان ملّته وتوجّه توّاً الى بتدّين حاضرة الامير بشير الكبير ودخل عليهِ وسأله ان يحميه ويدفع عنه ضيم خصومه . فاتقدت في قلب ذلك البطل اللبناني جذوات النخوة والشهامة وهدأ روع المطران ووعده بالمساعدة وكشف الضيم عنه وعن جماعتهِ السريانيّة .

٤ – تصريح الامير بشير لوالي دمشق

ألحّ السريان المنفصلون على والي دمشق التركيّ ليبعث في استرجاع المطران يعقوب من لبنان وينزل به العقاب كما انزله بجماعته المسجونين . فكتب الى الامير بشير في ذلك فكتب له الامير اللبنانيّ جواباً مبهماً . فكرّر والي دمشق الطلب وتهدّد الامير اللبنانيّ وألحّ عليه بالاسراع في تلبية طلبه . عند ذلك سخط الليث اللبنانيّ في عرينه وكتب الى الوالي عبارة ذهبيّة هذا نصها : «اذا هجم عليّ الجبل من رأسه الى اسفله فلن اسلّم المطران يعقوب . لانه استجار بي ودخل تحت حمايتي ! » . فما كان من الوالي الّا ان بلّغ المطران متّى نقّار وقال له : « واللهِ لست اقدر على أمير الجبل ! »[1] . بناءً على ما تقدّم مكث المطران يعقوب معززاً مكرّماً في قصر الامير بشير الكبير ريثما خمدت نيران الفتنة فعاد الى دمشق واسترجع الكنيسة . وما مرّ القليل حتى قصده المطران متّى نفسه ونادى بالايمان الكاثوليكي المقدّس مثله . وسيجيء ذكره في الفصل العاشر من هذا القسم .

(١) تاريخ المطران افرام نقاشة ٢٨٣ – ٢٨٤

٥ – رئاسة المطران يعقوب على دير الشرفة

عوّل البطريرك الانطاكيّ مار اغناطيوس انطون سمحيري على السفر الى عاصمة الكثلكة كما نوّهنا ففوّض الى المطران يعقوب رئاسة دير الشرفة علاوة على ابرشيّته الدمشقيّة مدّة سياحته الشهيرة في بلاد اوربا (١٨٥٤ – ١٨٥٦) فنهض المطران بتلك المهمّة نهوضاً جميلاً حبّبه الى جميع سكان الدير كهنةً وشمامسةً وتلامذةً ٠ وانتهز فرصة رئاسته على الدير فاشترى في ١٢ تموز ١٨٥٦ ارضاً في قرية بطحا الملاصقة لدرعون بمبلغ ٣٠٠ غرش من المدعوّ مخلوف سعد مخلوف وضمّها الى سائر عقارات دير الشرفة ٠

وفي سلخ السنة ١٨٥٦ غادر البطريرك انطون عاصمة فرنسا وشخص الى دير الشرفة واجتمع برئيسه الجليل فنظما الأمور ورتّباها على أفضل منوال واتّفقا على إلقاء الرئاسة ثانيةً الى الخوري ميخائيل ازرق الحلبيّ ٠ وبعد هذا عاد المطران يعقوب الى دمشق كرسيّ ابرشيّته واستأنف البطريرك الانطاكي رحلته فزار الابرشيّات السريانيّة في سوريا وبلغ الى ماردين ظافراً منصوراً شاكراً المولى تعالى الذي وفّقه في سفره ٠ وسيأتيك في ما يلي ما صنعه هذا البطريرك المغبوط الى دير الشرفة وتقريره ضمّ دير مار افرام الرغم الى دير الشرفة وتوحيد رئاسة الديرَين كليهما بالخوري ميخائيل ازرق الفاضل ٠

الفصل السابع

رئاسة الخورفسقفوس ميخائيل ازرق الثانية

(١٨٥٦ – ١٨٧٩)

دفع البطريرك الانطاكيّ المغبوط مقاليد الرئاسة الى الخوري ميخائيل ازرق الوقور وتوجّه الى ماردين مركزه يواصل اعماله الرسوليّة ٠ امّا الرئيس الجديد فجعل يضاعف نشاطه في تهذيب التلامذة وتمرينهم في العلوم والآداب

ارضاءً لله عزّ وجلّ ونزولاً عند اوامر البطريرك انطون المغبوط . فازهر الدير في عهده ونما تلامذته وتعززت ارزاقه وعقاراته .

١ — ضمّ رئاسة دير مار افرام الرغم الى رئاسة دير الشرفة

وثق البطريرك المغبوط بامانة رئيس الشرفة واطّلع على ما كان منه يوم قضى زهرة عمره في دير مار افرام الرغم فشاء ان يفوّض اليه الاشراف على ارزاق ذلك الدير وسمّاه رئيساً عليه كما سبق فسمّاه رئيساً على اكليريكيّة الشرفة . وفي اول السنة ١٨٦٠ بعث اليه بصكّ التعيين وهذا نصه .

« الداعي الى تسطيره هو اننا كما سبقنا فاقمنا ولدنا الاكرم الخوري ميخائيل ازدق رئيساً شرعياً على دير الشرفة : نقيمه الآن كذلك بقوّة اسطرنا هذه رئيساً شرعياً على دير مار افرام الرغم بلبنان . وقد استدعينا الخوري الياس شهوان رئيس الدير المذكور الينا لاننا احتجنا اليه .

« ومن ثم فاولدنا الخوري ميخائيل الموقّر الولاية المطلقة على دير الرغم وعلى ارزاقه واملاكه ومداخيله . وعلى كلّ ما يختصّ به من كلّي

وجزئي . فله ان يحاسب الرئيس السابق بما يخص الدير . ثم اننا نفوض اليه ان يغرس وينصب ويعمّر ما يراه مناسباً لواردات الدير . واذا اقتضى ان يبيع او يشتري او يستبدل شيئاً من أملاك الدير فيجب ان يكون ذلك بمشورتنا . وعليه ان يقدّم لنا او لمن نعيّنه حساب الوارد والصادر سنة فسنة . ولاجل البيان أمرنا بتسطير صك هذه الوكالة الشرعية وارسلناه اليه .

«تحريراً في ١ كانون الثاني ١٨٦٠ وهي السنة السابعة لبطريركيتنا

صح صح صح اغناطيوس انطونيوس سمحيري

البطريرك الانطاكي السرياني» .

على هذه الصورة وطبقاً للصك البطريركي اصبح الخوري ميخائيل ازرق رئيساً في جبل لبنان على كلا الديرَين اعني دير سيّدة النجاة ودير مار افرام الرغم . وجعل يوقّع امضاءه هكذا : « رئيس ديرَي السريان بلبنان » . وقد أدّى لكليهما خدماً جلّى أقرّ بها الرؤساء والمرؤوسون معاً واثنوا على همته وغيرته .

٢ – اغلاق دير الشرفة عام ١٨٦٠

في السنة ١٨٦٠ حدثت ثورة الشام المشؤومة فاتلف الدروز والمسلمون الأخضر واليابس واحرقوا امتعة الكنائس وفتكوا بعدد وافر من المسيحيّين . ونهبوا وسلبوا ما طاب لهم ولجشعهم . واضطرّ المطران يعقوب حلياني ان يغادر كرسيّه في دمشق الى صيدنايا ثم الى بيروت ولحقه اهالي راشيا ابناء وطنه . وشمل الرعب اهالي كسروان فلم يرَ الخوري ميخائيل ازرق الّا ان يغلق ابواب دير الشرفة ويخفي أمتعته في موضع أمين . وانهزم اذ ذاك التلامذة كافةً الى ميناء جونية حرصاً على حياتهم . ومكثوا هناك أشهراً حتى بعثت الحكومة التركيّة عميدها فؤاد باشا فاتفق

مع اركان الدولة الفرنسيّة وعالجوا ما اختلّ من الامور فعاد التلامذة الى ديرهم واستأنفوا دروسهم ·

٣ — عريضة الرئيس الى اللجنة المختلطة

لم يَرَ الخوري ميخائيل ازرق الهمام في تلك الغضون الّا ان يرفع احتجاجاً رسمياً الى اللجنة القادمة من الاستانة لتتلافى ما احدثه الثوار من الخراب والخسائر· فكتب لائحة عدّد فيها مسلوبات دير مار افرام الرغم وما أتلفه الثوار او نهبوه فكان مجموع القيمة ١٢٠٤٤٢٠ غرشاً منها ٤٤٦٦٠٠ غرش قيمة حلل كهنوتيّة قديمة العهد وقناديل فضيّة وصور فنيّة وذخائر ثمينة الخ الخ · هـذا فضلاً عمّاً أتلفوه من المخطوطات السريانيّة والعربية التي عُدلت قيمتها بمبلغ ٤٠٦٠٠٠ غرش · وقد ظلّت الرياح تلعب بأوراقها وكانت حصّة منها من رقّ الغزال الثمين منسوخة منذ مئات السنين وقد أيد السيّد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق هذه اللائحة ورفعها الى مرجعها · ولسنا ندري هل أدّت اللجنة تعويضاً عنها ام لا ؟

٤ - الخوري يوحنا حبيب في دير الشرفة (١٨٦١ — ١٨٦٨)

توثقت عرى الصداقة والولاء بين هـذا الخوري العلّامة الفضيل وبين الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة · ويتسلسل هذا الروح التقيّ حتى

اليوم في قلوب أبنائه المرسلين اللبنانيين الافاضل · وقد نقل الينا الشيوخ شيئاً كثيراً من أخباره الحلوة ولاسيما حينما تولى تدريس تلامذة دير سيدة النجاة زهاء سبعة اعوام (١٨٦١ – ١٨٦٨) . ومما اثبته رحمه الله تعالى في مذكراته قوله :

« في اوائل السنة ١٨٦١ دعاني صديقي الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة للاقامة عنده على سبيل الضيافة مدةً طويلةً قدر ما اشاء · فقلتُ له : انا أهوى ذلك ولكن كيف لك ولي التثقيل على الدير ؟ فأجابني بما يريح ضمير كلينا : اي ان اكون مساعداً له على تدريس التلاميذ ... وما عدا ذلك فانه يحتاج الى كاهن يقدس في كنيسة الدير حال غيبته من اجل مصالح الدير · فأقمت في الشرفة الى سنة ١٨٦٨ اي اكثر من سبع سنين »[(١)] .

وقد قرأنا اسم الخوري يوحنا حبيب في وصية المطران متى نقار المثلث الرحمات التي سجلها في ٢ ايار ١٨٦٧ وظل الخوري يوحنا الجليل يختلف مراراً الى دير سيدة النجاة حتى بعد ان ارتقى الى الرتبة الاسقفية في ١٤ كانون الاول ١٨٨٩ وكان كلما زار الدير رحب به الرئيس والكهنة أجمل ترحيب · وقد عاش هذا الحبر النبيل عيشةً مملوءة عملاً وكداً وحسبه فخراً انه هو المؤسس لجمعية المرسلين اللبنانيين المشهورين بمناقبهم الشريفة وعلومهم الواسعة · وكان انتقاله الى جوار ربه في ٤ حزيران ١٨٩٤ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ·

---

(١) مجلة المنارة : مقال الاب ابرهيم حرفوش بعنوان « الثمرة المجنية في تاريخ تأسيس وتجديد جمعية الرسالة اللبنانية » (١٠ : ١٩٣٩ : ٦٥٤) ·

الفصل الثامن

كهنة دير الشرفة (١٨٥١ ـــ ١٨٦٥)

١ – المطران قورلس بولس دانيال (١٨٥٦ – ١٨٩٤ – ١٩١٦)

نصدّر هـذا الفصل بخلاصة اخبار السيد قورلس بولس دانيال الموصليّ تلميذ دير الشرفة . فقد وجّهه الى هـذا المعهد المبارك مطرانه السيد غريغوريوس عيسى محفوظ الحميد الآثار . ورحّب به الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير في ٢ كانون الثاني ١٨٥١ والّقنه العلوم الكهنوتية حتى اصبح قدوة لاقرانه بتقواه وذكائه . وفي ٤ ايار ١٨٥٦ سيم كاهناً بوضع يد المطران غريغوريوس زيتون في كنيسة مذيات قاعدة طور عبدين . وفي نواحي السنة ١٨٦٢ انطلق الى سويرك ليخدم النفوس لكنّه لم يمكث هناك الّا اشهراً لسبب جهله اللغتين التركية والارمنية فسافر الى الموصل وطنه . وفي ١٣ نيسان ١٨٦٣ سيّره المطران قورلس بهنام بنّي الى بلاد الملبار وتبعه القس

ميخائيل ايلو البغداديّ بتفويض من مطرانه السيّد اثناسيوس روفائيل جرخي . فغادر القسّيسان مدينة بغداد في ايّار السنة المذكورة . غير ان القس ميخائيل لم يلبث ان عاد الى وطنه لمرض اعتراه . امّا القسّ بولس دانيال فانطلق الى بمباي وزار مطرانها اللاتينيّ فاوصى قسوسه ان يساعدوه في مهمّته . فدفعوا اليه لائحة تتضمّن اسماء خورنيات الهند وعينوا له دليلًا يرافقه . وكان كلّ ما جمعه القسّ بولس ٥٠،٠٠٠ غرش اقتسمها مطران بغداد ومطران الموصل . وعاد القس بولس عام ١٨٦٥ الى الموصل فرقّاه مطرانه الى رتبة خورفسقفوس مكافأة له على تعبه .

وفي ٢ ايار ١٨٩٤ رقّاه السيّد هنري التماير القاصد الرسولي[1] الى الرتبة الاسقفية بتفويض من السيّد البطريرك مار اغناطيوس بهنام بنيّ اذ كان يومئذٍ متغيباً عن الابرشية . وفي ايلول ١٩٠٢ قدم المطران بولس الى دير الشرفة فاحتفى به الرئيس والتلامذة احتفاءً جميلًا وجعل يحدّثنا باخبار الشرفة في عهد تلمذته . ورقى البعض الى الدرجات المقدّسة . ثم حجّ عاصمة الكثلكة والاراضي المقدّسة وجال في بلاد فرنسا . وبعد هذا عاد الى وطنه يثابر على اعماله الرسولية حتى ادركته المنون في تشرين السنة ١٩١٦ مخلّفاً للمواصلة خصوصاً اطيب الذكريات لفضائله الممتازة رحمه الله تعالى .

٣ – المطران ثئوفيلس انطون قندلفت الحلبي (١٨٥٨ – ١٨٨٦ – ١٨٩٨)

يُعَدّ المطران ثئوفيلس انطون قندلفت من نجباء تلامذة اكليريكية الشرفة وفضلائهم انضمّ الى مصافّهم في ١٣ تشرين الاول ١٨٥١ واعتكف على المطالعة والدرس وبرع في اللغة العربية وفي فنّ الوعظ . وفي السنة

---

(١) تولّى قصادة ما بين النهرين الرسولية من السنة ١٨٨٤ حتى السنة ١٩٠٢ وحضر في تشرين الثاني ١٨٩٣ مجمع الاساقفة الذين انتخبوا السيد قورلّس بهنام بنيّ بطريركاً انطاكياً . وحضر كذلك مجمع الاساقفة في ماردين وتسليم العكاز البطريركي في ٢٦ تشرين الاول ١٨٩٨ الى السيد اغناطيوس افرام رحماني .

١٨٥٨ انطلق الى ماردين حيث وضع اليد عليه في ٣ تشرين الاوّل السنة عينها السيد اغناطيوس انطون سمحيري وسمّاه مرقس . ثم عاد الى حلب وارتقى الى رتبة خورفسقفوس في ٢٥ اذار ١٨٦٥ وفي ٢٠ حزيران ١٨٨٦ رقّاه مار اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكيّ الى كرسي مطرانية طرابلس في كنيسة مار جرجس ببيروت وسمّاه « ثاوفيلس انطون » وحضر السيامة السيد لودفيكس پيافي القاصد الرسوليّ والسيد غودنسيو بنفيلي معاونه والسيد ملاتيوس فكاك مطران الروم الملكيين والسيد بطرس البستاني مطران صيدا المارونيّ والسيد يوسف الدبس مطران بيروت المارونيّ .

نهض المطران انطون بسياسة الابرشية البيروتية نهوضاً حسناً وامتاز بذلاقة لسانه وفصاحة لهجته وزخارة علمه . وزيّن منبر بيعة مار جرجس بمواعظه الزاجرة البليغة فكان يتقاطر المؤمنون زرافات ليسمعوا من فمه كلام الله عزّ وجلّ . وقد صنّف المطران انطون عدّة كتب أفضلها كتاب « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » وكتاب « القلادة الدريّة في شرح الوصايا العشر الالهية » وقد عدّد تصانيفه حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي في كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية »

فنحيل القارئ النجيب الى مراجعتها . وتوفي المطران انطون في دير الشرفة في ٥ آب ١٨٩٨ وُلحد في مقبرة الاحبار . رحمه الله تعالى .

٣ – المطران غريغوريوس جرجس شاهين الراشياني (١٨٦٢–١٨٧٢–١٩٢٧)

أبصر النور في راشيا عام ١٨٣٩ ودخل دير الشرفة في ٢٩ ايلول ١٨٥٧ وتثقف في العلوم والفضائل على يد الخوري ميخائيل ازرق رئيس الاكليريكية . ثم نُصب قسيساً في ١٩ نيسان ١٨٦٢ وخدم النفوس تارة في دمشق وحيناً في راشيا وطنه . ونهض بخدمة راعيه الجليل السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق مدّة عشر سنوات فاختاره راعياً لابرشية حمص وحماة والنبك وكتب الى البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس يستأذنه في ترقيته الى تلك الرتبة السامية . فأجاب البطريرك الانطاكي الى طلبته وجرت السيامة صباح الاحد ١٩ ايار ١٨٧٢ بحضور السيد مقاريوس مطران الروم الملكيين والخوري الياس شهوان والخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة وسُمّي « غريغوريوس جرجس » . غير انه لم يستقرّ في كرسيه الا مدّة يسيرة فقضى اغلب ايامه في دمشق

وانتقل الى جوار ربه في ١٥ كانون الثاني ١٨٢٧ ودُفن جثمانه في كنيسة دمشق . واشتغل المطران جرجس زمانا بتصنيف الكتب في اللغة العربية . وخلّف لابرشيته ولدير الشرفة ولبيعة دمشق جميع متروكاته . تغمّد الله تعالى نفسه بغزير رحماته .

٤ — القس توما درويش اوغلي الخربوطي (١٨٥١ — ١٨٧٩)

قدم الى دير الشرفة عام ١٨٤٧ وهو من مدينة خربوط المعروفة في يومنا بمعمورة العزيز وكان يقال لها في عهد مضى « خَرتَ بَرت » وظل اربع سنوات يواصل دروسه حتى سيم قسيساً في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٥١ وخدم النفوس في وطنه حتى وفاته عام ١٨٧٩

٥ — القس يوسف نقّار الموصلي (١٨٥٢ — ١٨٥٩)

ينتمي الى أسرة نقّار الموصلية التي اشتهر منها السيد غريغوريوس متى نقّار مطران حمص وحماة والنبك (+١٨٦٨) وقد تلقّى العلوم السريانية والعربية على نسيبه المطران المشار اليه ثم أكملها في دير الشرفة وارتقى الى المنصب الكهنوتيّ في حزيران ١٨٥٢ وعاد الى النبك يخدم النفوس . غير ان المنية عاجلته عام ١٨٥٩ فلم تستغرق مدّة قسوسيته اكثر من سبع سنوات . وقد وصفنا له مخطوطة اشتملت على مواعظ لآحاد السنة بدءاً من الاحد الاوّل بعد عيد الفصح قرأنا في آخرها : « ملك الكتاب القس يوسف نقّار تلميذ مدرسة الشرفة سنة ١٨٥٢ »[1]

٦ — القس جرجس حكيم الراشياني (١٨٥٣—١٨٧٥)

وصل الى دير الشرفة عام ١٨٤٧ وهو في السابعة عشرة من سنِهِ وقد عمّده في راشيا القسّ ميخائيل غصن . واعتكف على الدراسة حتى ١٢ شباط ١٨٥٣ فتوشّح بالحلّة الكهنوتية وخدم الانفس في راشيا بلدته حتى انتقل عام ١٨٧٥ الى جوار ربهِ .

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٣٨٧

٧ – الخورفسقفوس اندراوس بن يوسف طرّازي الحلبيّ (١٨٥٤ – ١٨٥٩)

وُلد هذا الخوري الفضيل عام ١٨٢٦ في مدينة حلب وانخرط في سلك تلامذة الشرفة وحصل من العلوم والفضائل نصيباً صالحاً . ورقّاه الى الرتبة المقدسة السيّد اغناطيوس انطون سمحيري البطريرك الانطاكي في ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ ووجهه الى مصر القاهرة ليخدم الرعية السريانية. الا ان المنية عاجلته في ١٨ تشرين الاول ١٨٥٩ فلم تستغرق مدة قسوسيته اكثر من خمسة اعوام . وللخوري اندراوس بعض مخطوطات محفوظة في خزانة الشرفة وصفناها في كتابنا الفهرس[1] . وكان يراسل رئيس دير الشرفة في الشؤون المنوطة بهذا الدير وبالقاهرة . وقد عثرنا ما بين محفوظات الدير على رسالة كتبها في هذا الصدد بتاريخ ١٨ كانون الاوّل ١٨٥٨ الى الخوري ميخائيل ازرق هذا نصُّها :

« قدس الاب المحترم

« غب قبلة ايديكم والتماس دعاكم وفرط الشوق الى مشاهدتكم بكلّ خير وعافية . الداعي لرقمه اولًا السوءال عن عزيز خاطركم . ثانياً : قبلًا تقدّم منّا خلافه لحضرتكم به الكفاية وطلبنا ان تطمّنونا عن وصول بزر الحرير والحصيرة . ولحدّ الآن لم وصلنا جواب عسى يكون المانع خيرًا .

(١) الفهرس : صفحة ٣٢٢ و٣٣٢ و٤٠٧ و٤٣٣

«والان امس تاريخه وصلنا تحرير من حضرة الاب يوحنا معارباشي من بيروت وبه يعرّفنا انه قد حضر لبيروت لاجل بعض اشغال تخص غبطة السيد البطريرك (انطون سمحيري) . وقد عرفنا انه أبقى عندكم ١٥٬٠٠٠ غرش المسموح بها من طوباويته اسعافاً لقيام كنيسة مصر . وانه متى طلبناها تصلنا حالاً . اذ انه في ١١ الجاري اعتمد على التوجه من طرفكم الى حلب . فحيث ذلك نرجو الآن من حضرتكم ان تدفعوا المبلغ المذكور تحت إذن الخواجا انطون موصليّ الى مصر . وعرّفونا عن العملة التي تدفعونها وعن سعرها السالك في طرفكم . هذا ما لزم واطال الله تعالى بقاكم ونكرّر قبلة ايديكم .

من مصر الى دير الشرفة في ١٨ كانون الاوّل ١٨٥٨ — مستمدّ دعاكم اخيكم الخوري اندراوس طرّازي »

٨ – الخوري يوسف سكّر الحلبي (١٨٥٤ – ١٨٧٩)

وُلد عام ١٨٣٦ واقبل الى دير الشرفة عام ١٨٤٨ ومارس الدروس الضرورية للدعوة المقدّسة حتى ٧ ايّار ١٨٥٤ فرقّاه الى الرتبة الكهنوتية السيّد اغناطيوس انطون سمحيري في بيعة سيّدة النجاة . وهو الذي خلف الخوري اندراوس طرّازي في خدمة النفوس بالقاهرة منذ السنة ١٨٦٠ حتى وفاته عام ١٨٧٩ وقد جاد على بناء كنيسة سيّدة النجاة بمبلغ ٤٧١٤ غرشاً واهدى الى مكتبة الدير بعض مطبوعات ثمينة .

٩ – القسّ حنا اسطنبوليّة الحلبيّ (١٨٥٥ – ١٨٨١)

دخل الى دير الشرفة عام ١٨٥٢ واقام تسع سنوات مثابراً على اقتباس ما تتطلّبه الدعوة المقدّسة من علم وفضيلة حتى سيم قسيساً في ١٠ تشرين الاوّل ١٨٥٥ وخدم النفوس في وطنه حتى اخترمته المنون عام ١٨٨١

١٠ – القس يوسف سكمان البغداديّ (١٨٥٥ – ١٨٩٩)

انضمّ الى تلامذة دير الشرفة عام ١٨٥٢ وواظب على درس السريانيّة والعربيّة وسائر العلوم الكهنوتيّة وارتقى الى الرتبة المقدّسة في ٢٢ كانون الاوّل ١٨٥٥ وخدم النفوس في بغداد وطنه ٤٤ سنة . وفي السنة ١٨٩٩

أُصيب بداءٍ اضطرّه ان يقصد الاطباءَ في بيروت فلم تنجح فيه أدويتهم وتوفّي في السنة عينها بالغاً السادسة والستين .

١١ - الخورفسقفوس بولس راضية الدمشقيّ (١٨٥٦ - ١٩١٤)

امتاز هذا الخوري الورع بغيرة وقّادة لاجل خلاص الانفس . وما برح الدمشقيّون ابناء وطنه يلهجون بذكرى محاسنه وحسناتهِ . وكان انضمامه الى تلامذة الشرفة عام ١٨٥٠ وارتقاؤه الى الرتبة المقدّسة في ١١ ايار ١٨٥٦ وخدم الرعيّة في بيروت ثلاث سنوات (١٨٦١-١٨٦٤) ثم عاد الى دمشق مثابراً على تثقيف النفوس بالمبادىء المسيحيّة الحقة . وكان كلّما تقدّمت به السنّ ازداد نشاطاً في النهوض بهمّته . واحتفلت ابرشيّة دمشق في ٢٩ حزيران ١٩٠٦ بيوبيل كهنوتهِ الذهبيّ .

وممّا يذكره له ديره المبارك انه اخلص له الولاء وساعده في حاجاته ووفى نذره بكلّ دقة وامانة وجاد على كنيسة سيّدة النجاة بمبلغ ٢٤٦٢ غرشاً . وقضى شيخوخة صالحة محترمة حتى ادركه الأجل في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٤ رحمه الله تعالى .

١٢ - الخورفسقفوس يوحنا كركجي الموصلي (١٨٥٦ - ١٩٠١)

قدم الى الشرفة عام ١٨٥٤ وكان اسمه ارسانيوس · ورقّاه السيّد اغناطيوس انطون سمحيري في ٢ تشرين الثاني ١٨٥٦ الى رتبة القسوس في مصلّى دير الشرفة ثم بعثه الى ابرشيّة حمص وحماة والنبك فخدم النفوس خصوصاً في القريتين وفي النبك · وامتاز بتقواه وزهده وقناعتهِ · اذ كان يقتصد في كسوته على ما لا بدّ منه لكاهن مثله · وكان يكتفي لطعامه بأكلة واحدة في النهار لا غير · وكثيراً ما كان يحدّث المؤمنين عن اخبار القدّيسين والنساك ولاسيما عن مار يوليان الشيخ معلّم مار افرام الملفان وقد شاهدناه في دير الشرفة وسمعناه يطرفنا باخباره الجميلة · وانتقل عام ١٩٠١ الى جوار ربّه ·

١٣ - القس حنا دلّال الامديّ (١٨٥٩ - ١٨٨٧)

هو ابن الشماس توما دلّال الذي رافق البطريرك مار اغناطيوس ميخائيل الثالث في سفره الشاق كما ذكرنا[1] · وقد استصحبه من ماردين الى الشرفة السيّد اغناطيوس انطون سمحيري عام ١٨٥٣ واقام في الدير ستة اعوام يواصل اقتباس العلوم الكهنوتيّة · وفي ٢ اذار ١٨٥٩ ارتقى الى الدرجة المقدّسة بوضع يد المطران غريغوريوس يعقوب حلياني · وخدم النفوس في دمشق وراشيا وقطنة وقلعة جندل · وتوفّي في ٩ شباط ١٨٨٧ وخلّف ابناء نجباء افاضل نذكر منهم القس ميخائيل دلّال تلميذ دير الشرفة والسيّد قورلس جرجس دلّال رئيس اساقفة الموصل وسيأتي ذكرهما فيما بعد ·

١٤ - الخورفسقفوس جبرائيل اسطنبوليّة (١٨٦١-١٨٨٧)

اكبّ على اقتباس العلوم والفضائل الكهنوتيّة في دير سيّدة النجاة حتى انضمّ الى زمرة القسوس في ٢٩ حزيران ١٨٦١ وفي السنة ١٨٦٧

---

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٢٥

بعثه السيّد اغناطيوس فيلبس عركوس الى مذيات بطور عبدين ليخدم النفوس فيها ولاسيما لان مطرانها المدعوّ «المطران زيتون» كان قد اعلن الايمان الكاثوليكيّ. فامتثل الخوري جبرائيل أوامر البطريرك المغبوط واقام هناك مدّة قصيرة. وقد عثرنا على رسالةٍ كتبها اليه هذا البطريرك الجليل وهي:

«حضرة الاب الاكرم القس جبرائيل أسطنبوليّة المحترم

«البركة الرسوليّة والسلام بالربّ يسوع

«غبّ الشوق التامّ لمشاهدتكم بكل خير وعافية . وردنا خبر وصولكم الى مذيات وبخصوص المطران زيتون صار معلومنا . وحيث انكم كلّفتموه للرجوع ولم يذعن لرايكم والدعوته تعالى فما عاد علينا عتاب . فاتركوه وهو يعطي الجواب لعزّته تعالى تقدّس اسمه . وانتم فقوموا بواجبات وظيفتكم نظير الخدّام الانجيليين وتاجروا بالوزنة واجتهدوا في رجوع المنفصلين الى الايمان المقدّس . ونختم مكرّرين لكم البركة والسلام بالربّ يسوع .

اغناطيوس فيلبّس عركوس

من ماردين في ١٣ تشرين الثاني ١٨٦٧ البطريرك الانطاكيّ»(١)

وعاد الخوري جبرائيل الى حلب وفيها حلت وفاته في ١٩ ايار ١٨٨٧

١٥ – القس ميخائيل ايلو البغداديّ (١٨٦٢ – ١٩٠٩)

تلقّى دروسه في دير الشرفة وصار قسيساً في ٢٨ نيسان ١٨٦٢ بوضع

---

(١) سجلّ البطريرك فيلبّس : ورقة ٤٢٦

يد السيّد قرلس بهنام بنيّ مطران الموصل ٠ وفي السنة ١٨٦٣ ارسله السيّد اثناسيوس رافائيل جرخي مطران بغداد الى بلاد الهند مع القس بولس دانيال . ولما عتم ان عاد الى بغداد وطنه يواصل خدمة الرعيّة حتى اخترمته المنيّة عام ١٩٠٩

١٦ - الخورفسقفوس بطرس تفنكجيّ (١٨٦٣ - ١٩٠٩)

وُلد في دياربكر وانضمّ عام ١٨٥٧ الى تلامذة دير الشرفة بالغا التاسعة عشرة . ثم ارتحل الى الموصل فوضع اليد عليه المطران قرلس بهنام بنيّ في ١١ كانون الثاني ١٨٦٣ وفي القابل رقّاه مار اغناطيوس انطون سمحيري الى رتبة خورفسقفوس في كنيسة ماردين ووجّهه الى الرها مع المطران اوسطاثيوس افرام توكمجي . وهناك اشترى الخوري بطرس دار المرحوم ميخائيل غنيمة وابتنى فيها كنيسة وداراً لسكناه . فنمى الكاثوليك بغيرته حتى أوفى عددهم على ١٠٠ بيت[1] .

وامتاز الخوري بطرس بعذوبة حديثه وسديد براهينه حتى تمكّن من انشاء رعيّة كاثوليكية أفنى في سبيلها قوّته وجهده وتفكيره . وقد خلّف في الرها ذكريات طيّبة لجهاده وشهامة نفسه ولاقى ربّه بشيخوخة صالحة عام ١٩٠٩ رحمه الله تعالى .

(١) - عناية الرحمان ٥٩٤ و٥٩٥

١٧ - الخورفسقفوس رافائيل نجّاش الحلبي (١٨٦٤-١٩٠٣)

هو شقيق نصري بك نجاش الذي تقلّب في مناصب الدولة العثمانية حتى أَصبح معاوناً لوالي مدينة آطنة بقيليقيا ورُشّح لمتصرفيّة جبل لبنان على اثر متصرفيَّة مظفر باشا (١٩٠٢ — ١٩٠٧). وارتقى الخوري روفائيل الى الرتبة المقدّسة في ٣ تموز ١٨٦٤ وكان مثال الصلاح والغيرة لجميع اقرانهِ الكهنة وحلّت وفاته عام ١٩٠٣ رحمه الله تعالى.

١٨ — الخورفسقفوس ميخائيل باخوس الدمشقي (١٨٦٥ — ١٩١٧)

قضى عهد التلمذة في دير سيّدة النجاة وسيم قسيسا في ٥ حزيران ١٨٦٥ وخدم النفوس في وطنه وفي حماة وامتاز بمعرفة الكتاب المقدس

اذ كان يطالعه ليل نهار ويعمل فيه الروية حتى حفظ على ظهر قلبه آيات جمّة منه وكان يذكر فصولها وارقامها . وتعوّد زيارة دير الشرفة عاماً فعاماً في اثناء الصيف. وانشأ كتاباً في اصل أسرته وفصلها وعدد أجدادها وتشعبها حتى ايامه . ورقد بالرب عام ١٩١٧ في مسقط رأسه. وقد غلب عليه وعلى اسرته كنية «شنيارة» .

ونختم هذا الفصل بذكر اهتمام اساقفة الملّة بتعزيز دير الشرفة ورقيّ تلامذته . اذ تسابقوا في انتقاء شبّان اذكياء وجّهوهم اليه ليتمرّنوا على العلوم والآداب الكهنوتيّة . من ذلك ان السيّد قورلُس بهنام بني لما شخص من الموصل الى حلب لحضور الانتخاب البطريركي عام ١٨٦٦ استصحب ٨ شبّان موصليين بعث السبعة الى دير الشرفة وانطلق الثامن الى اكليريكية بروبغندا برومية . وقس عليه السيد اثناسيوس روفائيل جرخي فقد أحضر معه ثلاثة فتيان من بغداد ارسل الاثنين الى رومية وبعث الثالث الى دير الشرفة . هكذا تعزّز الدير بوفرة عدد تلامذته وكانوا يواظبون على اقتباس العلوم والفضائل طبقاً لخطة رئيسه الخوري ميخائيل ازرق الطيب الاثر .

الفصل التاسع

مار اغناطيوس فيلبُّس عركوس ودير الشرفة
(١٨٦٦ ـــ ١٨٧٤)

١ – البطريرك فيلبس وتلامذة الشرفة

تفتخر اكليريكيّة الشرفة بتلميذها النجيب الذي تدرّج في المناصب الكهنوتيّة حتى استوى على عرش البطريركيّة الانطاكيّة نظراً الى سمو مناقبه وغزارة علومهِ . وقد اعرب لهذه الاكليريكيّة في كلّ ادوار حياتهِ عن فرط حبّه وعطفه وعن وثيق ولائه ووفائهِ . على انه ما كاد

يقبض على عكّاز البطريركيّة في كاتدرائيّة السيدة العذراء بحلب صباح ٢٤ حزيران ١٨٦٦ حتى وجّه الى تلامذة سيدة النجاة منشوراً طافحاً بالنصائح والتعاليم الابويّة المبرهنة على تفانيه في نجاح تلك الاكليريكيّة ونموّها هذا نصه:

٢ – منشور السيد البطريرك الى اكليرس الشرفة وتلاميذها

« ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ ܐܠܝܨ ܐܝܬܘܬܐ ܕܟܠ ܐܚܝܕ

« ܐܝܓܢܛܝܘܣ ܦܝܠܝܦܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܀

« المجد لله دائماً

« حضرة اولادنا الاعزّاء بربّنا يسوع المسيح الاكليرس الموقّر والتلاميذ الساكنين في دير مدرستنا العامرة في شرفة درعون المكرّمين. لا زالوا محفوظين بعنايته تعالى آمين

« البركة الرسوليّة والسلام بالربّ

« اننا بعدما نبلغكم بكلّ مودّة قلبيّة أخصّ عواطف اشواقنا الابويّة سائلين عن عزيز خاطركم الكريم: نعلن لمحبّتكم البنويّة ايّها الابناء الاحبّاء أنّنا بمعيّة حضرات اخوتنا الموقّرين رؤساء اساقفة

واساقفة كرسيّ بطريركيّتنا الانطاكيّة الجزيل شرفهم واحترامهم : قد اجتمعنا بأمر الكرسيّ الرسوليّ المقدّس لاجل عقد مجمع طائفيّ وتدبير ما يلزم لخير شعبنا . وخاصّةً لاجل انتخاب خليفةٍ للحميد الذكر سالفنا السيّد اغناطيوس انطونيوس سمحيري المتنيّح بالربّ .

« وقد تمّ اجتماع هـذا السنودس الموّقر في حلب المحروسة . وبتوفيق العناية الالهيّة قد رتّبنا وأصلحنا بروح الاتفاق والحبّ ما يلزم تدبيره وما هو مفيد لخير الابرشيّات عموماً . وبعد تمام اعمالنا المارّ ذكرها اتّكلنا على مراحم الجود الالهيّ ورفعنا الصلوات الخصوصية والزياحات الاحتفاليّة ملتمسين من الروح القدس ان يرشدنا في انتخاب بطريرك جديد لطائفتنا .

« وفي اليوم الحادي والعشرين من الشهر الجاري اجتمعنا في كنيسة انتقال والدة الله الكاتدرائيّة بحلب.وبعد نهاية القداس الحبري أغلقت الأبواب وتمّ الانتخاب القانونيّ . ويا لَغور الاحكام الالهيّة الغير المدركة . على ان رعدة شديدة شملتنا عندما سمعنا بعد فتح اوراق القرعة صوتاً صارخاً يقول:ان الانتخاب القانونيّ قد وقع على شخص حقارتنا . وكيف لا نرتعد بل كيف لا يرتاع قلبنا حينما نشاهد نير الرئاسة العموميّة على طائفتنا السريانيّة بأسرها قد وُضِع على كاهلنا نحن الضعفاء؟ فمع ما امتلكنا من الخوف قد اقتادتنا يد الله القادرة بواسطة اصوات السادة الاساقفة الفائق شرفهم لنقبل بخضوع ونصغي لصوت دعوة الله تعالى الذي دعانا كما دعا داود الى وظيفة المُلك مع كونهِ أصغر اخوتهِ .واتّكلنا على وعده تعالى الذي تكمل قوّته بالضعف

« وفي يوم الاحد الواقع في الرابع والعشرين من الشهر المذكور تمّت باحتفال عظيم رتبة الرسامة البطريركيّة وتسليم العكاز الى حقارتنا بموجب طقس كنيستنا السريانيّة في موكبٍ حافلٍ يليق بمن أحبّنا وأحببناه للغاية : سيادة الاخ الجليل مار ديونيسيوس جرجس شلحة رئيس اساقفة حلب وتوابعها الكليّ الشرف والفائق الاحترام . فقد ضاعف اظهار اخلاصه لنا واعرب عن صفاته الحميدة محتملاً بسببنا

الاتعاب الجسيمة . ولا بدّ ان هـذا الاحتفال سيبقى للذكر المخلّد ولشرف طائفتنا السريانيّة عموماً ولمديح شيمَ هذا السّيد والاخ الجليل خصوصاً .

« ومن حيث اننا مع توفيق العناية الالهيّة مستعدّون بعد تاريخه بخمسة ايّام ان نبرح حلب ونتوجّه الى رومية لزم ان نصدر لبنوتكم منشورنا هـذا الرعويّ ونعلن لتقواكم ما قـد تمّ . ونناشدكم باحشاء مراحم سيّدنا يسوع المسيح الهنا ان تسعَوا معنا كما يليق بروح الله عزّ وجلّ بالتقوى والغيرة الجنسيّة على خير الطائفة في اتمام ما يأتي ذكره :

« اولا : ان تقدّموا لاجلنا الصلوات الحارّة والطلبات المتواترة لابي المراحم سائلين من جوده الالهيّ العميم ان يوآزرنا بعنايته الربّانية. ويعضدنا بقوّته الالهية. ويشملنا بنعمه الوافرة. ويؤيّدنا بيمينه القادرة. ويساعدنا على تتميم واجبات هذه الوظيفة الجسيمة حسبما يسره تعالى ويفيد القريب عموماً .

« ثانياً: ان تكونوا مجتهدين كما يليق بتلاميذ يسوع المسيح المعدّين لخدمة الكرم الانجيلي في الطاعة والخضوع لحضرة ولدنا رئيسكم الاب الاكرم الخوري ميخائيل ازرق المحترم . وتُصغوا لارشاداته الصالحة وتنشطوا الى اقتناء الفضائل والعلوم اللازمة لدعوتكم السامية . لكيما اذا شاهدنا نجاحكم وتقواكم نبتهج بكم عند عودتنا .

ثالثاً واخيراً : نناشد تقواكم كأب محبّ لبنيه الخصوصيين ان تعتصموا بروح الودّ المسيحيّ متمسكين بهذه العلامة الفريدة التي منها وبها تُعرَفون انكم تلاميذ سيدنا يسوع المسيح حسبما تفوّه تعالى بفمه الالهيّ . وهكذا تسعون باجتهاد في اقتناء الكمال المسيحيّ والفضائل الالهية والادبية مبتعدين عن كلّ ما يهين العزّة الالهية وساعين بأمر خلاصكم بخوف ورعدة. لكي نستحقّ ان نشاهده تعالى في ذلك الموقف العظيم بالدالة واسفرار الوجه ونهتف قائلين : « ها انا والبنون الذين اعطيتنيهم يا ربّ » .

« وفيما اننا نسأل مراحمه تعالى ان يغزر لكم خيراته ونعمه الالهية

روحياً وزمنياً . ويُبعد عنكم كلّ شدّة ومحنة تمحكم من صميم الفؤاد البركة الرسولية يا ايّها الأبناء الاعزّاء المصانون بالربّ يسوع ثانياً وثالثاً .
«أعطي في الدار المطروبوليتية بحلب اغناطيوس فيلبّس عركوس
في ٢٥ حزيران ١٨٦٦ البطريرك الانطاكيّ السريانيّ» .

٣ – قدوم البطريرك فيلبس الى دير الشرفة

أنجز البطريرك الانطاكيّ مار اغناطيوس فيلبس عركوس وعده الابويّ لتلاميذ اكليريكيّة سيّدة النجاة فبرح حلب في ١ تموز ١٨٦٦ يصحبه السيّد ديونيسيوس جرجس شلحت والسيد قورلّس بهنام بنيّ وفريق من الكهنة . وما ان وصل البطريرك الى الشرفة حتى بادر الرئيس والكهنة وجمهور التلامذة الى استقباله متهلّلين ينشدون ترانيم الترحيب في السريانيّة . فتوشّح البطريرك بالحلّة الحبريّة ودخل مصلّى سيدة النجاة وشكر لها حمايتها وعنايتها . ثم لفظ خطبة ابويّة حلوة عبّر فيها عن عواطف احترامه لرئيس الدير وعن عطفه على تلامذتهِ . وروى لنا شيوخ الخوارنة والشمامسة ان صاحب الغبطة هذا الفضيل حالما وقع نظره على الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير اخذ يمينه وقبّلها وأنّ دموع الرئيس تدحرجت على وجنتيهِ ذاكراً نجابة تلميذه في الامس وجميل ولائه وحلو شمائله .

ومكث البطريرك الانطاكيّ في ديره بضعة عشرة ايّام يتوافد الاحبار والمشايخ والرؤساء للسلام عليه ويهنّئونه وفي طليعتهم السيد بولس بطرس مسعد البطريرك الانطاكيّ المغبوط (١٨٥٤–١٨٩٠) وداود باشا اوّل متصرفي جبل لبنان (١٨٦١ – ١٨٦٨) وتحادثا مليّاً بالتركية . واقبل كذلك المشايخ الخوازنة من القرى المجاورة . وكان البطريرك يرحّب بهم ويشكر لهم محبتهم ويذكر لهم ايام تلمذته الشهيّة في هذا المعهد المبارك وجولاته في اطراف الجبل اللبنانيّ العزيز على قلبه .

٤ – البابا بيوس التاسع والبطريرك فيلبس

في اواخر تموز ١٨٦٦ ارتحل البطريرك فيلبس مستصحباً المطران جرجس شلحت والمطران بهنام بنيّ والخوري انطون قندلفت قاصداً عاصمة الكثلكة. وقابل الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ — ١٨٧٨) فرحّب به ابو المؤمنين العام اجمل ترحيب وعيّن صباح عيد تجلّي الربّ يسوع على طور تابور ميعاداً ليوشّحه بالدرع المقدّس ·

وصباح ذلك العيد البهيج اقام خليفة شمعون كيفا حفلة بهية بحضور رهط من الكرادلة والاساقفة وقرّب الذبيحة السرّية · ثم استوى في نهايتها على العرش فتقدّم البطريرك الانطاكيّ وتلا صورة الايمان المألوفة وعند نهايتها خرّ امام الاب الاقدس فوشّحه بدرع الرئاسة وأيّده في الكرسيّ الانطاكيّ · فشكر البطريرك لقداسته عطفه ومحبته ودعا له بالتأييد والتوفيق في اعماله الرسولية · وصباح ٧ آب تشرّف البطريرك بزيارة ابي المؤمنين العام فأعرب له الاب الاقدس عن محبته له وللطائفة السريانية وأتحفه بصليب صدر ثمين مرصّع بحجار من الالماس معلّق بسلسلة ذهبية دقيقة بديعة في وسطه قطعة من عود الصليب الحيّ المقدّس · ثم أهدى الى كلٍّ من مطران حلب ومطران الموصل ايقونةً ذهبية · وأهدى كردينال المجمع

المقدّس الى كلّ من البطريرك والمطرانين كاساً فضية واتحف البطريرك بتاج جميل وبعض الكتب …

ومكث البطريرك المغبوط ٤٢ يوماً في رومية ثم ودّع الاب الاقدس وكردينال المجمع المقدّس وتوجّه الى مرسيليا وجال في بلاد اوربا ثم عاد الى الاستانة وزار السلطان عبد المجيد ومن هناك قفل راجعاً الى دير الشرفة.

٥ – عودة البطريرك فيلبس الى دير الشرفة

في اذار ١٨٦٧ عاد البطريرك فيلبس من رحلته ويمم دير الشرفة فرحب به الرئيس والقسان والتلاميذ كلّ الترحيب. ثم ان البطريرك الانطاكي أمر الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير ان يتأهب لقبول السيامة الاسقفية مكافاة لاتعابه ومناقبه الكهنوتية. غير ان الرئيس الورع تمنع كلّ التمنع والتمس من السيد البطريرك ان يعفيه من أثقال تلك الوظيفة السامية. عند ذلك كتب البطريرك للرئيس هذا الصكّ الجميل:

٦ – صكّ البطريرك الانطاكي بانتخاب رئيس الشرفة للرتبة الاسقفيّة

« ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ ܚܝܠܬܢܐ ܐܚܝܕ ܟܠ

« ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܦܝܠܝܦܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܕܣܘܪܝܝܐ

« اعلان بالربّ لكلّ مطّلع عليه

« ان مجمعنا الذي التأم في حلب سنة ١٨٦٦ الماضية مؤلفاً من رؤساء اساقفة واساقفة طائفتنا السريانيّة المباركة لانتخاب بطريرك لها اتّفق راي هذا المجمع قبل تمام الانتخاب على ترقية حضرة ولدنا الخوري ميخائيل ازرق للدرجة الاسقفيّة. وذلك نظراً الى اهليتهِ ومجازاةً لاتعابهِ في مدرسة الشرفة.

«ومن بعد ارتقائنا الى السدّة البطريركيّة حضرنا الى هذه المدرسة لافتقاد احوالها. فاستدعينا ولدنا المذكور واخبرناه عمّا تمّ عليه اتّفاق مجمعنا وامرناه ان يستعدّ لنرقيه الى الاسقفية حسب القرار المذكور. غير انه أبى معتذراً بعدم أهليتهِ. فلم نقبل اعتذاره بل الحينا عليه مراراً ليمتثل أمرنا. واستخدمنا عدّة وسائط لاقناعهِ ولم تحصل النتيجة. ولما كان الأمر هكذا تركناه على ما هو عليه مراعاةً لخاطرهِ ووكلناه من جديد على دير سيدة النجاة وأنعمنا عليه:

«اولاً : ان يلبس خاتماً في خنصره اليمين. ثانياً : ان يتقلد في عنقهِ صليباً مستتراً يُظهره بعد سفرنا من المدرسة عندما يقدّس . ثانياً : ان يلبس تاجاً ويبارك بالصليب وقت القدّاس في بعض الايّام الاحتفالية على مدار السنة في مدرسة سيدة النجاة فقط .
«ولاجل بيان ما سبق سلمنا بيد ولدنا المذكور اعلاننا هذا لكي يبرزه وقت اللزوم

« تحريراً في دير سيدة النجاة بشرفة درعون بكسروان في ٦ اذار سنة ١٨٦٧ مسيحية وهي السنة الاولى من بطريركيتنا

اغناطيوس فيلبس عركوس
البطريرك الانطاكي
السرياني »

٧ – انعام البطريرك على رئيس الشرفة ببعض امتيازات

لم يكتف البطريرك فيلبس المغبوط بما منحه لرئيس الشرفة بل اضاف الى ذلك بعض امتيازات بيعية فدفع اليه بموجبها هذا الصكّ :

« لمجد الله الاعظم
« اعلام لكلّ مطلع على اسطرنا هذه
«اننا لِبُعد كرسينا البطريركيّ الانطاكيّ السريانيّ بماردين عن مدرسة الشرفة ولزوم اقامتنافي المدينة المذكورة راينا ان نفوّض حضرة ولدنا الحبيب الخوري ميخائيل ازرق الحلبيّ رئيس دير سيّدة النجاة بشرفة درعون في كسروان ونمنحه الانعامات الآتي بيانها وهي :
« اولاً : منحناه ان يحلّ من جميع الخطايا المحفوظة . . . ثانياً : ان يفسح في الاصوام الكنسية ويبدّلها بعمل آخر مقدّس من صلاة وصدقة الخ . ثالثاً : ان يكرّس الاواني البيعية التي لا تقتضي المسح بالميرون المقدّس • رابعاً : متى حان وقت رسامات تلامذتنا المختصين بالكرسيّ البطريركيّ في الدرجات الثلاث الصغيرة ودرجة الشماسية المقدّسة فاننا نفوّض اليه ان يكلف احد اساقفتنا المحترمين ليرسمهم . . . ولاجل اعلان ما سبق سلمناه هذا الاعلان الموقع بامضائنا وختمنا •

« تحريراً في ٦ اذار ١٨٦٧ وهي السنة الاولى من بطريركيتنا

اغناطيوس فيلبس عركوس
البطريرك الانطاكي
السرياني»

٨ – عودة البطريرك من دير الشرفة الى ماردين

نظم البطريرك فيلبس المغبوط شؤون دير الشرفة ثم ودّع الرئيس وتلامذته وارتحل في حاشيتهِ الى دمشق وحمص في حزيران ١٨٦٧ ومرّ بالنبك كذلك ووصل الى حلب • ومن هناك اعدّ العدّة وظعن الى ماردين

وعقد مجمعاً حضره القاصد الرسوليّ السيد نقولا كستلس[1]، والسيد اثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد للنظر في بعض شؤون الملّة .

٩ – عريضة رئيس الشرفة الى البطريرك الانطاكيّ

وفي ٢ تشرين الاول ١٨٦٨ كتب رئيس دير الشرفة الى البطريرك فيلبس المغبوط ما خلاصته :

« ... ان البطريرك انطون السعيد الذكر لم يقدّم لدير الشرفة الّا شخص مريم العذراء بجسم . وقد نظرته غبطتكم في الكنيسة ... امّا البدلات اللاتينية التي ارسلها غبطته الى الشرفة فكانت ٢١ بدلة وُزِّعت على قسوس الموارنة وغيرهم . امّا حسابات دور الوقف في حلب فالمطلوب من المطران جرجس شلحة هو ٣١٨٦ غرشاً والمطلوب من الوكلاء ٢٠١١٠ والمجموع ٢٣٢٩٦ غرشاً . فارجو من غيرتكم ان تعطفوا على مدرستكم مدرسة سيدة النجاة التي تقيكم وتقي الجميع تحت ذيل حمايتها وتساعدكم في كلّ عملٍ صالحٍ راجعٍ الى مجد ابنها الوحيد وخير القريب ، واختم ...

« عن دير الشرفة في ٢ تشرين الاوّل ١٨٦٨ ولدكم المطيع

الخوري ميخائيلِ ازرق »

١٠ – عريضة ثانية من الرئيس الى البطريرك

وفي ٢ تشرين الثاني كتب الخوري ميخائيل ازرق الى صاحب الغبطة البطريرك فيلبس يقول :

«... ان مدرسة سيدة النجاة في الشرفة هي ركن الطائفة السريانية وحصنها المتين. غير انها اضحت موضوعاً لرشق السهام كالأمطار من كلّ ناحية حتى آل حالها الى الخراب . ولو اصابها ما اصابها من اعدائها فليس ذلك بعجب . ولكن العجب الأعظم هو ان ما أصابها أصابها ممّن يلتزمون ذمّةً وعدلًا ان يصونوها ويحموها وينجدوها . لانها امّ الطائفة الحنون تربّي بنيها بالتعاليم الالهيّة . . . ولمّا كانت منزعجةً مقلقة جاءها صوت يناديها ويقول لها : اذهبي الى نائبي واعرضي عليه كلومكِ فيشفيكِ ويزيل مسئلة قلبكِ ! » .

---

(١) تولّى قصادة ما بين النهرين عام ١٨٦٤ وتوفّاه الله تعالى في ماردين عام ١٨٧٠ ولُحد في كنيسة المرسلين الكبوشيين .

١١ – تولية رئيس الشرفة على الاوقاف

سلك البطريرك فيلبس مسلك سالفه البطريرك انطون فاناط برئيس الشرفة الوكالة على ارزاق دير مار افرام الرغم . وكتب في ذلك صكاً بعث به اليه من رومية عام ١٨٧٠ هذا نصه :

« سبب ترقيم صكّ الوكالة الشرعي هو انه

« اننا نحن المدوّن اسمنا وختمنا بذيلهِ وكّلنا ونوكل باسطرنا هـذه حضرة الاب الجليل الخوري ميخائيل ازرق رئيس دَيرَينا في لبنان وكالة شرعيَّة على جميع اشغالنا في لبنان وبيروت . فله ان يتعاطى كلّ الدعاوى ويحامي عن جميع الحقوق ممَّا يختصّ بالبيع والشراء والقبض والدفع والارث والميراث وما يُوصى به لوقف او لعمل الخير . ثم يحقّ له بمقتضى وكالتنا هذه الشرعيَّة ان يتنعَّم بالاختصاصات والانعامات المندرجة في البراءة الشاهانيَّة التي سلَّمناه صورتها . وقد شهدنا بطبق أصلها العالي نحن وصاحبا السيادة قورلّس بهنام بنيّ مطروبوليت الموصل واثناسيوس روفائيل جرخي مطروبوليت بغداد الجزيلا الشرف والاحترام . واثباتاً لهـذه الوكالة الشرعيَّة امضينا هذا الصكّ باسمنا وسجَّلناه بختمنا .

« تحريراً في رومية في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٨٧٠ صحّ » اغناطيوس فيلبس عركوس البطريرك الانطاكي السرياني »

هـكذا تبارى البطريرك فيلبس المغبوط ورئيس الشرفة الهمام في الدفاع عن حقوق دير سيدة النجاة والعطف على تلامذتهِ ولفيف سكّانه والحرص على عقاراته ومزروعاته . وقد عثر الشركاء في تلك الايام على معين ماء بجواره ذكره الشيخ ابرهيم اليازجيّ (+١٩٠٦) بابيات شعريّة عام ١٨٧٢ ووصف الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة بقوله :

أَجراه ميخائيل خورينا الذي ... باتت بغيرته المصالح تُعمَرُ
أَلفاضل الحلبيُّ ذو الهمم التي ... يُثنَى عليها في البلاد وتُشكَرُ
من آل ازرق قد افاض مياهُ ... بيضاءَ صافحها النباتُ الأَخضرُ
طاب الصفا بهما فهذا أَرّخوا ... فردوس طيب جنى وهذا كوثرُ [1]

١٨٧٢

---

(١) رسائل ابرهيم اليازجي وتواريخه الشعريّة ١٠٥

غير ان ذلك المعين غاض لسوء الحظّ ولم يَعُد يعتني احد بالبحث والتنقيب عنه .

١٢ - اواخر حياة البطريرك فيلبس ووفاته

في ٦ آب ١٨٦٩ سافر البطريرك اغناطيوس فيلبس المغبوط من ماردين الى رومية لحضور المجمع الواتكانيّ كما ذكرنا مستصحباً ستة من اساقفة كرسيّه الانطاكيّ وهم اساقفة حلب والموصل وبغداد والجزيرة والرها وماردين وبعض الخوارنة وحلّوا معاً في قصر الامير تورلونيا . واتّفق ان البطريرك المغبوط انتابه مرض اليم اضطره ان يلازم الفراش . فشقّ ذلك على ابي المؤمنين وسار الى زيارته وأبدى له عبارات العطف والاخاء وصلّى عليه طالباً له الشفاء . وما عتم ان كرّ البطريرك عائداً الى مقرّه بماردين يكابد ما يكابد من مضض الاوجاع حتى لفظ روحه الطاهرة بيد خالقها في ٧ اذار ١٨٧٤

على ان ابتهاج رئيس الشرفة وتلامذته بالبطريرك فيلبس المغبوط تحوّل الى سكب الدموع الغزيرة على خسارة عميدهم البارّ وهو في شرخ الكهولة . واقاموا لراحة نفسه جنازات حافلة في اليوم الثالث والسابع والخامس عشر والاربعين ونصف السنة والسنة . وهم يردّدون ما ازدان به من الصفات النادرة والاخلاق العالية فضلاً عمّا منحه الله عزّ وجلّ من الذكاء المفرط والعلم الغزير والتفاني في سبيل رقيهم الروحيّ والزمنيّ . تغمّد المولى نفسه البارّة بغيوث مراحمه وأمتعها في فردوس ملكوته .

الفصل العاشر

المطران غريغوريوس متى نقار ودير الشرفة

١ – من هو المطران متى نقّار

وُلد هذا المطران الجليل عام ١٧٩٥ في الموصل ودرس في دير الزعفران وتدرّج في الرتب الكهنوتيّة حتى ارتقى عام ١٨٢٦ الى الرتبة الاسقفية . وكان متشبّثاً بالعقيدة المنوفيزيّة ريثما لاحت له انوار الحقيقة الكاثوليكية فاقتفى آثار المطارنة انطون سمحيري وعيسى محفوظ ويعقوب حلياني وانطلق الى حلب في قسيسين من قسوس ابرشية حمص وحماة وقرّر بين يدي مار اغناطيوس بطرس جروة صورة الايمان الكاثوليكيّ في تشرين الثاني ١٨٣٢ وتبعه في تقريره القسيسان ايضاً . ثم عاد المطران متى الى النبك كرسيّ ابرشيته مغموراً بنعمته تعالى وجعل يواصل جهاده في تثقيف ابنائه ويمهّد لهم السبل ليخطوا خطواته في اتباع الايمان الكاثوليكيّ . فكان له ما اراد واصبح السريان النبكيّون قاطبةً متمسكين بالعقيدة الكاثوليكية لا يحيدون عنها .

٢ – قدوم المطران متى اوّل مرّة الى دير الشرفة

في تشرين الثاني ١٨٥٣ قدم المطران متى الى دير سيدة النجاة واجتمع بصديقيه العزيزَين السيد يوليوس انطون سمحيري والسيد غريغوريوس يعقوب حلياني ثمّ اعتكف هولاء الاساقفة الثلاثة مع السيّد قورطس يوسف حائك مطران بيروت واجمعوا بالصوت الحيّ على انتخاب السيد انطون سمحيري للكرسيّ الانطاكي . ومكث المطران متى بضعة اسابيع في الدير مستأنساً بمن فيه مبتهجاً بما فيه متأثراً ممّا شاهده في الجبل اللبناني من الهدّو والطمأنينة ثم قفل راجعاً الى ابرشيته يثابر على اعماله الرسولية . وقد وفقه الله عزّ وجلّ فابتنى كنيسة في النبك مركزه على اسم العذراء مريم وكنيسة ثانية في القريتين اللاحقة بابرشيته تيمّناً باسم القدّيس يوليان الشيخ الشرقيّ وعزّز دير مار موسى الحبشيّ ودير مار يوليان فكان المؤمنون يتقاطرون الى كلّ منهما في موسمهِ زرافات ويطلبون شفاعتهما ..

٣ – قدوم المطران متى ثانية الى دير الشرفة

ثابر المطران متى على جهاده في النبك والقريتَين حتى نيسان ١٨٦٧ فشعر بانحطاط في قواه أقعده عن مواصلة أعماله في ادارة ابرشيته المحبوبة. واضطر ان يقصد معهد سيدة النجاة ليقضي بجوار تلك السيدة المغبوطة اواخر عمره . فرحب به الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير ترحيباً جميلاً جدّاً وهيأ لضيفه المجاهد شماساً اميناً يخدمه ويساعده في مرضهِ . وأعدّ له كل ما احتاج اليه لتخفيف وطأة آلامه . فتعزى المطران الورع وابتهج قلبه الكئيب بما شاهده من الرئيس والكهنة والتلامذة من الانس واللطف والاحترام . وقصد ان يكافيئهم عن تعبهم ويُبدي معرفة الجميل لسيدة النجاة التي شملته بنظرها . فاستدعى الخوري يوحنا حبيب استاذ التلامذة وكلّفه ان يكتب له وصيته الاخيرة . فلبى ذلك الخوري الفاضل طلبة

المطران مسروراً ودوّن له وصية محكمة بخط يده ووقّعها المطران متي بامضائه وهذا نصُّها :

٤ – وصيّة المطران متى

«سبب تحريره هو انه يوم تاريخه انا المحرّر اسمي ادناه اذ انا بحال الصحّة والتعقّل الكافيين للقرار الشرعيّ : اقرّ باني قد وكلتُ وكالة مطلقة شرعيّة قانونيّة حضرة ولدنا الاب الاكرم الخوري ميخائيل ازرق رئيس مدرسة سيّدة النجاة الكائنة بدير الشرفة المحترم على كلّ ما يختصّ بي روحيًّا وزمنيًّا . وعلى كلّ ما تملكه يديّ من الاملاك الثابتة والمنتقلة . وله التوّلي عليها والتصرّف بها نظير شخصي انا . وله ان يفعل بدون مشورتي وبلا معارضة ايٍّ كان كلّ ما يراه موافقاً وراجعاً لخير نفسي وخير مدرسة سيّدة النجاة التي قد خصّصت لهـا كلّ ما هو تحت تملّكي من كلّيّ وجزئيّ من بعد وفاتي . وذلك لقاء اثقالي على المدرسة المذكورة مدّة اقامتي فيها .

« وبياناً واشعاراً لاثبات هـذه الوكالة الشرعيّة قـد التمست من غبطة سيّدي مار اغناطيوس فيلبّس عركوس البطريرك الانطاكيّ السرياني الجزيل الطوبى ان يثبّت هذه الوكالة بسلطانه البطريركيّ لولدنا الخوري ميخائيل المومأ اليه . الذي تعاهدَ ان يقدّم لي كلّ احتياجاتي الروحيّة والزمنيّة بالنوع الذي يؤول الى خلاص نفسي وراحتي الزمنيّة . وقد أذنت لحضرات الانام المسطورة اسماؤهم هنا ان يشهدوا على اقراري هـذا القانونيّ الواجب العمل به وسلّمتُ صكّ الوكالة هذا بيد حضرة الاب المشار اليه ليبقى معه سنداً لعدم المعارضة .

« تحريراً في اليوم الثاني من شهر ايّار سنة الف وثمـانمائة وسبع وستّين مسيحيّة ٢ ايّار ١٨٦٧ مسيحيّة ܐܠܡܛܪܢ ܓܪܝܓܘܪܝܘܣ ܡܬܝ ܢܩܐܪ

شُهد بما فيه ܡܛܪܢ ܣܥܪܕ ܘ[illegible] ܘܡܐ ܝܠܝܗܐ»

الخوري يوحنا معمارباشي الخوري يوحنا حبيب
الكمريري المرسل اللبنانيّ

٥ – موافقة البطريرك الانطاكيّ على الوصيّة

بعد تدوين هذه الوصية وختمها عرضها الخوري ميخائيل ازرق على صاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس فاستصوبها وأثنى على فضائل المطران متى الورع وأثبت فيها بخطّ يده ما يلي :

«صحّ قد طلب منا حضرة الاخ الجليل السيد غريغوريوس متّى نقّار

مطران حمص وحماة وما يليها ان نثبت صك توكيله الشرعي لحضرة الاب الخوري ميخائيل ازرق المحترم . وبما اننا وجدنا هذا الصك قانونياً اثبتناه بسلطاننا ونثبته باسطرنا هذه ونحتم ان يجري العمل بموجبه بلا معارضة .

تحريراً في ٢ ايار ١٨٦٧ اغناطيوس فيلبس عركوس

البطريرك الانطاكي السرياني» .

٦ – وفاة المطران متى نقار في دير الشرفة

اطمأنت افكار المطران متى الفضيل وظل مقيماً في دير الشرفة مثابراً على الصلوات والابتهالات الى الرب الغفَّار ليقويه ويعضده في مكابدة الاوجاع . يبذل الخوري ميخائيل ازرق وشمامسة الدير كل القوى في ما يعود الى تخفيف آلامه حتى ٣ آب ١٨٦٩ فلبى المطران التقي دعوة ربه ولفظ روحه النقية بحضور رئيس الدير والكهنة وراح ينال الاجر المعد للاحبار الصالحين في الملكوت السماوي .

وقد عثرنا ما بين اوراق دير الشرفة على لائحة كتبها رئيس الشرفة وسرد فيها اسماء الكهنة والرهبان الموارنة والارمن والسريان الذين حضروا جنازة الفقيد الجليل فاذا عددهم يبلغ ١٦١ كاهناً تقاطروا الى دير الشرفة من قرى لبنان المجاورة كغوسطا ودلبتا ومعراب ودير سيّدة الحقلة وعشقوت ودير مار شليطا ودرعون وحريصا وبقلوش وعين‌ورقة وبطحا وبزمّار ودير الكريم ودير الحرف ودير حراش ومدرسة مار عبدا ودير مار روحانا ودير بيت خشبو وعرامون ودير العفص وغلبون وريفون والقليعات ومدرسة الروميّة ومزرعة كفردبيان وحراجل وميروبا ووطا الجوز وبقعاتا ورعشين والزوق ودير مار ميخائيل ودير البشارة ودير سيّدة البزاز وصربا وغزير ودير مار جرجس علما وحارة صخر وكفرياسين .

هذا ما عدا مشايخ آل الخازن وانسباءهم واهالي القرى المجاورة . وقد ترأس صلاة الجناز السيّد يوحنا الحاج مطران بعلبك المارونيّ وحضر

من كهنة السريان : رئيس الدير والقس جبرائيل دقاق والقس متى احمردقنه والقس يوسف معمارباشي والقس الياس شدياق ولفيف الشمامسة والتلامذة ·

وبلغ ما أنفقه الخوري ميخائيل ازرق في تلك الجنَّازة المهيبة ٧٢٦٤ غرشاً · وبعد الصلاة شيّعه الكهنة حاملين النعش على الاكفّ ثم لحدوه في مدفن الاحبار تحت مذبح سيّدة النجاة وتهافت الكهنة والتلامذة على اقتناء شيء من ثوبه تبرّكاً · تغمّده الله تعالى بغيوث رحماته وابهج نفسه البارة في جنان ملكوته ·

٧ – امتعة المطران متى المثلّث الرحمة

ثم ان الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير الامين اثبت في السجلّ امتعة الحبر الراحل الجليل بتاريخ ١٣ آب ١٨٦٩ بحضور القس يوسف معمارباشي والشماس رزق‌الله توما دقّاق في جملتها : ساعة وصليب صدر وخاتمان وخاتم ذهبيّ وبدلة قدّاس الخ · امّا كسوته فقد بعث بها الخوري ميخائيل ازرق الى الخوري يوحنا كركجيّ الموصليّ تلميذ دير الشرفة الذي تولّى خدمة النفوس في النبك تارة وطوراً في القريتين ·

صدى فضائل المطران متّى

نقل لنا الشماس رزق‌الله توما دقاق المذكور الساعة وغيره من الشمامسة وآباء دير الشرفة يومئذٍ أنّ فقيد الكنيسة السريانيّة هـذا التقيّ النقيّ السيرة والسريرة لمـا شعر بدنوّ أجله التمس من الكهنة والشمامسة ان يحملوه الى الكنيسة ليودّع سيّدة النجاة المغبوطة · فنقلوه عـلى الاكفّ امتثالًا لطلبه · وما ان استقرّ هناك حتى اندفع يَنشِج بصوتهِ الشجيّ ترنيمة سريانيَّة للعذراء الجليلة ومطلعها : ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ ܡܫܒܚܬܐ ܒܢܫ̈ܐ ܡܒܪܟܬܐ · وكانت العبَرات تتدفّق عـلى وجنتيه وهو يسأل الله غفران خطاياه ويتوسّل الى العذراء ان تتشفع في خلاص نفسه · فتأثّر الكهنة والشمامسة وتخشعوا

وبكوا عندما شاهدوا وسمعوا هذا الشيخ البارّ يناجي المراحم الالهية حين احتضاره ويستمنحها العفو عما فرط منه في مدّة حياته .

ونختم هذه الكلمة بذكر مبرّةٍ من مبرّات هذا الحبر الكريم السخيّ . فقد جاد على دير الشرفة بمبلغ ١٠ آلاف غرش خُصصت بعمارة كنيستهِ الجديدة كافاه المولى تعالى خير المكافاة في ملكوتهِ .

الفصل الحادي عشر

كردينال مجمع نشر الايمان المقدّس ورئيس الشرفة

١ – عريضة الرئيس الى الكردينال برنابو

لم يفتر رئيس الشرفة الغيور عن رفع العرائض الى نيافة الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان المقدّس برومية ومراجعته في كلّ ما ينوط بحقوق دير الشرفة ورقيّ تلامذته ونموّ ارزاقه . فقد كتب الى نيافة الكردينال برنابو عريضةً جاء فيها :

« . . . ان لمدرسة الشرفة الاقليريسيّة اربع دور في حلب استلم البطريرك انطون سمحيري وارداتها من السنة ١٨٥٦ حتى السنة ١٨٦١ ثم استلمها المطران جرجس شلحة الى الآن . وكلّما طالبتُه بها فهو يحاولني ويعدني مواعيد فارغة . فحرّرتُ لغبطة البطريرك فيلبس عن ذلك وغبطته حرّر للمطران المومأ اليه . وامّا سيادته فأبى . ولّما رأى غبطته انه عاجز عن استخلاص حقوق الشرفة من سيادته أمرني ان اراجعكم . . .

« ومن المعلوم انه يجب على الاساقفة ان يلاحظوا هذه المدرسة الاقليريسيّة لانّ خيرها ونجاحها عائدٌ الى خير أبرشيّاتهم . فاضحوا لذلك ملتزمين ان يسعفوها . . . ولا يخفى نيافتكم ان غبطة البطريرك فيلبس لاجل عدم ايراد كافٍ للمدرسة حدّد ان يكون تلامذتها ١٥ تلميذاً والقائمين بخدمتها ١٠ اشخاص فقط . . . » .

٢ – عريضة الرئيس الى الكردينال اسكندر فرنكي

وفي ٢٥ ايار ١٨٧٤ رفع الخوري ميخائيل ازرق عريضة تهنئة بنوية الى نيافة الكردينال اسكندر فرنكي الذي خلف الكردينال برنابو الطيب

الاثر . وقصّ على نيافته كذلك خلاصة اخبار دير سيدة النجاة ولفت نظره الابوي الى الاهتمام بمصلحته . ثم التمس منه بعض كتب سريانية وعربية وعده بها سالفه المثلث الرحمة .

٣ – جواب الكردينال اسكندر فرنكي

سُرَّ كردينال المجمع المقدّس بتقرير رئيس الشرفة وتهنئته البنوية الصادقة فكتب له بتاريخ اوّل تموز ١٨٧٤ ما تعريبه :

« ايّها الاب الكليّ الاحترام

« ان مكتوبكم المدوّن في ٢٥ ايّار الماضي حاز القبول لديّ . ونظراً الى ما كتبتموه من التهانىء وما قرّرتموه من الاجتهاد في رقي اكليريكيّة الشرفة فاني أوديّ لكم الشكر عما سطرتموه . وارجو ان تواصلوا الدعاء الى المولى تعالى في شأني كما صنعتم

« ان سالفي الكردينال برنابو المثلث الرحمة كان مستعداً ان يرسل اليكم الكتب المطلوبة . ولكنّه توقّف عن ذلك اذ سمع ان اكليريكية الشرفة قد أغلقت . وبما انّكم كرّرتم الطلب فهنذا ارسل نسخةً من كلّ الكتب المختلفة التي طلبتموها . وقد سلمتها الى وكيلكم حضرة متى شهوان طبقاً لرغبتكم . وأحبّ ان تفيدوني بالتفصيل عن اخبار اكليريكيّتكم . لان الأخبار الواردة عنها الى هذا المجمع المقدّس في ازمنة متفاوتة تصرّح بانها كانت مغلقة وافترضَ انها نُقلت او تُنقل الى ماردين . وبعد ذلك حدث تشويش مِمّن كان مترئساً على التلاميذ . وبلغنا اخيراً ان السادة الاساقفة قد صرحوا وقرّروا ان تستأنف الاكليريكيّة عملها . ولكن ذلك لم يتمّ بعدُ بالعمل .

« على ان اكليريكيّة الشرفة ضروريّة جداً للكنيسة السريانيّة لانها « ركن الطائفة السريانية » ولا تملك غيرها لتثقيف اكليروسها . فأروم اذاً ان تنتظم قوانينها والا فتصبح غير مفيدة للطائفة . ومن المقرر ان النائب الرسولي (السيد ديونيسيوس جرجس شلحت) الكلي الاحترام لا يغمض عن الاعتناء بها . ولكني ارغب ان اعرف كيف جرت

الأمور حتى الآن وكيف صدرت في عهد البطريرك المتوفى . فارجو ان تمنوا بذلك وتنبئوني حالا بالتفصيل عن ذلك . ولا تهملوا ذكر الدواعي التي حدثت والوسائط الضرورية لنجاح الاكليريكية حسب فطنتكم . واسأل المولى عز وجل ان يمنحكم كل خير .

غيتانس الونسي ماسلله   الكلي العطف نحو ابوتكم
كاتم الاسرار   الكردينال اسكندر فرنكي رئيس المجمع»
في رومية : بروبغندا في ١ تموز ١٨٧٤ »

٤ – جواب رئيس الشرفة الى نيافة الكردينال

تلقّى الخوري ميخائيل ازرق كتاب نيافة الكردينال اسكندر فرنكي وأنعم النظر فيه ثم رفع الى مقامه السامي عريضةً ضافية ضمّنها اخباراً مفصّلة عن دير الشرفة هذا نصُّها :

« قدس السيد الكردينال اسكندر فرنكي رئيس المجمع المقدّس الكلّي السموّ والفائق الاحترام

« ... تشرّفت بمرسوم نيافتكم المحرّر في اوّل تموز ١٨٧٤ وتلوته مسروراً بسلامتكم . وقد اندهشتُ جداً من عمق تواضعكم الذي اظهرتموه نحوي.. وتعلّمت عظمة فضيلة الاتّضاع التي هي اساس كلّ الفضائل . امّا قولكم ان المثلّث الرحمة الكردينال برنابو بلّغكم انه توقّف عن ارسال الكتب الروحيّة العربيّة والسريانيّة المطلوبة لانه سمع ان مدرسة الشرفة مغلقة وليس فيها تلامذة : فيا سيدي الكلّي السموّ : ان المدرسة لم تفرغ من التلامذة يوماً واحداً . لكنّ البطريرك فيلبس عركوس المثلّث الرحمة افتكر ان ينقلها الى ماردين . وهذا الفكر أنقص عدد التلامذة فلم يبقَ في الدير الّا خمسة تلامذة فقط . ولمّا أُعطيت النيابة الرسوليّة لسيادة المطران جرجس شلحت الكلّيّ الاحترام اخذتُ منه اخباراً سارّةً مؤدّاها انه مزمع ان يعمل كل جهده في ارجاع الشرفة الى حالها الاوّل في كل ما يؤول الى نجاحها وعمارها وكثرة تلاميذها على قدر امكانها . والآن فيها سبعة تلامذة يدرسون العلوم اللازمة وهم : من ماردين ومن حلب والشام . وفي آب السنة الحاضرة (١٨٧٤) شرّف المطران المشار اليه الى المدرسة وغبّ مشاهدته صغر كنيستها وحقارتها وعدم لياقتها لتكون بيتاً لتقدمة الذبيحة الالهيّة أمرني ان اباشر حالاً في عمار كنيسة جديدة على اسم سيدة النجاة تكون لائقة ان تُدعى بيت الله .

« هكذا باشرتُ انا ولدكم طاعةً لأمر سيادتهِ بعمار كنيسة جديدةٍ مع علمي ان المدرسة لا يمكنها ان تقوم بهذا العمار . لانه يلزمها اقلّها يكونُ نحو ١٦ الف فرنك . وليس عندي الآن الاّ ٣ آلاف فرنك فقط . فالأمل بانظار نيافتكم اننا نحصل على مساعدة المحسنين المحبين ليكمل بناء بيت الله تعالى . ومن ثم ارجو من غيرتكم ان تمدّوا يداً سخيّةً لاسعاف هذه المدرسة . وتحرّضوا اصحاب التقوى ومحبّي عمل الخير ليسعفوها .

« امّا قول نيافتكم ان هذه المدرسة هي « ركن للطائفة السريانية » فلا شكّ في ذلك ابداً . وزيدوا عليه انه لا يوافق ان تكون الاّ في كسروان مقرّ الأمان . فالمرجوّ اذاً من نيافتكم وحكمتكم ان ترفعوا التوسّل الى قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع المالك سعيداً ليصدر أمره بواسطة بلة رسولية ويصرح بان اكليريكية الطائفة السريانية الكاثوليكية يجب ان تكون دائماً في دير الشرفة بكسروان . وذلك لئلا يحدث في المستقبل تغيير في نقلها الى مكانٍ آخر بأمر السادة البطاركة او الاساقفة وبواسطة هذه البلة البابوية لا يبقى سبيل الى احدٍ كائناً من كان ان ينقلها من الشرفة الى غير مكان . بل تثبت دائماً على حالةٍ واحدة . وعلى كلّ حال فان كلّ شيء راجع الى أمركم .

« ثمّ من جهة طلبكم العلم والمعرفة عن الوسائط الفعّالة لنجاح هذه المدرسة . فذلك يعرفه النائب الرسوليّ سيادة المطران جرجس شلحة اكثر من ولدكم سيما وجود معلمين ماهرين اتقياء صالحين ورعاة غيورين يسوسون التلامذة ويفقّهونهم في اكتساب الفضائل الالهية والادبية والعلوم الكهنوتية وحفظ القوانين المدرسية . وبذلك يكونون كالزيتونة المغروسة في كرم بيت الربّ تعطي ثمرها في حينهِ .

« ثم اني فهمت من مرسومكم انكم أمرتم بارسال كتب روحية الى المدرسة : من كلّ نوع كتاب واحد فقط . والمعلوم لديكم ان كتاباً واحداً لا يمكن توزيعه على جمهور التلامذة بل يلزم كلّ تلميذ اقله كتاب واحد من كل نوع من الكتب السريانية والعربية . وبالاخص كتاب نافورة القداس . فارجو من بحر مراحمكم ان تأمروا بارسال الكتب المذكورة بقدر ما يكفي لجمهور التلامذة الحاضرين والذين سيحضرون قريباً ...

واختم بالجثو امام اقدامكم وطلب البركة الرسولية لي وللفيف اولادكم الكهنة والشمامسة والتلامذة .

خادمكم الكلّي الخضوع

حرر في آب سنة ١٨٧٤ في دير الشرفة بكسروان

الخورفسقفوس ميخائيل ازرق
خادم دير سيدة النجاة
في الشرفة »

٥ – خلاصة ما تقدم

نكتفي بهذه البيّنات برهاناً عن اقرار رؤساء الشرفة بعوارف الكرسي الرسولي ومساعي كرادلة المجمع المقدس . فقد اخذ الاحبار الرومانيّون واولئك الكرادلة على عهدتهم منذ تأسيس هذا الدير المبارك عام ١٧٨٦ كما ذكرنا حتى الآن ان يرمقوه بعين عطفهم ويدافعوا عن حقوقهِ ويمدُّوه بكل مساعدة روحية ومالية وعلمية. كيما ينجح في مهمّته ويثقف قسوساً افاضل يفلحون في كرم الرب صباحَ مساءَ ويأتوا بالثمار الناضجة الشهية تمجيداً لله الاعظم وانتصاراً للكنيسة الكاثوليكية المقدسة وتعزيزاً للامة السريانية .

الفصل الثاني عشر

كهنة دير الشرفة (١٨٦٦ – ١٨٧٩)

١ – الخورفسقفوس فيلبس شقّال الحلبي (١٨٦٦ – ١٩٢١)

عاش هذا الخوري الوقور عيشة الكهنة الابرار وكان في عهد تلمذته (١٨٥٨ – ١٨٦٦) امثولةً صالحةً لاقرانه . واتفق ان البطريرك جرجس شلحت المغبوط استحضر من دير مار افرام الرغم الى دير الشرفة ادوات

المطبعة التي استجلبها سالفه البطريرك اغناطيوس بطرس جروة كما مرّ بك. وعيّن القس فيلبُّس مديراً لها. فقام بتلك المهمّة احسن قيام ووقف على طبع كتاب «خدمة القداس» في السريانية والكرشونية. وانجز طبعه في السنة ١٨٧٨ وأثبت اسمه في آخره هكذا: «قد نجز طبع الكتاب بيد القسّ فيلبس شقَّال والايبودياكونوس نصري نوري ولله الحمد دائماً». وهو اوّل كتاب اصدرته تلك المطبعة. وارتقى الخوري فيلبس الى الرتبة المقدّسة في ٧ حزيران ١٨٦٦ وخدم النفوس اوّل بدء في حلب وطنه. ثم توجّه الى آطنة بقيليقيا فانشأ فيها رعيّة سريانيَّة ما برح الاحياء منها يلهجون بغيرته الرسوليَّة وخدمه الجلّى.

وفي السنة ١٨٩٤ رقّاه البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي المغبوط الى رتبة خورفسقفوس واستصحبه الى الاستانة وحصل له النوط المجيديّ. ثم عاد الى آطنة مركزه يواصل اعماله. وابتنى كنيسة جديدة باسم مار جرجس الشهيد. وضمّ اليها مدرسة لتعليم الفتيان. وظلّ مثابراً على خطته السويّة حتى لبَّى دعوة ربّه في آب ١٩٢١ بالغاً الثامنة والسبعين.

وجرى له مأتم حافل اشترك فيه الالوف من المسلمين والنصارى تصدّره السيّد بطرس قويونيان مطران الارمن الكاثوليك ولفيف الكهنة الكاثوليك ارمناً وسرياناً وكلداناً والمرسلون اليسوعيُّون. وكانت السيَّارات تتبع المشيّعين سائرين وراء الجنَّازة. ولمَّا دنا الموكب من دار غبطة كاثوليكوس الارمن انحدر من عليَّته ووقف الحضور هنيهة فصلّى عليه صلاة وجيزة ثم استأنف المشيّعون سيرهم الى المقبرة وكان الاب بولس مُراد السريانيّ وطلبة المدرسة ينشدون الترانيم السريانيَّة طول الطريق. وعلى اثر وفاته شوهد نور ساطع يلمع فوق ضريحه مدّة ثلاث ليالٍ. وقد فتح ابناء رعيته ضريحه بعد مرور اسبوع على دفنته فشاهدوه مستوياً على كرسيّه واخذوا الصليب الذي كان يزيّن صدره وشيئاً من حلّته الكهنوتيّة تبرّكاً.

وقد طالما حدّثنا ابناء رعيَّته الذين قدموا عام ١٩٢٢ الى بيروت

بصنائعه المبرورة ولاسيما تفانيه في خدمتهم . فقد كان رحمه الله تعالى اذا تعهّد مريضاً فقير الحال سلّاه في مصابه وسرّى عنه غمومه بنصائحه الابويّة ووضع تحت وسادته شيئاً من النقود وانصرف يعده بالعودة اليه تكراراً .

واعتنى الخوري فيلبس اعتناء ابويًّا بتثقيف فتيان المدرسة في السريانيّة والعربيّة والتركيّة . وكان يشتري للفقراء منهم أحذية وألبسة خصوصاً في موسم الميلاد والفصح المجيد .

امّا مدافعته عن حقوق ابناء رعيّته لدى الحكومة التركيّة ولاسيّما لما ثار الاتراك في نيسان ١٩٠٩ على نصارى آطنة وارتكبوا ما ارتكبوا من الجرائم والفظائع والمذابح فقد كانت مدافعة جريئة استحقّت الثناء والاعجاب . وكان الوالي نفسه يكلّفه ان يلقي الخطب على الجماهير المحتشدة في اثناء المواسم الاسلاميّة والمسيحيّة . على ان الحكومة التركيّة قوّضت في غضون الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨) الكنيسة السريانيّة والمدرسة الملاصقة لها ونهبت امتعته كلّها . فكان الخوري فيلبس لا يملّ مراجعتها حتى اعطته بدلًا منها بيتاً للصلاة ومدرسةً . وكثيراً ما كان يردّد هذه العبارة على ارباب الحلّ والعقد فيقول : « هيهات ان نرى عدلًا في الارض . انما العدل في السماء لا على الارض ! » .

وكان الخوري فيلبس اذا مرّ في الطريق سارع الكبار والصغار الى لثم يمينه . وكان المقامرون اذا لمحوه من بعيد كفّوا عن اللعب وبادروا يستعطفونه ويعدونه بالعدول عن المقامرة . والحوادث في هذا المعنى كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدّم . وحسبُ هذا الكاهن الورع الغيور فضيلة وفضلًا انه لم يترك بعد وفاته شيئاً من المال والاثاث يستحقّ الذكر . هكذا رقد بالرب ابن دير سيّدة النجاة مخلّفاً في قلوب أبنائه كباراً وصغاراً ذكرى حلوة شهيّة ما برحوا يردّدونها مستمطرين على نفسه غيوث الرحمات الالهيّة .

٢ – القس الياس شدياق الحلبيّ (١٨٦٧ – ١٨٨١)

وصل عام ١٨٦٤ الى دير سيدة النجاة وظلّ ثلاثة اعوام معتكفاً على اقتباس الخلال والعلوم الكهنوتية ريثما صار قسيساً في ١٠ شباط ١٨٦٧ وخدم رعيَّة بيروت خمسة اعوام (١٨٦٩ – ١٨٧٤) وقضى شطراً من حياتهِ في دير الشرفة بمثابة مدبّر وراعٍ للتلامذة[1] . وانتقل الى جوار ربّه في ٢١ آب ١٨٨١ في بيروت . وصلّى عليه القس موسى سركيس والقس افرام ابيض . رحمه الله تعالى .

٣ – القس سمعان اسطنبوليّة الحلبيّ (١٨٦٨ – ١٨٩٧)

هو احد تلامذة الشرفة الفضلاء . اقام ردحاً من الزمن يتلقّى العلوم والخلال الكهنوتيّة حتى ارتقى الى الرتبة المقدّسة في ٢٣ آب ١٨٦٨ وخدم الرعيّة في مسقط رأسه حتى اخترمته المنون عام ١٨٩٧

٤ – القس ميخائيل كافي الموت الموصليّ (١٨٦٩ – ١٩٠٣)

يُعدّ هذا القسيس الموقّر من نوابغ قسان دير سيدة النجاة فضيلةً وعلماً . وهو ابن الشماس اسحق المشهور بتقواه وخدمته في الكنيسة الموصليّة .

---

(١) رسالة متى شهوان الى رئيس الشرفة في ٢١ اذار ١٨٧٩

وقد اقام ثلاثة اعوام في دير الشرفة يختمر في علم الفلسفة واللاهوت النظريّ والادبيّ . ثم عاد الى وطنه فرقاه السيد قرلّس بهنام بنيّ مطران الموصل الى الرتبة الكهنوتيَّة في ١٩ ايلول ١٨٦٩ وولاه خدمة الانفس فنهض القس ميخائيل بهمته المقدّسة نهوضاً حسناً يتفانى في تثقيف الرعية شيوخاً وشباناً وفتياناً حتى لاقى ربّه عام ١٩٠٣ مخلّفاً في القلوب أحلى تذكار لصنائعه المشكورة

وأشتهر من هذه الأسرة السريانيَّة المباركة كبيرها الحكيم بطرس شقيق القسّ ميخائيل باستنباطه علاجاً لدرء ضروب الحمّيات المتفشية في الموصل . فتوفق في معالجته توفيقاً جيداً وأحرز ذكرى عاطرة لدى خاصة الاهالي وعامّتهم .

وامتاز الشماس جرجس ابن الحكيم بطرس بتقواه واستقامتهِ ودماثة اخلاقهِ ولاسيما باصطناعه المعروف عند كلّ من قصده . وقد جاد عليه المولى الرزاق ببنين صالحين نسجوا على منواله واشتهر منهم بكره القانوني ميخائيل الذي برع في فنّ المحاماة ونجله الثاني الدكتور توما الطبيب النطاسي . ويُعدّ هذان النجلان النجيبان مع والدهما من رجالات الطائفة السريانيَّة المبرّزين في الفضل والعلم والأدب .

٥ — الخورفسقفوس بهنام بدرّية (١٨٧٠ – ١٩٢٤)

أَثبت سجلّ تلامذة دير الشرفة ان هذا الخوري الجليل وُلد في ١٠ كانون الاوّل ١٨٤١ غير ان شقيقه حبيب الفاضل كتب لنا ان ميلاده وقــع في السنة ١٨٣٨ وقدم في ١٤ ايّار ١٨٦٦ الى دير سيدة النجاة بالشرفة وكان ينتوي ان يواصل الدروس الكهنوتيَّة العالية في اكليريكيَّة الآباء اليسوعيين بغزير . غير ان السيد قرلّس بهنام بني كتب يأمره ان يثابر عــلى اقتباس ما يمتازه من العلم في اكليريكيَّة الشرفة . وبما انه كان بالغاً السنة ٢٨ وجّهه الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير الى مدرسة

عين ورقة المارونيَّة ليدرس اللغة اللاتينيَّة واللاهوت النظريّ والادبيّ . هكذا اخذ الشماس بهنام يختلف الى تلك المدرسة العامرة مدّة ثلاثة اعوام ويقضي العطلة الصيفيّة في الشرفة حتى اختمر بالعلم والفضيلة . ورقّاه في ٢٧ كانون الثاني ١٨٦٧ مار اغناطيوس فيلبس عركوس الى رتبة الرساليّ .

وفي ٢٠ ايلول ١٨٧٠ غادر الشرفة الى الموصل فنصبه السيد قورلّس بهنام بنيّ قسيساً في ١٥ كانون الاول ١٨٧٢ وولّاه خدمة النفوس في رعيّة كنيسة الطاهرة ثم رقّاه في ٨ كانون الاول ١٨٩٥ الى رتبة خورفسقفوس . وفي السنة ١٨٩٨ أُنيطت به رعاية ابرشيَّة الموصل وتوجّه عام ١٩٠٤ الى بغداد بمثابة مفوّض بطريركيّ فساس الرعيَّة هناك سياسة حسنة حبَّبته الى جميع ابناء الابرشيَّة . وبعد هذا عاد الى الموصل يثابر على خدمة النفوس حتى اخترمته المنيَّة عام ١٩٢٤ رحمه الله تعالى .

وتولّى الخوري بهنام بدريّة ردحاً من الزمان القاء الدروس العربيَّة في مدرسة المرسلين الدومنكيين ، وصنَّف كتاباً عنوانه «زبدة اللغة العربيّة» ، وجمع في مجلّد ضخم جميع المواعظ التي ألقاها في كنيسة الطاهرة . وما برح هذا المخطوط محفوظاً لدى شقيقه حبيب حتى اليوم .

واقتنى الخوري بهنام مكتبة عامرة بمخطوطات ومطبوعات ثمينة دينيَّة

وعلمية وتاريخية وطبية . وانصرف زماناً الى التبحر في كتاب ابن سينا حتى ألمّ بعلم الطب وجعل يعالج المرضى ويصحِّحهم .

ولم ينسَ هـذا الاب الوفيّ دير الشرفة الذي ثقّفه فكتب له في وصيته الاخيرة بعض كتبه. نذكر منها نسخةً من فناقيث الصلوات القانونيَّة وقاموس المطران توما اودو في السريانيَّة وغير ذلك . واهدى سائر بدلاته الى دير مار بهنام .

٦ - الخورفسقفوس سليمان تبوني الموصلي (١٨٧١ - ١٩٢٩)

زهد هذا الاب الجليل في الحطام الدنيا فاقبل في شرخ شبابه الى دير سيدة النجاة واستقبله الرئيس في ٥ كانون الاول ١٨٦٨ بكل عطف وترحاب . فقضى مع التلامذة ثلاثة اعوام معتكفاً على الاستكمال من الفضائل والعلوم الكهنوتيَّة. وفي ٨ ايلول ١٨٧١ توشّح بالحلّة الكهنوتيَّة وانطلق الى دياربكر وماردين وطور عبدين يخدم النفوس ثم انتقل الى دير الزور وانشأ فيها كنيسة باسم ميلاد العذراء المغبوطة عام ١٨٧٣ بأمر البطريرك فيلبس وحبس لها بعض الاوقاف وخلّف فيها ذكريات طيبة .

وبعد هذا نُصب الخوري سليمان نائباً بطريركياً في النبك يخدم الرعيَّة هناك كذلك خدماً جُلّى . ثم نُصب عام ١٨٩٧ وكيلاً بطريركياً

في بيروت فقام بوظيفته خير قيام مدّة خمسة اعوام . وكان يقصد دير الشرفة المرّة بعد المرّة ويطوف مع التلامذة في انحاء لبنان يقصّ عليهم اخبار جهاده خصوصاً في طور عبدين . ولما طعن الخوري سليمان في ايامه وبلغ شيخوخة جليلة عاد الى وطنه مواظباً على خدمة النفوس حتى فاضت روحه بيد خالقها في ٥ حزيران ١٩٢٤ ومن صنائعه المبرورة حبسةُ على رهبان دير مار افرام بماردين عدة مخازن في بلدة ويران شهر . رحمه الله تعالى .

٧ – القس انطون صبَّاغ الحلبيّ (١٨٧٣ – ١٩١٢)

درس العلوم الكهنوتيَّة في دير الشرفة منذ السنة ١٨٦٦ وكان بالغاً يومئذٍ السنّ السابعة عشرة . وفي ٨ حزيران ١٨٧٣ صار قسيساً وبعثه البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس الى حصن منصور او هي اديامان فنهض هناك بخدمة مطرانها السيد اوسطاثيوس افرام توكمجي (١٨٦٣– ١٨٩١) وظلّ يواصل خدمة النفوس حتى ادركته المنون عام ١٩١٢

٨ – القس انطون ارملة (١٨٧٥ – ١٩٢٩)

وُلد هذا القسيس الوقور في ماردين عام ١٨٤٨ ودُعي عبد الاحد . واستقبله رئيس دير سيدة النجاة في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٦٤ وأحرز نصيباً جيّداً في كلتا اللغتين السريانيّة والعربيّة . وقبل ان ينهي دروسه استقدمه

السيد اغناطيوس فيلبس عركوس الى ماردين فقام الشماس عبدالاحد بخدمة البطريرك المغبوط في اثناء مرضه قياماً مشكوراً مدّة عامين (١٨٧٢ — ١٨٧٤) . وبعد هذا توجه الى الرها وتولّى تعليم السريانيَّة في مدرستها ثم عاد الى ماردين فرقّاه السيّد ايونيس ايلياً عتمة مطران القلّاية البطريركيَّة في ١٩ اذار ١٨٧٥ الى الرتبة المقدّسة .

وثابر عمّنا هذا الورع على خدمة النفوس ١٤ سنة في قرية بنابيل المجاورة لماردين ثم انتقل الى ويران شهر واقام فيها سبعة اعوام . وخدم النفوس كذلك ٦ اعوام في الرها ثم عاد الى ماردين يواصل خدمة الرعية كعادته . وامتاز باخلاصه الطاعة لرؤسائه وكان مثالاً حسناً للمؤمنين باعماله الصالحة وبساطة قلبه . وجاد المولى عليه بصوت رخيم فكان الاتقياء يتهافتون ليسمعوا قدّاسه الذي طالما ختمه بسهرانة العذراء المغبوطة . وقد لبّى دعوة ربّه في ٢٠ ايلول ١٩٢٩ ولُحد في الكنيسة الكاتدرائية بماردين في مقبرة الكهنة . وترأس حفلة جنازه السيد اسرائيل اودو مطران الكلدان وأبنه الاب اوغسطين هرموش الكلداني . وخلّف عمّنا هذا الوقور بعض مخطوطات سريانية وعربية كتبها بخطّ يده في عهد تلمذتهِ و كهنوتهِ . نذكر منها غرماطيقاً سريانياً وصفناه في كتابنا فهرس مخطوطات دير الشرفة[1] . واخبار سيدتنا مريم العذراء وكتاب الايساغوجي وغير ذلك مما نُقل مؤخراً الى المكتبة البطريركية ببيروت . رحمه الله تعالى

٩ — الخورفسقفوس ميخائيل دلاّل الحلبي (١٨٧٥ - ١٨٩٤)

تفرّد هذا الاب الفضيل بصلاح سيرته ونبوغه في العربية والسريانية وإلمامه بالفرنسية التي تلقّاها في اكليريكيَّة الآباء اليسوعيين بغزير . وكان ميلاده عام ١٨٥٠ ووصوله الى دير الشرفة عام ١٨٦٢ وما ان انجز علومه

(١) الفهرس : صفحة ٢٦٠

حتى رقّاه البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت الى الدرجة المقدّسة واتّخذه كاتباً لسرّه · فنهض بتلك المهمّة الشاقّة أشرف نهوض واصبح انموذجاً صالحاً في طاعته واخلاصه ومعاملاته · وامتاز بخطه العربيّ القاعديّ الجميل فكتب قوانين دير الشرفة[1] و« حياة البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة » تأليف البطريرك اغناطيوس بطرس جروة[2] ·

وقرض الخوري ميخائيل الشعر العربيّ فنظم بعض قصائد جيدة منها وصفه مناقب البابا لاون الثالث عشر بقوله :

حبرنا لاوون مَن قدراً سما   وتعالى سؤدداً دون مَثلْ · · ·
وازاح الستر عمّا قد فشا   من ضلالِ الكفر في كل محلْ
إن أُقل فيه ختاماً قد غدا   محورُ الدنيا عليه لا جدلْ

ومن منظوماته في الزهد :

أَرى الدنيا بهاها لا يطولُ   وزخرفها برمّته يزولْ
فعزّتها وبهجتها خيالٌ   وزهر الحقل برهان دليلُ

---

(١) نقلنا عنها نسخةً محفوظة في قلّاية الرئيس
(٢) فهرس المخطوطات ٣٧٦

ومن آثاره الكتابية رواية « احسان الانسان » و« النفح العاطر في الفتى المهاجر » و« الفتاة الخرساء » . وحلّت وفاته عام ١٨٩٤ رحمه الله تعالى ٠

١٠ – القس افرام مصري الدمشقي (١٨٧٦ – ١٩١٨)

دخل دير الشرفة عام ١٨٦٣ وهو في الثانية عشرة . واقبل على المطالعة والدرس حتى نهاية السنة ١٨٧٥ وفي افتتاح السنة ١٨٧٦ ارتقى الى الدرجة الكهنوتية ٠ وتولى خدمة النفوس اولًا في قلعة جندل التابعة لابرشية دمشق ثم انتقل الى بيروت نحو السنة ١٨٩٥ وثابر على وظيفته بهدوءٍ وسكينة وغيرة متواصلة ٠ وكان قدوة للجميع بطاعتهِ ووداعتهِ ٠ وعاد في اعوامه الاخيرة الى قلعة جندل وفيها ادركته المنية عام ١٩١٨ رحمه الله تعالى ٠

١١ – القس يوحنا طبّاع (١٨٧٦ – ١٩٣٢)

انتقل جدّ هذا الكاهن الورع من الموصل وطنه الى زوق ميكائيل بكسروان وفي السنة ١٨٦٩ قدم يوحنا الى دير الشرفة وانخرط في سلك تلامذته وواصل دروسه ٧ أعوام حتى صار كاهناً في ٣٠ نيسان ١٨٧٦ بوضع يد السيد ايونيس ايليا عتمة مطران القلّاية في بيعة ماردين ٠ وخدم

النفوس ردحاً من الزمان في دمشق وفي لبنان . ولما عجز عن العمل انتقل الى دير الصليب المطل على قرية انطلياس بمقاطعة المتن وفيه ادركه الأجل في ٢٨ تشرين الاول عام ١٩٣٢ ودُفن هناك في مقبرة الدير . رحمه الله تعالى.

١٢ – القس يعقوب حبش القرقوشي (١٨٧٦ – ؟)

وصل الى دير الشرفة عام ١٨٦٦ وكان ميلاده عام ١٨٥١ واقام خمسة اعوام يثابر على المطالعة والدرس حتى غادر الدير عام ١٨٧١ عائداً الى وطنه . وسيم قسيساً نحو السنة ١٨٧٦ وجاء ذكره في مخطوطة دير الشرفة بما تعريبه عن السريانية : « انتهى كتاب الحسابات . . كتبه الخاطئ القس يعقوب بن يوسف ابن القس بهنام حبش من بلد تكريت القاطن في قرية خوديدة (قرەقوش قرب الموصل) في ١٦ تشرين الثاني ١٨٨٨م في عهد الآباء . . . مار لاون بابا رومية . . . ومار اغناطيوس جرجس شلحت . . . وابينا ومطراننا مار قورلس بهنام بني . وفي ايام القسوس : ايليا حبش وطوبيا جميل وتوما وموشي ومتي يونا واسحق بنيامين . . . »

وهذا المخطوط الجميل اقتناه شقيقنا المقدسي يوسف ارملة ووقفه لمكتبة دير الشرفة عام ١٩٠٣(١).

١٣ – القس جبرائيل صالحاني الدمشقي (١٨٧٨ – ١٩٠٩)

شخص الى دير الشرفة عام ١٨٧٤ في السن التاسعة عشرة وثابر على اقتباس المزايا الكهنوتية والعلوم الضرورية اربعة اعوام . ثم ارتقى صباح ١٧ اذار ١٨٧٨ الى رتبة القسوسيَّة . وخدم النفوس في دمشق وطنه ثم عُيِّن عام ١٩٠٣ لرعية زحلة . وهو اول كاهن سرياني تولى خدمتها فأبدى من الغيرة والنشاط في جمع العيال السريانية ما حبَّبه الى صاحب الغبطة مار اغناطيوس افرام رحماني وفوض اليه ان يتولى بناء كنيسة في تلك المدينة

(١) فهرس المخطوطات ١٣١ – ١٣٣

تيمُّناً باسم مار افرام الملفان الكبير . وثابر على خدمة النفوس هناك خمسة اعوام حتى أُصيب بداء دويّ كابد مضضه بصبر جميل خاضعاً لله القدير .

وحدث انتقاله الى دار الخلود عام ١٩٠٩ وأُلحد في الكنيسة التي شيَّدها . وقد حضرنا جنازته وأَبّنه صديقنا القس متى ملاش الفاضل معدّداً مناقبه الكهنوتيّة . تغمّد الله نفسه بغزير رحماته .

١٦ – القس يوسف مروكِه البعشيقي (١٨٧٨ – ١٩١٦)

وُلد في بعشيقا عام ١٨٥٦ وهي قرية جميلة تابعة لابرشيَّة الموصل . وأقبل عام ١٨٦٦ الى دير الشرفة واقام فيه خمس سنوات ثم عاد الى وطنه وصار قسيساً في ٣١ اذار ١٨٧٨ وانتقل الى جوار ربّه عام ١٩١٦

١٥ – القسّ بولس هيمو القلّثي (١٨٧٨ – ١٩١٥)

وُلد هذا القسيس الوقور في قلّث قرية بطور عبدين ووصل الى دير الشرفة عام ١٨٧٤ ثم عاد الى ماردين وأكمل درسه على الخوري افرام احمردقنه رئيس دير مار افرام الفاضل . وفي ٢٨ نيسان ١٨٧٨ ارتقى الى الرتبة الكهنوتيّة وخدم الرعيَّة في قلّث وطنه ٣٧ سنة حتى قُتل شهيداً في الحرب الكبرى عام ١٩١٥ وقد ابتنى السيّد يعقوب متى احمردقنه مطران

نصيبين والجزيرة كنيسة جميلة في قلّث عام ١٨٨١ تعهدناها عام ١٩١٢ في رحلةٍ قمنا بها مع شقيقنا المقدسي يوسف في ايلول السنة المذكورة . ولاقينا من القسّ بولس المشار اليه كلّ ترحاب وهشاشة[1] . وكان هذا القسيس موصوفاً بدماثة اخلاقه ولطيف معاشرته وتفانيه في اجتلاب المنفصلين الى حظيرة البيعة الكاثوليكية . وعلى اثر استشهاده تضعضعت تلك الرعيَّة وأمست كنيستها الجميلة خاليةً خاوية .

١٦ – القس بولس سباط الحلبيّ (١٨٧٨ – ١٩٠٢)

عُدّ هذا القسيس الورع من افاضل القسوس السريان الحلبيّين . قدم الى دير الشرفة وانخرط في سلك الرهبان المنتمين الى دير مار افرام الرغم . وفي ٢٨ تموز ١٨٧٨ سيم قسيساً وخدم النفوس ٢٤ سنة في حلب وطنه وتوفاه الله تعالى عام ١٩٠٢ وكان قسيساً ورعاً تقيّاً رحمه الله تعالى .

١٧ – القس بهنام صالحاني (١٨٧٩ – ١٨٩٠)

وُلد في دمشق وانضمّ في ١ آب ١٨٧٦ الى مصافّ تلامذة دير الشرفة وحصل من العلوم والفضائل ما حصّل ثم انطلق الى اكليريكية بروبغندا وارتقى الى الرتبة الكهنوتيَّة في ٢٨ نيسان عام ١٨٧٩ وخدم النفوس في سويرك وفيها قضى نحبه عام ١٨٩٠ رحمه الله تعالى .

١٨ – القس بطرس صابو الماردينيّ (١٨٧٩ – ١٩٢٤)

تلقّى الدروس في دير الشرفة منذ السنة ١٨٧٧ ونزعت نفسه الى العيشة الرهبانيَّة فرقّاه السيّد اغناطيوس جرجس شلحت في ٥ ايار ١٨٧٩ الى الدرجة الكهنوتيَّة واقام ردحاً من الزمان في حلب بخدمة البطريرك الانطاكيّ . ثم عاد الى ماردين وخدم النفوس بغيرة لا تعرف الملل والكلال

---

(١) المشرق ١٦ : ١٩١٣ : ٥٧٣

في قرى طور عبدين وابتنى كنيسة جميلة هناك في قرية باتة عام ١٩١٢ وذاع ذكر غيرتهِ في اطراف ذاك الجبل حتى ان بعض الخصوم حاولوا ان

يفتكوا به غير مرة . ولكنه لبث راسخاً في اعماله غير هيّاب . ثم عاد الى ماردين وانضمّ الى مصافّ الرهبنة الافرامية وكتب لها كلّ ما جنته يمينه . وقضى شيخوخة صالحة في دير مار افرام كان في غضونها قدوة حسنة لجميع الرهبان في زهده وقشفه وفي صومه وصلاتهِ . وفي السنة ١٩٢٤ لفظ روحه بيد خالقها . رحمه الله تعالى .

الفصل الثالث عشر

المطبعة البطريركيّة في دير الشرفة

ذكرنا فيما سبق ان البطريرك اغناطيوس بطرس جروة المغبوط اشترى عام ١٨١٦ مطبعة نقلها الى دير مار افرام الرغم[1] وقلنا ان الخوري ميخائيل ازرق التمس منه ان يأمر باستحضارها الى دير الشرفة فلم يظفر بغايتهِ الشريفة[2] . ودارت الايّام دورتها حتى جلس البطريرك اغناطيوس جرجس

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ١٩٠

(٢) هنا : صفحة ٢٢٣

شلحت فالحّ عليه الخوري ميخائيل ازرق عينه فاصدر الأمر عام ١٨٧٧ بنقلها الى دير الشرفة ٠

وكانت تلك المطبعة تشتمل على آلتين لطبع الكتب وعلى أمهات او قوالب تُصبّ عليها حروف عربيَّة وحروف سريانيّة ٠ وما برحت تلك الأمهات في دير الشرفة حتى اليوم ٠

١ – قوالب الحروف السريانيّة الضخمة

ما عدا المطبعتَين المذكورتين فان البطريرك بطرس المغبوط راسل المستشرق الكبير ساوستر دي ساسي الفرنسي يطلب منه قوالب حروف سريانيَة فكتب اليه ذلك المستشرق الشهير من باريس في اذار ١٨٢٠ جواباً هذا نصّه :

٢ – جواب دي ساسي الى البطريرك بطرس

« الى الاب المكرّم ٠٠٠ قدس السيد كير جروة ٠٠٠ ابينا وسيدنا العالي المقام والكليّ الشرف والاحترام

« بعد الحمد لله تعالى خالقنا وتقديس اسم يسوع المسيح ربّنا ومخلّصنا والشكر له عزّ وجلّ على ما شرّفنا به من رؤية حضرتكم ومعرفة ابوّتكم ٠ نخبركم ان الداعي الى تصديعكم بخطابنا هذا هو اولًا : ان نسأل عن سلامتكم وعمّا حدث لكم مذ اوحشتمونا بفراقكم ٠ وثانياً : نعلمكم اننا قد ترجمنا من اللغة الفرنساويّة الى العربيَّة كتاب الوصيَّة الذي حرّره قبل وفاتهِ شهيداً بأيامٍ معدودةٍ الملك المرحوم لويس السادس عشر ملك فرنسا (١٧٧٤ — ١٧٩٢) ٠ وسمّيناه « كتاب الدرّ المنظوم في وصايا الملك المرحوم » ٠ ولما تمّ طبعه في المطبعة السلطانيَّة خطر في بالنا ان هذا الكتاب هو كثير المنافع والفوائد للمسيحيّين جميعهم ٠ حتى انّ من كرّر قراءته وَجدَ في نفسه تقوية الايمان وزيادة المحبة ٠ واذ كان الامر كذلك

فلا بدّ ان يستفيد من تلاوتهِ اخوتنا من أهل المشرق الذين يقاسّون كل يوم انواع الشدائد . وما تزال نفوسهم في التعب والمشقَّة . وقد تحقّقنا انهم اذا تأملوا ما أنعم الله به على ذلك الملك الشهيد من التسليم لأحكام قدرته عزّ وجلّ ... حصل لهم سلوانٌ عظيم وزادهم ذلك ايماناً وصبراً .

« ثم ان حميّة المحبّة الربانيَّة والاخوّة المسيحيّة حثّتنا ان نهدي اليكم نسخاً من ترجمتنا المذكورة مع أننا لم نأمن ان يُعثَر فيها على بعض السهو والغلط . وقد تصلكم منها ٢٥ نسخة سلّمناها الى متولّي المطبعة السلطانيّة .

« وسيرسلها اليكم مع القوالب والحروف السريانيّة الضخمة ونطلب الى جنابكم العالي ان تقبلوا تلك الهدية الحقيرة باجمل قبول وتتلقَّوها بعين المسامحة ... واذا اشتهيتم ان نرسل اليكم من الكتاب المذكور نسخاً اكثر فأخبرونا ببغيتكم . ونسأل الربّ ان ينجح كلّ مقصودكم . وينعم على رعيَّته ببقائكم ودوام سلامتكم . ولدكم الداعي لكم

« تحريراً في باريز ٥ شهر اذار سنة ١٨٢٠ سلوستر دساسي »

٣ – وصول القوالب السريانيَّة الضخمة

وصلت قوالب الحروف السريانيَّة الى البطريرك بطرس المغبوط وبعث بجواب لطيف يشكر للمستشرق الكبير سخاءه وكرمه . غير انه لم يتهيّأ لذلك البطريرك ان ينشر شيئاً في مطبعته . وظلّت الحال على ذلك المنوال حتى استعارها الشيخ فريد الخازن صاحب مطبعة الارز في جونية ونشر فيها كتاب « فرض اسبوع الحاش » طبقاً للطقس السريانيّ المارونيّ . وقد شاهدنا بعيننا هذا الكتاب الضخم المطبوع طبعاً متقناً نظيفاً .

٤ – استحضار المطبعة الى دير الشرفة

وصلت اذاً المطبعة من دير مار افرام الرغم الى دير الشرفة وقرّت بها عين الخوري ميخائيل ازرق وهمّ ان ينشر بها بعض كتب طقسيّة .

وكان رحمه الله تعالى قد سبق فنشر عام ١٨٧٢ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتاب الخدم الكهنوتية المعروف بكتاب العب · على انه بوصول المطبعة الى دير الشرفة اشار البطريرك الانطاكيّ الى القس فيلبس شقال الحلبيّ السابق الذكر[1] والى الشماس نصري نوري الماردينيّ[2] ان يتوليا الاشراف عليها ونشر كتاب خدمة القدّاس فيها ·

٥ — نشر كتاب خدمة القدّاس في مطبعة الشرفة

يشتمل هذا الكتاب الجميل على ١٦٨ صفحة وهو مطبوع طبعة متقنة كاملة جيّدة · وقد اشترى البطريرك الحروف السريانية من مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت · ويُقرأ في اوله : « كتاب خدمة القداديس الجهرية والاحتفاليّة والاعتياديّة بموجب طقس الكنيسة السريانيّة · قد نقّحه واعتنى بترتيبه غبطة السيّد الجليل اغناطيوس جرجس شلحة بطريرك السريان الانطاكيّ الكليّ الطوبى سنة ١٨٧٦ طُبع بالمطبعة البطريركيّة السريانيّة · في دير الشرفة سنة ١٨٧٨ » ·

تلقّى هذا الكتاب الجميل جمهور الاقليرس كهنة وشمامسة في كلّ الابرشيات السريانيّة وبعثوا بعرائض الامتنان الى المقام البطريركيّ · وما مرّ على نشره وتوزيعه بضع سنوات حتى نفدت نسخهُ ولم يتهيأْ للبطريرك الانطاكيّ ان يجدّد طبعه في المطبعة المذكورة ·

٥ — الخفوذياقون يوسف شلحت ومطبعة الشرفة

أعرب هذا الخفوذياقون النجيب المهجة عن طَرَبه بافتتاح المطبعة في دير الشرفة فنظم قصيدة شعريّة أتى فيها على تقريظ عمّه البطريرك المغبوط وذكر ما كان من أمر المطبعة وتجديدها قال :

---

(١) راجع الفصل السابق : صفحة ٢٦٨

(٢) هو السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري مطران بغداد وستاتيك اخباره

سِرْ يا نسيماً من ذرى لبنانِ ودع التمايُلَ في غصونِ البانِ
اني اصطفيتُك رائداً ومبشِّراً فَجُبِ الفيافي قاصِدَ البلدانِ
بادرْ الى «الشرفاء» وانزِل رَبعَها واطلبْ حِمًى هو موردُ الظمآنِ
فهناك حبرٌ صيتُه بين الورى عَلَمٌ عَلا يَهدي الى الايمانِ
يرنو الى نُجحِ الرعيَّةِ ساهِراً ويقودُها سُبُلًا بكلّ أمانِ
قد غادر الاوطانَ حيثُ أقامه الرحمانُ يرعى أُمةَ السريانِ
ولذا تراهُ جانبــاً أمصارَها يقضي قضا الحقِّ الرفيعِ الشانِ...
قُلْ انني وافيتُكم برسالةٍ تؤتيكمُ البشرى بحُسنِ بيانِ
رُقِمَتْ بمطبعةٍ غدَتْ مهجورةً حُجِرت فباتَتْ في دُجى النسيانِ
لكنها رأت الضحى بجلالهِ وتلألأت في جبهة الأزمانِ
والآن لاحت فاكتست بطلوعها نورَ اسمهِ بلوائح الشكرانِ
تُبدِي له فرض الثنا بظهورها فكأنها في الحقِّ عِقدُ جمانِ

«من مدرسة الشرفة في ٢٣ حزيران ١٨٧٨ ولدكم
الابودياكون يوسف شلحت».

ونظم الشماس نصري نوري الماردينيّ ابياتاً سريانية في هذا العدد قال:

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

[illegible]

الفصل الرابع عشر

البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت في دير الشرفة

١ – اهتمام رئيس الشرفة ببناء كنيسة جديدة

ما كادت تفضي النيابة الرسولية الى السيد ديونيسيوس جرجس شلحت مطروبوليت حلب في اذار ١٨٧٤ حتى رفع اليه الخوري ميخائيل ازرق عريضة بنويّة يستأذنه في المباشرة ببنيان كنيسة جديدة تيمُّناً باسم سيدة النجاة صاحبة الدير المغبوطة . فاثنى النائب الرسوليّ على اهتمام الرئيس وعلى فكرته المقدّسة واعتزم القدوم الى الدير ليُشرف بنفسه على العمل .

٢ – عقد مجلس الاساقفة لانتخاب بطريرك جديد

وصل النائب الرسوليّ من حلب الى دير الشرفة في نيسان ١٨٧٤ وجعل يكتب الى اساقفة الملّة في الحضور الى الدير لاجل انتخاب بطريرك جديد . فلبّى الدعوة السيد غريغوريوس يعقوب حلياني من دمشق والسيد اوسطاثيوس افرام توكمجي من حصن منصور والسيد ايونّيس ايليا عتمة من ماردين . وناب الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير عن السيد قورلُس بهنام بنيّ مطران الموصل وناب مطران دمشق المشار اليه عن السيد اثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد . وناب الخوري الياس شهوان عن السيد غريغوريوس جرجس شاهين مطران حمص وحماة والنبك واجمعوا قاطبة على انتخاب مطروبوليت حلب للعرش الانطاكيّ .

٣ – تسليم العكّاز البطريركيّ الى مطران حلب

صباح الاحد ١١ تشرين الاول ١٨٧٤ احتفل الاساقفة المشار اليهم في كنيسة سيدة النجاة بطقس الجلوس على الكرسي وتراس الاحتفال

مطروبوليت دمشق وحضره السيد يوحنا الحاج الماروني مطران بعلبك والسيد يوحنا حاجيان مطران الارمن والاب لودفيك وكيل القاصد الرسولي ولم يرَ فخامة متصرّف جبل لبنان رستم باشا (١٨٧٣ — ١٨٨٣) الا ان يحضر بنفسه حفلة التنصيب البطريركي في حاشيته وفرقة من جنوده.

فرحب بهم البطريرك الجديد والاساقفة اجمل ترحيب وتناول الجميع طعام الغداء على المائدة البطريركية (١). وبعد الاحتفال رفع البطريرك جرجس الى الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع عريضة يلتمس منه الدرع الرسولي. وقد اجتمع الاب الاقدس في ٨ كانون الاول بالسادة الكرادلة وأيد البطريرك الانطاكي ومنحه الدرع المقدس طبقاً لطلبه في ١١ كانون الاول ١٨٧٤

اقامة البطريرك في الشرفة

اضطر البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت ان يقيم في دير الشرفة ثلاثة اعوام وعشرة شهور (١٨٧٤-١٨٧٨) منتظراً من اسطنبول الفرمان السلطاني. واتفق ان البابا بيوس التاسع المشار اليه اصدر يوم ذاك براءة

(١) يومية الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير

مشهورة بعنوان «رڤيرسورس» كانت سبب انشقاق بطريركيّة الارمن الكاثوليك . ذلك ان البطريرك بطرس حسّون خضع لمنطوق البراءة . امّا السيد كوپليان مطران دياربكر فقد رفضها . عند ذاك نفى السلطان العثماني البطريرك حسّون الى رومية وسمّى السيد كوپليان بطريركاً ! وبلغ السلطان المذكور ان بطريرك السريان مشايعٌ للبطريرك حسّون فغمّض عن ارسال الفرمان اليه كمألوف العادة .

حار البطريرك جرجس في امره فبعث الخوري يوحنا معمارباشي المارديني الى الاستانة ليعالج المصلحة . ثم وجّه بعده الخوري بطرس بوصيك للسبب عينهِ . فافرغا كلاهما كلّ الجهود حتى صدر الفرمان في ٦ ايّار ١٨٧٨ وعند ذاك تأهّب البطريرك للعودة الى حلب .

وانتهز البطريرك المغبوط فرصة اقامته في دير الشرفة فباشر تأسيس الكنيسة الجديدة . ثم تولّى بنفسه تعليم القسوس والشمامسة الانغام السريانيّة والطقوس البيعيّة . اذ كان الربّ الكريم قد جاد عليه بصوت رخيمٍ عذبٍ . واليه يعود الفضل في انعاش تلك الانغام ونشرها في الكنائس السريانيّة ولاسيّما في لبنان وفي سوريا .

ه - اوقاف البطريرك جرجس لدير الشرفة

أضاف البطريرك جرجس المغبوط الى ذلك كله انه جاد على دير الشرفة باوقافٍ لا نرى بدّاً من ذكرها وهي ١ً - اشترى عام ١٨٧٦ عودة بهجه ارملة رفعان الخازن في بطحا بمبلغ ١٧٠٠ غرش . ٢ً - اشترى ثلاث اراضٍ مجاورة لبيت منصور الصبّاغ بمبلغ ٤٥٠٠ غرش . واشترى عام ١٨٨٦ من شاهين بن ارسانيوس مطر سعد عودة في ساحل علما بمبلغ ٨ آلاف غرش وضمّ اليها عام ١٨٧٨ ارض نقولا زريق الزغبيّ . وقد بيع هذا العقار عام ١٨٩٨ وشاد الخوري بولس هبرا رئيس الدير عام ١٩٠١ بدلاً منه مخازن في جونية كما سترى . واشترى البطريرك كذلك عام ١٨٨٦ ارضاً

في جونية ضُمَّت الى سائر أراضي الدير . وسبق فحُبس على الدير داراً في حلب بمحلّة العطفيّ بيعت عام ١٩٣٢ بمبلغ ١٧٥ ليرة عثمانية .

الفصل الخامس عشر

تأسيس كنيسة دير الشرفة الجديدة

١ – المباشرة بالبنيان

وجّه البطريرك جرجس المغبوط خلال اقامته في الشرفة افكاره بالاتفاق مع الرئيس الخوري ميخائيل ازرق الى تأسيس الكنيسة الجديدة ووضع حجرها الاول في ١٦ آب ١٨٧٤ واستقدم بنّائين حاذقين من برج البراجنة وجعل يقضي بضع ساعات مشرفاً على البنيان وعلى البنّائين حتى اكتملت . وكان الشماس انطون قرواني الدمشقيّ يراقبهم صباحَ مساءَ .

٢ – وصف الكنيسة

بيد ان البطريرك الانطاكيّ لم يبنِ هذه الكنيسة الجديدة وفقاً لهندسة كنائس السريان الرسميّة القديمة العهد . بل نصب فيها مذبحاً وسطانياً لسيّدة النجاة المغبوطة من المرمر الخالص دون ان تعلوه قبّة راكزة على اربعة أعمدة ودون ان يحيط به من الناحية الغربيّة محلّ لوقوف الاقليرس وجلوسهم في اثناء الصلوات القانونيّة . وقد حُفرت تحت مائدة المذبح المنوّه به آية ملاخي النبيّ في السريانيّة وهي : « ܡܢ ܡܕܢܚܗ ܘܥܕܡܐ ܠܡܥܪܒܗ . . . ܡܬܩܪܒ ܠܫܡܝ ܩܘܪܒܢܐ ܕܟܝܐ . لانه من مشرق الشمس الى مغربها تُقرَّب لاسمي قرابين طاهرة » (ملاخي ١ : ١١) .

ثم ابتنى البطريرك مذبحين الى الناحية الشماليّة والناحية الجنوبيّة خصّص الاول بالشهيد مار اغناطيوس النورانيّ شفيع الكرسيّ الانطاكيّ وجعل الثاني باسم شفيعه مار جرجس الشهيد . وكان مكتوباً في قنطرة مذبح

مار اغناطيوس آية يوحنا الانجيلي وهي : « ܦܪܕܬܐ ܕܚܛܬܐ ܐܢ ܡܝܬܐ : ܦܐܪܐ ܣܓܝܐܐ ܥܒܕܐ . حبة الحنطة اذا ماتت أتت بثمر كثير » (يوحنا ١٢ : ٢٤) وقس على ذلك مذبح مار جرجس الشهيد فقد كان مكتوباً في أعلى قنطرته آية سفر الرؤيا : « ܘܚܙܝܬ ܘܗܐ ܣܘܣܝܐ ܚܘܪܐ . ܘܗܘ ܕܪܟܝܒ ܥܠܘܗܝ ܐܝܬ ܠܗ ܩܫܬܐ . ܘܐܬܝܗܒ ܠܗ ܟܠܝܠܐ ܘܢܦܩ ܙܟܝ ܘܕܢܙܟܐ . رأيت فاذا بفرس أبيض ومع الراكب عليه قوس وقد أُعطي اكليلًا فخرج ظافراً » (رؤيا ٦ : ٢) .

وكان مكتوباً في حنيّة العرش البطريركي الى يمين المذبح الوسطاني الكبير آية من سفر الملوك وهي : « ܝܬܒܬ ܥܠ ܟܘܪܣܝܐ ܕܐܝܣܪܐܝܠ ... ܘܒܢܝܬ ܒܝܬܐ ܠܫܡܗ ܕܡܪܝܐ . جلستُ على عرش اسرائيل . . وبنيتُ البيت لاسم الرب (٣ ملوك ٨ : ٢٠) الا ان هذه الكتابات السريانيّة الثلاث قد مُحيت في عهدنا .

ثم حُفرت على عتبة باب الكنيسة الغربيّ هذه العبارة : « ܣܓܘܕܘ ܠܡܪܝܐ ܩܕܡ ܡܕܒܚܐ ܕܩܘܕܫܗ . اسجدوا للرب امام مذبح قدسه » . وحُفر على عتبة الباب الجنوبيّ آية داود النبيّ : « ܒܟ ܢܕܘܫ ܠܒܥܠܕܒܒܝܢ بك ننطح اعداءنا » وعلى الباب الشماليّ : « ܘܡܛܠ ܫܡܟ ܢܕܘܫ ܠܣܢܐܝܢ . ومن اجل اسمك ندوس مبغضينا » (مز ٤٣ : ٧) . ووُضع فوق باب الكنيسة الجنوبيّ حجر رخام نُقش عليه بيتان من الشعر العربيّ خُتما بتاريخ انتهاء بنيان الكنيسة عام ١٨٧٧ وهما :

يا حُسنَها من بيعةٍ قد شادها   م البطريكُ جرجسُ خيرُ راعٍ قد رعى
لمّا ازدهت أرّختها بثنائها   الله أسّسها فلن تتزعزعا

وحُفرت الابيات التالية فوق باب الكنيسة الشمالي من نظم الشيخ نوفل الخازن تلميذ الشرفة :

ولمّا شِيدَ بيتُ اللهِ هذا   بشرفةِ دارِ عونٍ قيلَ شُكرُ
فللبطريكِ جرجسَ برُّ سعيٍ   بجنّاتِ النعيمِ سنىً وأجرُ
فزُرهُ وأرِّخن بعهدِ جودٍ   لِمن أنشاهُ في الدارين ذِكرُ

١٨٧٧

الفصل السادس عشر

لائحة المحسنين لاجل بناء الكنيسة

حوى سجلّ دير الشرفة[1] فذلكة جميلة مستوفاة عن تاريخ الكنيسة واسماء المحسنين اليها كتبها القس افرام ابيض الحلبيّ يوم كان متولّياً النيابة عن رئيس الشرفة الخوري يوسف معمارباشي المتغيّب يوم ذاك في اميركا . فاضطرتنا معرفة الجميل ان نلخصها في هذا الفصل اقراراً بعوارف اولئك المحسنين وتخليداً لذكرهم :

« بدأ بناء الكنيسة في ١٦ آب سنة ١٨٧٤ بهمّة غبطة البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت والخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير . واستمرّ بنيانها ثماني سنوات . وتمّ عقدها سنة ١٨٧٧ وفي السنة ١٨٧٩ شيّد الخوري يوسف معمارباشي رئيس الدير بيت السكرستيّا (الموفه). وفي عيد الميلاد ٢٥ كانون الاوّل من تلك السنة قدّس فيها اوّل قدّاس . ثم توقف الشغل حتى السنة ١٨٨١ وفي تشرين هذه السنة شرع القس افرام ابيض يعمل الشبابيك والابواب والبلاط. ونجز عمار الكنيسة في ١٤ آب سنة ١٨٨٢ وفي ١٥ آب تمّ افتتاحها .

« وكان القس افرام ابيض تولى خدمة دير الشرفة منذ رحيل رئيسه الخوري يوسف معمارباشي الى اميركا . ذلك في ٣٠ نيسان ١٨٨٠ ففي صباح ذلك النهار السعيد بعدما انهى القس افرام خدمة ملكيصاداق وهرون في بدء القدّاس وقرأ الانجيل الطاهر ذهب برفقة الكهنة والشمامسة من الكنيسة الجديدة الى الكنيسة القديمة . وكانوا كلهم متسربلين بالحلل الكهنوتيّة . واحضروا من هناك صورة سيّدة النجاة العجائبيّة التي أسّس البطريرك ميخائيل جروة المغبوط دير الشرفة باسمها المبارك . وبينما كان الاقليرس ينشدون الترانيم والمؤمنون يطلقون

(١) سجلّ الدير : صفحة ٢٢٢

البنادق كان القسّ افرام ينتظر في الكنيسة الجديدة وصول الايقونة. وما ان وصلت حتى استقبلها بحفاوة وقبّلها ووضعها على المذبح وتلا خطاباً وجيزاً بدؤه: «من هذه المشرفة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوفٍ تحت الرايات؟» (نشيد ٦ : ٩)»

وبعدما ختم ذلك الخطاب الجميل استانف القدّاس بعوامل الاحترام والهيبة والشكرلله عزّ وجلّ ولصاحبة المقام المغبوطة.

امّا الذين أحسنوا الى كنيسة سيّدة النجاة فهذه اسماؤهم كما أدرجها الاب افرام أبيض عينه:

غروش	
٠١١٣٧	غبطة البطريرك جرجس
١٠٠٠٠	تركة المطران متى نقّار
٠٥٠٠٠	الخوري فيلبس قزّازة
٠٣٢٤٤	من تركة المرحوم الخوري فيلبس قزّازة
٠٦٩٥٠	من تركة المرحوم الخوري بولس قصّار الحلبيّ
٠٤٧١٤	من تركة المرحوم القس يوسف سكّر الحلبيّ
٠٤٠٠٠	الخواجا رزق الله اسطنبولي
٠٤٦٥٦	من تركة المرحوم القس الياس شدياق الحلبيّ
٠٣٢٩٠	الكنت نصرالله دي طرّازي
٠١٠٠٠	الخوري ميخائيل ازرق
٠١٩٠٠	الخوري يوحنا معمارباشي الماردينيّ
٠١٩٨٥	نعوم ورزق الله شقّال
٠٢٤٦٢	الخوري بولس راضية الدمشقي
٠١٠٠٠	فتح الله طرّازي
٠١٠٠٠	الخوري بطرس بوصيك الماردينيّ
٠٢٠٠٠	المطران يعقوب حلياني
٠١٠٠٠	الخوري بولس صبّاغ الحلبيّ
٠١٥٦٠	سليم افندي ابي حمد
٠١٠٠٠	الخوري يوسف معمارباشي الماردينيّ
٢٣١٤٩	مجموع حسنات من الافراد

غروش	
٤٦٥٦	هـذا المبلغ اخذه البطريرك جرجس من تركة المرحوم القس الياس ابرهيمشاه شدياق دب الطيب الاثر وحتم ان يُقرَّب عن نفسه سبعة قداديس في السنة
٨٥٬٧٠٤	هـذا هو مجموع الحسنات وقدره خمسة وثمانون الف وسبعمائة واربعة غروش .

واردف الاب افرام ابيض فكتب بعد هذا الجدول ما نصُّه :

« افتتحت كنيسة سيّدة النجاة في ١٥ آب ١٨٨٢ واشتغل في بنائها المعلّم يوسف الطويل واخواه الياس وجرجس وناصيف وابرهيم الطويل ولدا عمهِ . وكلهم من برج البراجنة بجوار بيروت . ونحتَ بلاط المذابح حنّا مدوّر الشامي السرياني . وكان النجّار عبدالله الغزيري . واشتغل بالورق او الشائد يوسف عبدالله منسى من غوسطا . امّا المبلّطون فهم : يوسف دعبول الرومي الشامي واسعد نوهرا البيروتي وحبيب لطفي وثلاثتهم من طائفة الروم الملكيّين وأبرع النقّارين كان حبيب لطفي الشامي المشهور في دمشق وبيروت وبلاد الشام . وتتحقَّق مهارته من رسمه آلات الام سيّدنا يسوع المسيح ومن نقشه قلب يسوع وقلب مريم على جانبي بيت القربان الاقدس

القس افرام ابيض

« حُرّر في ١٥ ايلول ١٨٨٢ خادم دير الشرفة » .

ونحن في خاتمة هـذا الفصل الذي نقلناه عن سجلّ دير سيدة النجاة نستمطر غيوث الرحمة الالهية على نفوس جميع المحسنين وجميع العاملين في بيت الله العليّ . واثقين بان اولادهم وحفدتهم ينسجون على منوالهم في مساعدة الكنائس وابتناء الهياكل بأموالهم وعوارفهم وأعراقهم معتقدين انه عزّ شأنه يجزل لهم المكافأة الشهيّة بدلاً من الواحد مائة في هذه الدنيا وينعم عليهم بالثواب الابديّ في الملكوت السماويّ .

الفصل السابع عشر

استعفاء الخورفسقفوس ميخائيل ازرق واعماله المبرورة ووفاته

١ – استعفاؤه

قضى هذا الرئيس الهمام في دير سيّدة النجاة ٣٧ عاماً صرف منها سبعة اعوام (١٨٤٢ – ١٨٤٩) بمثابة راعٍ ومساعدٍ المطران بولس صعب رئيس الدير. ثم تولّى الرئاسة سنتين (١٨٤٩ – ١٨٥١) ثم تولّاها ثانية ٢٣ سنة (١٨٥٦ – ١٨٧٩) يأمر وينهي وينشط في لهجةٍ حازمة حلوة. ولم يدّخر وسعاً كلّ تلك المدّة في توسيع نطاق الدير وتحسين عيشة اساتذته وتلامذته والعطف عليهم. ولم يغمض عن الاهتمام بتنظيم قوانينه واصلاح شؤونه وتعزيز ارزاقه وعقاراته في لبنان وحلب ودمشق والقطر المصري. واضاف الى ذلك كلّه انه حبس عليه كلّ ما ملكته يمينه من كلّي وجزئي.

ذلك ما حدا البطريرك مار اغناطيوس فيلبس عركوس على احترام هذا الرئيس الغيور الفضيل وعلى الرغبة في تكليل هامته بالمصنفة الاسقفية لكن الخوري ميخائيل الوضيع أبى كلّ الاباءة معرباً عن رغبة قلبه في مواصلة اجتهاده لاجل رقيّ دير الشرفة ونجاحه. وقد ذكرنا ذلك في ما مضى.

٢ – اعماله المبرورة

تخرّج على يد الخوري ميخائيل ازرق عدد غفير من اساقفة وقسوس وشمامسة تشرّبوا منه مناهل الفضائل الصافية والعلوم الصحيحة الراهنة ثمّ انطلقوا يخدموا الابرشيات السريانيّة وجادوا عليها باغزر الفوائد الروحيّة والادبيّة. وقد ذكرنا سابقاً من تلامذته سبعة اساقفة وعدداً صالحاً من القسوس منذ السنة ١٨٤٥ حتى السنة ١٨٧٩ زد عليه ان الخوري ميخائيل

ازرق اقتنى عقارات جمّة ضمّها الى ارزاق دير الشرفة نذكر منها مشتراه في ٢١ ايّار ١٨٦١ قطعة ارض في درعون من نعوم ابي انطانيوس الشمالي بمبلغ ٥٧٠ غرشاً . وقطعة ارض ثانية من حنا الراعي في حريصا اشتراها في ٤ تشرين الاوّل ١٨٦١ بمبلغ ١٦٠٠ غرش . وقطعة ارض ثالثة في خراج مزرعة كفردبيان اشتراها من الشيخ ابرهيم خليل الخازن في ١٤ اذار ١٨٧٨ وقطعة ارض رابعة من الشيخ يوسف كنعان عبُّود الخازن بمبلغ ٢٢٠٠ غرش . واشترى كذلك ارض توت وعودة وارضاً في جونية سُجلت في عقارات الدير رقم ١٨٦ و١٨٧ و١٨٩ و١٩٠ و٢٠٩ الخ .

ولسنا نغمض عن اهتمام هذا الرئيس النشيط منذ السنة ١٨٦٦ بنشر كتاب الخدم الكهنوتيّة . وقد كان الاباء الكهنة مفتقرين اليه كلّ الافتقار فهيّأه الخوري ميخائيل ازرق ونظمه أدقّ تنظيم وعرضه على السادة الاساقفة فأجازوا نشره وشكروا للخوري ميخائيل تعبه وجهده . وهذا الكتاب الجميل المدقق حوى كلّ ما احتاج اليه الكاهن خادم الرعيّة عند ممارسته سرّ المعموديّة وسرّ الزواج وسر المسحة وجناز الموتى الى غير ذلك من الصلوات الضروريّة التي لا بدّ للكاهن من مطالعتها واستعمالها في زيارته بيوت المؤمنين . ويشتمل على ٢٠٠ صفحة ورد في آخره تواقيع الاساقفة الذين اجازوا استعماله واليك اسماءهم :

« آذنا بطبع هذا الكتاب وأثبتناه بسلطاننا . تحريراً في ١٥ حزيران سنة ١٨٦٦ ديونيسيوس جرجس شلحت رئيس اساقفة حلب والنائب الرسولي على البطريركية الانطاكية السريانيّة — يوليوس فيلبس عركوس السرياني مطران دياربكر — قرلّس بهنام بنيّ رئيس اساقفة الموصل وتوابعها — فلبيانوس بطرس متاح مطران الجزيرة — اثناسيوس رافائيل جرخي مطران بغداد — اوسطاثيوس افرام مطران بوجاق وخبوط — الخوري انطونيوس قندلفت بالوكالة عن ايونّيس ايليا مطران القلّاية بماردين .

وخُتم الكتاب بهذه العبارة : « طُبع ليوزّع مجاناً بسعي الاب الخوري

ميخائيل ازرق الحلبيّ رئيس ديرَي السريان في جبل لبنان»[١] . وقد تم نشر الكتاب بمطبعة الاباء اليسوعيّين عام ١٨٧٢ امّا اليوم وقد انتهت نُسخه فنودّ لو بُذلت الهمّة في تكرار طبعه لفائدة خوارنة الرعيَّة ·

٣ – مصنّفاته ومخطوطاته

تسرَّق الخوري ميخائيل ازرق بعض ساعات من اوقاته الثمينة فانشأ مواعظ تقويّةً تدعو الى صلاح السيرة والسريرة ألقاها تباعا في كنيسة الدير على التلامذة والمؤمنين ثم نسخها في كتاب محفوظ في مكتبة دير الشرفة يقع في ٢٣٣ صفحة[٢] . واستنسخ معجماً سريانيا عربيا انتهى جزؤه الاول عام ١٨٦٦ في ٦٧٢ صفحة . والثاني في ٩ حزيران ١٨٨٦ في ٨٤٧ صفحة · والمجوع ١٥١٩ صفحة . ويتبادر الى الظنّ ان الخوري ميخائيل عينه هو مؤلف الكتاب وهو المشير الى احد تلامذته لينقله في الجزئين المذكورين[٣] .

واستنسخ الخوري ميخائيل عدّة مخطوطات وقفها لدير سيّدة النجاة ما زالت محفوظة في خزائنه . منها كتاب «خدمة القدّاس» اشتراه بخمسة غروش في ٢٠ ايلول ١٨٤٦ ومنها بيتكاز منسوخ سنة ١٨٢٨ في حلب اشتراه سنة ١٨٣٠ بعشرين غرشاً . ومنها كتاب «الخدم الكهنوتيَّة» استكتبه الخوري فرنسيس بركات الغوسطاوي في ٢٥ كانون الاول ١٨٥٣ بمبلغ عشرين غرشاً وهو يشتمل على ٤٠٠ صفحة · وقس على ذلك كتاب «سر التوبة» للقديس ليغوري . و كتاب لاهوت يوحنا كاوديوس · ولاهوت

---

(١) كتاب الخدم الكهنوتيّة : صفحة ٢٠٢ و٢٠٣

(٢) فهرس المخطوطات : صفحة ٣٨٦

(٣) الفهرس ٢٤٩

الاب يوحنا بيروني . واعمال المجمع التريدنتيني . الخ الخ[1] . فهذه الكتب باجمعها قد استنسخها رئيس الدير هذا لاجل فائدة تلاميذه .

٤ – وفاته ومأتمه

هكذا قضى رئيس الشرفة الهمام حياةً مضمَّخة بالاعمال الصالحة مفعمة بالصنائع النافعة . وربّى تلامذة أعزاء أحبهم حبّاً جمّاً وأحبُّوه حبّاً فائقاً . وما برح الاحياء منهم يلهجون بعوارفه واتعابه وأسهاره في سبيل تثقيفهم وتهيئتهم للفلاحة في كرم الربّ الانجيلي . ولم يغمض عن مواصلة أعماله في خاوته الاخيرة التي استغرقت سبعة اعوام (١٨٧٩ – ١٨٨٦) حتى اذا كان صباح ١٣ تشرين الاول ١٨٨٦ لفظ روحه النقيَّة بيد خالقها وراحت تنال مكافأة اعمالها في الملكوت السرمديّ .

وقد نهض الخوزي بطرس بوصيك رئيس الدير بفروض جنازته فاقام لراحة نفسه مأتماً حافلاً اشترك فيه عدد جمّ من اساقفة وكهنة ورهبان وشمامسة وشيَّعوا جثمانه ما بين سيول العبرات وتردّد الزفرات ولحدوه في مقبرة الكنيسة الجديدة التي عُني بتأسيسها . وأبنه رئيس الدير المشار اليه معدّداً مناقبه خاتماً كلمته بقوله تعالى في انجيله الكريم : « أحسنتَ ايّها العبد الصالح الامين قد وُجدتَ اميناً في القليل فسأُقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربّك » (متى ٢٥ : ٢١) .

وسبق البطريرك الانطاكيّ فقرّر في ٨ تشرين الثاني ١٨٧٤ ان يُقرَّب كلّ سنة ثلاثة قداديس عن نيَّة هذا الرئيس الورع . اولها في عيد انتقال السيّدة المجيدة وهو عيد دير سيّدة النجاة عليها السلام وثانيها في عيد مار ميخائيل ٨ تشرين الثاني وثالثها في عيد دخول يسوع المخلّص الى الهيكل في ٢ شباط . تغمّد الله الكريم نفسه بغزير مراحمه وامتعها في فسيح نعيمه .

---

(١) راجع كتابنا الفهرس المذكور : صفحة ٦٦ و١٠٤ و١٧٠ و١٩٨ و٣٢٩ و٣٣١ و٣٣٢ و٣٤١ و٤١٩ و٤٣١ و٤٥٣

القسم الخامس

دير الشرفة منذ السنة ١٨٧٩ حتى السنة ١٨٩٥

الفصل الاول

رئاسة الخورفسقفوس يوسف معمارباشي

١ — من هو الخورفسقفوس يوسف معمارباشي

ينتمي هذا الخوري الفضيل الى أسرة معمارباشي الماردينيّة التي حفظت لراعيها المغبوط مار اغناطيوس انطون سمحيري الطيّب الأثر عهود ولائها وحبها وبذلت ما امكنها من السعي لاجل انقاذه من حسد اعدائهِ ودهائهم · ذلك انه لمَّا طُرح في سجن قلعة ماردين المدلهمّ مع رفيقه المطران غريغوريوس عيسى محفوظ في نيسان ١٨٣٨ دفع السريان الكاثوليك الى الامير مبلغاً من المال فسمح المطرانَين ان يتغيَّبا يوماً واحداً عن السجن ·

فانحدر الاسقفان المجاهدان وقصدا توًّا دار المقدسي ملكي معمارباشي جدّ الخوري يوسف وقضيا يوماً كاملًا واجتمعا ببعض المتكثلكين وبثّا لهم ما في صدرهما ثم عادا الى سجنهما ومكثا فيه ثمانية شهور كاملة ريثما عُقدت شروط الصلح بين فرنسا وتركيا ومن جملتها اطلاق الحبرَين من سجنهما المظلم . وقد تمّ ذلك بمساعي السفير الفرنسيّ في اسطنبول والمطران بطرس الكسندر كبري نائب القنصل الفرنسيّ في بغداد[1] .

٢ - اتّخاذ دار جدّ الخوري يوسف بمثابة مصلّى

ولّما أُطلق سراح المطرانَين المجاهدَين توّجها الى دار معمارباشي الواسعة الأَرجاء . وتبادر المؤمنون الى لثم يمينهما محبورين مبتهجين بنجاتهما بفضل الدولة الفرنسيَة المعظمة . ثم خصصا حجرةً من دار آل معمارباشي المشار اليها ببيتٍ للصلاة وجعلا يقيمان فيها الذبيحة السريّة والصلوات القانونيَة ردَحا من الزمان . وما برحت تلك الحجرة التاريخيَّة باقية حتى اليوم وهي في شمالي دار آل معمارباشي الافاضل .

٣ - تلمذة الخوري يوسف معمارباشي وكهنوته ورئاسته

وصل الخوري يوسف الى دير الشرفة عام ١٨٥٨ وهو في الرابعة عشرة من سنهِ . واقام فيه عاماً كاملًا يطالع السريانيَة والعربيَّة ثم انطلق عام ١٨٥٩ الى الاكاديميَّة الاوربانيَّة برومية واكبّ على اقتباس العلوم الكهنوتيَّة وتُوّج باكاليل الملفنة في الفلسفة واللاهوت . وارتقى الى الرتبة المقدّسة ثم عاد في ٢٩ حزيران ١٨٦٨ مع المطران قرلُس بهنام بنيّ من رومية الى الاسكندريّة ومنها الى بيروت واستأنف مسيره توًّا الى دير الشرفة وتولّى رعاية التلاميذ .

وفي ٦ آب ١٨٦٩ عاد الى رومية بخدمة البطريرك اغناطيوس فيلبس

---

(١) راجع كتابنا « آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا (١٣٠ - ١٣٣)

عركوس الذي يمّ عاصمة الكثلكة مع ستة اساقفة سريانيين لحضور المجمع الواتكاني . وكان معهم كذلك الخوري يوسف داود الموصليّ والخوري يوحنا معماربِاشي نسيب الخوري يوسف . ثم قفل الخوري يوسف عائداً الى دير الشرفة وتولّى منصبه الاوّل في رعاية التلامذة وتعليمهم منذ السنة ١٨٧٥ حتى سلخ اذار ١٨٧٨

وحين ذاك سار في خدمة البطريرك الانطاكيّ مار اغناطيوس جرجس شلحت الى دمشق ومكث الخوري يوسف هناك حتى وصل اليها راعيها الجديد السيد اقليميس يوسف داود فعاد الى دير الشرفة وتولّى رئاسته عام ١٨٧٩

٤ - رحلة الخوري يوسف الى اوربا واميركا وعودته الى الشرفة

سافر الخوري يوسف مستصحباً الشابّ يوسف شلحت في ٨ نيسان ١٨٨٠ الى رومية واسبانيا واميركا الشماليّة ليجمع حسناتٍ من المؤمنين في سبيل ابتناء ديرٍ على اسم مار افرامَ السرياني بماردين . واستغرقت رحلته سنتين ونصف سنة تقريباً وكان البطريرك جرجس المغبوط يومئذٍ قد ارتحل الى ماردين في حزيران ١٧٨١ ووضع الحجر الاوّل لذلك الدير في ٢٠ تشرين الاوّل السنة عينها . وفي ٢١ ايلول ١٨٨٢ قفل راجعاً الى حلب ووصل الخوري يوسف الى دير الشرفة فخول الى السيد البطريرك كلّ ما جمعه في رحلتهِ . وظلّ الخوري يوسف يواصل اعمال رئاسته في دير الشرفة مفرغاً كلّ القوى في انجاحهِ وترقيتهِ

٥ - مشاريع الخوري يوسف في دير الشرفة

كان وصول الخوري يوسف الى دير الشرفة في ٢٨ ايلول ١٨٨٢ فانصرف الى تزيين الكنيسة الجديدة ببعض اوانٍ اشتراها في اوربا بمبلغ ٢٠ ليرة ذهبيّة . نذكر منها عشرة شماعد نحاسيّة وصليباً كبيراً وشمعات

خشبيّة و«مزهريات» جميلة الخ . ولمّا اطمأن الخوري يوسف في دير سيّدة النجاة راح يتمّم ما ينقص الكنيسة فشاد الموفه او السكرستيّا ثم أسس حواجز للغرف التي سبق فابتناها سالفه الخوري ميخائيل ازرق فوق غرف المائدة والمطبخ . ثم أتقن المصلّى القديم اتقاناً جيّداً . وابتنى قبّة جميلة للناقوس فوق باب الكنيسة الجنوبيّ . وشيّد كذلك سُلّم الدرج التي تصل الى الطابقة الثانية من طبقات الدير ووضع بأوراً لأروقتها .

٦ - سفر الخوري يوسف الى ماردين وعودته الى دير الشرفة

وفي ١٥ نيسان ١٨٨٣ سافر الخوري يوسف الى ماردين واقام القسّ موسى سركيس الدمشقيّ نائباً عنه في الشرفة . وبعد غيبوبته زهاء سبعة شهور عاد الى الدير في ١٠ تشرين الثاني من السنة عينها مستصحباً بعض شبّانٍ من ماردين ومن حلب انضمّ بعضهم الى التلامذة وآثر البعض الآخر الخدمة في الدير .

ولم يكفّ الخوري يوسف عن تثقيف تلامذتهِ وتلقينهم العلومِ الفلسفيّة واللاهوتيّة . وكان يناظر ارزاق الدير وعقاراته ويعطف خصوصاً على الوكلاء ولاسيما على الشماس رزق الله والشماس يوسف اللذين كان يحسبهما بمثابة ذراعين له في اشغاله . وانصرف هنيهة من الزمان الى الترجمة والتأليف فنقل عن الايطاليّة الى العربيّة رواية « ملك فارس » ومثّلها التلامذة في ٢٣ شباط ١٨٨٤[1] . وكتب اخبار رحلته الى اميركا في كتاب عنوانه : « ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد » .

٧ - وقف دير الشرفة في القاهرة

وكان لدير الشرفة في القاهرة داران : احداهما في عطفة الهري بدرب الجنينة والثانية في درب البرابرة . وفي ٢٣ آب ١٨٨٤ سمح البطريرك

---

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٥٩٥

جرجس المغبوط ان تُخصَّصا بكنيسة مار الياس على ان يدفع مؤمنو تلك الكنيسة الى دير الشرفة بدلًا من الدارَين ٣٠٠ ليرة فرنسيَّة ذهباً . ثم بلَّغ الخوري يوسف رئيس الشرفة ان يشتري بهذا المبلغ وقفاً ثابتاً باسم المحسنين (١) . فاشترى الخوري يوسف ارضاً بالمبلغ المذكور حبسها على الدير طبقاً لأمر السيّد البطريرك .

٨ – نيابة الخوري يوسف في النبك ومرضه ووفاته في ماردين

رأى البطريرك الانطاكيّ ان يقيم الخوري يوسف رئيس دير الشرفة نائباً عنه في النبك نظراً الى ما امتاز به من ذكاء الفطرة ولين العريكة ومسايرة الناس ومجاملتهم . فانطلق في ٢٣ آب ١٨٨٤ الى تلك المدينة ليصلح ما اختلّ وينظّم احوالها . ولا تحدّث عما حاق بتلامذة الدير ووكلائه من عوامل الكمد لاجل غيابه عنهم . فقد ودّعهم وودّعوه والدموع تتدحرج على وجناتهم وفي قلوبهم حسرات ولوعات على فراقه .

وصل الخوري يوسف الى النبك وأصلح فيها ما أصلح ونظَّم ما نظَّم . واتّفق انه ذهب يتفقَّد جماعة القريتَين وبلغه أمر الحمامات الحارّة المجاورة لها فانطلق ليتحمّم فيها . غير انه ما كاد يفرغ من التحمُّم ويخرج من الحمام حتى أُصيب بداء الفالج عام ١٨٨٦ فاضطُّر ان يعود الى ماردين وطنه لعلَّه يبرأ من ذلك الداء الوبيل . غير ان المنيَّة عاجلته اذ كانت تختصم على وجهه اواخر الكهولة واوائل الشيخوخة فقضى صباح خميس صعود المخلّص الى السماء ٢٢ آيار ١٨٨٩ بالغاً ٤٥ ربيعاً . هكذا توّفي هذا الخوري الجليل الهمام الذي كانت الطائفة السريانيَّة برمّتها تعلّق على ذكائه وهمّته وغيرته الممتازة آمالًا جمَّة . وقد زيّنه المولى الجواد بقريحةٍ وقّادة واخلاقٍ شريفة ومناقب نادرة . فكان اذا خطب أثّر كلامه في النفوس واذا

(١) سجلّ الاوقاف : صفحة ٢٢٨

تكلّم انتقش كلامه في العقول . وقد عاش عيشة مفعمة من المبرّات والحسنات . وخلّف في دير الشرفة وفي اطراف كسروان بلبنان ذكرى طيّبة ذكيّة ردّدها القريب والغريب وتناقلها خصوصاً مشايخ آل الخازن النبلاء كالشيخ حصن والشيخ نوفل والشيخ حكم والشيخ معن ومشايخ غوسطا باجمعهم . تغمّد الله الكريم نفسه التقية بفيضان رحماته وأسكنها مع ملائكته وقدّيسيه في فسيح ملكوته .

الفصل الثاني

كهنة دير الشرفة (١٨٨١ ــ ١٨٨٥)

١ – المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري الماردينيّ (١٨٨١ - ١٨٩٥ - ١٩٤٦)

تتباهى اكليريكيّة دير الشرفة بتلميذها هذا الوفيّ الجليل . فقد فتحت له أبوابها في ٢١ ايلول ١٨٧٣ اذ كان بالغاً السادسة عشرة من سنيه . فاكبّ على اقتباس المزايا الكهنوتيّة دون كلال وأحرز من اللغتين السريانيّة والعربيّة حظّاً وافراً حتى توشّح بحلّة القسوسيّة صباح ١٦ نيسان ١٨٨١

وانطلق يخدم النفوس بغيرة رسولية في دير الزور حيث انشأ اول مدرسة مسيحيَّة لتثقيف الاحداث . وبعد سنتَين توجّه الى ماردين ومنها انتقل الى مذيات حاضرة طور عبدين وهناك صنَّف في السريانية كتاب مبادىء التعليم المسيحيّ ونشره ما بين الطلبة والاهلين ليتعلَّموا قواعد الدين بلغتهم الوطنية ٠

وفي السنة ١٨٨٨ ارتحل الى البصرة وخدم النفوس بغيرة متقدة وأَحرز شهرةً واسعةً بفضيلته ومناقبه الكهنوتية . ثم انتقل الى بغداد يسوس الرعية طبقاً لمشورة راعيها السيد اثناسيوس روفائيل جرخي تلميذ دير الشرفة . ولّما كانت السنة ١٨٩٥ استدعاه البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي الى ماردين ورقّاه يوم الاحد ١٦ حزيران الى كرسي مطرانيّة بغداد في كنيسة والدة الله الكاتدرائيَّة٠ وأَلقى وقتئذٍ السيد اقليميس يوحنا معمارباشي خطاباً مؤثّراً اتى فيه على ذكر مؤسّس الكاتدرائية البطريرك انطون سمحيري صاحب الأَيادي البيضاء الذي رقّى البطريرك بهنام المغبوط الى الرتبة الاسقفية في ٩ اذار ١٨٦٢ وهذا البطريرك رقّى بدوره السيد اغناطيوس نوري الى كرسيّ بغداد في ذات الكاتدرائيَّة ٠ فكان لتصريحه هذا وقع جميل لطيف في قلوب السامعين ولاسيَّما في قلوب الشيوخ منهم ٠

انطلق المطران الجديد الى ابرشيته متفانياً في رقّيها الروحيّ والزمنيّ ٠ واشترى خمسة دور يُنفَق ريعها على المساكين . وأحرز من تركة المرحوم فتح‌الله عبُّود ١٥ الف فرنك اشترى بها داراً وقف ريعها لاجل مدرسة طائفيَّة ٠ وابتاع في البصرة بناية جسيمة تُشرف على نهر العشّار ليكون ريع قسمها الواحد للكنيسة والقسم الثاني للمدرسة . وسافر في ٢٦ ايلول ١٨٩٩ الى بلاد الهند وكتب اخبار رحلته ونشرها بالطبع ثم عاد الى ابرشيته في ٢٤ اذار ١٩٠٠ . وفي ٣٠ تموز ١٩٠٣ قدم الى دير الشرفة واقام فيه ردحاً من الزمان ٠ ثم سُمّي نائباً بطريركيًّا في ١ ايلول ١٩٠٤ في القاهرة . وفي ٢٩ آب ١٩٠٨ استعفى من كرسيّ بغداد واقام في القاهرة حتى

السنة ١٩١٣ فعاد الى لبنان وقضى ايام الحرب الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) في دير الشرفة واطراف الجبل . ومنذ السنة ١٩٢٩ اتخذه نيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبّوني المغبوط معاوناً له في اشغاله .

ومن صنائع المطران اغناطيوس نوري عند دير الشرفة بذله الجهود عام ١٩٢٩ في مشترى دار الشيخ نوفل الخازن مع العقار المحيط بها وادماجها باملاك دير الشرفة . وقد تمّ الشراء بمبلغ ١٨٦ ليرة ذهبيّة وسُجل في محكمة جونية في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٩ واشترك في مشترى الدار والعقار : السيد اقليميس ميخائيل بخاش . والسيد قرلّس جرجس دلّال . والخوري انطون قرواني . والخوري توما حلبيّة . والقس جبرائيل بخاش . والقس عبدالمسيح زهر . والقس اندراوس سفر . والخوري جرجس ابرهيمشاه . والسيد جرجس ستيتة والسيدة رينة غزال . والسيد يعقوب عبيدة . والسيد ناصر توني يوحانا وشقيقه جميل توني يوحانا . وقد عددنا اسماء هولاء المشتركين تخليداً لجميلهم واستمطاراً لغيوث النعم والبركات عليهم

ولسنا ننسى تعطف المطران اغناطيوس نوري على الاكليريكيّة التي تربّى في حجرها واستقى من مناهلها . فانه اعتنى بازدياد ثروتها العلميّة فحبس عليها مخطوطات وافرة ومطبوعات تستحقّ الاعتبار . وقد اثبتنا في كتابنا « فهرس مخطوطات دير الشرفة » ١٢ مجلّداً من المخطوطات التي حبسها هذا المطران الهمام على مكتبة الدير[1] .

وفي حزيران ١٩٢٠ احتفل دير الشرفة احتفالًا جميلًا بيوبيل تلميذه الفضيل السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الاسقفي الفضي (١٨٩٥—١٩٢٠) . فتبرّع على المكتبة بخزانات جديدة متقنة الصناعة وُضعت في غرفتين كبيرتين خُصص بعضها بالمخطوطات والبعض الاخر بالمطبوعات[1] .

---

(١) راجع كتابنا المذكور : صفحة ٦٧ و١٠٧ و١١٧ و١١٨ و١٢٦ و١٣٠ و٢٦٠ و٢٦٢ و٢٦٣ و٣٣٠ و٣٣٣ و٤٥٠

(٢) مجلّة الآثار الشرقيّة : السنة الاولى ١٩٢٦ صفحة ٧٣

وفي صيف السنة ١٩٤٤ أصيب المطران اغناطيوس الجليل بداء الفالج وظل يكابد مضض الاوجاع والآلام يشرف عليه نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط ويسري عنه غمومه واحزانه ويشجّعه على احتمال غصص الآلام . وفي السنة ١٩٤٦ عاد المطران الى دير الشرفة وتولى الخورفسقفوس زكريا ملكي الهام الاعتناء بأمره والنهوض بخدمته حتى ٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ففاضت روحه بيد خالقها وترأس صلاة الجنّاز نيافة الكردينال الاتيل بحضور رهط من الاساقفة ورؤساء الاديار المجاورة والرهبان والكهنة . وأعددنا نحن كلمة لتأبينه افتتحناها بآية داود النبيّ «هذه هي راحتي ههنا اسكن لاني أحببتها» (مز ١٣١ : ١٤) . لخّصنا فيها اعماله ومشاريعه في الرسالات التي خدمها ولاسيّما في بغداد ابرشيته . وقد حضر الجنازه فريق من اصدقائه الفضلاء نذكر منهم الامير جميل فاتك شهاب السريّ المفضال والسيد اميل بك بوغوص ومشايخ آل الخازن وغيرهم . وقد أودع جثمانه في مدفن الكهنة في الكنيسة الجديدة . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

٢ – القس مرقس عازر الموصليّ (١٨٨١ – ١٨٨٦)

هو ابن الشماس عازر ابن القس فطروس قدم الى دير الشرفة شاباً يافعاً في ١ حزيران ١٨٧٩ وكان عماذه في ٣٠ نيسان ١٨٥٦ وبعدما زاول درس اللاهوت سنتين كاملتين انطلق الى ماردين ورقّاه هناك في كنيسة العذراء مار اغناطيوس جرجس شلحت المغبوط في تشرين السنة ١٨٨١ الى الرتبة المقدّسة واقام اربعة اعوام يخدم النفوس في القرى المجاورة لماردين يتنقّل من قرية الى اخرى . ثم استدعاه السيد قورلّس بهنام بنيّ الى الموصل ليشارك الكهنة في خدمة الرعيّة الا ان المنيّة عاجلته عام ١٨٨٦ كهلاً بالغاً الثلاثين من سنيه .

ويُحكي عن والده الشماس عازر الذي كان ممتازاً بورعه وتقواه انه

تعوّد حضور القدّاس يوميًّا منذ حداثته . فلما حصل ابنه القس مرقس في حالة النزع الاخير وكان والده العطوف بالقرب من فراشه قال له : يا بنيّ الحبيب قد صار وقت القدّاس فلا بدّ لي من حضوره . قال هذا وودّع فلذة كبده الى العناية الرّبانيَّة وذهب فاستمع القدّاس ثم عاد وشاهد نجله العزيز على آخر رمق فاكبّ عليه يعانقه ساكباً الدموع الغزيرة حتى لفظ روحه النقيَّة بيد خالقها .

والافضل من ذلك هو ان الشماس عازر نفسه تولى خدمة القدّاس الذي قرّبه الكاهن لراحة نفس ابنه بينما كان جثمانه في نعشه . فيا للتضحية العجيبة ! ويا للتقوى الغريبة !

٣- المطران فلبيانس ميخائيل ماكي (١٨٨٣ - ١٩١٣ + ١٩١٥)

لهـذا الحبر القدّيس صفحة جميلة في سجلّ دير سيّدة النجاة بالشرفة وفي تاريخ الكنيسة الكاثوليكيَّة . ذلك لِمَا ازدانت به نفسه البارة من الخلال الباهرة وما كابده من الاعراق حتى الدم في سبيل الكنيسة

المقدّسة . وقد سبق حفيد شقيقه اعني الخورفسقفوس زكريا ملكي رئيس دير الشرفة الفاضل فنشر عام اول خلاصة اخباره في رسالة قلب يسوع الاقدس ببيروت فرأينا ان ننقل عنها ما يتعلق بموضوع كتابنا :

وُلد هـذا الاسقف البارّ في قلعة المرأة الواقعة شرقي ماردين عام ١٨٥٨ ودخل دير الزعفران عام ١٨٦٨ يريد الانضمام الى السلك الرهباني . ولّما تجلّت له الحقائق الكاثوليكيّة انهزم ليلًا من الدير المذكور وقصد القس متى احمردقنه وكيل بطريرك السريان الكاثوليك وأطلعه على سريرتهِ فاستصحبه في ايلول ١٨٧٩ الى حلب ومن هناك جاء به الى دير سيدة النجاة فرحّب به الخوري يوسف معمارباشي رئيس الدير في ٩ تشرين الاول السنة المرقومة وضمّه الى زمرة التلامذة . وعيّن له غرفةً ممتازة تكريماً له لانه كان شماساً انجيلياً .

بيد ان الشماس ميخائيل ملكي كتب على نفسه ان يسير طبقاً لقانون الاكليريكيَّة ويتبع نظامها بتدقيق وانتباه أسوةً بسائر التلامذة يغدو ويروح ويرقد وينهض معهم عاملًا بأوامر رئيسه ومشوراته حتى اصبح قدوةً لاقرانه بحرصه ورصانته واجتهاده وثباته . وفي افتتاح السنة ١٨٨١ نذر النذور الثلاثة وزاد على ذلك انه نذر الفقر طبقاً للرهبان الافراميّين في ١٧ ايلول ١٨٨٢

وفي ٢١ نيسان ١٨٨٣ غادر دير الشرفة الى حلب فرقّاه البطريرك الانطاكيّ الى الدرجة الكهنوتيَّة صباح عيد مار اسحق ١٣ ايّار السنة المذكورة معلقاً على ذكاء فؤاده وتفانيه وطيد الأمل برجوع الاخوة المنفصلين الى حظيرة السيد المسيح الواحدة . وفي سلخ الشهر المذكور برح حلب مع الخوري يوسف معمارباشي رئيس اكليريكيَّة الشرفة والقسّ يوسف اسطنبولي . ولّما وصل الى ماردين انضمّ الى الرهبان الافراميّين الاوّلين يعلمهم خصوصاً اللغة السريانيَّة التي كان بارعاً فيها . وكان خلال ذلك يختلف الى « قلعة المرأة » وطنه يحضّ اهله واصحابه على اقتفار آثاره وقد نجح في سعيه وانضمّ

اخوته الاربعة مع انجالهم وحفدتهم كافةً الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ·

وفي نواحي السنة ١٨٩٠ انتقل القس ميخائيل ملكي الى دياربكر فعرض عليه المطران مارونا بطرس طوبال ان يجعله مرسلاً جوّالًا يطوف في القرى ويدعو الاهالي الى الايمان المقدّس ولاسيَّا لانه كان مُلِماً بالتركيَّة والكرديّة والارمنيَّة . فطفح قلب القس ميخائيل حبوراً ولبّى الطلب دون تردّد وانطلق اوّلًا الى قرية «السعديّة» ثم جعل يتبسط في تلك البريّة الفسيحة المشهورة باسم «البشيريّة» تارة راكباً وطوراً راجلًا يتعهّد قرية فقرية ويجتمع باهاليها ويلقّنهم مبادىء التعليم المسيحي · وما عتم ان عَبقت رائحة تبشيره الزكيَّة في تلك الانحاء ولاسيَّا في قرى السعدية وميافرقين (مدينة الشهداء القديمة) وفي الاعوين وقره باش وقطربل وديريش ومطري وتلّ عزيز وقورديلك وعيسى بوار وعلُوزي وعبدي وعيسو ومرقندي وعرب كند وغيرها من القرى الحافلة بنصارى السريان والارمن · وكان يجتمع بهم ويلقّنهم المبادىء المسيحيَّة ويقيم الذبيحة الالهيَّة عندهم ويعرّفهم ويناولهم القربان الاقدس ويعود الى زيارتهم احياناً حتى كانت السنة ١٨٩٥ فأتلف الاكراد والاتراك اهالي تلك القرى وذبحوهم عن بكرة ابيهم ·

ومكث المرسل الغيور في دياربكر حتى السنة ١٨٩٨ فنصبه البطريرك اغناطيوس افرام رحماني نائباً عنه في الجزيرة عام ١٩٠٠ فضاعف جهاده في سبيل الانفس وارتقت تلك الابرشيَّة العامرة في عهده ارتقاءً محسوساً وكانت الوسائل تتوارد منه الى المقام البطريركي تطلعه على كلّ ما يحدث في طور عبدين الغاصّ بجماعة السريان المنفصلين . وقد انضمّ منهم عدد غير قليل الى الكنيسة الكاثوليكيّة على يده ·

وفي ايّار السنة ١٩١١ نصبه البطريرك الانطاكيّ نائباً عنه في ماردين فبذل الخوري ميخائيل كلّ الجهد في رعاية الابرشيّة ونهض خصوصاً بالاشراف على الدار البطريركيَّة الجديدة التي ازمع البطريرك المغبوط ان يؤسّسها في تلك المدينة . وبعد هذا استدعاه البطريرك المغبوط الى بيروت ورقّاه الى

كرسي اسقفيّة الجزيرة في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ ثم عاد الى الجزيرة فوصل اليها في ١٥ اذار واستأنف اعماله الرسولية باوفر نشاط ٠

وفي السنة ١٩١٥ قامت قيامة تركيا على النصارى فقتلوا واحرقوا وسبوا ونهبوا وارتكبوا من الفظائع والقبائح ما لا يعلمه آلا الله وحده عزّ وجلّ . ويوم الاحد ٢٩ آب من تلك السنة استاقوا المطران ميخائيل الى منقع العذاب وسطحوه على الحضيض وعقلوا قدَميه وتناوبوا في ضربهِ حتى اصطبغت الارض بدمائهِ وأُغمي عليه ثم جرّوه خارج المحكمة واستهدفوه للرصاص حتى فاضت روحه البارة ٠ ثم اوثقوا جثّانه ومضوا به الى ساحل دجلة وألقوه في ذلك النهر .

على هذا النسق انتهت حياة هذا الحبر الشهيد تلميذ دير سيدة النجاة الوفيّ وطارت نفسه النقية البيضاء الى اعالي السماء لتتمتع مع الاحبار المجاهدين في تلك السعادة الخالدة . ولقد يطول بنا المجال جداً لو تصدينا لوصف ما تحلّى به هذا الحبر البارّ الذي عرفناه حقّ المعرفة وحسبه انه اتخذ دستوراً لاعماله ثقته التامة بالعناية الربّانية ولهذا جعل شعاره الاسقفي قول بطرس الرسول للسيد المسيح : « بكلمتك ألقي الشبكة » (لوقا ٥ : ٥) فكان اينما ارتحل وحيثما حلّ ألقى شبكة التعليم المسيحيّ معلّلاً النفس باقتناص الاسماك الشاردة وجمعها في شبكة بطرس الواحدة٠ وقد عدّ كلّ شيء باطلاً تفهاً ازاء تلك الغاية المقدّسة وبالجملة فان هذا الحبر القديس كان غيوراً متفانياً في حبّ النفوس حتى آخر رمق من حياتهِ . نسأله تعالى ان يجود علينا وعلى دير الشرفه الذي تربّى فيه باغزر نعمه وهباته٠ويحظينا برؤية شهيد بيعته المقدّسة في جنان ملكوته .

٤ – القس يوسف سنان الحلبيّ (١٨٨١ – ١٩١١)

وُلد عام ١٨٥٢ في حلب وحلّ عام ١٨٦٤ في دير سيّدة النجاة وواصل الدروس الكهنوتيّة حتى ١٦ حزيران ١٨٨١ فارتقى الى الرتبة المقدّسة

وخدم الرعيَّة ٣٠ سنة في وطنه حتى لبى دعوة ربّه عام ١٩١١ بينما كان متقلباً على فراش المرض في قرية ميروبا . وكان شقيقه الاخ ديدكس سنان الراهب الفرنسيسي يداريهِ في محنته . ثم نُقل جثمانه الى دير الشرفة وضُمّ رفاته الى الكهنة المتوفّين بالرب . رحمه الله تعالى .

وكان هذا الكاهن التقيّ بنسخ كتب تقويّة وعلميّة بخطهِ القاعدي الجميل . نذكر منها كتاب «تأمّلات وتساعيات» . وكتاب «رياضات وتساعيات» وكتاب الايساغوجي وكتاب «الصحيفة العبقريّة»[1] . وقد نسخها بين السنة ١٨٦٥ و١٨٦٨

٥ – القس متى خريمو المارديني (١٨٨١ – ١٩٢٣)

وصل عام ١٨٧٥ الى دير سيدة النجاة وبعد ما اكمل دروسه ارتقى في ٢١ تشرين الثاني ١٨٨١ الى الدرجة المقدّسة . وخدم النفوس في سويرك وفي دياربكر وماردين . ومن صنائعه المبرورة حَبسه داره الجميلة على بيعة والدة الله المغبوطة في ماردين . وقد استاقه الاتراك عام ١٩١٥ مع فريق من الكهنة وعددٍ غفير من المؤمنين الى دياربكر وكاد يُقضى على حياته .

(١) فهرس المخطوطات : صفحة ٤١٤ و٤١٩ و٤٣٢ و٤٣٣

غير انه تعالى أشفق عليه فعاد الى ماردين واخبرنا بكلّ ما جرى له وللمؤمنين الذين كانوا معه في قافلته فنشرنا خلاصة تلك الحوادث الفاجعة المؤلمة في كتابنا « القصارى في نكبات النصارى »[1] . وثابر القسّ متى خريمو الورع على خدمة النفوس في وطنه حتى اخترمته المنيَّة عام ١٩٢٣ رحمه الله تعالى .

٦ – القس ميخائيل قس موسى (١٨٨٢ – ١٩٠٥)

هو فتح الله ابن القس موسى زكو وُلد في قرقوش عام ١٨٥٢ وكان والده آخر من انضمّ الى البيعة الكاثوليكيَّة في تلك القرية العامرة . وقرأ

(١) القصارى في نكبات النصارى ٢٠٨ و٢٢٣ الخ

فتح الله السريانية والعربيَّة على والده . ولمّا بلغ الرابعة عشرة شخص الى دير الشرفة واقام خمسة اعوام معتكفاً على اقتباس المزايا والعلوم الكهنوتية . وعاد الى الموصل عام ١٨٧١ وتولى التدريس في مدرسة الطاهرة . وفي ٥ اذار ١٨٨٢ رقاه السيد قرلس بهنام بنيّ الى الرتبة الكهنوتيَّة وسماه ميخائيل وبعثه الى زاخو ليخدم النفوس . فاقام هناك ثلاث سنوات وابتنى داراً لسكناه ملاصقة للكنيسة . واصابه يومئذٍ داء عضال فصرف ولدا شقيقته حنا وميخا كل جهدهما في معالجته حتى جادت عليه الرحمة الالهيَّة بالعافية وعاد الى قرقوش وطنه واقام فيها سنة كاملة .

وفي السنة ١٨٨٧ انحدر الى بغداد ونهض ٣ سنوات يخدم النفوس في تلك الحاضرة ويتعهَّد ابناء الطائفة في البصرة وفي العمارة والناصريّة وسوق الشيوخ . وعاد عام ١٨٩٠ الى قرقوش وتولى خدمتها على اثر وفاة القس توما موشي الفاضل . وامتاز بمدافعته دفاع الابطال عن حقوق شعبها . وله في ذلك مواقف شريفة يردّدها الاهلون بالفخار حتى اليوم .

وفي السنة ١٨٩٢ حجّ الاراضي المقدّسة مع القس يوسف حلبيّة واقبلا معاً الى دير الشرفة فرحّب بهما الخوري موسى سركيس رئيس الدير اجمل ترحيب واقاما بضعة ايّام ثم انطلقا الى زيارة قبر الخلاص . وفي عودتهما كتب النائب الرسولي السيد قرلس بهنام بنيّ الى القس ميخائيل ان يتوجَّه الى حمص ويتولى خدمة النفوس فيها وفي القرى المجاورة . وانضمّ على يده بعض العيال في قرية الجابريّة . وفي السنة ١٨٩٧ عاد القس ميخائيل الى قرقوش وعُين عام ١٩٠٢ رئيساً على دير مار بهنام ورجع في القابل الى مسقط رأسه وتولى الخدمة في كنيسة مار يوحنان . وهو الذي افرغ المساعي في عمارتها وفي نقل رخامها وحلّانها وحجارتها من جبل « عين الصفرا » يساعده في ذلك اهالي قرقوش الافاضل ناقلين موادّ البناء مجّاناً على ظهور جحاشهم .

وتجلت غيرة القسّ ميخائيل وتفانيه في خدمة الرعيَّة خصوصاً لمّا انتشر

داء الهيضة في قرقوش واتلف خلقاً كثيراً . فكان يختلف الى بيوت المصابين ويبذل لهم كلّ مساعدة ويشدّد قلوبهم ويوزّع عليهم الاسرار الخلاصيَّة . وفي اوّل السنة ١٩٠٥ انتابته حمّى خبيثة فشعر بدنوّ الاجل واستدعى اخوته واقاربه وكهنة قرقوش وشيوخها وأفضى اليهم بمكنونات قلبه وأكَّد لهم دنوّ رحيله فبكى وابكاهم . وانتقل الى جوار ربّه في ١٦ كانون الثاني السنة المذكورة . رحمه الله تعالى .

ومن اعماله التقويّة انشاؤه اخويّة الحبل بلا دنس في وطنه وقد تولّى رئاستها شقيقه بهنام الورع . وأوصى بمكتبته لدير مار بهنام . ووجدنا له مخطوطة في مكتبة دير الشرفة وصفناها في الصفحة ٤٣٢ من الفهرس .

٧ – الخورفسقفوس يوسف اسطنبولي (١٨٨٣ – ١٩٣٤)

عرفنا هذا الاب الجليل في ماردين وفي بيروت كاهناً غيوراً نشيطاً متفانياً في خلاص الانفس مُخلِصاً الطاعة لرؤسائه . فقد تثقّف في دير الشرفة منذ السنة ١٨٧٦ حتى السنة ١٨٧٨ ثم انحدر الى اكليريكيّة المرسلين اليسوعيين ودرس فيها اربعة اعوام (١٨٧٨ – ١٨٨٢) وبعد هذا ارتقى الى الرتبة الكهنوتيّة في ١٣ آيار ١٨٨٣ بالغاً الثالثة والعشرين من سنِهِ ودعي يوسف باسم المرحوم والده . وباشر اعماله في مذيات قاعدة طور عبدين . ثم

عاد الى ماردين وتولّى خدمة النفوس وادارة « اخويّة دم يسوع » فأزهرت تلك الاخويّة المباركة في عهده ايّ ازدهار وأثمرت أشهى الاثمار . واعتاد ان يمضيّ بهم في شهر ايلول الى قرية بنابيل يقضون بضعة ايّام ما بين حدائقها الغنّاء وبينهم الشيخ والكهل والشابّ يتلون صلواتهم في حينها ويحضرون الذبيحة الالهيّة باوفر خشوع . ثم يعود كلّ منهم الى شغله شاكرين للرئيس محبّته وعطفه .

وفي السنة ١٨٩٣ رقّاه البطريرك اغناطيوس بهنام بنيّ الى رتبة خورفسقفوس تشجيعاً له في مواصلة اعمال غيرته . وفي السنة ١٩٠٢ قدم الى بيروت مع البطريرك اغناطيوس افرام رحماني وتولّى خورنيّتها ١٨ سنة كان في غضونها امثولة شريفة في فضله وفضيلته .

وامتاز الخوري يوسف برخامة صوته وتضلّعهِ من الاناشيد السريانيّة وكان اذا قرّب الذبيحة الالهيّة رتّلها ترتيلًا بليغاً استرعى اسماع المؤمنين وانشأ في افئدتهم عوامل التقوى والخشوع . وقد أبدت له الطائفة البيروتيّة آيات الاخلاص والوفاء فاحتفلت بيوبيله الكهنوتيّ الفضيّ عام ١٩٠٨ وجاد عليه الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر بلقب مونسنيور من رتبة « حاجب بابويّ » . ومن حسناتهِ الى كنيسة مار جرجس وفقراء بيروت اقناعه المرحومة مريم اسحق موصلي ان تقف عام ١٩١٨ داراً بلغت قيمتها زهاء الف ليرة ذهبيَّة على ان يُقرَّب لراحة نفسها ١٢ قدّاساً كلّ سنة على مذبح مار جرجس .

وفي السنة ١٩٢٠ استعفى الخوري يوسف من خدمة الرعيَّة البيروتيّة وانطلق الى طرابلس ثم انتقل في اواخر حياته الى زحلة وفيها لفظ روحه بيد خالقها في ٨ كانون الثاني ١٩٣٤ بالغاً الرابعة والسبعين : ودُفن جثمانه في كنيسة مار افرام بتلك المدينة . وقد أبدى غبطة البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبّوني عطفه على هذا الكاهن الغيور فأقام له جنّازاً في كنيسة مار جرجس التي خدمها خدمة نصوحاً . وحضر ذلك الجنّاز جمهور غفير

من البيروتيين وابناه نحن معددين مناقبه بعبارات مؤثرة استنزلت عبراتهم وكرروا الادعية الى المولى الغفار ليتغمد نفسه بغزير رحماته .

٨ – القس افرام يونو البنابيلي (١٨٨٤ – ١٩١٣)

وُلد هذا القسيس في بنابيل قرية نزهة جميلة حافلة بالحدائق النضيرة والكروم المثمرة بعيدة عن ماردين زهاء ساعتين مشياً على الاقدام . وفي السنة ١٨٨٠ شخص الى دير الشرفة واقام ٤ سنوات يواصل الدرس حتى سيم قسيساً في ٢٩ حزيران ١٨٨٤ وخدم النفوس في بنابيل وطنهِ وفي نصيبين . وتولى زماناً تدريس الرهبان الافراميين اللغة السريانية اذ كان خبيراً بها خبرة وافية . وحلت وفاته عام ١٩١٣ في ماردين . ومن مخلفاته العلمية نقله الى العربية حسابات الصوم الاربعيني .

٩ – القس طوبيا يونان الموصلي (١٨٨٤ – ١٩١٦)

امتاز هذا القسيس الورع بخطهِ العربي الكنسي الجميل فنسخ عدة كتب شاهدنا بعضها في المكتبة البطريركية . منها كتاب « مجمع الشرفة » وكتاب « القداس السرياني » وغير ذلك . وارتقى الى الرتبة المقدسة عام ١٨٨٤ واستنسخه السيد اقليميس يوسف داود عدة كتب هيأها للطبع . وخدم الرعية في دمشق اولاً . وفي السنة ١٨٨٨ حضر سنودس دير الشرفة وعُين فيه قارئاً مع القس بولس صعب . ومن حسنات القس طوبيا انه وقف لكنيسة الطاهرة بالموصل داره مع حوش المدار الذي بجانبها . وقد تم ذلك اجابة الى طلب المطران غريغوريوس بطرس هبرا راعي الابرشية[1] . ولقي القس طوبيا ربه عام ١٩١٦ في وطنهِ .

---

(١) راجع كتابنا « اجمل زهرة في حديقة آل هبرا » صفحة ١٢٣

١٠ – القس ميخائيل نعلبند الماردينيّ (١٨٨٤ – ١٩٣٦)

وُلد في ٢٣ آيار ١٨٦٠ ووصل الى دير سيدة النجاة في ٢١ تموز ١٨٧٦ ومكث ثمانية اعوام مكبّاً على اقتباس الفضائل والعلوم الكهنوتيّة حتى صار قسّيساً في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٨٤ وعاد الى وطنه وخدم الانفس في قرى طور عبدين ولاسيَّما في ديركه الواقعة شمالي غربي ماردين. وخلّف ذكريات تقويّة حسنة في كلّ القرى التي خدمها. وانتقل في اواخر حياته الى ماردين وطنهِ وثابر على خدمة النفوس حتى فاضت روحه بيد خالقها عام ١٩٣٦ ودُفن جثمانه في مقبرة الكهنة بكنيسة والدة الله. وامتاز هذا القسّيس الورع ببساطة قلبهِ ودماثة اخلاقه ولين طبعه ولاسيما بانقياده التامّ لرؤسائه رحمه الله تعالى.

١١ – القسّ توما ايُّوب الحلبيّ (١٨٨٥ – ١٩١١)

وُلد في حلب في اذار ١٨٦١ وتلقى العلوم منذ السنة ١٨٧٤ تارةً في دير الشرفة وحيناً في اكليريكيّة المرسلين اليسوعيين ببيروت. ونبغ خصوصاً في اللغة العربيّة فبلغ منها ما لم يبلغه احدٌ من اترابه. والمّ بالسريانيّة والفرنسيّة والانكليزيّة واشتغل عن سائر العلوم بنقل روايات جمّة الى العربيّة اخصُّها رواية «فبيولا» او «ديماميس رومية». و«قرة

العين في رواية الى اين » وهما من أبدع الروايات واجملها وقد افرغهما القس توما ايّوب في قالب عربي سهل لذيذ . وله غير ذلك من الروايات النفيسة التي لم تنشر بالطبع كرواية « بيعة قرطاجنة » و« شهيد الجلجلة » و« الكفّارة » و« غد الطوفان » ورواية « البرّ البنوي »[1] . وانشأ ٥٠ موعظة

جمعها في كتاب دعاه « شبكة مار بطرس » ونشر في مجلة المشرق امثال حلب في مقالة عنوانها « المنتخب من امثال حلب »[2] . وزبدة القول ان القس توما ايّوب قضى حياته بين الطروس والمحابر والدرس والتدريس حتى وافاه الاجل المحتوم في ٥ تشرين الاول ١٩١١ واستغرقت حياته الكهنوتيّة ٢٦ سنة (٢ شباط ١٨٨٥ — ٥ تشرين الاوّل ١٩١١) وقد استوفى وصفه حضرة العلّامة الفيكنت فيليب دي طرّازي في كتاب « تاريخ الصحافة العربيّة » . وخلّف القسّ توما مكتبة عامرة ثمينة لعبت بها الايدي على اثر وفاته رحمه الله تعالى .

(١) نشرها السيد المطران اقليميس ميخائيل بخاش رئيس الشرفة عام ١٩٢٤

(٢) المشرق ١٠ : ١٩٠٧ : ٨٤٧ اح

١٢ – الخورفسقفوس يوحنا شاهين الامدي (١٨٨٥ – ١٩٣٨)

وُلد هذا الكاهن الجليل في دياربكر عام ١٨٦٥ وقضى ٧ سنوات (١٨٧٨ – ١٨٨٥) مثابراً في دير سيدة النجاة على اكتساب الفضائل والعلوم . ورقّاه السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق في ١٩ تشرين الاول ١٨٨٢ الى الرتبة الدياقونية . ثم ارتقى الى المنصب الكهنوتي في ٣١ آيار ١٨٨٥ وانطلق الى دياربكر وطنه يخدم ارعية .

وفي السنة ١٨٩٤ بعثه السيد اغناطيوس بهنام بنّي الى الاستانة بمثابة وكيل له . ذلك لتضلّعه من اللغة التركية . وفي تلك السنة عينها فوّض اليه السيد عبد يشوع خيّاط بطريرك الكلدان (١٨٩٤ – ١٨٩٩) الاشراف على ابناء طائفته في تلك العاصمة . وفي السنة ١٨٩٧ كتب اليه السيد يوحنا الحاج بطريرك السريان الموارنة (١٨٩٠ – ١٨٩٨) ليلاحظ شؤون ابناء الملّة المارونية المقيمين هناك . فنهض الخوري يوحنا بتلك المهام نهوضاً شريفاً . وقد مثل امام السلطان عبد الحميد تسع مرّات وحصل منه عام ١٨٩٥ الأوامر في حماية السريان والكلدان . وفي السنة ١٩٠٢ استعفى الخوري يوحنا وعاد الى الرها وتولّى رعيتها حتى ٤ اذار ١٩٢٤ ثم اضطرّ أن ينهزم متنكراً الى حلب ومنها الى حمص وطرابلس وخدم النفوس في

حمص وطرابس بضع سنوات ثم انتقل الى الاسكندرونة يثابر على عمله الرسوليّ دون كلال حتى فاضت روحه البارّة بيد خالقها عام ١٩٣٨

وخلّف هذا الخوري الامين ذكريات جميلة لاعماله وحسناته وتفانيه في تعزيز الملّة في كلّ رسالة تولّى رعايتها . وفي ٢٠ شباط ١٩٣٦ كتب وصيّته الاخيرة وذكر فيها ما نصّه : « ... ان ما املكه هو ٤١ ليرة ذهب عثمانيّة و٣٠٠ ليرة سوريّة . فالاحدى والعشرون ليرة ذهبيَّة مع ١٠٠ ليرة سوريّة تُرسَل الى دير الشرفة ... وكتبي كلُّها تبقى لكنيسة اسكندرونة ما عدا كتاب خطّ سريانيّ مع الانجيل المخطوط فهما لدير الشرفة » . اننا نستمطر غيوث الرحمات الالهيّة على نفس هذا الخوري الفضيل الذي تاجر بوزناته خير تجارة .

١٣ – القس اوجين دلّال (١٨٨٥ – ١٩١٩)

قضى هذا القسّيس الورع ردحاً من الزمان في حلب وفي ماردين مع اسرته ثم اقبل عام ١٨٨١ الى دير سيّدة النجاة وارتقى الى درجة القسوس في ٣١ ايّار ١٨٨٥ وخدم النفوس في حمص وفي يبرود وفي الاسكندرونة . ولمّا كان في حمص نهض بخدمة المطران غريغوريوس عبدالله سطوف عندما انضمّ الى الكنيسة الكاثوليكيّة (١٨٩٦ – ١٩٠٦) . وتوفّي القس اوجين في بيروت في ١٥ شباط ١٩١٩ ولُحد في المقبرة السريانية برأس النبع .

وفي السنة ١٩٣٠ عني الاب جبرائيل كاسجا الموقر بنقل رفاته الى الاسكندرونة تلبيةً لطلب اخيه جرجي ودُفن في كنيسة الوردية . ذلك لانه رحمه الله تعالى كان قد اشترى الارض لعمارة تلك الكنيسة . وخلّف مخطوطين نسخهما بيده وهما محفوظان في خزانة دير الشرفة اشتملا على القراءات والرسائل والاناجيل المستعملة في الطقس السرياني ايّام الآحاد والمواسم والاصوام[1] . واهدى القسّ اوجين الى مكتبة دير مار افرام بماردين مجموعة الكتب السريانيّة التي نشرها الطيب الأثر الاب بولس بيجان المرسل اللعازري .

(١) الفهرس ٣٠٩ و ٣١٠

الفصل الثالث

البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت ودير الشرفة

في السنة ١٨٧٨ غادر السيد اغناطيوس جرجس شلحت المغبوط دير سيدة النجاة وانحدر الى بيروت ووضع الحجر الاوّل لكنيستها في ٢٥ اذار ١٨٧٨ ثم توجّه الى القطر المصريّ وحجّ القدس الشريف وتعهّد ابرشيّة دمشق ثم انطلق الى حلب وفي حزيران ١٨٨١ سافر الى ماردين ووضع الحجر الاوّل لدير مار افرام السريانيّ في ٢٠ تشرين الاوّل من تلك السنة . ثم قفل راجعاً الى حلب في ١ ايلول ١٨٨٢

١ - تدشين كنيسة سيّدة النجاة بالشرفة

وفي ٤ ايلول ١٨٨٥ شخص البطريرك جرجس المغبوط الى بيروت فانحدر تلامذة الدير في رئيسهم واساتذتهم ولثموا يمينه وهنأوه بالسلامة . وفي ٩ ايلول قصد الدير يصحبه السيد لودفيك پيافي القاصد الرسوليّ والمطران غودنسيو . وصباح الاحد ١١ تشرين الاوّل قرعت النواقيس وبرزت كنيسة سيّدة النجاة الجديدة بأجمل حلاها وابهى زينتها وباشر

البطريرك الانطاكيّ يوآزره الحبران الموما اليهما رتبة تدشين الكنيسة يحفّ به رئيس الدير الخوري باسيل قندلفت وجمهور الكهنة والتلامذة فدهن المذابح واطراف الكنيسة الاربعة بالميرون المقدّس واستغرق الاحتفال ثلاث ساعات كاملة حتى انتهى على اتمّ ما يرام من النظام . وقد حضره جماهير من الاساقفة ورؤساء الاديار والرهبان والخوارنة فضلًا عن المشايخ الخوازنة واعيان السريان القادمين من بيروت . امّا واصه باشا متصرّف لبنان (١٨٨٣ - ١٨٩٢) فقد وجّه الامير فندي شهاب وكيله لحضور حفلة التدشين . وحضرها كذلك قائمقام كسروان . وكان قلب البطريرك الانطاكيّ يطفح شكراً للعناية الربانيَّة التي وفّقته ان يؤسّس ويدشّن تلك الكنيسة الجديدة الجميلة .

٢ - تدشين كنيسة بيروت

وفي ٢٧ كانون الاوّل السنة ١٨٨٥ عينها تولّى البطريرك الانطاكي نفسه تدشين كنيسة مار جرجس في بيروت . وكان يخدمه رئيس الشرفة الخوري باسيل قندلفت وتلامذة الدير . وبعدما دشّن هذه الكنيسة عاد الى دير الشرفة . على ان الخوري ميخائيل اليان سركيس سبق فوصف حفلة تدشين كنيسة مار جرجس وصفاً جميلا في مؤلّفه « الذكرى الذهبيَّة لاوّل قدّاس في كنيسة بيروت السريانيَّة »[1] .

٣ - جهود البطريرك في تعزيز دير الشرفة

عاد البطريرك الانطاكيّ الى دير الشرفة كما قلنا وقضى فيه اشهراً يلاحظ التلامذة ويشرف عن كثب على العقارات والارزاق وعلى سائر ممتلكات الدير .

---

(١) المشرق ٣١ : ١٩٣٣ : ٧٧٩ الخ

وقد تضمّن سجلّ الدير في هذا الصدد اعلاناً رسمياً اصدره البطريرك في ٨ حزيران ١٨٨٦ هذا نصه بحروفه :

« ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܓܝܘܪܓܝܣ ܫܠܚܬ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܕܣܘܪܝܝܐ

« اعلان بالربّ لكلّ مطّلع عليه

« من المعلوم ان النيّة الاصليّة التي عليها تأسّس دير الشرفة من سالفنا الطيّب الذكر البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة هي ليكون كرسيّاً بطريركيّاً يؤمن البطاركة من غوائل الاضطهاد ومقرّاً للناذرين الخاضعين للسدّة البطريركية ... وقد رأى أسلافنا بعد هذا ان يحوّلوا الدير الى مدرسة (اكليريكية) بطريركية ... ولّما كان لهذه المدرسة اموال وامتعة منقولة وجب علينا طبقاً لنيّات اسلافنا ومرسوم البابا بيوس السادس بتاريخ السنة ١٧٨٧ ومرسوم البابا بيوس السابع بتاريخ السنة ١٨٠٦ ان نوصي ونأمر جميع سكان هذه المدرسة الاقليرسية بالمحافظة على ارزاقها بنوع انه لا يجوز ان تُباع او تُستَبدَل الا باستئذاننا واستئذان مَن يخلفنا في هذا الكرسي ...

«وبنوع خصوصي نأمر ان يحافظ على كتب المكتبة فلا يجوز ان يخرج منها شيء خارجاً دون اذن صريح منا او ممن يخلفنا . وبياناً لرغبتنا في نجاح هذا الدير وحفظ موجوداته سطرنا هذا الأعلان وذيّلناه بامضائنا وختمنا

أعطي في مدرسة الشرفة في ٨ حزيران ١٨٨٦

اغناطيوس جرجس شلحت
بطريرك السريان الانطاكيّ».

وما برح هذا الختم مرعياً بكلّ تدقيق لهذا العهد .

الفصل الرابع

رئاسة الخورفسقفوس باسيل قندلفت الحلبيّ

(١٨٨٥ ـ ١٨٨٦)

على اثر تنصيب الخوري يوسف معمارباشي رئيس دير الشرفة نائباً بطريركياً في النبك والقريتين كما نوّهنا فوّض البطريرك الانطاكيّ الى الخوري باسيل قندلفت ليقوم برئاسة الدير · وكان هذا الخوري الموقّر قد تلقى العلوم الكهنوتيّة في اكليريكيّة غزير اليسوعيّة وسيم قسيساً في ١ تشرين الاوّل ١٨٧٦ غير ان رئاسته على الدير لم تستغرق اكثر من سنة واحدة · وكان البطريرك المغبوط مقيماً يومئذٍ في الدير يلاحظ اعمال الرئيس والمرؤوسين معاً ويفرغ القوى في تعزيز التلامذة وتثقيفهم ثقافة عالية

١ – نزول تلامذة الشرفة الى بيروت

نوى البطريرك الانطاكي ان يرقي الخوري انطون قندلفت كاتب سرّهِ الى الرتبة الاسقفيّة · وقرّر ان يقيم حفلة السيامة في كنيسة مار جرجس ببيروت · بناء عليه انحدر تلامذة الشرفة اجمع الى بيروت · وصباح الاحد ٢٠ حزيران ١٨٨٦ احتفل البطريرك المغبوط بقدّاس حبريّ رقّى في آخره الخوري انطون الى الرتبة الاسقفيّة على كرسيّ طرابلس وسمّاه « ثاوفيلس انطون » كما ذكرنا[١] · وقد طفحت قلوب التلامذة بهجةً وسروراً بتلك السيامة الشائقة ولاسيّما لان المطران الجديد كان من نجباء اكليريكيّتهم وفضلائها ·

٢ – عودة البطريرك والتلاميذ الى دير الشرفة

قضى البطريرك المغبوط بضعة ايّام في بيروت ثم عاد الى الدير وعاد التلامذة كلّهم مع رئيسهم الخوري باسيل واستأنفوا دروسهم · ومكث

---

(١) راجع هنا : صفحة ٢٣٧ – ٢٣٨

البطريرك الانطاكيّ يلاحظهم ويلقنهم الانغام السريانيَّة والطقوس البيعيَّة حتى تشرين السنة ١٨٨٦ فعاد الى مركزه في حلب ·

٣ - اعمال الخوري باسيل في الشرفة

لم يتهيأً للخوري باسيل قندلفت ان يُجري عملاً هاماً او مشروعاً جديداً في دير الشرفة · ذلك لقصر مدّة رئاستهِ · وممَّا صنعه في تلك الغضون انه استرخص السيد البطريرك فباع الدار التي وقفها الخوري فيلبس قرازة الموصليّ لدير الشرفة في دمشق واستبدلها بدكاكين في ساحل جونية · وبلغت قيمتها ٢٨٫٥٠٠ غرش اشتراها في دمشق نعمة قرواني وابتنى الخوري باسيل بالمبلغ عينه اربعة مخازن في جونية ملاصقة لملك السيد البطريرك وملك الشماس انطون قرواني · وانتهى ذلك في ١ تشرين الثاني ١٨٨٥[١] · وثابر الخوري باسيل على اعماله بكلّ اجتهاد وامانة حتى تشرين الثاني ١٨٨٦ ثم خلفه في رئاسة دير سيدة النجاة الخوري بطرس بوصيك الماردينيّ ·

الفصل الخامس

رئاسة الخورفسقفوس بطرس بوصيك الماردينيّ

(١٨٨٦ — ١٨٨٧)

قضى هذا الخوري الهمام اغلب حياته الكهنوتيَّة طائفاً من بلد الى بلد ومن رسالة الى رسالة حتى بلغ اقاصي الهند · وحفظ لنا لمحةً من اخباره نقتطف منها ما يلي :

١ - تلمذتهُ وقسوسيَّته وأسفاره

وُلد الخوري بطرس ابن يوسف بن يوحنا بوصيك في ماردين عام

(١) راجع هذا الكتاب : ٢٠١ - ٢٠٢

١٨٢٣ وفي السنة ١٨٤٦ وصل الى دير الشرفة وانصرف الى الدراسة مدّة ستة اعوام فحصَّل ما حصل من اللغات والعلوم الابتدائيَّة . وفي ٩ تشرين الثاني ١٨٤٧ سقط من سطح المائدة فوق الأحجار فتصدّعت اعضاؤه ومكث ستة اشهر ملازماً الفراش وفي ٢ تشرين الثاني ١٨٥٢ قصد

اكليريكيّة الآباء اليسوعيّين في غزير وانسلك في صفوف تلامذتها حتى ١٩ اذار ١٨٥٤ فعاد الى الشرفة . ثم توجّه في ٢٥ ايّار ١٨٥٤ الى رومية بخدمة البطريرك انطون سمحيري . وجعل يعلّم اللغة السريانيَّة في مدرسة البروبغندا وتولّى مكتبتها عام ١٨٦٠ وفي ٢٥ ايار ١٨٦١ رقّاه الكردينال قسطنطين باتريسي الى رتبة الكهنوت في بيعة مار يوحنا اللاترانيَّة وعمره يومئذٍ ٣٨ ربيعاً .

ثم برح عاصمة الكثلكة في ١٦ شباط ١٨٦٢ وحجّ الاراضي المقدّسة وتوجّه الى ماردين وطنه في ١ ايّار وتعين في تشرين الثاني خادما الرعيَّة في دياربكر ثم انتقل الى القصور جنوبي ماردين ومنها ارتحل الى نصيبين ومذيات وعاد عام ١٨٦٥ الى ماردين وتقلّد الرئاسة على الرعيَّة . واتّخذه

القاصد الرسوليّ السيد نقولا كستلس كاتباً لأسراره . ثم أمره البطريرك فيلبس عركوس فجاء الى بيروت في ٣٠ ايّار ١٨٧٢

وفي ٢ ايلول انطلق الى القاهرة ليشرف على وقف دير الشرفة فيها وكان ذلك الوقف يشتمل كما قلنا في غير هذا المحلّ على دارين احداهما في درب الجنينة والثانية في درب الحرة . وكانت وارداتهما ٩ آلاف قرش . وعاد الى بيروت وتولّى خدمة رعيّتها ثم سافر في ٩ ايّار ١٨٧٣ الى دمشق الشام . وعاد الى بيروت في ٢٠ حزيران السنة عينها واصطفاه السيد لودفيكس پياڤي القاصد الرسوليّ كاتباً لاسراره وفي القابل اعني في ٢٦ حزيران ١٨٧٤ بعثه الى دمشق في قضاء اشغاله .

٢ – سفره الى الاستانة ونجاحه في مهمّته وانتخابه للاسقفيّة

في ١٩ تشرين الاوّل ١٨٧٤ توجّه القس بطرس بوصيك الى الاستانة بأمر السيد البطريرك جرجس المغبوط ليبذل الجهود في الحصول على الفرمان الشاهانيّ . وفاز في ١٣ حزيران ١٨٧٥ بذلك الفرمان . غير انهُ توقّف تسليمه بدهاء كوپليان الارمنيّ حتى ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٦ فاخذه القسّ بطرس وطار به الى السيد البطريرك وكان ينتظره بفارغ الصبر في دير الشرفة . فكافاه السيد البطريرك بان رقّاه في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ الى رتبة الخورنة . واعتزم ان يرقيه الى الرتبة الاسقفيّة ووافق عـلى ذلك نيافة الكردينال فرنكي والقاصد الرسوليّ . غير ان الخوري بطرس تمنّع بكلّ قواه عن قبول تلك الرتبة السامية .

٣ – تبرّعه الوافر على دير الشرفة

جمع الخوري بطرس في رحلاته مبلغاً من المال قدره ٢٣٠ ليرة عثمانيَّة وأحبّ دير سيدة النجاة الذي قضى فيه زهرة شبابه ودرس فيه ٦ سنوات (١٨٤٦ – ١٨٥٢) فتبرّع عليه بذلك المبلغ كلّه عام ١٨٧٧ وبعد هذا

سافر عام ١٨٨٣ الى دياربكر وجعل يخدم فيها الرعيّة ثم عاد الى بيروت وتولى رعيتها مرّتين : الاولى عام ١٨٨٣ والثانية في ٢٣ شباط ١٨٨٦

٤ — رئاسته على دير الشرفة

وفي ٨ تشرين الثاني ١٨٨٦ القى اليه البطريرك الانطاكيّ مقاليد الرئاسة على دير الشرفة وكان في غضون رئاسته يلقي على التلامذة دروس اللغة السريانيّة والتاريخ والحساب . واشترك بمبلغ ١٠٠٠ غرش في عمارة كنيسة سيدة النجاة كما ذكرنا . غير ان رئاسة الخوري بطرس لم تستغرق اكثر من سنة لدواعٍ حدثت في ماردين اضطرّته ان يعود اليها ويلقي الصلح ما بين المتخاصمين . ومن هناك ارتحل الى بلاد الهند وحضر احتفال التطواف بجثمان القديس فرنسيس كسفاريوس اليسوعيّ . ثم عاد الى وطنه وفيه قضى اواخر حياته وناداه الله تعالى اليه ففارق دنياه في ٢٥ كانون الاوّل ١٩٠٦ بالغاً الثالثة والثمانين .

وامتاز الخوري بطرس بفضله وعلمه اذ كان خبيراً بالسريانيَّة والعربيَّة واللاتينيَّة والفرنسيَّة والايطاليَّة ممتازاً بالعلوم الفلسفية واللاهوتية . ومن تركته العلمية نقله كتاب القس يوسف جبرائيل الكلداني من السريانيّة الى العربيَّة . ومن هذا الكتاب نسخة اطيفة أنيقة خطَّها الخوري بطرس بيده في آب ١٨٥٨ لمَّا كان في رومية وأثبت في خاتمتها هذه العبارة : «قد علَّقه بيده الفانية بطرس بن يوسف بوصيك السريانيّ الماردينيّ . اقتطفه من تآليف أولي العلم . وترجمه عن اللغات العربيّة حينما كان تلميذاً في مدرسة بروبغندا برومية في ٢٥ اذار ١٨٥٩» . وهذا المخطوط الجميل نُقل من ماردين وحُفظ في المكتبة البطريركيّة ببيروت .

الفصل السادس

رئاسة الخورفسقفوس موسى سركيس الدمشقيّ

(١٨٨٧ــ ١٨٩٣)

على اثر ارتحال الخوري بطرس بوصيك الى ماردين كما نوّهنا أُنيطت رئاسة دير الشرفة بالقسّ موسى سركيس الدمشقيّ تلميذ الآباء اليسوعيّين في اكليريكيّة غزير . وكان ميلاده عام ١٨٤٨ في دمشق وقدومه الى تلك الاكليريكيَّة عام ١٨٦٣ وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٨٧٥ رقّاه السيّد غريغوريوس يعقوب حلياني الى الرتبة الكهنوتيَّة . واقام في دمشق يخدم الرعيَّة حتى السنة ١٨٨١ فاقبل الى بيروت وتولّى فيها خدمة النفوس حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ وبعد هذا شخص الى دير الشرفة وناب مناب رئيسه الخوري يوسف معمارباشي ٠

وفي السنة ١٨٨٧ فوّض اليه البطريرك الانطاكيّ رئاسة دير الشرفة٠ فجعل يسوس التلامذة في اناةٍ ومودّة ورفق حتى اجمعوا كافةً على محبّته وطاعته ٠ ولمّا عوّل البطريرك المغبوط على عقد المجمع الطائفي في الدير المشار اليه صرف القس موسى كلّ جدّ وجهد في خدمة أَحبار الملّة فهيَّأ لكل منهم غرفة لائقة. وأعدّ لهم كلّ ما احتاجوا اليه لانجاز مشروعهم المقدّس.

الفصل السابع

مجمع احبار السريان في دير الشرفة

(سنة ١٨٨٨)

١ - قدوم البطريرك الانطاكيّ من حلب

في ٦ حزيران ١٨٨٨ وصل البطريرك جرجس المغبوط الى ثغر بيروت وانحدر رئيس الشرفة في الكهنة والشمامسة وتبركوا بلثم يمينه وهنأوه بسلامة الوصول . وفي ١٣ حزيران يمّم الدير ودخل الكنيسة ما بين الترانيم السريانيّة وقرع النواقيس وهتاف الجميع بحياته . وبعد هذا اخذ الاساقفة يتوافدون الواحد تلو الآخر من ابرشيّاتهم حتى اكتمل عِقدهم في تموز السنة المذكورة .

٢ – آباء المجمع

عُقِد مجمع الشرفة الملّي في ٢٢ تموز ١٨٨٨ بحضور السيّد لودفيك بيافي القاصد الرسوليّ نائباً مناب الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨–١٩٠٣) والبطريرك الانطاكي مار اغناطيوس جرجس شلحت والسادة قورلُس بهنام بنيّ مطران الموصل واثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد • واقليميس يوسف داود مطران دمشق • ويعقوب متى احمردقنه اسقف نصيبين • وثاوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس • ورابولا افرام رحماني اسقف الرها • ثم ماروثا بطرس طوبال اسقف دياربكر •

وكان السيد بطرس طوبال بمثابة مسجل والقس موسى سركيس رئيس الدير بمثابة مجتهد• والقس الياس شلحت مديراً للنظام • والقس بولس صعب الحلبيّ والقس طوبيا يونان الموصليّ بمثابة قارئين • امّا تلامذة الدير فقد سمح لهم صاحب الغبطة ان ينطلقوا الى اورشليم ويتبركوا بضريح الفادي عزّ شأنه وسائر الاماكن المقدّسة •

٣ – نظام المجمع وموظّفوه

جلس في الناحية الاولى القاصد الرسوليّ فالسيد يوحنا الحاج مطران بعلبك المارونيّ فالسيد باسيل كسبريان مطران قبرس الارمنيّ فالاب مرتينس رئيس الرهبنة المارونيّة اللبنانيّة العامّ • فالاب ميخائيل الفرنسيسي رئيس دير حريصا • فالاب طوبيا عون المرسل اللعازريّ •

وجلس الى جانب عرش السيد بيافي : المطران غودنسيو بونفيلي مطران كاسيا فالخوري بولس عوّاد المارونيّ بمثابة لاهوتيين •

وجلس في الناحية الثانية البطريرك جرجس ثم اساقفته المشار اليهم كلّ بدوره • وجلس الى جانب عرش البطريرك الشماس جرجس شلحت كاتم اسراره • وعُين الاخ لويس عبدالاحد بوّاباً والشماس يوسف تيّان ساعياً •

٤ – سوابق المجمع

نوى البطريرك الانطاكيّ والاساقفة منذ ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٢ ان يعقدوا هذا المجمع واخذوا يتراسلون في تهيئة الموادّ وتقريرها حتى نيسان ١٨٨٥ وقد جُمعت تلك الاسئلة والآراء والاجوبة بكلّ تفاصيلها في كتاب خاصّ محفوظ اليوم في القلّاية البطريركيّة. وعنه نقل الخوري اندراوس سفر الموقّر نسخة ثانية عام ١٩٤٣ بأمر نيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبّوني المغبوط. وقد أُحصيت المسائل التي عُرضت على الاساقفة فاناف عددها على ٥٠٠ مسئلة. وبلغ عدد البنود ٨٢٦ بنداً.

وبعد هذا وجّه البطريرك الانطاكيّ من حلب منشوراً عمومياً مؤرّخاً في ١٨ آيار ١٨٨٨ الى الاساقفة يبشّرهم باعتزامه عقد المجمع في دير الشرفة ويدعوهم الى الحضور. فحضروا باجمعهم الّا السيد ايونيس ايليا عتمة مطران القلّاية بماردين والسيد اوسطاثيوس افرام تكمجي مطران خربوط فكتبا الى السيد البطريرك كتاب الاتفاق على كل ما ازمع الاساقفة ان يحدّدوه. وأرّخ المطران ايليا كتابه في ١١ حزيران والمطران افرام في ٨ منه.

وقبل افتتاح المجمع اعتكف الآباء ثلاثة ايام كاملة وتولّى المطران اقليميس يوسف داود القاء الارشاد عليهم وكانوا باجمعهم يستغيثون بالروح القدس ليلهمهم ما فيه الخير والصلاح.

٥ – الجلسة الافتتاحيّة

عُقدت الجلسة الافتتاحيّة صباح الاحد ٢٢ تموز في بيعة سيّدة النجاة الكبرى. فنُصب الى يمين المذبح عرش للقاصد الرسوليّ تعلوه مظلّة. ونصب الى يسار المذبح عرش مثله للسيد البطريرك تعلوه مظلة. ثم نُصب للاساقفة كراسي ومساجد من الناحيتين. ووُضع الى جانب عرش القاصد الرسوليّ كرسيّ لكاتب سرّه. والى جانب عرش البطريرك كذلك كرسيّ

لكاتب سرّه . ووُضع كتاب الانجيل الكريم بين شمعتين فوق نصبة عالية قدّام المذبح .

ثم توشّح الاحبار بحللهم وقصدوا الكنيسة تتقدّمهم راية الصليب المقدّس وفئة من اعيان الملّة السريانيَّة البيروتيَّة وهم : الكنت نصرالله دي طرّازي . ورزق‌الله شقّال . وميخائيل موصليّ واليان سركيس . والياس مدوّر . وسليم نعمان . ودخلوا الكنيسة بالاناشيد السريانيَّة وقرع النواقيس وخرّوا قاطبةً جاثين احتراماً للقربان الاقدس وصلّوا صلاة وجيزة ثم أخذ كلٌّ محله . واحتفل بالقدّاس السيد روفائيل جرخي مطران بغداد . وبعد القدّاس رتّل الآباء « قومةً » من رتبة احد العنصرة مستلهمين الروح القدس ليرشدهم وينيرهم في ما عوّلوا عليه .

٦ – المناداة بافتتاح المجمع

وبعد القدّاس انتصب القاصد الرسوليّ ونادى بافتتاح المجمع وهنأ الاحبار والطائفة السريانيَّة بما أحرزوه من الشرف الباذخ والامتياز الخاصّ بالتئامهم في دير سيدة النجاة للنظر في شؤون ملّتهم . وهنّأ نفسهُ بكونه ينوب مناب إمام الاحبار خليفة بطرس هامة الرسل . ودعا للطائفة السريانيَّة بالفلاح والسعادة والتوفيق المستمر .

٧ – خطبة السيّد البطريرك

ثم انبرى البطريرك الانطاكيّ يعرب عن فرط ابتهاجه وافتتح خطابه بآية ارميا النبيّ وهي : « اني اقمتُك اليوم على الأمم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس » (ارميا ١ : ١٠) . ثم قال : اننا مهما تجشَّمنا من المصاعب والمشقَّات وجب ان تكون عندنا سهلة عذبةً اذا ما تذكّرنا الغاية الجليلة التي نقصدها متّكلين على حول الله تعالى وهي تمجيد الله عزّ وجلّ وتوثيق ارتباطنا بالوحدة الكاثوليكيَّة الشريفة وتوحيد

الطقوس والأحكام في بيعتنا الانطاكيَّة السريانيَّة : « فهذا هو اليوم الذي صنعه الربّ فلنبتهج ونتهلّل به » (مزمور ١١٧ : ٢٤) . وعليه ففرحنا اليوم لا يضارعه فرح . وغاية ما نرجوه تعزيةً لشيخوختنا . . . هي بلوغ مجمعنا هذا الى حسن الختام بحيث يمكننا ان نقول مع شمعون الشيخ الوقور : « الآن يا سيد تطلق عبدك حسب قولك بسلام لان عينيّ قد ابصرتا خلاصك » (لوقا ٢ : ٢٩ و٣٠) . . .

٨ – تقرير صورة الايمان وبرقيّة الاساقفة الى الحبر الاعظم وجوابها

ثم نهض المطران يوسف داود وجثا امام المذبح وجثا معه سائر الاساقفة وتلا صورة الايمان . وعند نهايتها اقبل البطريرك الانطاكيّ ووضع يمينه على كتاب الانجيل وهو يقول : « وانا ايضاً » . وحذا حذوه سائر الاساقفة ووقّعوا تلك الصورة وعاد كلّ الى محلّه . ثم قرأ المطران افرام رحماني صورة برقيَّة الى الاب الاقدس رفعها اليه آباء المجمع بواسطة الكردينال سيميوني هذا تعريبها : « افتتحنا الآن مجمعنا الاقليمي تحت حماية قداسته افتتاحاً حافلًا . وابتهلنا ابتهالًا حارًّا بشأن انتصار البيعة المقدّسة وحراسة قداسته . نلتمس بخضوع أيد البركة الرسوليَّة » .

وقد وافاهم الجواب في ٢٤ تموز هكذا معرّباً : « تقبّل الاب الاقدس بقلب شكور ادعية آباء المجمع وهو يدعو الى المولى عزّ وجلّ في شأن ختامه ختاماً حسناً . ويمنح بعطفه البركة الرسوليَّة للقاصد وللبطريرك وللاساقفة »

٩ – منشور البطريرك الانطاكيّ الى الابرشيَّات السريانيَّة

لم يَرَ البطريرك جرجس المغبوط الّا ان يوجّه البشرى بافتتاح المجمع الى الابرشيَّات السريانيَّة جميعها . فأنشأ منشوراً محكماً جميلًا بعث بنسخته الى حلب والموصل ودمشق وماردين ودياربكر وبغداد والبصرة والرها وبيروت ومصر ودير الزور والنبك وصدد الخ قال فيه ما خلاصتهُ :

« ... اننا نحرّضكم راغبين اليكم بالربّ ان تساعدونا باقامة الصلوات الى مراحم الاهنا عزّ وجلّ ليفيض علينا انواره الالهيَّة ويربطنا بعرى الاتفاق . ويؤيّدنا بروح الحكمة والفهم . ويوفّق مشروعنا هـذا العظيم حتى النهاية ... وعليه نأمر ان يقام زياح القربان الاقدس في كنائس طائفتنا كلّها في كلّ احد وعيد منذ وصول منشورنا حتى ختام المجمع .

« أعطي في مدرستنا الاقليريسيَّة بدير الشرفة في ٢٣ تموز ١٨٨٨ وهي الرابعة عشرة لبطريركيّتنا » .

١٠ - جلسات المجمع

انطوى مجمع الشرفة عـلى ٩ جلسات احتفاليّة . افتتحت الاولى في ٢٢ تموز كما قلنا . ثم جعل الاساقفة يجتمعون كلّ يوم مرّة او مرّتين ويتباحثون في ما يجب عرضه وتقريره في الجلسات الرسميّة .

وفي ٢٦ تموز اقبل الموظفون واحداً فواحداً وأقسموا انهم يحفظون السرّ في كلّ ما يقرّرونه او يبتّونه او يتكلّمون عنه .

وصباح الاحد ١٩ آب عقدوا الجلسة الثانية وهم متّشحون بحللهم وجلس كلّ منهم كالمرّة الاولى في محلّه . واحتفل المطران قرلّس بهنام بنيّ بالذبيحة الالهيّة ثم تلوا الاستغاثة بالروح القدس ونهض القس موسى سركيس رئيس الدير وسأل القاصد الرسوليّ ان يأمر بتلاوة القسم الاول من مراسيم المجمع وهو يشتمل على ٧ فصول فتلاها القارىء كلمة فكلمةً : ولمـّا انتهى من تلاوتها نهض رئيس الدير ثانيةً وخاطب الآباء قائلًا : هل ترضون بما قُرِيءَ على مسامعكم ؟ فقال كلٌّ بدوره « نعم أَرضى » . ثم أمضوها بخطوط ايديهم وختمها القاصد الرسوليّ . ثم فُتحت ابواب البيعة وعاد الآباء بالاناشيد الى قاعة الدير .

وعُقدت الجلسة الثالثة الاحتفاليَّة عـلى النسق المشروح آنفاً مساءَ الاثنين ٢٧ آب وقرأ القارىء الباب الثاني فالثالث فالرابـع من مراسيم

المجمع . وبعد ذلك نهض رئيس الدير وعرض على الآباء فوافقوا وامضوا اسماءهم كالسابق وعاد كلٌّ الى غرفته .

وعُقدت الجلسة الرابعة الاحتفاليَّة مساء الخميس ٦ ايلول كالمرَّات السابقة وقُرئت المراسيم المنوطة بالاسرار السبعة فوافق عليها الآباء كافَّة ثم عاد كلٌّ الى غرفته .

وعُقدت الجلسة الخامسة الاحتفاليَّة مساءَ الاحد ١٦ ايلول وانطوت على ما يتعلَّق بسرّ التوبة وسرّ المسحة والكهنوت الخ وفي خاتمة الجلسة وقَّع الآباء كالسابق امضاءهم وعاد كلٌّ الى غرفته

وعُقدت الجلسة السادسة الاحتفاليَّة يوم الجمعة ٢١ ايلول .

وعقدت الجلسة السابعة الاحتفاليَّة يوم الاربعاء ٢٦ ايلول فوافق الآباء على ما تقرَّر في كلتيهما . واجمعوا في هذه الجلسة السابعة على ترقية الخوري بطرس طوبال الآمديّ تلميذ دير الشرفة الى الرتبة الاسقفيَّة . وصباح ٣٠ ايلول ١٨٨٨ قام البطريرك الانطاكي بحفلة السيامة يوآزره رهط الاساقفة وسماه « ماروثا بطرس » ونادى به مطراناً لميافرقين ونائباً بطريركيًّا في دياربكر . فكانت حفلة ممتازة نادرة حضرها اساقفة الملَّة ولفيف آباء المجمع وهنأوا المطران الجديد بما احرزه من الشرف الوسيم مكافاة له على غيرته الرسوليّة واتعابه الكهنوتيَّة .

وعُقدت الجلسة الثامنة الاحتفاليَّة مساءَ الاثنين ٨ تشرين الاوَّل والجلسة التاسعة الاحتفاليَّة مساء السبت ١٣ الشهر عينه ووافق الآباء على كلّ ما تقرَّر وختموه وختم القاصد الرسوليّ ذلك كلَّه بتوقيعه . وصباح ١٤ تشرين الاوَّل احتفل البطريرك المغبوط بالقداس ورقَّى في اثنائه القس موسى سركيس رئيس الدير الى رتبة خورفسقفوس وهنّأه الاساقفة برتبته الجديدة .

١١ – ختام المجمع

بعد ذلك كله فتحت ابواب الكنيسة فدخل الكهنة والتلامذة وجمهور المؤمنين وألقى البطريرك الانطاكيّ خطبة الاختتام وافتتحها بقوله : « ها قد بلغنا بجمعنا هذا والمنّة لله تعالى الى حسن الختام على اتمّ اتفاق وسلام . ذلك فضلٌ من الله عزّ وجلّ . وهو دليل قاطع على ما انطويتم عليه ايها الاحبار الاجلّاء اخوتنا بالرب من روح التقوى والمحبّة المسيحيّة والاعتصام بعروة الايمان القويم والغيرة المقدّسة . وقد ازمعنا ان نعود الى ابرشيّاتنا ونشاهد اولادنا الرعيّة المحبوبة ونحن فارحون بفوزنا بالمراد ... » .

ثم نهض المطران ربولا افرام رحماني وطرح تسعة اسئلة على الآباء اجابوا عليها باجمعها بالرضا والقبول . وسجلها المطران ماروثا بطرس طوبال مسجِّل المجمع . ونهض البطريرك ونهض الاساقفة معاً وانشدوا التسبيحة ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪܘܡܐ الطقسيَّة . وختمها القاصد الرسولي بمنح البركة البابويّة . وعادوا جميعاً الى قاعة الدير ما بين الترانيم السريانيَّة وقرع النواقيس .

١٢ – عريضة الآباء الى الحبر الاعظم

ثم رفع أحبار المجمع عريضة مفعمة من عواطف الخضوع والحبّ والاخلاص والشكر الى الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر ملتمسين من قداسته ان يؤيّد بسلطانه الرسوليّ كلّ ما قرّروه في مجمعهم . ووقّعوها جميعاً باسمائهم ووقّعها معهم السيّد ماروثا بطرس الاسقف الجديد وارّخوها في ١٣ تشرين الاول ١٨٨٨ وكتبوا بالتاريخ عينه والمعنى نفسه كتاباً الى نيافة الكردينال سميوني رئيس مجمع نشر الايمان المقدّس وأمضوه بتواقيعهم .

١٣ – جواب الحبر الاعظم

وفي ١٠ ايلول كتب البابا لاون الثالث عشر الى احبار الكنيسة السريانيّة يهنّئهم ويثني على تقواهم وهمّتهم مصرّحاً لهم بقوله : « ... انا نهنّئكم ايّها الاخوة المحترمون لا لانكم نهضتم بعون الله تعالى ومدده بانجاز هذا العمل الضروريّ الجزيل الفائدة الذي كنّا نتوق اليه منذ امد مديدٍ فقط بل لانكم بصنعكم هذا غدوتم مثلاً ساطعاً جلياً تقتدي بكم كنائس الطقوس الغربيّة والشرقيّة أجمع » .

١٤ – عودة الاساقفة الى أبرشياتهم

أطلقنا العنان للقلم في وصف ماجريات المجمع الملّي الذي اشتهر باسم « مجمع الشرفة » . ذلك لان هذا المعهد المبارك تشرّف زهاء ثلاثة اشهر (٢٢ – تموز – ١٦ تشرين الاوّل) باقامة اساقفة الملّة السريانيّة الاجلاء فيه وعلى رأسهم البطريرك الانطاكيّ المغبوط . وقد نهض رئيس الدير الموقّر وكهنته وشمامسته معاً بكلّ ما يلزمهم . واخذ عقدهم ينتثر تباعاً منذ ١٦ تشرين الاوّل . وكان كلّ منهم يودّع الرئيس والكهنة والشمامسة شاكراً لهم أتعابهم ومثنياً على همّتهم .

امّا السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق فقد بقي في الدير يراجع اعمال المجمع وينقلها الى اللغة اللاتينيّة لتعرض على الحبر الرومانيّ .

الفصل الثامن

المطران اقليميس يوسف داود ودير الشرفة

نبهتنا اعمال مجمع الشرفة لنذكر للقارىء الحبيب ما كان للمطران يوسف داود العلّامة الخطير من الصلات المتينة باكليريكيّة الشرفة المباركة . ذلك انه بعدما أنهى دروسه في اكليريكيَّة بروبغندا وحصّل ما حصَّل من ضروب العلوم والمعارف حتى اصبح اسمه الطيب شائعاً ذائعاً على جميع الالسنة في جميع البلدان الشرقيّة والغربيَّة ، وبعدما ارتقى في ٢٥ اذار ١٨٥٥ الى الرتبة الكهنوتيَّة اقبل الى هذا المعهد المبارك في ١٥ آب السنة عينها ومكث زهاء شهرَين يقلّب ما في خزانته من المخطوطات السريانيّة والعربيَّة النفيسة القديمة العهد وينقل عنها ما شاء ان ينقله .

١ – زيارات المطران يوسف لدير الشرفة

وفي السنة ١٨٧٢ كتب القس يوسف داود الى رئيس الشرفة الخوري

ميخائيل ازرق ان يكلّف احد التلامذة لينسخ له كتاب «شرح الاسرار البيعيّة» القديم الثمين الذي استوفينا وصفه في كتابنا «فهرس مخطوطات دير الشرفة»[1].

وبعدما رُقّي القس يوسف داود الى كرسيّ مطرانيّة دمشق بوضع يد البطريرك الانطاكيّ مار اغناطيوس جرجس شلحت في كاتدرائيَّة حلب صباح ٢٠ نيسان ١٨٧٩ وبعدما وصل الى دمشق مركزه الجديد واقام فيه مدّة وجيزة اقبل في خريف السنة عينها الى دير الشرفة واكبّ كالوف عادته على مطالعة المخطوطات ورقّى الهفوذياقون نصري نوري المارديني في ١ تشرين الثاني الى الرتبة الدياقونيّة . ورقّى كذلك بعض التلامذة الى درجات الكهنوت الصغيرة .

وفي السنة ١٨٨٢ عاد ثالث مرّة الى دير الشرفة واقام فيه شطراً من الزمان . ثم حضر عام ١٨٨٨ مجمع الشرفة مع سائر الاساقفة كما فصّلنا في الفصل السابق وظلّ مقيماً فيه حتى ٢٦ تشرين الاوّل يراجع تقارير الآباء وينقل ذلك كلّه الى اللاتينيَّة .

٢ – مرضه الاخير ووفاته

غير ان داء القلب الوبيل جعل يؤلّمه الالم الشديد منذ اوائل السنة ١٨٨٩ واتفق ان المطران ربولا افرام رحماني عاد يوم ذاك من بلاد اوربا . وما ان بلغه خبر مرض صديقه المطران يوسف حتى سارع الى دمشق وجاء به الى بيروت واستحضر جمعيَة أَطباء اشاروا على العليل ان يقصد دير الشرفة ويكفّ عن الدرس والتأليف . فامتثل مشورتهم ووافى الى الدير فرحب به الخوري موسى سركيس وتخلّى له عن غرفته وأوصى الشماس يوسف الهمام ليفرغ كلّ الجهد في ما يعود على المريض العزيز بالراحة والطمأنينة والعافية .

---

(١) صفحة ٧٠ – ٧٧

وفي تلك الغضون قصد دير الشرفة صاحب الغبطة السيد ايليَّا الثاني عشر بطريرك الكلدان (١٨٧٨ — ١٨٩٤) المعروف بالبطريرك عبو اليونان وقضى بضعة ايام بالقرب من صديقه وابن وطنه المطران يوسف داود المحبوب ثم واصل رحلته الى عاصمة الكثلكة ·

تفاقم الداء فعوّل المطران الجليل على العودة الى مركزه في دمشق وغادر دير سيّدة النجاة في ٢٨ حزيران مع بعض الكهنة ووصل الى ابرشيته · وما عتَّم ان عاجلته المنيَّة في ٤ آب ١٨٩٠ مستودعاً روحه النقيَّة بين يدي خالقها . وضمّ جثمانه الى جثمان اسلافه المباركين .ولم تستغرق مطرانيته اكثر من ١١ سنة · تغمّد الله تعالى نفسه بفيضان مراحمه ·

٣ - المطران يوسف داود وتلامذة دير الشرفة

بلغت الكآبة مبلغها من رئيس الشرفة وقسوسها وتلامذتها أجمع وتفجعوا كلّ التفجع لوفاة المطران يوسف داود فخر الكنيسة السريانيَّة وجهبذها الفذّ . فأقاموا لراحة نفسه الزكيَّة جنازاً حافلاً · ثم راحوا يتبارَون في الاعراب عن عواطف قلوبهم ويتنافسون في نظم المراثي في السريانيّة والعربيَّة مستنطعين تلك الخسارة الفائقة الثمن مسترسلين في تقريظ محاسن ذاك الحبر القدّيس المتفرّد بعلمه وفضيلته ·

فقد نظم له مراثي سريانيَّة مؤثرة فريق من تلامذة الشرفة في طليعتهم القس اغناطيوس نوري فالقس ميخائيل القلعتمراويّ وكلاهما ارتقيا فيما بعد الى الرتبة الاسقفيَّة · وماثلهما الخوري منصور سكر والقسّ نعمان بطبوطة الدمشقيَّان والقس بولس بخَّاش الحلبيّ ثم القس بطرس حدّاد الأَنجليّ استاذ اللاهوت يومئذٍ في دير الشرفة .

امّا ناظمو المراثي العربيَّة في فقيد العلم والكنيسة فهم : الخوري بولس دانيال الموصليّ الذي سِيمَ بعد ذلك اسقفاً ثم الخوري يوحنا شاهين الامديّ والخوري الياس سالم الماردينيّ والخوري جرجس ابرهيمشاه الحلبيّ ·

والقسّ ميخائيل دلاّل الدمشقيّ . والقس الياس مصريّ والخوري باسيل ايّوب الحلبيّ والشماس الياس براغيد الحلبي وكلّهم من تلامذة دير سيدة النجاة.

وهذه المراثي المؤثرة مع غيرها من المراثي المختلفة اللغات قد نشرها عام ١٨٩١ العلاّمة الفيكونت فيليب دي طرازي في كتاب عنوانه «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة» . هكذا غدت ذكرى العلاّمة الكبير المطران يوسف داود الطيب الآثار مضمخة بالحب والاجلال عالقةً بالالسن راسخة في القلوب يردّدها القريب والبعيد وسيردّدها جميع عارفي فضله الى ما شاء الله تعالى. ولقد صدق ناشر كتاب «القلادة النفيسة» بقوله:

توارى عن نواظرنا ولكن   جميلُ ثنائهِ في القلب خالِدْ
اذا عن فضله نقبت يوماً   فهذا السفر يعطيك الشواهدْ

وقد سجل المطران يوسف داود في وصيته الاخيرة بعض كتب لدير الشرفة نذكر منها : كتاب العهد القديم طبقاً للنسخة السطرنجيلية التي كانت مصونةً في دير والدة الله بصعيد مصر ثمّ نُقلت الى ميلانو وطُبعت بالمطبعة الحجريّة عام ١٨٧٦ على يد الكاهن تشريياني[١]. ثم كتاب «الشرع القانونيّ» في ١٢ مجلداً وكتاب توماسين في «احوال البيعة القديمة» وهو ٣ مجلدات . وكتاب «الشرع القانونيّ» تأليف فراري في اجزاء شتّى. فهذه الكتب الثمينة قد صرّح بها المطران يوسف داود في وصيته الاخيرة بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٩ وقرّر ان تكون مُلكاً لدير الشرفة . أثابه المولى تعالى بالمجازاة التي أعدّها للوكلاء الامناء الحكماء المختارين .

(١) راجع كتابنا «السريان في القطر المصريّ» صفحة ٥٣ و٥٤

الفصل التاسع

مشاريع الخورفسقفوس موسى سركيس في دير الشرفة

١ – اعماله

اوجزنا الكلام في الفصل السادس من هذا القسم عن هـذا الرئيس الفاضل . والآن نستأنف الكلام عمّا صنعه خلال رئاسته من المشاريع والاعمال الجليلة . فقد رقّاه البطريرك الانطاكي الى رتبة خورفسقفوس في ١٤ تشرين الاول ١٨٨٨ وجدّد له الرئاسة على دير سيدة النجاة باعثاً في قلبه روح الغيرة على مصلحتيهِ الدينية والعمرانية .

واول ما وجّه اليه هذا الرئيس الهمام فكره انه ابتنى غرفةً عالية فسيحة لمنام التلامذة جاءت من أحسن ابنية الدير وأفخمها . واضاف الى ذلك انه شيد قاعةً كبرى في شمالي الغرف القديمة في الدَور التحتانيّ . وافرغ كلّ مكنته في تعزيز الارزاق وتوفير دواعي الراحة والطمأنينة للتلامذة اذ كان يحرص كلّ الحرص على صحتهم وعلى دروسهم ويتفانى في خدمتهم نهاراً وليلًا لا يبخل عليهم بشيء حتى يبلغوا غايتهم المقدسة .

وثابر الخوري موسى عـلى خطته هذه السويّة الشريفة حتى السنة ١٨٩٣ فوجهه البطريرك اغناطيوس بهنام بنيّ الى القدس الشريف بمثابة نائبٍ بطريركيَ . فنهض بتلك الوظيفة نهوضاً حسناً واستحقّ ثناءَ ابي الطائفة المغبوط وشكر الملّة جمعاء .

٢ – افرام بطيخة الحلبيّ

وفي عهد رئاسة الخوري موسى سركيس قدم من القاهرة الى دير الشرفة افرام بن جرجي بطيخة الحلبيّ . فاستقبله الرئيس بكل ترحاب وهشاشة في ١٨ حزيران ١٨٩١ وأعدّ له غرفة خصوصيَّة . فسرّ افرام بمعاملة الرئيسِ

ودفع له ٨٠ ليرة انكليزية وساعةً ذهبيةً وثلاث « ثريات » كبيرة جميلة زيّن بها كنيسة سيدة النجاة . ولبث افرام مقيماً في الدير حتى ١٢ ايّار ١٨٩٢ فغادره محفوفاً بالتكريم والمحبة . وردّ له الرئيس الجليل ساعته الذهبيّة والثمانين ليرة . امّا « الثريات الثلاث » فقد وهبها افرام هبةً مجانيّة لبيعة سيدة النجاة . وجرى ذلك بحضور المطران ثاوفيلس انطون قندلفت وشهادة الاب ميخائيل نجاش والخواجا ميخائيل جرجس موصلي . هكذا نزل افرام الى بيروت وتولّى خدمة كنيسة مار جرجس بمثابة قندلفت حتى اخترمته المنيَّة ووقف لها كلّ ما جنته يمينه . وتوفّاه الله تعالى بشيخوخة صالحة في ٢٠ ايّار ١٩١٧ بالغاً التسعين من سنيّه رحمه الله تعالى .

الفصل العاشر

كهنة دير الشرفة من السنة ١٨٨٦ — حتى السنة ١٨٩٣

١ – الخورفسقفوس يوحنا حمصي (١٨٨٦ – ١٩٣٠)

وصل عام ١٨٧٩ الى دير سيدة النجاة واقام سبعة اعوام مواظباً على الدرس حتى صار قسيساً في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٦ بوضع يد المطران انطون قندلفت في كنيسة بيروت . وخدم النفوس في بيروت وفي القاهرة

ثم عاد الى لبنان وتوفّي في جونية في ٢٤ آب ١٩٣٠ ونُقل جثمانه الى دير الشرفة وضُمّ الى رفات الكهنة في المدفن الجديد غربيّ الكنيسة ·

٢ - الخورفسقفوس انطون قرواني (١٨٨٨ - ١٩٣٠)

وافى هذا الخوري الورع الى دير الشرفة في سنّ الكهولة فاقامه السيد البطريرك وكيلًا على الارزاق في ساحل جونية · وفي حزيران ١٨٨١ استصحبه البطريرك الى ماردين فراقب هناك العملة في تأسيسهم دير مار افرام · ثم عاد مع البطريرك في ١ ايلول ١٨٨٢ الى حلب ومنها شخص الى دير الشرفة وجعل يدرس اللغة السريانيَة حتى ٢٨ حزيران ١٨٨٨ فرقاه البطريرك الى رتبة شمَاس وفي ٢٥ تشرين الاول ١٨٨٨ سامه قسيساً وجدد له الوكالة على عقارات دير الشرفة وقد قام القس انطون بتلك الوكالة بكلّ حرص وامانة · وفي ١٥ شباط ١٨٩٥ رقاه البطريرك اغناطيوس بهنام بنيّ الى رتبة خورفسقفوس · وظلّ هذا الخوري التقيّ مواصلًا عمله في جونية حتى توفاه الله تعالى في مستشفى راهبات المحبّة ببيروت في ٢٥ تموز ١٩٣٠ ونُقل رفاته الى دير الشرفة ولُحِد في مدفن الكهنة ·

٣ – القس ميخائيل دلّال الدمشقي (١٨٨٨ – ١٨٩٧)

قدم من دمشق الى دير الشرفة في ٢٣ كانون الثاني ١٨٨٠ وعمره يومئذٍ ١٣ سنة . وامتاز بذكائهِ ونجابته فاكبّ على اقتباس العلوم حتى احرز منها نصيباً جيداً ٠ وفي ٢٠ تموز ١٨٨٨ رقّاه البطريرك جرجس المغبوط الى الرتبة المقدّسة في كنيسة سيدة النجاة ٠ ثم انطلق الى دمشق وقام بخدمة راعيهِ الجليل المطران اقليميس يوسف داود ونظم مرثية سريانيَّة في تعداد مناقبه على اثر وفاته عام ١٨٩٠ ختمها بقوله : ܛܘܒܘܗܝ ܕܪܥܝܐ ܫܡܗ ܡܫܒܚܐ ܘܡܫܝܚܐ ܠܐܠܗܐ. ܘܫܡܗ ܕܐܝܬܘܗܝ ܦܫܛ ܛܘܒܢܐ ܠܟܠܗ ܥܕܢ . غير ان زهرة حياته الكهنوتيَّة ذبلت قبل ان تتفتح فلم تستغرق اكثر من ٩ اعوام فتوفّي كهلًا في ٢٧ كانون الثاني ١٨٩٧ رحمه الله تعالى .

وخلّف القس ميخائيل دلّال قاموساً سريانياً عربياً نسخه عام ١٨٨٣ في دير الشرفة ينطوي على ٦٩٩ صفحة ما برح محفوظاً في خزانة الدير ما بين المخطوطات[1] ٠ وقد سبقنا فتكلّمنا (ص ٢٥) عن جدّه وعن والده القس حنّا الذي خدم النفوس في قرى دمشق السريانيَّة وسيأتيك الكلام

(١) فهرس المخطوطات صفحة ٢٤٩

بعد هذا عن شقيقه السيّد قرلّس جرجس دلّال مطران الموصل ان شاء الله تعالى ٠

٤ - القس يوحنا بنابيلي (١٨٨٨ - ١٩١٦)

أبصر النور في ماردين ويّمم دير الشرفة في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٣ وأَحرز من المزايا الكهنوتيَّة حظاً مستطاباً ٠ ثم صار قسيساً في ٧ تشرين الاول ١٨٨٨ بوضع يد السيّد اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكي في بيعة سيدة النجاة مع الخوري انطون قرواني السابق الذكر في غضون مجمع الشرفة المليّ ٠ وبعد هذا عاد الى وطنه وخدم الرعيَّة باخلاص وامانة في قرى ماردين ولاسيما في دير الزور وخلّف هناك ذكريات صالحة ٠

وفي ١٠ حزيران ١٩١٥ استاقه الاتراك والاكراد مع قافلة ثانية من النصارى الى دياربكر واطلقوا عليه رصاصةً اصابته في فخذه وظلّ يتألم منها حتى تموز السنة ١٩١٦ ففاضت نفسه بيد خالقها ٠ ودفن في دير مار افرام بماردين[1]

وامتاز هذا القسيس الوقور بدماثة الخلق وطيب السيرة والسريرة ٠ وجاد عليه الرزّاق الكريم بصوت عذب رخيم ٠ فكان يزيّن الكنيسة

(١) القصارى في نكبات النصارى : صفحة ٢٦٢

باناشيد حلوة تدعو المؤمنين الى الخشوع والعبادة . واقتنى مكتبة عامرة انطوى اغلبها على مطبوعات عربيَّة نادرة وثمينة . الّا انها تفرّقت ايدي سبا بعد وفاته رحمه الله تعالى .

٥ ــ القس بطرس عبدالاحد الحلبي (١٨٩١ ــ ١٩٤٦)

يتحدّر هذا القسيس التقيّ من أُسرة عبدالاحد السريانيَّة الحلبيَّة التي انتمى غير واحد من رجالها الى الطائفة المارونيَّة وتقلبوا في المناصب الرهبانيَّة وامتازوا بفضائلهم وجهودهم . وقد اكمل القس بطرس دروسه في دير الشرفة وصار قسيساً في ١٥ آب ١٨٩١ وخدم النفوس بضعة اعوام في ابرشيَّة حمص وحماة . ثم قضى مدّة في دير الشرفة وفي جونية وعاد بعد ذلك الى حلب وطنه . وثابر على اعماله الكهنوتيَّة بالبساطة والقناعة وخوف الله تعالى حتى اخترمته المنيَّة عام ١٩٤٦ رحمه الله تعالى .

٦ ــ الخورفسقفوس الياس سالم الماردينيّ (١٨٩١ ــ ١٩٤٤)

يقصر اللسان عن وصف ما تحلّى به هذا الخوري الورع الفاضل من المزايا الكهنوتيَّة وأخصها الامتثال لاوامر الرؤساء والاجتهاد في غرس جذور الفضائل في النفوس المسيحية . فقد قدم الى دير الشرفة مع القس

حنا بنابيلي السابق الذكر في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٣ واعتكف ثمانية اعوام على اقتباس العلوم الكهنوتية حتى تشبع منها وارتقى الى الرتبة المقدّسة في كانون الاوّل ١٨٩١ بوضع يد البطريرك جرجس المغبوط وعاد الى ماردين وطنه وتولّى خدمة الرعية . وامتاز بمواعظه الزاجرة المفيدة اذ كان يلقيها في كنيسة ماردين الكبرى فيتقاطر المؤمنون افواجاً الى استماع كلام الله تعالى من فمه ثم يتحدّثون بعباراته وتعاليمه في دورهم.

ومن مساعي الخوري الياس المشكورة تفانيهِ في سبيل المشتركين في اخويّة « دم يسوع » العامرة . فكان يلقي عليهم نصائح تقويّة ويمرّنهم على التسابق في الاعمال الصالحة حتى اصبحوا قدوةً حسنةً للقريب والغريب .

وتولّى الخوري الياس زماناً صندوق البيعة وصندوق الفقراء فأبدى في كلّ مواقفه شهامة وامانة وغيرة ممتازة اكسبته شكر الجميع وثناءهم. وفي السنة ١٨٩٨ رقّاه السيد اقليميس يوحنا معمارباشي النائب الرسوليّ الى رتبة خورفسقفوس مكافأة له على تفانيه واخلاصه . وفي السنة ١٩٠٨ شخص الى بيروت وأُجريت له عمليَة جراحيَّة أنقذه الله القدير من اخطارها . ثم استجمع قواه وانطلق بأمر السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الى دير الزور ١٩٠٩ وقام هناك بخدمة الرعيَّة قيام المجاهد الهمام ودافع عن ابناء رعيّته دفاع الابطال ولاسيما في غضون الحرب الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) ولمّا وضعت تلك الحرب القاسية اوزارها وجّه الخوري الياس قواه الى تزيين الكنيسة وابتنى لها مذبحاً من الرخام لطيفاً أنفق عليه وعلى زينته اكثر من ٣٦٠٠٠ فرنك . واحتفل بالذبيحة الالهيّة على مائدتهِ اوّل مرّة صباح خميس الاسرار ١٩٢٧ وكان الجنود الفرنسيون المقيمون هناك يتقاطرون الى كنيسته ليكملوا فريضة حضور القدّاس . وقضى هذا الاب الهمام في تلك المدينة عشرين سنة يصطنع الخير والاحسان عند الجميع . ثم اقبل الى بيروت وتوسّل الى صاحب الغبطة ان يُعفيه من خدمة الرعيَّة بسبب ما احاق به من الضعف وانحطاط القوى فأطلق له الحرية وانطلق

الى دمشق الشام وشارك خوارنتها في خدمة الانفس حتى فاضت روحه بيد خالقها في ١٨ نيسان ١٩٤٤ ودفن ضمن كنيسة دمشق الكاتدرائيّة. تغمّد الله تعالى نفسه بغزير رحماته .

٧ – القس انطون عيسى الزيدلي (١٨٩٢ – ١٩٢١)

قدم القس انطون عيسى في شرخ شبابه الى دير الشرفة بالغاً الثانية والثلاثين من سنّه . واستقبله رئيس الدير الخوري موسى سركيس عام ١٨٩١ وضمه الى الشمامسة الكبار يتلقن شيئاً من علم اللاهوت الادبيّ . وفي ١٠ نيسان ١٨٩٢ رقّاه المطران انطون قندلفت الى رتبة القسوسيَّة في كنيسة مار جرجس ببيروت . ثم توجّه القس انطون الى زيدل مسقط راسه وظلّ يخدم النفوس حتى ادركته الوفاة في ٥ تشرين الاوّل ١٩٢١ بالغاً الثانية والستين رحمه الله تعالى .

٨ – القس نعمان بطبوطة الدمشقيّ (١٨٩٢ – ١٩١٧)

أكمل علومه في دير الشرفة ونبغ خصوصاً في الخطّ السريانيّ اللّطيف فنسخ عدّة كتب طقسيّة ومدرسيّة اطّلعنا على بعضها فالفيناها من اجمل الخطوط السريانيّة واظرفها. وخدم النفوس في دمشق تارة وطوراً في ضواحيها حتى ادركته المنون عام ١٩١٧ وكانت حياته الكهنوتية ٢٥ سنة وكانت سيامته في ٦ تشرين الاوّل ١٨٩٢ رحمه الله تعالى .

٩ – القس بولس بخّاش (١٨٩٣ – ١٩٢٥)

وُلد في ٣٠ تموز ١٨٧٠ ودخل دير سيدة النجاة في ٧ ايلول ١٨٨٥ ونُصب قسيساً في ١١ حزيران ١٨٩٣ واقام ثلاثة اعوام في الدير يلقي الدروس السريانيَّة على التلامذة · ولمَّا كانت السنة ١٨٩٦ غادر الدير الى حلب مسقط راسه ومكث ثلاثة اعوام يعالج الاشتراك مع خوارنة الرعيَّة فلم يفلح · وخدم النفوس مدّة ستة اشهر في حماة عام ١٩٠٢ وبعد هذا اتّفق مع القسّ بولس قصار تلميذ البروبغندا وانطلقا معاً الى اميركا · وهناك لفظ روحه عام ١٩٢٥

١٠– الخورفسقفوس منصور سكّر الدمشقيّ (١٨٩٣ –)

هو منصور بن يوسف بن سكّر أبصر النور في دمشق في ٢٨ تشرين الاوّل ١٨٧٠ واحتضنته الشرفة في ٦ تشرين الاوّل ١٨٨٤ وقضى اعوام التلمذة سائراً سيرةً فاضلةً مرموقاً برضا رئيسه محبوباً من التلامذة اقرانه· وبعدما استكمل علومه عاد الى دمشق وطنه فرقّاه السيد اقليميس يوحنا معارباشي راعي الابرشيَّة الى رتبة دياقون وعيَّنه معلّماً لمدرسة راشيَّا·

ثم نصبه كاهناً في ٦ آب ١٨٩٣ وظلّ يخدم تلك الرعيَّة المباركة ويدرّس الطلبة حتى السنة ١٨٩٩ وافرغ الجهود في نقل حجار بيعة مار الياس التي ابتناها الشيخ غندور سعد الخوري[1] وابتنى بها « تصوينة » فسيحة لكنيسة مار موسى وغرس فيها اشجار التوت والزيتون .

وفي السنة ١٩٠٠ استدعاه الى دمشق راعيها السيد اقليميس ميخائيل نجّاش واتخذه كاتباً لسرّه وعيَّنه عام ١٩٠٣ خادماً للنفوس ومرشداً لابناء اخوية الحبل بلا دنس ولبنات اخويّة الورديّة . ومشرفاً على الاوقاف .

وفي ٢٠ كانون الاول ١٩٠٤ شخص الى زحلة واستكتب السريان المقيمين فيها مضبطة رفعها الى المقام البطريركي في بيروت يلتمسون انشاء كنيسة لهم . واقتنى هناك ارضاً لتلك الغاية المقدسة وعاد الى دمشق في ١٢ شباط ١٩٠٥ ثم توجه الى حماة بأمر السيد البطريرك واتفق مع الخوري عبدالله كسيح الذي انضم الى الكنيسة الكاثوليكة على مشترى ارض لبناء الكنيسة .

وفي كانون الاول ١٩٠٦ تفشى داء الجدري في دمشق واصيب به القس منصور عندما كان يتلو صلاة الجناز على ابنة توفيت بذلك الداء واستمرّ يعاني مشقة الآلام زهاء شهرين حتى شفاه المولى . ثم افتقده الرب في ١٠ تموز ١٩١٦ بمرض « تسمُّم الكبد » فكابد العذاب مصطبراً مستسلماً لاحكام الرب حتى زال الخطر عنه . وطالما قضى هذا الاب الهمام الليالي الطوال في كتابة الرسائل والعرائض الى راشيا وقطنة وقلعة جندل وسائر الابرشيات في سبيل تعزيز الابرشية الدمشقية .

وفي ٢٤ تموز ١٩٣٢ كتب اليه السيد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط ان يتولّى النيابة على ابرشية دمشق وينهض بمعاونة راعيها الجليل السيد غريغوريوس بطرس هبرا . ذلك لسبب ضعفٍ شمله واقعده

(١) راجع هذا الكتاب ٥٥

عن تتبّع اعماله الرسولية . والى القارىء نص توليته تلك النيابة :

« نهدي البركة الرسولية والسلام والحبّ بالربّ يسوع الى حضرة ولدنا العزيز القس منصور سكر الموقّر حرسه المولى .

« كتب الينا سيادة الاخ الجليل المطران غريغوريوس بطرس هبرا راعيكم الجزيل الاحترام بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٣١ يسألنا بالحاح ان نعين لسيادته معاونا يقوم بادارة شؤون الابرشيَّة الدمشقيّة الروحيَّة والزمنيَّة . بناءً عليه اضطرّتنا احوال صحته ان نعيّنكم معاوناً له تنوبون عنه في ادارة الابرشية بما منحكم الله تعالى من حكمة وغيرة ومحبة . فنوصيكم قبل كل شيءٍ وصيةً شديدة ان تبذلوا قصاراكم في كل ما يعود على راعي الابرشية المفضال بالراحة والطمأنينة . وتقوموا بكل ما يحتاج اليه في درء الضعف عنه واستجماع قواه . وتنفقوا عليه من مال الوقف المختص بالكرسي الدمشقي كل ما لا بد منه صيانة لكرامته الاسقفية . وتبدوا له من شواعر الاحترام والاكرام ظاهراً وباطناً ما يستحقه مقامه الجليل .

« وعربوناً لمودتنا الابوية نهدي اليكم في الختام البركة الرسولية والسلام والحب بالرب يسوع

اغناطيوس جبرائيل تبوني

البطريرك الانطاكي »

وفي ايلول ١٩٣١ رقاه السيد البطريرك في كنيسة مار اغناطيوس الشهيد ببيروت الى رتبة خورفسقفوس . وقد نهض حرسه الله تعالى بخدمة راعيه المحبوب حتى لبَّى دعوة ربّه في ٢١ اذار ١٩٣٣[١]

وثابر الخوري منصور على خدمة الرعية الدمشقية حتى ١٦ ايلول ١٩٤١ فاستعفى بسبب ضعف بصره .

ولسنا ننسى اهتمام هذا الخورفسقفوس الجليل بتنظيم سجلات المطرانية

---

(١) اطلب كتابنا « اجمل زهرة في حديقة آل هبرا » صفحة ١٤٦ و١٤٧

الدمشقية وضبطها اهتماماً يستحق لاجله كل ثناء وشكر . وطالعنا له مرثية سريانية في تعداد مناقب المثلث الرحمات السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق نظمها يوم كان تلميذاً في الشرفة هذا مطلعها :

[illegible] (١)

الفصل الحادي عشر

رئاسة المطران يوليوس باسيل قندلفت (١٨٩٣ ـــ ١٨٩٥)

تولّى المطران باسيل رئاسة دير الشرفة اوّل مرّة سنة كاملة (١٨٨٥ — ١٨٨٦) كما ذكرنا . ثم نُصب رئيساً مرّة ثانية بعد ارتقائه الى الرتبة الاسقفية السامية في ٢٤ كانون الاول ١٨٩٣ بوضع يد شقيقه السيد ثئوفيلس انطون قندلفت تلميذ دير الشرفة في كنيسة مار جرجس ببيروت . ذلك بتفويض من البطريرك مار اغناطيوس بهنام بنّي المغبوط . وقد نهض المطران باسيل بادارة الاكليريكية نهوضاً مشكوراً .

---

(١) القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة : تأليف الفيكنت فيليب دي طرازي ١٣٤

ويطيب لنا ان نذكر زيارة فخامة متصرّف جبل لبنان نعوم باشا (١٨٩٢ — ١٩٠٢) الحلبي لدير الشرفة في ايلول ١٨٩٤ تسبقه فرقة من الخيّالة اللبنانية ويصحبه فريق من اقطاب متصرفيّته ومشايخ آل الخازن. فقرعت نواقيس الدير ونواقيس سائر القرى المجاورة . وخرج الاهالي الى استقباله . ورحّب به المطران باسيل ابن وطنه ولفيف الكهنة والشمامسة والتلامذة اجمل ترحيب . واقام له شبّان درعون وحريصا وبطحا وغوسطا «عراضة» مهيبة دلّت على اخلاصهم واجلالهم لفخامته . فسرّ نعوم باشا بما لاقاه من آيات الحفاوة والتكريم واستمرّ مدة طويلة في الدير يتجاذب اطراف الحديث مع الرئيس الجليل ومع كهنة الدير وشمامسته الحلبيين ثم زار الشيخ حصن الخازن والاديار المجاورة وعاد الى مركزه .

وفي السنة ١٨٩٥ انتقل المطران باسيل الى القطر المصري وانشأ في القاهرة عام ١٨٩٦ جمعية خيريّة اثمرت ثماراً شهية . وفي ٧ ايلول ١٨٩٦ قدم الى دمشق وتولى النيابة البطريركية حتى السنة ١٩٠٠ فاستعفى وعاد الى دير الشرفة وقضى فيه اواخر حياته حتى لبّى دعوة ربّه في افتتاح السنة ١٩١٤ بالغاً الثالثة والستين ولُحد في مدفن شقيقه المطران انطون تغمّد المولى نفسيهما بغزير رحماته .

على انه خلال رئاسه المطران باسيل على دير الشرفة كتب الخورفسقفوس افرام احمردقنه رئيس دير مار افرام بماردين الى نيافة الكردينال لودغوفسكي يلتمس منه ان يأمر بتحويل واردات ارزاق دير مار افرام المشار اليه ليتمكن من النهوض بعيشة رهبانه . فكتب الكردينال المشار اليه بتاريخ ٤ كانون الاول ١٨٩٤ الى المطران باسيل رئيس الشرفة رسالةً هذا تعريبها :

«. . . ان رئيس دير مار افرام الذي اسّسه البطريرك اغناطيوس جرجس شاحت في ماردين رفع الى هذا المجمع المقدّس عريضة يلتمس ان تفصل واردات دير الرغم المحولة الى اكليريكية الشرفة بصورة مؤبدة . و

انه يقتضي التدقيق في هذه القضية وتقريرها في جلسة عمومية طبقاً لامر الاب الاقدس لذلك اطلب من سيادتك ان تطلعني على التعليمات اللازمة وهي :

« ١ً – ما هو اصل هذه الاملاك والى مَن كانت عائدة ؟ ٢ً – ما هي ايراداتها وتقديرها على وجه التخمين ؟ ٣ً – ما هي واردات الشرفة بالضبط اذا فُصلت عنها واردات دير الرغم وهل في امكانها النهوض بنفقاتها الحاضرة ؟ ٤ً – ما هي حالة دير مار افرام بماردين ؟ » .

وغير خافٍ ان الاب الاقدس البابا لاون الثالث عشر سبق فامر عام ١٨٨٤ بتحويل جميع واردات دير مار افرام الرغم الثابتة والمنقولة الى اكليريكية الشرفة . وقد ورد التصريح بهذا الامر في الباب الثاني من قوانين دير الشرفة وعنوانه : « في ارزاق المدرسة الثابتة والمنقولة » هذا نصه :

« ان هذه المدرسة والحالة هذه تتناول غلّات واثمار الارزاق الثابتة الموقوفة على اسم دير الشرفة من قديمة وحديثة والغلّات والاثمار الموقوفة على دير مار افرام الرغم وتصرفها على لوازمها . ذلك منذ خلا دير مار افرام الرغم من الرهبان الناذرين بسبب الثورات التي حدثت في لبنان سابقاً . على ان الكرسي الرسولي المقدّس رسم مؤخراً مذ صادق على هذا التعامل بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٨٨٤ ان تُصرَف غلّات واثمار الديرَين المذكورين على احتياجات هذه المدرسة ولو كانت ارزاقها الثابتة في الاصل ليست بمربوطة على هذه النية . وانما قرر ذلك نظراً الى خير الطائفة حالاً مع امكان تقرير وجه آخر لصرف الاثمار المذكورة فيما بعد بما يكون أفيد لخير الطائفة ونجاحها . وبناءً عليه نقول . . . لا يُباع البتة من ارزاق الديرَين المذكورَين شيء لاجل ايَّة ضرورة كانت ولا يُرهن عند احد شيء منها فان ذلك ممنوع على الاطلاق .

« واذا وُجد ما بين ارزاق الديرين المذكورَين ما تدعو الضرورة

او زيادة المنفعة لاستبداله بما هو أفيد واوفر غلة واحسن حالاً فبعد تقرير ذلك من رئيس الشرفة بشهادة اهل الخبرة الخالين من الغرض وعرض الكيفية على السيد البطريرك يمكن ان يُجرى شرعاً هذا الاستبدال ·

« ولا يؤجر رئيس الشرفة أرزاق الديرين المذكورَين الا سنة بعد سنة · واذا قضت الضرورة ان تؤجر الى حدّ ثلاث سنوات لا اكثر فعلى الرئيس ان يسبق ويستأذن في ذلك السيد البطريرك مبيناً له الاسباب ··· »

الفصل الثاني عشر

كهنة دير الشرفة عام ١٨٩٤

١ - الخورفسقفوس باسيل ايوب الحلبي (١٨٩٤ -)

رُزق هذا الاب الفضيل ذكاءً مفرطاً وعلماً واسعاً وادباً جماً · واتفق ان الخوري يوسف معمار باشي رئيس دير الشرفة عاد من ماردين وطنه ومرّ بحلب في اواخر تشرين الاول ١٨٨٣ فسارع الفتى عبدالله بن فتح الله بن يوسف ايوب وخدم قدّاسه ورتّل رسالة القديس بولس ترتيلاً محكماً أدهش الخوري يوسف فاستدعاه عند نهاية القداس وسأله قائلاً : « ابن

من انت يا فتى ؟ » قال عبدالله « انا ابن فتحالله ايوب » . قال الخوري « في اي كتاب قرأت الرسالة ؟ » بادر عبدالله واحضر مخطوطة ممزقة مكتوبة بحروف كرشونية وخط سقيم ودفعها اليه . فازداد دهشه به وعرض عليه ان يرافقه الى دير الشرفة . فابتهج عبدالله وسارع الى والديه واستأذنهما فتمنعا ولاسيما لان ابنهما جبرائيل كان قد سبق شقيقه الى الدير المشار اليه . غير ان الحاح عبدالله اضطرّ الوالدين لقبول الحاحه وهكذا سافر مع الرئيس وبعض الشبان[1] صباح عيد جميع القديسين ووصلوا في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٣ الى دير سيدة النجاة بالشرفة :

وُلد الخورفسقفوس باسيل بن فتحالله بن يوسف ايّوب في ١ حزيران ١٨٧١ واصطبغ بمياه المعموديّة في ١٥ الشهر عينه وكان اسمه كما قلنا عبدالله . وما ان بلغ الاكليريكية حتى اعتكف على الدرس والمطالعة واحكم السريانية والعربية ورقاه البطريرك جرجس شلحت المغبوط عام ١٨٨٨ الى رتبة رسالي . وفي تشرين الثاني ١٨٩١ رقّاه المطران انطون قندلفت الي رتبة دياقون ثم سامه المطران يوليوس باسيل قندلفت قسيساً في ٢٤ حزيران ١٨٩٤ وسماه باسيل باسمه .

واقام القسيس الجديد في دير الشرفة يلقي اول بدء الدروس السريانية والعربية على التلامذة . ثم تولّى تعليم اللاهوت النظري والادبي حتى آب ١٨٩٨ فسافر مع المطران باسيل الى ماردين وحضر مجمع الاساقفة الذي اسفر عن انتخاب السيد ربولا افرام رحماني مطران حلب للكرسي الانطاكي . وعند ذلك اصطفاه البطريرك المغبوط كاتباً لسره . وعاد معه عام ١٩٠٠ الى حلب ونصبه مديراً المدرسة الطائفية وناظراً للاوقاف ومرشداً للشبان . ثم تولّى خدمة الرعية ومنبر الوعظ في كاتدرائية حلب .

وصباح احد الشعانين ٢٠ اذار ١٩٢١ رقّاه السيد ديونيسيوس جبرائيل

---

(١) راجع هذا الكتاب ٣٠١

تبوني الجلبل الى رتبة خورفسقفوس . ثم فوّض اليه السيد ديونيسيوس حبيب نعساني رئيس اساقفة حلب المفضال في ١٥ ايار ١٩٣٢ النيابة العامة ورئاسة المحكمة الكنسية . فنهض بكلتا الوظيفتين نهوضاً شريفاً مدة ١٥ عاماً . وعلى اثر ذلك استعفى من رئاسة المحكمة الكنسية وظلّ مستشاراً يقصده الكثيرون في حل مشاكلهم نظراً الى خبرته وتضلعه من الاصول الفقهيّة .

وقد اجمعت ابرشية حلب على الاحتفال بيوبيله الكهنوتي الذهبي في ٢٧ حزيران ١٩٤٣ احتفالًا جميلًا . وقلّده امين سر المحافظة يومئذٍ نوط الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية بأمر فخامة عطا بك الايوبي رئيس الجمهورية السورية مكافاة لجهوده في تثقيف الناشئة والشبيبة مدة تربي على نصف قرن .

ويُعَدّ هذا الخورفسقفوس الفاضل من أنجب تلامذة دير سيدة النجاة ومن جهابذة اساتذة اللغتين السريانية والعربية وقد قرأنا عليه نحن تينك اللغتين مدة ثلاثه اعوام (١٨٩٥ — ١٨٩٨) . وهو علاوةً على ذلك ملمّ بالفرنسيّة والايطالية . وقد نقل عنهما بعض روايات مثّلها تلامذة الشرفة نذكر منها رواية « الملك باسيل عاهل بوزنطية ». ورواية « الشهيد توما مورس » . ورواية « الشهيد بنقراتيوس » . ورواية « ديستكل » .

وللخورفسقفوس باسيل آيوب اليد الطولى في نظم الشعر العربي وقد جمع غرر قصائده الوافرة في كتاب عنوانه « المقترحات » لا يزال مخطوطاً . وله كذلك مواعظ تقويّة ضمّنها ما تشتهي النفوس من الفوائد الخلاصيّة وهي تنيف على ٢٠٠ موعظة . وعلى رغم بلوغه السادسة والسبعين ما فتئ ناهضاً باعماله ومتولّياً منبر الوعظ حتى عهدنا .

بقي ان تلميذ الشرفة هذا الوفيّ التقيّ سبق فتلقن في حداثته اصول الانغام السريانية عن البطريرك مار اغناطيوس جرجس شلحت المغبوط . وكان حرسه الله تعالى مساعداً للاب جوليوس جنان البندكتي في ضبط

تلك الانغام بالنوطة الفرنجية مع زميلَيه القس ميخائيل بصَّال والهفوذياقون انطون شبّين الحلبيّين . وسيأتيك ان شاء الله تعالى تفصيل ذلك في القسم العاشر من هذا الكتاب .

٢ – القس الياس مصري الدمشقي (١٨٩٤ –   )

هو الياس بن حنا بن نعمة مصري وُلد في ٢٨ تشرين الاوّل ١٨٧٢ في دمشق . وانطلق عام ١٨٨١ الى مدرسة عين تراز باذن المطوان اقليميس يوسف داود واقام هناك سنتين وعاد بعد ذلك الى وطنه فارسله عام ١٨٨٣ مطرانه الى دير الشرفة باسم الرهبنة الافرامية ، وعند وصوله الى جونية رحّب به الخوري يوسف معمارباشي رئيس الدير واركبه فرسه البيضاء وركب هو بغلة الدير وقصدا الدير معاً . فاكب الياس على احراز المزايا الكهنوتية حتى ٢١ آب ١٨٩٢ فرقاه المطران انطون قندلفت الى الرتبة الدياقونية ونصبه معلماً في بيروت . وفي ٢٢ تموز ١٨٩٤ رقاه الى الدرجة الكهنوتية وهو في السن الثانية والعشرين . وانطلق القس الياس عام ١٨٩٧ الى دمشق ثم توجّه الى حمص ليعاون القس ميخائيل قرقوشي في خدمة النفوس وانتقل بعد ذلك الى النبك . وفي اوائل السنة ١٩٠٢ عيّنه

البطريرك افرام رحماني المغبوط لرسالة حماة فاقام فيها ٣٠ سنة مفرغاً كل مواهبه في انشاء رعية سريانية كاثوليكة فيها . وقد نجح في مهمته نجاحاً تاماً . وفي السنة ١٩١٠ والسنة ١٩٢٠ قصد اميركا وجمع ما جمع من الحسنات لتشييد بيعة ودار ودكاكين في حماة .

ولما تولّى السيد ثئوفيلس يوسف ربّاني الجليل عام ١٩٢٨ ابرشية حمص وحماة دفع الى القس الياس مبلغ ٣٠٠ ليرة ذهبية واستخلص منه تلك الدار والمخازن وسجلها باسم الوقف .

وقد استعفى القس الياس من خدمة الرعية يومئذٍ وجعل يقضي ايامه تارة في حماة وطوراً في دمشق وآونة في بيروت . ومن محاسنه انه اهدى رسوم البطاركة المغبوطين وعددها ١٢ رسماً الى مطرانية حمص وحماة فزين بها السيد ثئوفيلس يوسف ربّاني الجليل قاعة المطرانية الجديدة بحمص .

القسم السادس

دير الشرفة منذ السنة ١٨٩٥ حتى السنة ١٩٢٩

ܡܘܕܥܐ

ܕܒܗ ܫܪܒܐ ܕܕܝܪܐ ܕܫܪܦܐ ܡܣܪܕܐ ܒܦܣܝܩܘ

ܒܫܢ̈ܝܐ ܣܘܓܐܝܢ ܕܢܚܬܐ ܠܟܠܗ̇ ܡܪ̈ܝܐ ܡܕܒܪܢܐ: ܡܢ ܛܘ̈ܒܐ ܘܡܫܟܚܐ ܐܝܬܝܗ̇ ܠܗ̇ ܀ ܘܟܕ ܡܢܗ ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕܟܠܗܝܢ ܚܙܝܢ ܡܫܡܫܢ ܘܐܬܬܐܢܢ. ܘܟܕ ܒܠܚܘܕܘܗܝ ܘܒܠܚܘܕܘܗܝ ܕܗܘܝܐ ܕܡܘܕܥܐ ܡܢܗ ܐܦܪܝܘ ܕܡܢܝܢ ܠܟܠܗ̇ ܐܪܡܢܝܬܐ. ܠܡܫܝܚܐ ܘܠܕ̈ܝܪܝܐ ܟܕ ܠܒܠܥܘܗܝ ܡܬ̈ܚܘܬܐ ܐܫܟܚܬ ܘܡܫܟܚܬ. ܘܐܝܟ ܕܬܫܡܫܘܢ ܠܡܕܝܢܬܐ ܟܠܗ̇ ܐܝܟ ܡܫܝܚܐ ܡܢܗ ܒܫܢ̈ܬܐ ܘܒܢ̈ܝܐ: ܘܟܠܡܦܬܚܝܢ ܟܪܟܐ ܘܫܠܐ ܡܫܝܚܐ ܠܬܘܠܡܕ̈ܐ. ܘܠܬܫܡܫܬܗ ܘܒܡܘܗܝܪܝܢ ܠܬܚܘܡܐ. ܘܒܝܕ ܕܢܘܚܪܐ ܒܗ ܠܐ ܢܫܬܐ ܐܦ ܠܬܫܡܫܬܐ. ܘܟܕ ܗܘܐ ܡܠܦܢ ܐܚܝ̈ܕܐ ܐܡܪ̈ܝܢ: «ܐܦ ܐܢܬܘܢ ܕܠܐ ܐܬܐܡܪܘܢ ܠܐܠܗܐ. ܛܘܒ ܠܗ ܡܢܘ ܡܢܐ ܐܬܪܥܝܬܘܢ» (ܡܬ ܠܝ) ܀

ܐܝܟ ܒܫܢܬܐ ܡܢܗ ܕܐܦܪܝܘ ܘܐܬܒܛܠܬ: ܟܕ ܒܦܘܪܣܐ ܕܡܕܝܢܬܐ ܡܢ ܡܫܝܚܐ ܐܪܡܢܝܬܐ. ܘܟܡܕܒܪܢܘܬܗ ܘܒܝܬܐ ܘܟܠܗ̇. ܘܟܢܘܫܬܐ ܕܐܚܝ̈ܕܐ ܐܬܐܡܪܬ. ܐܬܟܠܝܬ ܠܗ ܒܝܕ ܒܨܝܪܐ ܡܬܠܬܠܐ ܟܠܬܐ ܘܐܝܬܝܐ: ܘܒܦܪܘܩܢ ܠܗ ܡܢ ܗܘ ܟܠܐ: ܟܬ̈ܒܐ ܕܡܫܝܚ̈ܝܐ ܕܦܬܓ̈ܡܐ ܘܕܝܢܘܬܐ.

ܘܒܓܒܗ ܐܚܪܢܐ ܣܘܪ̈ܝܝ ܐܒ̈ܗܬܐ ܡܫܝܚܝ̈ܐ ܘܐܘܪܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ
ܘܡܪܢܝܬܐ ܕܚܘܒܐ ܘܚܕܘܬܐ ܕܫܝܢܐ. ܠܐ ܒܠܚܘܕ ܐܠܐ ܦܪ̈ܝܫܬܐ
ܡܥܡܪ̈ܬܐ ܘܡ̈ܕܢܐ ܘܕ̈ܝܪܐ ܘܡܫܡ̈ܫܢܐ : ܡܢ ܥܘܡܪܐ ܠܥܘܡܪܐ
ܢܬܥܒܪ: ܘܡܬܦܢܝܢ ܠܘܬ ܐܘܪ̈ܫܠܡ ܩܕܝܫܬܐ ܘܡܬ̈ܢܚܬܐ
ܘܬܠܬܐ ܕܟܠܗܝܢ ܐܢܫ̈ܝ : ܠܟܢܘܫܬܐ ܕܝܠܗ ܘܡܫܬܘܕܥ ܐܢܫ
ܦܪܘܩ ܘܡܚܝܢ ܀

ܘܐܝܟ ܐܬܪܐ ܕܩܕܝܫܬܐ ܕܥܕܬܐ ܘܡܕܝܢܬܐ ܥܝܢܐ
ܠܒܪ̈ܝܐ ܦܢܝ̈ܢ. ܘܟܡܝܐ ܕܒܝܬ̈ܝܢ ܘܡܬܓܘܪ̈ܝܢ. ܘܡܢ ܓܙܪ̈ܬܐ
ܘܡܕܒܪ̈ܐ ܕܥܡܐ ܡܕ̈ܝܢ ܘܡܫܝ̈ܢ. ܘܗܘܝܢ ܦܠܓ̈ܘܬܐ
ܕܗܘܐ ܘܝܘܒܠܐ ܡܢ ܥܘ̈ܡܩܐ ܠܥܠ ܐܦܩܗ . ܘܠܐܘܗ
ܘܡܪܐ ܥܒܘܕܐ ܐܡܪܗ ܕܗܘܐ ܕܡܪܐ ܐܦܩܗ ܘܐܪܥܗ : ܕܡܢ
ܐܡܬܝ ܗܠܝܢ ܚܠ̈ܘܬܐ ! ܡܢܐ ܫܦܝܪܝܢ ܗܠܝܢ ܕܫܝܢܐ !
ܟܡܐ ܦܪܝܓܝܢ ܗܠܝܢ ܐܬܪ̈ܘܬܐ ! ܐܘ ܟܡܐ ܫܦܝܪ ܗܠܝܢ
ܦܬ̈ܟܪܐ . ! ܐܘ ܟܡܐ ܗܝ̈ܟܠܐ ܗܠܝܢ ܢܗܝܪ̈ܐ ! ܗܘܐ ܗܘ
ܢܣܝܒ ܟܠܗܘܢ ܠܟܠܗܝܢ . ܗܘܟܢܐ ܐܝܬ ܡܠܟܘܬ ܕܫܡܝܐ
(ܡܪܐ ܗܠܐ ܀

ܗܘܟܢܐ ܐܝܟ ܦܪܨܘܦܗ ܕܬܘܟܝܬܐ ܡܪܝܡ ܒܡܠܟܘܬܐ
ܕܐܝܬܗ ܘܡܬܢܬܪܐ : ܐܦܢ ܡܢܗ ܐܝܟ ܬܐܘܡ ܡܢܗܘܢ
ܠܐܠܗܐ ܕܗܘ ܓܢܘܗ ܐܚܝܕ ܗܘ. ܗܘܟܢܐ ܬܘܟܝܬܐ ܡܬܝܕܥܐ
ܕܡܫܝܚܐ ܕܬܫܒܘܚܬܗ ܬܘܕܝܬܐ ܘܚܘܫܒܐ ܡܟܝܟܐ ܘܢܒܝܘܬܐ
ܐܘܚܕܢܐ ܘܡܫܡܫܢܘܬܐ ܓܒܝܐ ܐܬܚܙܝܬ ܘܐܬܝܕܥܬ . ܗܘܟܢܐ
ܐܘܪ̈ܚܬܐ ܫܪ̈ܝܪܬܐ ܕܚܕܝܐ ܥܒܕܝܬܐ ܒܟܠܗܘܢ ܫܘܕܥܐ ܡܬܝܠܬܐ
ܐܬܓܠܝܬ . ܗܘܟܢܐ ܗܘܬ ܡܥܒܕܢܐ ܕܐܠܗܐ ܐܬܝܕܥܬ .
ܘܐܬܓܠܝܬ ܡܫܝܚܐ ܐܝܟ ܕܟܬܝܒ ܕܗܘܟܢܐ ܐܬܚܙܝܬ . ܗܘܟܢܐ
ܕܢܗܘܐ ܫܡܝܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܒܡܐܘ̈ܢܐ ܡܢ ܦܘܩ ܘܐܬܝܕܥܬ .

ܘܡܫܒܚܬܐ ܡܫܡܠܝܬܐ ܕܐܝܟܢܘܬܗ ܘܐܠܗܘܬܗ . ܘܡܕܝܢ ܡܢ
ܗܘܐ ܕܗܢܐ ܒܗܝܡܢܘܬܐ : ܐܝܟ ܕܡܢ ܡܠܦܢܘܬܐ ܕܫܠܝܚܐ : ܠܡܫܝܚܐ
ܠܡܫܝܚܐ ܕܡܫܡܫܢܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܫܪܝܪܐ ܢܗܘܐ . ܒܗ
ܒܚܝܠܐ ܡܫܝܚܝܐ ܘܐܦ ܩܢܘܡܐ . ܘܐܠܗܘܬܐ ܕܒܫܡܝܐ
ܡܫܡܫܢܐ ܕܡܫܘܚܬܐ ܡܫܡܫܝܢ . ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܫܘܒܚܐ :
ܢܘܗܪܐ ܐܠܗܝܐ ܕܢܫܡܫ ܠܟܠܗ ܫܪܝܪܐ ܒܟܠ ܘܙܒܢܐ
ܦܪܘܫܐ ܘܬܫܡܫܬܐ ܡܕܡ ܘܐܦ ܟܘܢܫܐ ܐܘܟܝ ܘܡܫܠܡܝܢ ◆

ܟܠ ܟܕ ܢܟܡܠ ܘܟܠ ܠܐܘܟܡܠ : ܟܕܘܩܝܐ ܗܘܟܡ
ܡܫܡܫܢܐ ܘܗܘܢܐ ܫܡܝܐ ܐܢܐ : ܢܛܪܘ ܡܢ ܟܠܗܝܢ ܗܢܝܢ ܟܕܘܐ
ܟܘܢ ܟܠܗܝܢ ܡܫܡܫܢܐ ܦܪܫ ܐܢܐ : ܘܐܝܟ ܕܡܬܚܙܝܐ ܢܗܪܐ
ܒܕܘܠܐ ܘܟܢܫܐ : ܕܡܫܝܚܐ ܚܝܠܐ ܡܬܚܙܝܐ ܐܢܐ . ܘܟܠܗ
ܘܗܘܡܢܘܬܐ : ܕܡܫܡܫܢ ܗܘܢܐ ܘܦܘܪܫܢܐ ܘܐܡܪ ܒܗܘܒܐ
ܕܚܝܘܬܗ ܐܢܘܢܐ ܡܫܡܫ ܐܢܐ . ܘܟܢܘܫܬܗ ܫܡܝܐ ܙܐܢܐ
ܘܡܢܢ ܐܢܐ ܒ ܐܡܪܐ : «ܐܝܟ ܐܘܪܐ ܐܠܘܗܝܬܐ ܕܟܕܝܢ . ܘܐܝܟ
ܐܝܠܐ ܕܢܫܡܐ ܕܫܡܫ ܗܘܐ ܘܐܝܟܠ . ܐܝܟ ܕܠܐ ܐܠܘܗܝܬܐ
ܟܫܡ ܠܒ . ܘܐܝܟ ܕܢܟܡ ܗܘܐ ܟܐܡܢܫܘ . ܐܝܟ ܐܠܐ
ܐܠܘܗܝܬܐ ܡܫܡܫܬܐ . ܘܐܠܘܗܝܬܐ ܐܝܟ ܘܟܠܐ ܟܠ ܡܫܠ..
ܗܟܢܐ ܟܘܠܗ ܟܠ ܕܡܬܚ ܢܫܡܫ ܟܢ . ܘܡܢ ܠܚܡܬܐ
ܠܚܡܬܐ ܐܠܗܝܬܐ» (ܚܙ ܐܦܣܬܐ ܒ : ܡܐ — ܗܘ) ◆

ܐܦ ܗܘ ܒܪܢܫ ܡܫܡܫܢܐ ܡܐܡܪ ܐܢܐ : ܕܒܪܫܝܬܐ ܕܝܢ ܡܢ
ܗܘܡܢܐ ܙܢܝܫܐ ܕܐܘܪܐ : ܟܕ ܫܡܫܐ ܠܟܦܠܐ ܢܫܡܫ
ܦܦܠܐ : ܕܡܫܒܫܢ ܘܡܢܫܘ ܡܠܐ ܐܟܝܐ ܐܦܘܡ ܘܐܠܗܠܐ .
ܘܫܡܫ ܒܐܘܟܠܐ ܐܫܡܥ ܘܐܘܟܠܐ . ܘܗܘܝܢ ܟܬܫܡ
ܠܗܘܐ ܟܠܢܫܐ : ܘܟܘܡܫܢܐ ܘܢܫܠܐ ܐܢܫܐ : ܡܫܠܡܝܢ ܟܢ
ܐܟܝܐ ܡܫܡܫܢܐ ܘܟܠ ܐܫܡܫܝܢ . ܘܠܟܕܫܝܢ ܦܠܘܐ ܘܟܠ

ܐܟܣܢܝܢ. ܘܗܝܕܝܢ ܒܢܝܢ ܡܬܡܬܚܝܢ ܘܡܬܦܫܛܝܢ: ܠܬܪܥܐ
ܕܡܫܬܥܝܢ ܒܟܠ ܒܘܬܠܝܢ: ܘܡܫܬܐܠܐ ܕܟܠ ܐܪܗܛܝܢ.
ܘܡܬܦܢܝܢ. ܘܡܬܪܡܪܡܐ ܕܟܠ ܐܘܠܨܢܝܢ ܘܡܬܚܫܒܝܢ. ܘܙܘܚܐ
ܘܫܒܚܐ ܕܡܠܐ ܢܫܐ ܦܪܨܝܢ. ܘܟܠ ܐܝܟܢܐ ܫܪܝܢ.
ܘܗܘܝܢ ܟܠܗ ܒܗ ܟܠܗ ܠܗܘܐ ܘܗܘܫܢܐ ܡܬܡܠܐ ܐܝܟ.
ܘܟܫܢܐ ܕܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܡܫܡܫ ܐܝܟ ܘܡܬܪܡܪܡ ܐܝܟ:
ܕܟܘܠܐ ܐܘܚܕܐ ܒܟܠ ܫܘܦܪܝܢ ܟܠܗ. ܘܒܟܠ ܙܒܢܝܢ
ܐܦܢܝ ܘܫܒܚܠ ܀

ܢܫܐ ܐܠܘܢ ܫܘܪܐ ܘܫܪܘܬܐ ܝܬܝܪܐ. ܘܛܘܒܢܐ
ܘܐܬܪܘܪܐ ܦܐܝܐ. ܘܚܕܘܬܐ ܒܡܫܡܫܬܐ ܘܫܒܝܠܐ. ܘܙܪܝܬܐ
ܢܨܝܚܬܐ ܘܡܫܒܚܬܐ. ܘܡܫܘܦܪܬܐ ܠܝܠܕܬܐ ܘܡܫܡܫܬܐ.
ܘܟܫܦܐ ܟܡܝܢܐ ܫܦܝܪ ܐܝܟ ܒܢܫܡܬܐ ܕܢܩܝܢ ܘܐܦܝܢ.
ܘܒܡܫܘܡܠܝܢ ܠܝܠܘܬܐ ܦܪܝܢ ܘܡܬܦܫܛܝܢ. ܐܡܬܝ ܕܒܗ
ܪܘܚܐ ܘܚܝܐ ܫܡܝܢܐ: ܦܪܝܬܐ ܘܐܪܥܢܐ ܢܦܠܘܢ
ܘܢܦܠܘܢ. ܘܠܐܝܩܐ ܡܢܫܡܐ ܘܥܠܡܐ: ܙܘܥܐ ܕܡܫܝܬܐ
ܢܫܡܘܢ ܘܢܦܩܘܢ. ܘܫܘܠܡܗ ܢܫܡܘܢ ܘܠܐܡܪܘܢ: « ܩܕܝܫ
ܐܒܘܐ. ܩܕܝܫ ܚܝܠܬܢܐ ܩܕܝܫ ܠܐ ܡܝܘܬܐ. ܐܬܪܚܡ ܥܠܝܢ » ܀

ܐܝܟ ܕܟܡܐ ܡܢ ܗܕܐ ܫܘܒܚܐ ܠܗܘܢ: ܒܫܡܝܢܝܬܐ
ܕܥܠܝܐ ܘܒܓܘܦܐ ܘܒܥܡܐ: ܘܒܫܡܝܐ ܦܘܠܚܢܐ ܡܟܣܝܢ.
ܘܐܬܪܘܡܡ ܒܫܘܒܚܐ ܕܥܠܝܐ ܕܟܠ ܫܘܦܪܝܢ ܟܠܗܝܢ.
ܘܫܘܦܪܐ ܘܫܒܚܬܐ ܕܟܠ ܒܪܝܬܐ ܫܒܚܬܗܘܢ ܡܠܐܟܝܢ
ܦܫܝܛܝܢ ܀ ܚܕ ܠܐܒܐ ܒܫܡܐ ܢܫܡܬܐ ܕܡܟܣܝܢ. ܘܡܢ
ܡܫܪܝܐ ܒܫܘܪܝܐ ܦܫܝܛܝܢ ܘܟܪܝܢ. ܘܦܪܚܐ ܦܪܝܣܝܢ.
ܘܟܫܒܚܬܐ ܡܛܪܬܐ ܘܦܠܚܬܐ ܦܬܚܝܢ ܘܦܪܨܝܢ ܘܟܠ
ܡܢܐ ܐܢܫܐ ܕܟܠ ܒܫܡܐ ܠܫܡܝܢ. ܘܫܘܒܚܗܘܢ ܒܫܡܝܐ

ܘܟܠܠܬܐ ܡܫܬܐܣܢܐ ܢܘܦܝܢ ܘܡܫܬܡܫܝܢ ܀ ܕܝܢ ܐܘܦ
ܟܠܠܐ ܡܫܒܚܬܐ ܕܫܡܝܐ ܘܕܡܫܡܫܢܐ : ܟܕ ܚܣܝܢܬܐ ܕܐܬܐ
ܢܫܒܚܘܢ ܘܢܫܡܠܘܢ · ܘܬܘܫܒܚܬܐ ܘܐܘܕܝܬܐ ܠܗܘܢ
ܘܠܐܒܘܗܝ ܘܠܢܒܝܘܗܝ : ܡܢ ܡܢܐ ܡܫܡܫܢܐ ܘܩܕܝܫ ܐܝܟܐ
ܢܐܬܘܢ ܀

ܚܕ ܡܢ ܐܒܗܝ ܡܫܡܫ ܠܡܫܝܚܗ ܗܘܐ ܕܬܘܕܝܬܐ
ܡܪܢ ܝܫܘܥ ܠܟܠܢ : ܟܕ ܐܒܝܢ ܚܒܘܒܝܐ ܦܫܝܛܝܢ ·
ܘܡܫܡܫܝܢܐ ܕܒܗܘܢ ܠܟܠܗܘܢ ܘܡܬܟܢܫܝܢ ܡܠܟܝܢ ܀
ܚܕ ܡܢ ܒܥܡܠܗ ܠܟܠܗ ܥܡܡܐ ܕܐܬܒܪܝܘ ܒܟܢܫܬܐ :
ܘܠܒܢܝܐ ܕܝܗܘܕܝܐ ܦܪܨܘܦܐ : ܘܠܟܠܗܘܢ ܕܟܠܗܘܢ
ܦܘܠܘܣܬܐ · ܘܠܟܠܗܘܢ ܕܗܢܘܢ ܡܫܝܚܐ ܕܝܗܒ : ܕܡܫܝܚܐ
ܠܟܠܗܘܢ ܦܘܪܩܢܐ ܕܒܪܬܐ · ܘܠܡܫܝܚܐ ܡܫܡܫܢܐ ܕܟܠ
ܗܘܐ · ܘܠܒܢܝܐ ܐܠܗܝܐ ܘܩܕܝܫ ܒܒܝܬܐ ܕܫܡܝܐ ܘܒܒܝܬܐ
ܕܡܫܝܚܐ ܕܥܘܪܝܐ ܡܫܝܚܐ ܘܡܫܡܫܢܐ ܘܦܪܝܫܐ ܐܝܟ
ܕܡܢ ܡܫܡܫܐ ܠܡܫܝܚܐ : ܡܠܟܐ ܚܝܐ ܡܢܗܘܢ · ܘܚܝܠܐ
ܕܡܫܝܚܘܬܐ ܦܫܝܛܐ ܢܦܫܢ · ܘܡܫܝܚܐ ܦܫܝܛܐ ܘܟܠܗ ܚܝܠܐ :
ܡܫܡܫܝܢ ܦܠܚܝܢ ܠܡܫܝܚܐ ܕܡܪܐ ܘܦܩܕܐ · ܘܡܫܡܫ ܘܚܝܠܐ
ܟܠܗܘܢ ܡܢ ܡܪܐ ܡܫܡܫܐ : ܟܠܗ ܒܟܠܗ ܒܟܠܗ ܀

ܐܦ ܠܡܫܝܚܐ ܕܩܕܝܫܐ ܟܠܗ ܐܢܬ : ܒܪܐ ܕܐܠܗܐ ܡܪܢ
ܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܢ ܐܢܬ · ܟܕ ܒܡܠܬܐ ܐܬܐ ܠܡܫܝܚܐ ܡܫܝܚܐ
ܕܟܠܗ ܘܐܬܒܪܝܬ ܡܫܝܚܐ · ܘܟܠܗ ܡܪܢ ܕܡܪܐ ܕܡܠܟܐ
ܠܟܠܗ ܕܟܠܗܘܢ : ܗܘ ܕܐܝܬ ܐܘܣܝܐ ܒܟܠܗܘܢ ܡܫܝܚܐ
ܘܡܫܝܚܐ · ܘܠܟܠܗ ܡܪܢ ܚܕܐ ܐܢܬ ܒܪܐ ܕܡܫܝܚܐ ܘܡܫܡܫܐ
ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܒܪܝܐ ܕܡܫܝܚܐ ܚܕ ܠܟܠܗܘܢ ܘܡܠܟܐ ܕܡܫܝܚܐ : ܗܘ
ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܠܗܐ ܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܢ · ܘܡܪܝܐ ܡܫܝܚܐ

ܘܒܪܝܬܐ ܘܫܠܡܐ ܢܦܫܝ ܡܢ ܡܫܡܫܢܘܬܗ : ܘܟܝܢܘܬܐ
ܘܡܬܢܝܚܐ ܡܬܦܪܫܝܢ ܘܡܬܪܥܝܢ . ܘܠܫܡܝܐ ܩܘܒܠܐ ܢܣܩܘܢ .
ܘܠܡܬܢܝܚܐ ܘܠܫܡܝܐ ܘܠܡܪܟܒܬܐ ܕܐܝܬܐ ܡܬܩܕܡܝܢ ܘܡܫܢܝܢ ܀

ܐܝܟ ܕܒܫܘܠܡܐ ܕܝܢ ܗܢܐ ܐܬܐ ܐܘ ܠܟܝܢܐ ܘܠܡܠܟܐ : ܟܕ
ܟܠܗܘܢ ܟܠܗ ܐܦܢ ܢܦܠܐ ܒܕܡܘܬܐ ܠܡܬܚܙܝܢܘܬܐ ܡܬܡܟܟܝܢ .
ܘܟܠܗܘܢ ܐܝܟ ܐܣܛܘܐ ܒܫܡܝܐ ܘܒܡܬܝܬܐ : ܒܟܠ ܕܝܢ
ܐܠܗܘܬܐ ܕܡܬܟܢܫܝܢ . ܘܟܠܗܘܢ ܒܟܠ ܡܢ ܬܪܬܐ ܡܬܬܚܙܝܢ :
ܘܡܢܗ ܒܟܠ ܢܦܫܝ . ܘܡܢ ܕܘܟ ܒܝܘܡ ܡܬܟܢܫܝܢ .
ܘܠܡܫܟܢܬܐ ܡܪܝܡܝܢ ܘܒܦܩܘܕܬܐ ܡܫܬܡܥܝܢ ܀

ܠܐܘ ܡܕܝܢ ܟܕ ܡܢܗ ܡܢ ܗܘ ܠܒܪܝܬܐ ܠܡܫܚܘ ܚܕܐܝܬ
ܠܡܦܘܠܝ ܢܦܫܐ ܕܦܘܢܝܢ : ܡܢ ܕܝܠܗ ܕܐܬܪܘܗܝ ܘܟܝܢܐ
ܠܟܝܢܘܬܐ ܦܫܝܛܐ ܕܠܟܠܗܘܢ : ܗܘ ܕܐܝܟ ܠܐܬܐ ܡܢ ܐܬܪܐ ܐܬܐ :
ܟܢܫܐ ܟܟܒܐ ܡܢ ܦܘܪܫܢܐ ܠܐܬܐ . ܘܡܬܟܒܫܐ ܘܡܬܚܫܒܬܐ
ܘܪܘܚܢܝܐ ܘܐܝܟܘܢܝܬܐ : ܡܢ ܚܠܘܬܐ ܦܬܟܒܬܐ ܘܡܬܚܫܒܬܐ : ܘܡܢ
ܡܕܝܢܬܐ ܡܬܟܫܦܬܐ ܟܠܗ ܡܬܪܚܡܝ : ܘܡܬܚܫܠܢ ܚܟܝܡ
ܘܡܬܐܠܝܨܝܢ . ܟܕ ܒܟܠ ܟܠܐ ܡܬܬܠܝܢ : ܠܐܠܗܘܢ ܦܪܘܩܐ
ܐܘܡܬܐ ܦܘܢܝܐ : ܗܘܝ ܕܡܢ ܚܠܘܬܐ ܠܚܠܘܬܐ ܘܡܢ ܠܥܠܡܐ
ܠܥܠܡܐ ܚܝܐ ܗܘܘ : ܘܟܠ ܚܠܘܬܐ ܕܟܠ ܐܢܫ ܡܬܢܝܚܝܢ
ܗܘܘ ܀

ܚܙܐ ܐܢܐ ܐܘ ܦܫܝܛܐ ܘܠܦܫܝܛܐ ܟܠ ܦܫܝܛ ܢܦܠ ܟܕ
ܡܬܦܪܫܝܢ ܘܡܬܦܫܛܝܢ . ܘܡܬܬܪܝܡܘܢ ܘܢܬܪܓܡܘܢ ܒܚܝܠ
ܡܬܠܝܢ . ܘܠܟܢܘܫܐ ܪܘܚܐ ܘܦܘܪܩܢܐ ܪܚܡܝܢ ܘܡܬܒܪܟܝܢ ܀

ܦܘܠܚܘ ܕܝܢ ܕܐܬܚܙܝ ܟܕ ܐܢܫ ܒܗܠܝܢ ܡܢܗܘܢ : ܚܙܐ
ܟܕ ܕܠܐܝܬ ܕܐܝܬ ܠܡܕܒܪܢܘܬܐ ܢܦܠ . ܘܐܬܦܪܫܘ ܒܝܕܐ
ܢܘܗܪܐ ܕܐܣܘܪܬܐ ܘܦܫܝܛܘܬܐ ܡܬܐܡܪܝܢ ܘܡܬܪܡܝܢ .

ܘܟܠ ܛܘܪܐ ܘܐܬܟܠ ܢܛܝܪܝܢ. ܘܟܝܗ ܡܫܩܠܠ ܛܟܕܝܢ ܘܛܦܥܝܢ. ܘܡܬܛܟܝܢ ܟܓܘܬܐ ܕܟܠ ܐܝܩܝܢ܀

ܘܠܡܐ ܕܚܠ ܡܕܝܢܐ ܒܝܪܘܬ. ܢܙܠ ܦܝ ܕܝܪ ܡܢ ܐܕܝܪܬܗ. ܩܪܝܒܐ ܡܢܗܐ ܡܢ ܓܘܦܝܗ. ܩܕ ܒܐܫܬܓܠ ܡܘܪܐ ܥܢܕܗ. ܘܐܟܓܘܗ ܐܢܗ ܥܟܐ ܘܥܟܐ ܡܥܥܪ. ܘܡܛܝܐ ܦܘܝܬܐ ܟܡܠܬܐ ܥܩܠܬܐ ܟܬܝܪ. ܘܟܒܝܪܐ ܐܥܡܠܐ ܕܟܠܚܡܠܐ ܡܬܘܘܗ ܘܦܥܝܣ ܘܐܝܢ. ܡܢܗܘܡ ܓܪ ܕܝܘܬܐ ܡܟܡܝܢ ܘܬܡܝܡܝܢ ܘܠܐ ܡܬܐܐܣܝܢ. ܘܡܢܗܘܡ ܦܟܬܝܢ ܘܦܪܛܝܢ ܘܦܥܝܡܝܢ. ܘܟܝܢ ܥܛܐ ܗܘ ܡܢܘܐ ܟܦܘܟܬܐ ܡܬܟܢܬܐ ܕܡܟܬܐ: ܦܢܥ ܐܟܓܪܘܗ ܡܘܬܐ ܟܠ ܬܡܥ ܛܘܪܐ. ܘܐܢܒ ܐܘܦܪܘܗ ܙܡܘܬܬܐ: ܟܠ ܛܪܦܐ ܘܟܠ ܦܘܟܐ ܕܐܟܠܐ. ܘܡܬܢܐܝܢ ܟܟܡܬܐ: ܐܝܕ ܡܬܓܝܢܬܐ ܘܡܬܟܒܬܐ: ܘܡܬܛܦܝܢ ܙܟܬܐ ܕܟܥܬܓܝܐ ܘܟܬܘܠܐ ܦܪܝܡܝܢ. ܘܟܬܡܠ ܕܟܡܟܬܐ ܡܥܬܐ ܕܡܬܠ ܥܕܦܢܝܢ ܦܣܥܝܢ܀

ܘܐܢ ܟܐܢ ܟܬܝܪܐ: ܟܬܘܒܗ ܟܬܒܐ ܕܡܥܠ ܡܥܬܗ ܐܢܗ: ܟܬܒ ܡܢ ܓܐܠܒܘܗ ܡܬܥܠ ܘܡܥܬܠ ܡܐ ܐܢܗ: ܟܐܢ ܝܚܬܡܘ ܗܘܐ ܘܡܘܡܕܐ ܒܝܢܗ ܦܝܘܬ ܘܡܬܝܢܐ ܡܟܬܘܬܐ. ܐܘ ܐܡܐ ܦܠܣܦܝܐ ܘܡܟܪܘܙܬܐ: ܕܟܐܢ ܥܢܕܗ ܡܢ ܡܕܗ ܥܠܘܡ ܘܡܥܪܦܬ. ܘܟܐܢ ܝܥܪܦ ܘܛܠܒ. ܘܟܐܢ ܡܬܛܘܛܝܢ ܘܦܗܡ. ܘܟܐܢ ܛܒܥܗ. ܘܟܠܡܐ ܘܟܠܡܐ

ܡܛܠܬܗܘܢ. ܘܗܘܝܘ ܢܦܫ ܐܝܟܘܐ ܘܕܘܡܝܐ ܡܬܡܛܠܬܐ.
ܘܟܠܗܘܢ ܫܢܝܐ ܡܫܒܚܝܢ ܡܢܗܪܝܐ ܘܚܪܝܐ. ܘܡܫܡܗ
ܫܒܝܠܐ ܘܬܘܩܢܐ ܢܦܫܢ: ܠܐܠܗܐ ܢܩܪܒ ܚܝܠܐ ܘܐܦܘܟ
ܒܣܝܠܐ ܕܝܢ ܡܫܒܚܝܢ ܘܐܡܪܝܢ: ܫܒܘ ܠܐܒܐ ܡܢ ܫܡܝܐ
ܫܘܒܚܗ ܠܒܪܘܢܐ. ܫܘܒܚܗ ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ. ܫܘܒܚܗ
ܟܠ ܒܪܝܬܐ ܕܝܠܗ. ܫܘܒܚܗ ܛܒܘܬܐ ܘܟܠܗܘܢ ܥܡܡܐ.
ܫܘܒܚܗ ܐܝܠܢܐ ܕܚܩܠܐ ܘܟܠܗܘܢ ܐܪܙܐ ܫܘܒܚܗ ܡܠܐܟܐ
ܘܕܝܢܐ ܘܬܘܪܥܝܬܐ. ܫܘܒܚܗ ܢܘܗܪܐ ܘܫܡܫܐ. ܫܘܒܚܗ
ܦܐܐ ܘܚܝܘܬܐ. ܫܘܒܚܗ ܟܘܟܒܐ ܘܒܪܩܐ. ܫܘܒܚܗ
ܒܦܓܪܐ ܘܒܪܘܚܐ. ܫܘܒܚܗ ܒܢܝܐ ܐܢܫܐ ܘܟܠܗܘܢ
ܢܦܫܬܐ ܘܪܘܚܬܐ. ܘܟܠ ܢܦܫܐ ܐܡܝܢ ܠܥܠܡ. ܗܠܠܘܝܐ.
ܗܠܠܘܝܐ. ܗܠܠܘܝܐ ܀

الفصل الاول

رئاسة الخورفسقفوس بولس هبرا الدمشقيّ
(١٨٩٥ ـ ١٩٠٢)

١ – ايامه الاولى

لخصنا اخبار رئيس الشرفة الخورفسقفوس بولس هبرا عن كتابنا « أجمل زهرة في حديقة آل هبرا » فقد وُلد في ٣ كانون الاول ١٨٥٦ في دمشق وتلقَّن العلوم الاولية في مدرسة المرسلين اليسوعيين ببيروت (١٨٦٣—١٨٦٩) وفي مدرسة المرسلين اللعازريين بدمشق (١٨٦٩ — ١٨٧٤) ثم قدم الى

مدرسة عينطورا بلبنان يريد الانضمام الى جمعيَّة الآباء اللعازريّين . ثم اقبل في اوّل تشرين الاول ١٨٧٧ الى دير الشرفة ورقّاه البطريرك جرجس المغبوط عام ١٨٧٨ الى رتبة مرتّل وظلّ مقيماً في الشرفة ردحاً من الزمان ثم عاد الى عينطورا يواصل القاء الدروس الفرنسيَّة على طلبتها وهو متوشّح بزي تلامذة الشرفة .

٢ — قسوسيته ورئاسته على دير الشرفة

ارتقى الشماس بولس الى الرتبة الكهنوتية بوضع يد السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق صباح احد العنصرة ١٣ حزيران ١٨٨٦ وعاد قسيساً باذن راعيه يستأنف القاء الدروس في عينطورا . وصباح ١٥ شباط ١٨٩٥ استدعاه مار اغناطيوس بهنام بنّي الى بيروت ورقاه الى رتبة خورفسقفوس وقلّده رئاسة اكليريكية سيدة النجاة ودفع اليه صك التقليد وهذا نصه :

« اغناطيوس بهنام بني بطريرك السريان الانطاكيّ

« الى اولادنا الاعزاء المحبوبين لفيف الكهنة والشمامسة والتلامذة

والاخوة وسائر اللائذين بمدرستنا البطريركية الاقليريسية في شرفة درعون أمدهم الله تعالى بجزيل نعمه .

« السلام والبركة الرسولية

« لما اصبحت هذه مدرستنا خاليةً من رئيس بتجردها من رئيسها الموقّت حضرة الاخ السيد باسيليوس قندلفت الموقّر . فقد اعملنا الفكرة في من يجدر ان نوليه الرئاسة مستمراً ممن نثق بكفاءتهم وغيرتهم وعلمهم وتقواهم . فوقعت افكارنا على حضرة ولدنا القس بولس هبرا المحترم الحائز على رضانا التام لِما هو عليه من التديّن والعلم والميل الغريزي الى ما به تهذيب الاكليريكيين ونجاحهم . وعلى ذلك فاننا بعد ان رقيناه الى وظيفة الخورنة التي هو اهل لها بكل استحقاق قد سيّرناه اليكم مقلداً عنا وظيفة الرئاسة عليكم اجمع . وفوّضنا اليه جميع التدابير والاعمال المختصة بمهام رئاسته هذه حسب القوانين المرعية .

« فعليكم جميعاً ان تذعنوا لاوامره وتدابيره وتخضعوا لحكمه وسلطانه بروح الحب والطاعة . وعلى وكلاء الاوقاف ان لا ينكروا عليه دفع ما يقتضيه لحوائج المدرسة بحسب معرفته . وان يستشيروه في اعمال وكالتهم ويعوّلوا على ما يجري الاتفاق عليه بينهم في العمل وفي الامور الثقيلة كما في انشاء ابنية وبيع اوقاف الى غير ذلك من الادارات المهمة . ومن بعد اجراء المفاوضة فيها بين الرئيس الموما اليه والوكلاء فليعرضوا علينا ما يكون قد دار بينهم من الراي والتدبير في ذلك الشأن ويعتمدوا امرنا في العمل .

« ولنا الامل الوثيق ان تكون احوال المدرسة عموماً سالكة مسلك النجاح والتقدم وان تنمو بالعلم والادب وروح الله تعالى فتكونوا غرسات صالحة في كرم الله عز وجل . وتكمل بكم آمال رؤسائكم . هذا واستكمالا لهذه امانينا الصالحة فيكم ندعو لكم جميعاً باليمن والصلاح والعون الرباني . ونهدي اليكم بركتنا وسلامنا بالرب ثانياً وثالثاً .

« اعطي في بيروت في ١٧ شباط سنة ١٨٩٥ وهي السنة الثانية لبطريركيتنا .

٣ – قدوم الرئيس الجديد الى الشرفة

حمل الرئيس الصك البطريركي وشخص الى دير سيدة النجاة وتلاه احد الكهنة على الجمهور . ثم قرأ الرئيس احد عشر قانوناً وضعها السيد البطريركي ليتمشى بموجبها الجميع . ومنذ ذاك اتخذ الرئيس باكورة لاعماله تحبيب الصلاة العقلية الى تلامذته . فكان يقبل صباح كل يوم الى قاعة الدرس ويجثو على ركبتيه ويتلو التأمل عبارة فعبارة . وكان اذا انتهى من التلاوة طرح بعض اسئلة على غير واحد من التلامذة مما يتعلق بموضوع التأمل ثم حرّض الجميع على التفكر فيه مدة النهار .

وتعوّد الرئيس كذلك الحضور الى قاعة الدرس في رأس كل شهر يتلو النقاط في السيرة والدرس وينصح الكسول المتواني ليزداد نشاطاً واجتهاداً . وكان يراسل المقام البطريركي ويطلعه على ماجريات الاكليريكية . ولما انتقل البطريرك المغبوط الى دار البقاء في ١٤ ايلول ١٨٩٧ احتفل الرئيس بقداس رسمي وجناز مؤثر وقع انغامه الموسيقية الشجية الاب جوليوس جنان الراهب البندكتي . وابّنه الرئيس تأبيناً مؤثراً . ولما عيّن الكرسي الرسوليّ السيد اقليميس يوحنا معمار باشي نائباً رسولياً كتب الرئيس يفضي اليه باخبار الاكليريكية وسير كهنتها وشمامستها وتلامذتها ووكلائها .

الفصل الثاني

مار اغناطيوس افرام الثاني رحماني ودير الشرفة

في ١٦ تشرين الاول ١٨٩٨ تقلد زمام البطريركية الانطاكية مار اغناطيوس افرام رحماني متروبوليت حلب . وجرى الاحتفال في كاتدرائية العذراء المغبوطة فكتب اليه رئيس الشرفة عريضة تهنئة اصالة عنه ونيابة عن سكان الدير . ولما قدم البطريرك الى بيروت انحدر الرئيس وفريق من الكهنة والشمامسة ورحّبوا به ثم عادوا الى الدير مجبورين .

١ – قدوم البطريرك الى الشرفة

ويوم الاثنين ٢٨ ايار ١٨٩٩ غادر البطريرك افرام المغبوط مدينة بيروت ويمم بكركي وسلّم على غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويّك (١٨٩٩ – ١٩٤٢) صديقه الحميم . فرحب به البطريرك اللبناني اجمل ترحيب ودعاه الى تناول الطعام على المائدة البطريركية مع حاشيته . وعند العصر تصافح البطريركان المغبوطان وتودّعا واستأنف البطريرك السرياني مسيره الى الشرفة واخذت نواقيس القرى مع نواقيس الدير ترّحب بالزائر الكبير . وخرج الرئيس في رهط الكهنة والشمامسة والتلامذة والشركاء اجمع الى استقباله ووشّحوه بالحلة الحبرية فدخل الى الكنيسة ما بين الترانيم السريانية وألقى خطابة ممتعة اعرب فيها عن سروره ودعا للرئيس بالتوفيق في مشروعه وشكر للحضور عواطف محبتهم وتكريمهم .

٢ – زيارة البطريرك اللبناني للشرفة

وعصر الجمعة ١ حزيران وافى البطريرك اللبناني المغبوط في رهط من اساقفة كرسيه الأنطاكي وكتبة اسراره الى دير الشرفة وجرى لغبطته استقبال حافل جداً وتعانق البطريركان المغبوطان . ثم توشّح البطريرك اللبناني بالحلة الحبرية الفاخرة ودخل الكنيسة ما بين الاناشيد السريانية والقى البطريرك المغبوط كلمة شكر وثناء ثم خرج الى الردهة فرحب به رئيس الدير بخطاب فرنسي غاية في البلاغة . ثم انشدنا نحن قصيدة الترحيب في السريانية هذا مطلعها :

ܒܫܝܢܐ ܐܬܝܬ ܡܪܢ ܟܠܐ ܕܡܢ ܒܣܥܘܪܘܬܐ

ܘܟܢܫܐ ܕܥܒܕܘܗܝ ܠܟ ܐܬܩܒܠܬ..

ܒܬܫܒܚܬܐ ܐܝܟ ܠܡܠܟܐ ܐܬܩܒܠܬ

ܘܒܙܡܝܪܬܐ ܕܡܫܒܚܝܢ ܒܪܘܚ ܡܥܠܝܬܐ..

ابدى البطريرك اللبناني المغبوط شعوره الرقيق واعجابه بما شاهد وسمع وشكر للبطريرك السرياني حفاوته . ثم اخذ ينثر نصائحه الابوية على جمهور التلامذة . ومما قاله : « انكم يا اولادنا الاعزاء في هذا مقام سيدة النجاة تجري في افئدتكم ينابيع الفضائل والعلوم جري المياه الصافية في الاغصان الرطبة حتى اذا نضجت أثمارها الشهية تلذذ بذاقها ابناء طائفتكم السريانية العزيزة المشتتون في بلاد سوريا وما بين النهرين وغيرها ... ». فبلغ حديث الحبر الكبير من نفوس السامعين مبلغه وانشدوا لغبطته نشيد الشكر .

ثم خرج البطريركان المغبوطان الى فناء الدير يحيط بهما الاساقفة والمشايخ الخوازنة وآل بيطار وحبيش واهالي الجوار واطلق التلامذة اذ ذاك منطاداً في الفضاء معربين عن فرط حبورهم بزيارة البطريركين المغبوطين .

وبعد هذا تودّع البطريركان وتوجّه البطريرك اللبناني في حاشيته الى دار الكونت حصن الخازن فرحّب به الكونت وآله في ديوانه التاريخي الذي كان مزداناً ببلّات وفرمانات وصكوك نفيسة ورسوم ثمينة تبعثرت بعد وفاته .

وقد تعددت الزيارات بين البطريركين المغبوطين ، فكان كلما قدم البطريرك افرام المغبوط الى الشرفة عرج في طريقه على بكركي وزار البطريرك الماروني السامي الاحترام . وكان البطريرك اللبناني يردّ له الزيارة في دير الشرفة . وكثيراً ما كنا نردّد حين ذاك آية المرتل : « الرحمة والحق تلاقيا العدل والسلام تلاثما » (مز ٨٤ : ١١) .

٣ – البطريرك افرام رحماني ومطبعة الشرفة .

عوّل البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني ان يجدّد مطبعة الشرفة القديمة . وقد مرّ بك الكلام عنها وعما نشرته عام ١٨٧٨ وظلّت تلك المطبعة مدة ٢٢ سنة في زاوية النسيان حتى عهد البطريرك افرام المشار

اليه فاعتمد ان يضيف الى المطبعة القديمة مطبعة جديدة اشتراها في فرنسا ونقلها الى الدير فانفق الرئيس على لوازمها من بيوتات وصناديق للحروف وغيرها مبلغ ٤٢٦٣ غرشاً ذهباً من اموال الدير . وتولّى احد شبان الدير وهو منصور ضاهر باسيل يساعده عبدو فرنسيس باسيل الاشتغال فيها بشرف عليهما الشماس جبرائيل فخير والشماس ايليا حسن . فدارت المطبعة دورة مباركة . وأصدر البطريرك المغبوط اول كتاب طبعه فيها عام ١٩٠٢ وهو كتاب الفرض الاسبوعي المشهور بكتاب الاشحيم في ٥٧٤ صفحة . ثم نشر البطريرك المغبوط في هذه الطبعة كتاب تاريخ الرّهاوي السرياني وهو كتاب ضخم يقع في ٤١٦ صفحة كبيرة مصفوفة بحروف دقيقة ضمّ اليها البطريرك فهرساً ابجدياً سريانياً في ٣١ صفحة وفهرساً لاتينياً في ٢٦ صفحة . والى القارىء ما عدا الكتابين المشار اليهما لائحة الكتب التي نشرها البطريرك المغبوط في هذه المطبعة .

١ً ـ خدمة القداس السرياني . ٢ً ـ فهرس فصول الرسائل والاناجيل . ٣ً ـ مداريش مار افرام الملفان في البتولية واسرار ربنا . في السريانية واللاتينية . ٤ً ـ ميامر مار افرام في مواضيع شتى . ٥ً ـ فصول الاناجيل والرسائل في السريانية والكرشونية . ٦ً ـ نافور القداس السرياني . ٧ً ـ خلاصة كتاب انطون البليغ في علم الفصاحة والخطابة . ٨ً ـ الليترجيات الشرقية والغربية . ٩ً ـ الخدم الكهنوتية ١٠ً ـ جناز الرجال والنساء . ١١ ـ رسامات الشمامسة الصغار . ١٢ ـ فرض قانوني لعيد مار افرام في ١٨ حزيران . ١٣ ـ عدة مناشير بطريركية .

ونشرنا نحن في هذه المطبعة باذن السيد البطريرك عام ١٩٠٨ الجزء الثاني من كتابنا « ܪܓܬ ܥܠܝܡ̈ܐ رغبة الاحداث » ونشر اساتذة الدير عام ١٩٠٧ كتاب الانغام السريانية . ونشروا كذلك عام ١٩١١ « مبادىء القراءَة والترجمة في اللغة السريانية » مع ملحق في شرح الالفاظ .

واغتنمنا تلك الفرصة فنظمنا قصيدة سريانية أَعربنا فيها عن بهجة الملّة قاطبةً بتجديد المطبعة وعن عواطف الشكر للبطريرك المغبوط وافتتحناها بهذه الابيات :

ܐܦܪܘܣ ܪ̈ܚܡܐ ܐܘܣܦ ܠܟܬܒܘܗܝ ܘܠܡܦܩ̈ܢܘܬܗ ܐܥܠܝ
ܘܡܠ̈ܦܢܘܗܝ ܠܟܬ̈ܒܐ ܐܘܪܚ ܘܠܟܬ̈ܒܘܗܝ ܡܟܬܒܢܐ ܡ̈ܢܝܗ ܀
ܕܡܬܟܬܒܐ ܡܢܐܐ ܘܐܝܟܢ ܫ̈ܘܐܪܘ ܘܡܥܒܕܢܘܗܝ ܐܦܣܝܩ
ܘܟܠܒܠܠ ܪ̈ܚܡܐ ܐܠܗܝ ܘܐܘܟܠܗ ܐܘܬܟ ܠܗ ܐܘܪܚ ܀

وتولّينا نحن ايضاً ردحاً من الزمان مناظرة عمّال المطبعة وأخصهم منصور سلهب وعبدو سام باسيل وسمعنا عبدو النجيب ينشدنا زجلية هذا مطلعها :

سيّدنا بطرك رحماني — كاته غيرة وتفاني
جدّد مطبعة الشرفه — تايعزّز طقس السرياني *
جدّد مطبعة الشرفه — الهمّة بنجاحها منصرفه
واهل الجيره بهالحرفه — قلبها انسرّ وفرحاني *
بالشرفه حصرنا اللغات — تعلمنا اشرف كارات
بالصنعه أخذنا شهادات — من حبر فاتيكاني *
صبح ومسا بينادي — بفضلك بلبل الشادي
يطوّل عمرك الفادي — يا مار افرام الثاني *

الفصل الثالث

مشاريع الخورفسقفوس بولس هبرا رئيس الشرفة

لم يقتصر رئيس الشرفة على تثقيف تلامذته وترقيتهم في معارج الفضائل والعلوم والآداب الكهنوتية بل راح يسعى السعي الحثيث لتحسين ارزاق الدير وانمائها . فابتنى عام ١٨٩٦ في جونية خاناً كبيراً انفق عليه ٨٢٨٠ غرشاً ذهباً . وشاد فوق الخان عام ١٨٩٨ عدة غرف . وابتنى كذلك في ساحل جونية عام ١٩٠١ سبعة مخازن انفق عليها ٤٩٥٠٠

غرش ذهب من اصل قيمة بستانٍ سبق البطريرك جرجس شلحت المغبوط فاشتراه في ساحل علما . واليك القارىء ما اثبته الرئيس في سجل الدير بهذا الصدد :

« بيعت عودة ساحل علما . . . بقيمة ٤٩٫٥٠٠ غرش . وبُني بها سبعة مخازن ودكان صغيرة في جونية بشرط ان يستوفي البطريرك نصيبه من ايراد العمارة المذكورة بعد تقدير قيمة الارض التي تخصّ دير الشرفة . وهذه القيمة توازي قيمة المبلغ الذي أُنفق على البناء فاضحى ريع المخازن بالمناصفة

حُرّر في ١٥ تموز ١٩٠١ الخوري بولس هبرا

رئيس مدرسة الشرفة »[1]

وقد اضاف الرئيس مبلغ ١٧٦٤٠ غرشاً ذهباً الى المبلغ ٤٩٥٠٠ الاصلي من اموال الدير تكملة لبناء تلك المخازن فصار مجموع ما انفقه عليها ٦٧١٤٠ غرشاً ذهباً .

وفي السنة ١٩٠١ و ١٩٠٢ سجل اسحق ارسانيوس سعادة بعض بساتينه واراضيه في ميروبا باسم دير الشرفة . وتمّ الاتفاق على البيع والشراء بواسطة الشماس رزق‌الله دقاق وكيل ارزاق الدير . هذا ونضرب الصفح عما انشأه رئيس الشرفة او رممه في اثناء رئاسته على يد وكيلي الدير الشماس رزق الله المشار اليه والشماس باسيل ناعم .

١ – تعاطي الرئيس مع شركاء الدير

كان تعاطي الرئيس مع شركاء الدير على جانب عظيم من اللطف والمجاملة . وكانوا يقصدونه زرافاتٍ خصوصاً في عيد الميلاد وعيد القيامة وعيد السيدة حاملين الهدايا جرياً على عادات اللبنانيين الحميدة من صابون وبن وبيض ودجاج وعسل وضروب الفواكة والثمار الخ . وكانوا يصرفون

---

(١) سجل الدير : صفحة ٢٦٠

يوماً او اكثر في الدير تطفح قلوبهم بهجة برؤية رئيسهم وتتهلل وجوههم بشراً بمحادثته · وكانوا اذا عادوا الى بيوتهم حملوا بين جوانحهم ذكريات جميلة لما شاهدوه فيه وفي الوكلاء والشمامسة والتلامذة من الانس والبشاشة ·

وكثيراً ما كان اولئك الشركاء الاعزاء ينشدون الزجليات اللبنانية لرئيس الدير معربين عن حبورهم · نذكر من ذلك ابياتاً كان يتغنّى بها فرنسيس سام والد عبدو صديقنا المحبوب وهي :

ربّي الخواطر جبرا — بعد ما فرغ صبرا
حتى الشركا تزيد افراح — برئيسها بونا هبرا
حتى الشركا تزيد افراح — وتتمنى ايام الاتراح
حتى الدير زاد انشراح — ايّام الكدر عبرا

***

وافينا بنهار العيد — نحني رئيسنا الجديد
انشالله عهده يكون سعيد — وافضاله تشهد خيرا
اعمال ولطف وايناس — مع تقوى وغيرة فنحاس
نقول مار بولس بين الناس — يقيم الموتى من قبرا

***

رئيسنا بزياراتو — قدّس بيوت شركاتو
كأنه جانا المسيح — وفاض علينا بركاتو
كأنه جانا المسيح — وشفى الابرص والكسيح
الكل منطلب ومنصيح — الله يديم حياتو (١)

٢ — ترحيب الرئيس بالضيوف

في السنة ١٨٩٦ شخص الى دير الشرفة الاب جوليوس جنان الراهب البندكتيّ ليضبط الانغام السريانية بالنوطة الفرنجيّة · واقبل في السنة عينها المطران غريغوريوس عبدالله سطوف الصددي مع الربّان نوح والاستاذ نعوم فائق · ثم جاء الراهب شمعون الباتي والراهب افرام الرهاوي والراهب ابرهيم البشيري والقس توما مرجان السويركي والقس جبرائيل المناري

---

(١) عن كتابنا اجمل زهرة في حديقة آل هبرا ١٠٠ و ١٠١

والقس الياس نور الصددي الخ وسيأتي ذكرهم في هذا الكتاب :

وفي صيف السنة ١٨٩٨ وافى الى الشرفة المطران ثئوفيلس انطون قندلفت فرحّب به الرئيس واعتنى بأمره حتى لفظ روحه بيد خالقها كما ذكرنا في كلامنا عن هذا المطران ٠

وفي السنة ١٨٩٩ يمّم الدير الاب انطون الدومنيكي وتلقَّن اللغة العربيّة ٠ وجاء في السنة ١٩٠٠ الاب فلينجر النمساوي ودرس السريانية زماناً ثم عاد الى القدس وارتقى الى الرتبة الاسقفيَّة ٠

وتعوّد متصرفو جبل لبنان وقناصل دولة فرنسا زيارة دير الشرفة وكان الخوري بولس يرحّب بهم بتقريظ فرنسي بليغ يلفت الانظار ويستدعي الاسماع ٠ نذكر من ذلك زيارة الكنت دي سرسي قنصل فرنسا في ١٣ ايلول ١٨٩٨ وزيارة مظفَّر باشا متصرف جبل لبنان في تشرين ١٩٠٢ ٠

٣ — المطران جرمانس معقد في دير الشرفة

في صيف السنة ١٨٩٩ يمّم دير الشرفة السيّد جرمانس معقّد مطران بعلبك الفضيل مؤسس الجمعيَّة البولسيَّة الروميَّة الملكيَّة في حريصا ٠ فاكرم الخوري بولس رئيس الشرفة وفادته ونهض بكل ما لزمه وتخلَّى له عن غرفته الخصوصيَّة ٠ واقام المطران جرمانس في دير سيدة النجاة مع كنعان

خادمه زهاء ٨ شهور اي من ايار حتى كانون الاول السنة المذكورة . ثم وافى الى الدير ثانية ومكث فيه اربعة اشهر من اذار ١٩٠٠ حتى ٤ تموز . وكان يقرّب الذبيحة الالهية في مصلى سيدة النجاة التذكاري القديم . وكان المطران جرمانس قدوة صالحة لجميع سكان الدير كهنة وشمامسة وتلامذة . فكانوا مرتاحين لرؤيته الابوية مغتبطين بمحادثته الشهية متنافسين في خدمته واستمناح بركته وقد خلّف في افئدتهم ذكريات طيبة جميلة[1] .

وفي ١٥ آب ١٩٠٣ أسس جمعيّة الآباء البولسيين الافاضل في حريصا ومكث تسع سنوات يسقيهم مناهل الفضائل ويتفانى في سبيل تقدمهم في العلوم الكهنوتيّة حتى فاضت روحه النقية وانتقل الى نعيم الابرار في ١٣ شباط ١٩١٢ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

الفصل الرابع

الذكرى المئويّة لوفاة مؤسس الشرفة

(١٨٠٠ — ١٩٠٠)

انتهز رئيس الشرفة الفضيل فرصة مرور قرن كامل على وفاة مؤسس دير سيدة النجاة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة المثلث الرحمات فكتب الى السيد البطريرك المغبوط والى اساقفة الملّة الاجلاء ليجدّدوا ذكراه الطيّبة ويشاركوا ابناء ديره المبارك في الصلاة على نفسه الزكيّة البارة .

وصباح الاحد ١٦ ايلول ١٩٠٠ اتشحت الكنيسة بثوب الحداد ودقت النواقيس دقات الحزن وتقاطر الرهبان والقسان من الاديار والكنائس المجاورة وغصت الكنيسة بجماهير المؤمنين . واحتفل الرئيس بالقداس احتفالاً لا

(١) راجع كتابنا « اجمل زهرة في حديقة آل هبرا » ٩٦

مهيباً اردفه بصلاة الجناز مع لفيف الكهنة والشمامسة والتلامذة . وختمه بتأبين مؤثر جداً اتى فيهِ على وصف مناقب ذلك الحبر الانطاكي الطيّب الآثار الذي جاهد جهاداً سخياً في تعزيز ملّته وساغ له ان يقول مع بولس الرسول : « قد جاهدتُ الجهاد الجميل واتممت شروطي وحفظت الايمان . وانما يبقى اكليل العدل المحفوظ لي الذي يجزيني به في ذلك اليوم الربّ الديان العادل لا ايّاي فقط بل جميع الذين يحبون تجلّيه ايضاً » (٢ تيم ٤ : ٧ و٨) . فوصف ما انتاب البطريرك من محنٍ وغوائل واخطار في اسفاره الشاقة وصفاً دقيقاً بليغاً . وأثنى الثناء الجميل على فكرته المقدسة في انشاء معهد الشرفة الكهنوتي الذي اغتبطت نفسه بتأسيسه وارتاح ضميره الى تثقيف محبي العيشة الكهنوتية بين جدرانه . اذ تفتحت عقولهم وصُقلت اذهانهم على يده وعلى يد اساتذته ثم انطلقوا يخدمون النفوس بهمّة لا تعرف الكلال مستعذبين في سبيلها الاتعاب والمشقات . وقد سلك ديره هذا طبقاً لروحه النقي مدة مائة سنة فهذب وثقف عدداً غفيراً من الكهنة انتشروا في مختلف الابرشيات يثابرون على العمل ليل نهار يدفعهم اليه عزم راسخ متين . . .

وبعد ذلك كله استمطر الرئيس غيوث المراحم الالهية على فقيد الملّة السريانية وابي تلامذة الشرفة المذكور في الخير . ثم كتب الى الاب لويس شيخو المرسل اليسوعي فنشد خلاصة اخبار المؤسس المغبوط على صفحات المشرق[1] .

وقد خرج الحضور عند نهاية الاحتفال الى البهو معربين عن عواطف التعازي للرئيس الجليل وكهنته وتلامذته .

---

(١) المشرق ٣ : ١٩٠٠

الفصل الخامس

سيامة رئيس الشرفة مطراناً لابرشية الموصل

المطران بطرس هبرا

عكف رئيس الشرفة على اعماله ومشاريعه حتى افتتاح السنة ١٩٠٢ فكتب اليه السيد البطريرك يخبره باصطفائه اياه راعياً لابرشية الموصل العامرة. وعين صباح الاحد ٢٦ كانون الثاني موعداً للاحتفال في كنيسة سيدة النجاة. وفي اليوم المقرر نهض البطريرك الانطاكي بحفلة السيامة المقدسة يوآزره السيد اقليميس ميخائيل بخاش مطران دمشق والسيد يوسف دريان الماروني مطران الناصرة. بحضور السيد جرمانس معقد الرومي الملكي والمرسلين اللعازاريين واللبنانيين ورهبان دير سيدة نسبيّة وكهنة دير بزمار والقرى المجاورة.

وحضر السيامة كذلك مسيو بلانتون عوضاً عن الكونت دي سرسي قنصل فرنسا العام وسليم بك عمون قائمقام كسروان نيابة عن نعوم باشا

متصرّف جبل لبنان واعيان بيروت ودمشق ومشايخ آل الخازن وحبيش وبيطار . فكانت تلك الحفلة المهيبة الشائقة منقطعة النظير في نظامها وجمالها .

ومكث المطران غريغوريوس بطرس هبرا في دير الشرفة حتى ١٩ شباط ١٩٠٢ فودّع تلامذته الاعزاء والمشايخ والاعيان اصدقاءه . وتفرّغ لضبط دفاتر الدير ثم سلمها الى الاب موسى دلال الذي خلفه في الرئاسة . وسبق فدفع الى الشماس يوسف وكيل الدير ٥٠ ليرة ذهبية اشترى بها طائفة من الصحون والملاعق والاقداح والمناشف والسّمط وما يتبعها لاجل المأدبة الفاخرة التي أُعدت للمدعوّين الى حضور السيامة . وفي ٣٠ اذار ودّع المطران بطرس دير الشرفة وجاد عليه بمبلغ ٤٠ ليرة ذهبية وسجل في وصيته الاخيرة ثلث تركته لابرشية دمشق ولدير سيدة النجاة .

واقام المطران بطرس في ابرشيته بالموصل ٢٢ سنة مفرغاً كل ما منحه المولى من القوى في سبيل تعزيزها . ثم انتقل الى ابرشية دمشق وظلّ برعاها حتى توفاه الله تعالى في ٢١ اذار ١٩٣٣ سكب المولى على روحه البارّة غيوث رحمته وامتعها في فردوس ملكوته . ومن شاء ان يطلع على تفاصيل اخباره ومؤلفاته فليراجع كتابنا « اجمل زهرة في حديقة آل هبرا » وكفى .

الفصل السادس

كهنة دير الشرفة من السنة ١٨٩٧ حتى السنة ١٩٠٣

١ – الخورفسقفوس باسيل بشُوري البغدادي (١٨٩٧ – ١٩٤٦)

وُلد في بغداد في ٣ تشرين الاوّل ١٨٧٢ وبلغ الى دير الشرفة في ٢٠ كانون الثاني ١٨٩١ وانصرف الى اكتساب العلوم والمناقب الكهنوتيّة ستة اعوام حتى صار قسيساً في ١٦ حزيران ١٨٩٧ بوضع يد المطران يوليوس باسيل قندلفت في كنيسة دمشق . ثم عاد الى وطنه يخدم النفوس بجهاد

حسن حتى السنة ١٩٢٠ فانحدر الى البصرة بمثابة نائب اسقفيّ ورُقّي الى رتبة خورفسقفوس . وفي السنة ١٩٢٤ حجّ عاصمة الكثلكة وزار بلاد فرنسا ثم عاد الى وطنهِ . واقبل غير مرّة الى لبنان انتجاعاً للصحة وتبرّكاً

بزيارة سيدة النجاة شفيعة اكليريكيتّه المغبوطة . وقد صنّف الخوري باسيل بعض كتب وقصائد عربيّة . ونشر عدّة مقالات على صفحات الصحف والمجلّات وكان ملمّاً من كلتا اللغتين السريانيّة والعربيّة . وتوفّي في كركوك في ١٣ تشرين ١٩٤٥ على اثر عمليّة جراحيّة . ثم نُقل الى بغداد ودُفن في مقبرة الكهنة ضمن بيعة سيّدة النجاة رحمه الله تعالى .

٢ – القس يوسف بنابيلي الماردينيّ (١٨٩٨ – ١٩١٤)

سُكبت الوداعة بكلّ معناها على قلب هذا الكاهن النقيّ التقيّ . وقد وصل الى دير الشرفة في ٣ كانون الثاني ١٨٩١ وكان ميلاده في ١٩ ايلول ١٨٧٣ فاكبّ على اقتباس الفضائل والعلوم وكلف بفنّ الوعظ والخطابة فنبغ فيه نبوغاً تامّاً . واستقى معلوماته من القربان الاقدس الذي تعوّد زيارته كلّ يوم في غضون تلمذته . وفي السنة ١٨٩٨ عاد الى وطنه واتّخذه المطران اقليميس يوحنا معمارباشي كاتباً لسرّه . ثم رقّاه في تشرين السنة المذكورة

البطريرك اغناطيوس افرام رحماني الى المنصب الكهنوتيّ فخدم النفوس في وطنه وفي بعض قرى طور عبدين .

وكان هذا الكاهن الورع وديعاً في معاشرته لطيفاً في حديثه . ممتازاً بخطبه الرنّانة المؤثّرة الحافلة بالفوائد الروحيّة . وكان اذا صعد المنبر وافتتح موعظته استجلب الاذهان ليصغوا الى اقوال الله عزّ وجلّ اصغاء تامّاً واستفادوا منها فوائد جمة . وتحدّثوا بها في منازلهم . وفي السنة ١٩١٢ زار عاصمة الكثلكة وتشرّف بلثم الاعتاب الرسوليّة ثم قفل راجعاً الى وطنه مستأنفاً خدمة الرعيّة لا يكفّ عن القاء المواعظ حتى أصيب بداء دويّ عجز الاطباء عن شفائه فتوفّاه الله تعالى في ١٦ أيار ١٩١٤ بالغاً الحادية والاربعين رحمه الله تعالى .

٣ – القسّ جبرائيل بخّاش الحلبيّ (١٩٠٠ – ١٩٤٧)

امتاز هذا القسيس الورع بصبره الصبر الجميل على ما شاء الله سبحانه وتعالى ان يمتحنه به لا يتلكّأ عن ممارساته التقوية بتّة . وكان ميلاده في حلب عام ١٨٧٩ وما اتمّ الحادية عشرة حتى قصد دير سيّدة النجاة وظلّ عشرة اعوام معتكفاً على اكتناز الفضائل والعلوم الكهنوتيّة . وصباح ١١ اذار ١٩٠٤ ارتقى الى الرتبة المقدّسة في كنيسة بيروت بوضع يد مار

اغناطيوس افرام رحماني البطريرك الانطاكيّ . وظلّ مقيماً في الدير حتى ٢٦ تشرين الاوّل ١٩١٦ يعلّم التلامذة اللغتين السريانيّة والعربيَّة . ثم انحدر الى بيروت وتولّى خدمة الرعيَّة . ثم عاد عام ١٩٢٣ الى دير الشرفة يساعد الاساتذة في القاء الدروس ويلقي المواعظ على المشتركين في اخوية سيّدة تباي الجليلة . وقد نشر بالطبع عام ١٩٣٤ كتاباً تقويّاً جامعاً ضمّنه الصلوات التي ينبغي ان يتلوها المشتركون في تلك الاخويّة المباركة عنوانه « الدليل الهادي الى التعبد للعذراء وخطيبها وابنها الفادي » .

وسبق هـذا الاب التقيّ الفاضل فأدّى لدير مشرفة ٥٠ ليرة ذهبيّة افرنسيَّة وفاء لنذره . ثم كتب في ١٦ كانون الاول ١٩٣٠ وصيّته الاخيرة وقرّر ان تُقسم تركته بعد وفاته ثلاثة اقسام : قسم لدفنته وتقريب قداديس بجسنة مضاعفة لراحة نفسهِ . وقسم لميتم الطائفة السريانيَّة في حلب وطنه . وقسم لشقيقيه جورج وبشير اللهمّ ان ظلّا في قيد الحياة بعده والّا فتكون وراثتهما لفقراء الطائفة يتولى توزيعها صاحب الغبطة البطريرك الانطاكيّ .

وفي ٤ كانون الاوّل ١٩٣٠ دفع القس جبرائيل الفاضل الف ليرة لبنانيَّة سوريّة الى دير الشرفة على ان يُقرّب بدلًا منها قداديس لراحة

نفسه بعد وفاته بحسنة مضاعفة ٠ وتوفي في حلب في ٢٨ شباط ١٩٤٧ رحمه الله تعالى ٠

٤ – القس جرجس دعادين الصددي (١٩٠٠ – ١٩١٧)

قدم الى دير الشرفة كهلًا وانضمّ الى سلك التلامذة الكبار مواظبًا على دراسة اللاهوت الادبيّ مدّة سنتين كاملتين ٠ وفي ١١ اذار ١٩٠٠ ارتقى مع القس جبرائيل نحّاش المذكور الساعة الى الرتبة الكهنوتيَّة . ثم انطلق الى صدد وطنه يخدم النفوس بغيرة مقدّسة حتى ادركته المنيَّة عام ١٩١٧ مخلّفاً ذكرى جميلة لسيرته الصالحة واعماله المبرورة ٠

٥ – القس يوسف ربّاط الحلبيّ (١٩٠١ –)

ينتمي هــذا الاب الورع الفاضل الى اسرة ربّاط الحلبيَّة الشريفة ٠ ومال منذ حداثته الى السيرة التقويّة و كلف بمحبة سيدة بمباي المغبوطة٠ وفي ٩ تشرين الثاني ١٨٩٣ قدم الى دير الشرفة بالغاً الثانية والعشرين ٠ وتمرّن عــلى الدروس السريانيّة وتضلّع من العربيّــة والفرنسيَّة والعلوم الفلسفيّة واللاهوتيَّة ٠ وتولّى رعاية التلامذة خمسة اعوام ٠ وفي ٢٨ تموز ١٩٠١ ارتقى الى الرتبة المقدّسة بوضع يد السيد اقليميس ميخائيل نحّاش رئيس اساقفة دمشق في كاتدرائيَّة مار بولس . ثم انطلق الى حلب وطنه

وانشأ هناك اخويّة سيدة تبّاي المغبوطة واخويّة العمال • وافرغ الجهود الطيّبة في نموّهما وتعزيزهما كلتيهما • وخلّف في قلوب المشتركين فيهما ذكريات جميلة شهيّة . وأفضل ما نقوله في هذا القسيس التقي الفاضل انه لم يدّخر وسعاً في بثّ الروح المسيحيّ الحقيقيّ في قلوب الحلبيّين شبّاناً وشيوخاً وجالاً ونساء . وجعل ينشر منذ السنة ١٩٠٥ تساعيّة سيدة تبّاي ويوزّعها عليهم مجّاناً . وما برح الى هذه الساعة يعيد نشرها وتوزيعها حتى بلغ عدد ما طبعه منها مائة الف نسخة . ولم يغمض حرسه الله تعالى عن نشر العبادة لقلب يسوع الاقدس وللقدّيس يوسف البتول شفيع الميتة الصالحة — فعلى مثل هذه الاعمال المبرورة يدور محور حياتهِ اطال الله تعالى بقاه •

٦ — القسّ متّى ملاش الماردينيّ (١٩٠٢ — ١٩١٥)

وُلد هذا القسيس النقيّ القلب الطاهر الذيل في ١٨ ايلول ١٨٧٧ وقدم مع كاتب هذه الحروف الى دير الشرفة في تشرين ١٨٩٥ واكبّ على المطالعة والدروس بكلّ قواه حتى ٢٥ اذار ١٩٠٢ فارتقى الى الرتبة الكهنوتيّة بوضع يد البطريرك افرام رحماني المغبوط • وعيّن خادماً للنفوس في قرية الجابريّة المجاورة لحمص . ثم تنقل الى غيرها من القرى واقام مدة في زحلة بلبنان وخلّف في كلّ ادوار حياته ذكراً صالحاً لغيرته الوقادة

يردّده المؤمنون حتى اليوم . وفي السنة ١٩١١ انطلق الى ماردين وتولّى خدمة الانفس في كنيسة والدة الله الكاتدرائيّة . وواظب على القاء المواعظ والخطب تارة في الكنيسة المشار اليه وطوراً في اخوية «دم يسوع» الفادي دون ملل او كلال .

وقد عرفنا هذا القسيس الفاضل معرفةً تامّة واطّلعنا على سرائر قلبه النقيّ وعلى ما كان يضمره من العواطف الشريفة والاشواق المقدّسة لأجل خلاص الانفس . وطالما سمعناه يقول متأوّهاً : « الانفس الانفس!!» . اذ كانت جذوات الغيرة على خلاص النفوس ومحبة القريب متوقّدة في قلبه . فلم يدع فرصة من الفرص الّا اغتنمها للاعراب عن مكنونات صدرهِ . غير ان مدّة خدمته هذه الشريفة في وطنه لم تستغرق اكثر من اربعة اعوام . فان الاتراك هجموا على كنيسة والدة الله بماردين صباح ١١ حزيران ١٩١٥ عيد قلب يسوع الاقدس وشاهدوا هذا القسيس القديس يُلقي خطبة على المؤمنين ويذكّي في قلوبهم التحمس ليخوضوا غمار الجهاد في سبيل الايمان المقدّس . فما كان من اولئك الاتراك الطغاة القساة الّا ان قبضوا عليه واستاقوه الى السجن وضموه الى سائر الكهنة والمؤمنين المسجونين . فنهض اذ ذاك هذا القسيس الشجاع نهضة البطل وجعل يشجعهم ويحثهم على الاعتراف بخطاياهم ويبعث في قلوبهم عواطف الحبّ لله عزّ وجلّ والاستبسال في الجهاد حتى آخر رمق من حياتهم . وقد سيق مطوّقاً بالسلاسل مع رفاقه الى قرية شيخان وهناك ذبحوه مع المسيحيين فمات شهيد الايمان[1] . وقد ابتهج قلبنا كلّ الابتهاج اذ قرأنا خلاصة اعماله الرسوليّة في « رسالة قلب يسوع » التي ينشرها تباعاً المرسلون اليسوعيّون الافاضل في بيروت[2] .

---

(١) القصارى في نكبات النصارى ٢٠٥ – ٢٠٦

(٢) رسالة قلب يسوع : سنة ١٩٤٤

على ان دير الشرفة خصوصاً يتباهى بهذا التلميذ الوفيّ الذي عاش عيشة الزهّاد المساكين وتاجر افضل المتاجرة بوزنته وربح فوقها ارباحاً فائضة فاستحقّ ان يسمع تلك العبارة الانجيليّة العذبة من فم راعي الرعاة الازلي فادي البشر وهي : « تعالَ يا مبارَك ابي رث الملك المعدّ لك منذ انشاء العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) .

٧ - القس اليان كدر الزيدليّ (١٩٧٢ - ١٩٤٣)

شخص الى دير سيدة النجاة في اوّل اذار ١٩٠١ في عنفوان الشباب ودرس شيئاً من المبادىء اللاهوتية ثم رسِمَ قسيساً في كنيسة بيروت مع القس متى ملاشّ المذكور آنفاً . وخدم النفوس في زيدل وطنه وتوفاه الله تعالى في مستشفى « اوتيل ديو » ببيروت عام ١٩٤٣ .

٨ - القس ميخائيل عين القطني (١٩٠٢ - ١٩٣٤)

وُلد في قطنة قرية من قرى دمشق الشام عام ١٨٧٩ ودرس العلوم الكهنوتية في اكليريكية الشرفة منذ ٨ حزيران ١٨٩٣ حتى ١٤ ايلول ١٩٠٢ فارتقى الى رتبة القسوس بوضع يد المطران قرلّس بولس دانيال الموصليّ في كنيسة دمشق . وخدم النفوس برهة في مسقط رأسه ثم انتقل الى دمشق وفيها توفاه الله تعالى في كانون الثاني ١٩٣٤ .

٩ – القس جبرائيل عين القطني (١٩٠٢ –   )

وصل الى دير الشرفة في ١٩ اذار ١٨٩٥ وهو في السن التاسعة عشرة. وانضمّ الى مصاف التلامذة وجعل يدرس اللغتين السريانية والعربية ثم الدروس الكهنوتية . ونُصب قسيساً مع ابن عمه القس ميخائيل السابق ذكره . وخدم عهداً طويلاً رعية قطنة ثم عين خادماً لكنيسة الصالحية بدمشق . وتفرّد هذا القسيس الورع ببساطة قلبه وخضوعه التام لرئيسه .

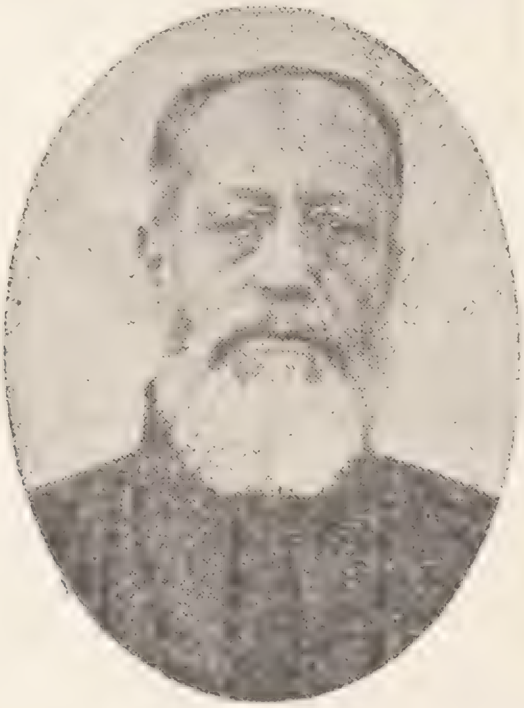

١٠ – القس يوسف طعمة الراشياني (١٩٠٢ –   )

وُلد هذا القسيس الموقّر في راشيا في ٢٨ ايار ١٨٧٥ ودرس العلوم اول بدء في دير مار يعقوب باورشليم عند الارمن الغريغوريين فاتقن اللغة

الارمنية واحكمها . ثم انتقل من هناك الى دير سيدة النجاة بالشرفة في ١٤ كانون الاول ١٨٩٨ بهمة الخوري موسى سركيس النائب البطريركي يومئذٍ في اورشليم . وانضمّ الى مصاف التلامذة يدرس العلوم العالية حتى ١٤ ايلول ١٩٠٢ فارتقى مع القس ميخائيل والقس جبرائيل المذكورين آنفاً الى المنصب الكهنوتي وخدم النفوس في راشيا مسقط رأسه .

وعلى اثر حوادث دمشق المشؤومة عام ١٩٢٥ و١٩٢٦ اضطرّ القس يوسف ان يغادر راشيا مع مريم قرينتة التي امتازت بشجاعتها في تلك الثورة وانقذت وطنها من ايدي العداة . وظلّ كلاهما مقيمَين في بيروت حتى السنة ١٩٢٩ فعادا الى راشيا . وما برح القس يوسف وقد اناف على السبعين مثابراً على خدمة النفوس في تلك القرية السريانية الشهيرة .

١١ – القس ميخائيل بصّال الحلبيّ (١٩٠٣ – ١٩٠٨)

ينتمي هذا القسيس الفاضل الى اسرة بصّال السريانية الحلبيَّة التي امتازت بتقواها وتشبثها المتين بالعقيدة الكاثوليكية . وكان ولادهُ في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٧٣ ودخل دير سيدة النجاة عام ١٨٩١ واكمل دروسه الابتدائية وعاد الى وطنه ونهض بخدمة السيّد ديونيسيوس افرام رحماني راعي الابرشية حتى السنة ١٨٩٦ فعاد الى دير الشرفة واكبّ على درس الفلسفة واللاهوت . وبرع في الانغام السريانية فلقنها التلامذة اذ كان ممتازاً برخامة

صوتهِ وخبرته باصول الالحان · وفي ٦ آب ١٩٠٣ عيد تجلّي الفادي يسوع على جبل تابور رقاه البطريرك اغناطيوس افرام رحماني الى الرتبة المقدّسة · غير ان المنيَّة لم تمهله اكثر من خمسة اعوامٍ فتوفي كهلاً عام ١٩٠٨ بالغاً ٣٥ ربيعاً تغمد الله الكريم نفسه بغزير رحماته ·

١٢ – الخورفسقفوس اسحق ارملة (١٩٠٣ –)

غادرتُ ماردين وطني صباح الجمعة ١١ تشرين الاول ١٨٩٥ مع خمسة شبَّان هم : حنا ملاش وسليم حلوجي وعبد الكريم حوّا وجبرائيل بوصيك وعبد الكريم نوري · ووصلنا الى حلب راكبين على ظهور البهائم صباح الاربعاء ٢٣ تشرين الاول · فقضينا ١٢ يوماً في براري ما بين النهرين وسوريا مارّين بالرها وسروج ومنبج · ولما يمّمنا حلب نزلنا ضيوفاً في القلّاية المطرانية · فرحّب بنا السيد ديونيسيوس افرام رحماني الجليل وأعدَّ لنا كل ما احتجنا اليه من دواعي الراحة والطمأنينة · وفي ٢٦ الشهر وهو عيد مار ديمتريوس الشهيد بعدما خدمنا قداس المطران المشار اليه غادرنا حلب في عربة النقل وسرنا في طريق الاسكندرونة · ثم ركبنا الباخرة الخديويّة يوم الجمعة ١ تشرين الثاني ومررنا بطرابلس وقضينا فيها ليلة · واستأنفنا المسير الى بيروت فحللنا فيها صباح الاثنين ٤ تشرين

الثاني . ثم توجّهنا بالعربة الى جونية وطلعنا الى دير الشرفة راجلين فوصلنا في الساعة الثانية بعد الغروب . فرحّب بنا الخوري بولس هبرا ترحيباً ابوياً جميلا جداً وتلطف لنا في الحديث وطرح علينا الاسئلة: متى غادرتم وطنكم وكيف سافرتم ؟ فوجدنا في حديثه ما انسانا تعبنا . ثم أمر وطنيّنا الشماس يوسف بنابيلي فانحدر الى القاعة واستقبلنا وسألنا عن آله وذويه . وصباح ٥ تشرين الثاني بعد حضور القداس انطلقنا الى قلّاية الرئيس فاخذ شهادات عماذنا وأثبتها في سجلّ التلامذة .

وبعد هذا انضممنا الى صفوف التلامذة وثابرنا على تحصيل العلوم ما استطعنا . وقد ثبتنا والحمد لله تعالى في الدعوة الاقليرسية سوى احدنا وهو عبد الكريم بن سعيد نوري فانه غادر الدير وتوجه الى القاهرة واستخدم في الحكومة السودانية زهاء ١٧ سنة وعلّم اللغتَين السريانيّة والعربيَة اذ كان مُلمّاً بهما كل الإلمام .

واصلتُ دروسي مع رفاقي وفي ٢٤ كانون الثاني ١٨٩٨ رُقيت الى درجة الشماس الرساليّ . وفي آذار ١٩٠٣ نزلتُ الى بيروت لاجل معالجة اذني وأقمت شهراً كاملًا يستنسخني صاحب الغبطه مقالات سريانية جمّة كان يُعدّها لكتاب « الدروس السريانية » . ثم أمرني البطريرك المغبوط فعدتُ الى الدير وفي ٢٣ نيسان رقاني الى الرتبة الدياقونيّة بعدما قضيتُ اسبوعاً كاملًا معتكفاً في دير المرسلين اللبنانيين الافاضل وكان اسمي الياس فاعطاني اسم اسحق . وفي ٢٠ تموز استأذنتُ صاحب الغبطة وتوجهت الى القدس الشريف وتبركت بضريح الفادي الالهيّ وسائر الاماكن المقدسة وحضرت اول قدّاس اقامه الخوري روفائيل جبري الموصليّ في المصلّى الجديد المشهور باسم مصلّى مار افرام . ثم عدتُ الى الدير واعتكفت اسبوعاً كاملًا في دير الاباء اليسوعيين بغزير مع رفيقيّ سليم حلوجي وكريم حوّا بارشاد الاب لويس معلوف الطيّب الذكر . وفي ٨ ايلول

١٩٠٣؛ رقاني البطريرك الانطاكي المغبوط الى الرتبة المقدّسة واتخذني كاتباً لاسراره ·

وفي السنة ١٩٠٩ زرتُ القدس الشريف ثاني مرّة مع الخوري موسى سركيس رئيس دير الشرفة وعدتُ الى بيروت في شهر ايلول فاستدعاني صاحب الغبطة الى رومية وتشرّفتُ بلثم قدمي البابا بيوس العاشر · ومن رومية سافرنا معاً الى الاستانة مارّين بمدينة برندزي واقمنا في قاضي كوي في دار الياس بك رسّام شهراً كاملًا وعدنا الى بيروت في سلخ تشرين الثاني ١٩٠٩ ·

وفي اذار ١٩١٠ سافرت مع السيد البطريرك الى حمص وحماة والقريتين وصدد والنبك ودير مار موسى الحبشيّ · وفي نيسان السنة عينها غادرت معه بيروت الى حلب ومنها الى اورها ودياربكر وماردين فدخلناها في ٦ حزيران · وفي ٦ تموز انطلق البطريرك المغبوط الى الموصل ومكثتُ وحدي في ماردين فكتبتُ اليه واستأذنته في زيارة الاراضي المقدّسة مع والدتي وشقيقتي فلبّى طلبتي ومكثنا ١٥ يوماً في اورشليم ثم عدنا الى بيروت وقصدنا دير الشرفة ولبثنا بضعة ايام ورجعنا الى بيروت فكتب السيد البطريرك يستعجلني على العودة الى ماردين فعدتُ مع امّي وشقيقتي ووصلنا معاً في ٨ كانون الاوّل ١٩١٠ وهناك أمرني صاحب الغبطة ان امكث في ماردين واتولّى تعليم الرهبان الافراميين · فعُدت الى بيروت في ٢٠ اذار ١٩١١ ونقلتُ كتبي امتثالًا لاوامر الغبطة وقفلتُ راجعاً الى ماردين · وفي ايلول ١٩١٢ قمتُ برحلةٍ الى طور عبدين ونشرتُ على صفحات مجلة المشرق عام ١٩١٣ مجمل ما وقع لي وما شاهدته في تلك الجولة ·

وفي ٢ آب ساقني الاتراك الى السجن مع رئيس الدير الخوري افرام احمردقنه الورع وجميع قسوس الدير ورهبانه فمكثنا ثلاثة ايام بلياليها ثم أطلق سبيلنا بعناية الله تعالى(١) ·

---

(١) راجع كتابنا القصارى في نكبات النصارى ٣٠١ — ٣٠٨

وفي السنة ١٩١٩ عدتُ الى بيروت مع اهلي وقصدتُ دير الشرفة وطبعتُ كتاب «القصارى في نكبات النصارى» معدّدا ما لاقاه المسيحيون في اثناء تلك الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨) من فظائع الاتراك وفضائحهم ومذابحهم في بلاد ما بين النهرين ولاسيا في ماردين وطني . واقمتُ مع والدتي وشقيقتي وسعيد وجبران ولدَي اخي يوسف بالقرب من دير الشرفة سنة كاملة ثم انحدرتُ معهم الى بيروت واقمنا بها .

ولمّا ارتقى السيد ديونيسيوس جبرائيل تپّوني الى الكرامة البطريركيّة في ٣٠ حزيران ١٩٢٩ اتخذني كاتباً لسرّهِ . ومكثتُ بخدمتهِ ثلاث سنوات وانطلقت معه عام ١٩٣٠ الى انطاكية وهناك رقاني الى رتبة خورفسقفوس في ١ نيسان . وفي ٦ ايّار السنة عينها ذهبتُ الى رومية تلبية لطلب حضرة المونسنيور توما حلبيّة الفاضل فدفع كلّ نفقات سفري ذهاباً ورجوعا وهناك اختلفت مراراً الى المكتبة الواتكانيَّة ونقلتُ شيئاً عن مخطوطاتها الثمينة ممّا له علاقة بالحقّ القانونيّ . وانشأت في اللغة السريانية كتاباً في « الرئاسة البابوية » ونسخته وجلّدته تجليداً جميلًا ورفعته هدية بنويّة الى قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر .

ونسختُ كذلك كتاباً ضخماً في السريانيَّة يشتمل على اكثر من ١٫٠٠٠ صفحة كبيرة مداره عن الحقّ القانونيّ . وفي ١ آب السنة المذكورة عدتُ الى بيروت وواصلتُ خدمة السيد البطريرك المغبوط حتى تموز ١٩٣٢ ثم انقطعت الى الشغل والكتابة على حدة ..

١ً ـ اما التآليف التي وفّقتني العناية الربّانيَّة ان انشرها بالطبع فهذه لائحتها :

١ — [illegible] رغبة الاحداث : في جزئين .
٢ — الزهرة الذكيَّة في البطريركيَّة السريانيَّة الانطاكية .
٣ — الرجمة في تفنيد « كلمة انتقاديّة » .
٤ — اديار ماردين القديمة ودير مار افرام .
٥ — سياحة في طور عبدين سنة ١٩١٢

٦ – التذكار الخمسيني لوفاة السيّد اغناطيوس انطون سمحيري .
٧ – القصارى في نكبات النصارى .
٨ – طرفة في اخبار دير الشرفة .
٩ – اليونان وكتبة السريان .
١٠ – الاصول الابتدائية في نحو اللغة السريانيّة (في جزئين) .
١١ – سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين .
١٢ – انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان .
١٣ – بحث تاريخيّ عن السريان في القطر المصريّ .
١٤ – القنصليّة الفرنساويّة والطائفة السريانيّة في بغداد .
١٥ – الحروب الصليبيّة في الآثار السريانيّة .
١٦ – رسائل بركيلو وبرشقاقو وداود بيث ربّان (في السريانيّة) .
١٧ – سلوى الرائدين في امثال ماردين .
١٨ – التكريمات المريميّة في الكنيسة السريانيّة .
١٩ – لمعة في المنظومات والاغاني السريانيّة .
٢٠ – لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني .
٢١ – البطريرك الجديد – مار اغناطيوس جبرائيل الاوّل تبّوني .
٢٢ – فرنسيس شيحا واخبار أُسرته السريانيّة .
٢٣ – السريان في قبرس .
٢٤ – الرئاسة البابويّة في الكنيسة السريانيّة .
٢٥ – الرتب الكهنوتيّة في الطايفتين المارونيّة والسريانيّة .
٢٦ – خراب ايلون (معرّب عن السريانيّة) .
٢٧ – الرهبنة البندكتيّة في فلسطين .
٢٨ – أجمل زهرة في حديقة آل هبرا .
٢٩ – رحلة المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينيا والعجم .
٣٠ – المليك اللبناني الامير بشير الشهابي الثاني .
٣١ – وثائق خطيّة في علائق آل طرّازي بالملّة السريانيّة .
٣٢ – فهرس مخطوطات دير الشرفة .
٣٣ – الملكيّون – بطريركيّتهم الانطاكيّة ولغتهم الوطنيّة والطقسيّة .
٣٤ – القرى السريانيّة في لبنان وسوريا والجليل .
٣٥ – آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا .
٣٦ – مار يعقوب السروجي الملفان – بحث انتقادي تاريخيّ دينيّ .
٣٧ – نصارى غسّان والسريان .

٣٨ – اسرة آل طرّازي .
٣٩ – تاريخ دير سيّدة النجاة اي دير الشرفة .
٤٠ – خلاصة اخبار القديس يوحنا دن بسكو

هذا عدا مقالات نشرتها في مجلة المشرق وفي البشير وفي مجلة الآثار الشرقيّة ومجلة الحبّ والسلام ورسالة العمال ورسالة قلب يسوع الخ الخ .
امّا الكتب التي صنّفتها ولم يتيسر لي نشرها بالطبع فهي :
١ – تاريخ الدول الآرامية السريانيّة في نحو ٥٠٠ صفحة
٢ – تاريخ الكنيسة السريانيّة 〃 〃 〃 〃
٣ – القدّاس السريانيّ في ٣٠٠ صفحة
٤ – ترجمة حسّايات الصوم الاربعيني واسبوع الآلام
٥ – مختصر اخبار العهد العتيق في السريانيّة (مصوّر)
٦ – حقائق تاريخيّة عن أسرة شيحا السريانيّة
٧ – لمحة تاريخيّة عن اسرة هندي الحلبيّة
٨ – عقد اللآل في شجرة آل فتّال
٩ – آل ابرهيمشاه في التاريخ
١٠ – سيرة القدّيس يوليان الشيخ صاحب دير القريتين

وبلغت الكتب السريانيّة التي نسختها بخطّ يدي ٣٥ كتاباً اذكر منها اولاً كتاب ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ في شرح العهد القديم والعهد الجديد تأليف ابن العبري في ١٦٠٠ صفحة. نسخته المعلّم سبرنغلنغ الاميركيّ. ثانياً – منظومات السريان في تقريظ العذراء مريم المجيدة . نقلتها في ٧١١ صفحة كبيرة عن تآليف سريانيّة مخطوطة ومطبوعة تلبيةً اطلب غبطة السيد براسينا بطريرك اورشليم عام ١٩٣٤ ثالثاً – دساتير المجامع البيعيَة في السريانيّة نسختها في اكثر من الف صفحة كبيرة عام ١٩٣٠ في رومية . رابعاً – طقوس الرسامات والسيامات الكهنوتيّة في مخطوط ضخم ذي ستة اعمدة يشتمل كل عمود على نسخة قديمة من تلك الطقوس لتجري مقابلة بعضها بالبعض الآخر ويُعتمد على نشر أصحها . وقد نسختُ نسخة صحيحة متقنة ومنقّحة طبقاً لأمر صاحب النيافة الكردينال البطريرك المغبوط .

والنسختان كلتاهما في حوزته · خامساً — جنازات الاقليرس والمؤمنين نقلًا عن مخطوط بيعة الشهيدة شموني بماردين · ثم كتاب الجنازات مصححاً ومهيّأً للطبع · سادساً — خمس نسخ من نافورات القدّاس · سابعاً — بيتكاز كامل · ثامناً — خلاصة المجلّدات الاربعة من المكتبة الشرقيَّة تأليف العلّامة الفضيل السيد يوسف سمعان السمعاني · تاسعاً — خلاصة فهارس المخطوطات السريانية المصونة في مكتبات الفاتيكان وفلورنسا ولندن واكسفرد وباريس وكمبردج وماردين والموصل ودياربكر · عاشراً — شُرح الانجيل ليعقوب ابن الصليبي · حادي عشر — شرح المزامير لدانيال الصلحي الخ الخ الخ ·

وأوفت الكتب العربية التي نسختها بخطّ يدي على الخمسين اذكر منها — اولًا — ديوان قرّة العين بالشكل الكامل : للفيكنت فيليب دي طرازي · ثانياً — المكتبات العربية في الخافقين للفيكنت كذلك · ثالثاً — فهارس الجرائد والمجلات · للفيكنت عينه · رابعاً — فهرس مخطوطات الفيكنت (خمس نسخ) · خامساً — كتاب المنهاج في الطبّ : تأليف يحيي بن جزلة نسختُ منه نسختين الاولى عن مخطوطة باريس والثانية عن مخطوطة الشرفة · سادساً — قراءات العهد القديم والعهد الجديد المستعملة في ايام الصوم الكبير (لكنيسة بيروت) · سابعاً — تاملات هامون خوري سان سولبيس : ترجمة السيد غريغوريوس بطرس هبرا المثلث الرحمة وتهيئتها للطبع الخ الخ الخ ·

هذا واني أضرب الصفح عن ذكر نبذ جمّة سريانية وعربية نسختها بخطّ يدي وهي تكاد تنطوي على مجلد ضخم قائم برأسه · فليس لي بعد هذا كله الّا ان اهتف بآيات الشكر الحميم للروح القدس ابي المساكين ومانح المواهب لعبيده اذ جاد على مذلتي بعطايا فائضة لا استحقها متوسّلًا اليه بكلّ جوارحي ان يصفح عن مآثمي الوافرة ويمن عليّ بآخرة صالحة بشفاعة عروسه مريم المصطفاة امّ الشرفة وامّي سيدة النجاة عليها اشرف السلام وازكى التحيّات ·

١٣ – القس يعقوب حلوجي المارديني (١٩٠٣ –)

وُلد في ماردين في ١٨ تشرين الاوّل ١٨٧٩ وقدم معنا الى دير الشرفة فوصلنا في ٥ تشرين الثاني ١٨٩٥ كما قلنا . وثابر على المطالعة والدرس بجدّ واجتهاد حتى اول ايلول ١٩٠٣ فانطلقنا معاً الى دير الاباء اليسوعيين في غزير واعتكفنا مدة اسبوع كامل يلقي الاب لويس معلوف علينا مواعظ الرياضة . ثم عدنا الى دير سيدة النجاة . وكان ارتقاء الشماس يعقوب الى الرتبة الكهنوتية في ٣ تشرين الاول ١٩٠٣ بوضع يد البطريرك افرام رحماني المغبوط . وبعد هذا توجّه الى النبك وخدم الرعية فيها حتى السنة ١٩٢١ فالتمس من صاحب الغبطة ان يأذن له في الذهاب الى اميركا ليزور اهله فاذن له وما برح الى هذا اليوم مقيماً هناك في الشيلة.

١٤ – القس ملكي حوّا الماردينيّ (١٩٠٣ –)

هذا ايضاً هو احد رفقائي الخمسة كما قلتُ وقد وُلد في ماردين عام ١٨٧٨ ووصل معي الى دير الشرفة في ٥ تشرين الثاني ١٨٩٥ وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ٣ تشرين الاول ١٩٠٣ مع القس يعقوب المشار اليه في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة . وعلى اثر سيامته انطلق الى يبرود ليخدم النفوس وهو يقضي بضع ساعات هناك يدرّس الفتيان في مدرسة

الروم الملكيين · وفي نواحي السنة ١٩٠٨ سافر الى القطر المصري في سبيل كنيسة يبرود وجمع مبلغاً زهيداً اشترى به بعض شماعد وصوَر

لتزيين تلك الكنيسة الجديدة · وما زال مقيماً في تلك المدينة مواصلاً اعمال وظيفته بغيرةٍ وامانةٍ ·

الفصل السابع

نيابة الاب موسى دلّال في دير الشرفة

(١٩٠٢ ــ ١٩٠٣)

على اثر ارتحال المطران غريغوريوس بطرس هبرا الى الموصل كما نوّهنا ناب منابه في رئاسة دير سيدة النجاة الاب موسى دلَّال الدمشقي· وقد وُلد هذا الاب الفاضلَ في ٢٥ تشرين الاول ١٨٧٨ وهو ابن القس حنا ابن الشماس توما الذي رافق مؤسس دير الشرفة من ماردين الى الموصل فبغداد فلبنان كما قلنا[١] ·

وصل الاب موسى دلَّال الى دير الشرفة في ٦ تشرين الثاني ١٨٨٧ واقام فيه سنتين ارتحل بعدهما الى رومية وانضم الى تلامذة الاكليريكية

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٢٥ و ٢٦٤

الاوربانية واعتكف على تحصيل المناقب والعلوم الكهنوتية حتى ١٩ ايار ١٩٠٠ فارتقى الى الرتبة المقدسة مع رفيقه الخورفسقفوس بولس قندلا الموصلي وعادا معاً الى دير الشرفة . ثم تولى الخوري بولس كتابة اسرار البطريرك الانطاكي ونُصب الاب موسى راعياً لتلامذة الدير ومعلماً في اللاهوت النظري والادبي والكتاب المقدس . وقد نهض بكلتا المهمتين خير نهوض وثقف التلامذة بحكم مبادئهِ وسديد نصائحهِ وسهر عليهم سهر الام الرؤوم على اولادها .

في ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٢ تولى الاب موسى نيابة الرئاسة في دير سيدة النجاة . فكان عنوان الغيرة والامانة والاستقامة في كل اعماله . وقد احب تلامذته حباً اخوياً واعتنى بهم اعتناء ابوياً مفعماً رقةً وعذوبةً . على اني اذكر له مَن هذا القبيل حادثة جرت له معي حينما كنتُ تلميذاً وابتُليت في ايار ١٩٠٢ بحمّى خبيثة كادت تكون القاضية على حياتي . فاضطرّ الاب موسى الهمام ان يفصلني عن رفاقي التلامذة وينقلني الى غرفة ضيقة . وهناك أحيا معي ثلاث ليالٍ ساهراً عند فراشي يكافح علّتي بنشاط وثباتٍ ويسقيني الادوية مراراً بيده المباركة مخاطراً بحياتهِ ريثما شاء الله سبحانه فأنعم عليّ بالشفاء . تلك صنيعة تحدوني على المجاهرة بمعرفة الجميل والشكر لهذا الاب العطوف والراعي المحبوب . وما اصطنعه عندي من المعروف اصطنعه عند كل تلميذٍ اعترته ملمّة او حلت به رزيئة .

وفي ايلول ١٩٠٣ سلم مقاليد الرئاسة الى الخوري موسى سركيس طبقاً لاوامر السيد البطريرك وواصل تدريس التلامذة وحراستهم . وفي ١١ حزيران ١٩٠٦ توجه الاب موسى دلال الى اميركا ليتفقّد احوال اخوته المقيمين هناك ومكث عندهم حولاً كاملاً ثم انطلق الى رومية عام ١٩٠٧ وحضر الاحتفالات الشائقة بذكر مرور ١٥ قرناً على وفاة القديس الانطاكي العظيم مار يوحنا فم الذهب اسقف قسطنطينية (٣٤٤— ١٤ ايلول ٤٠٧) . واغتنم فرصة اقامته في تلك العاصمة فعرض على

الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان المقدّس حاجة دير الشرفة فجاد عليه بمبلغ ١٢٦٠٠٠ فرنك ذهباً ضمّ اليه مبلغاً اخر من بعض اصدقائه وشيّد به عشر غرف جميلة واسعة متقنة في الدور الثالث .

ثم كتب الاب موسى الى رومية في تصوير صورة كبيرة بديعة تمثل سيّدتنا مريم العذراء سيدة النجاة واقفةً حاملةً ابنها يسوع الالهي وهي تطأ تحت اخمصها هامَة الحيَّة الجهنميَّة والى يمين العذراء مار اغناطيوس النوراني شفيع الكرسي الانطاكي والى يسارها مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة . وانشأ الاب موسى في دير الشرفة اخويّة الحبل بلا دنس للتلامذة واخويّة سيدة نجاي للاهالي يساعده في ذلك الاب جبرايل نجّاش الفاضل .

المطران جرجس دلّال

على هذا النسق واصل الاب موسى حسناته واعماله في دير الشرفة ١٢ سنة (١٩٠٠ — ١٩١٢) حتى ارتقى بكل استحقاق الى كرسيّ مطرانيَّة بغداد في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ وسُمّي « اثناسيوس جرجس » . وقد

ساس تلك الابرشيَّة العامرة سياسة رسوليَّة . وأبدى من المساعي والمشاريع مـا سجل له الذكرى الحسنى بحيث اصبح البغداديوّن يهتفون بفضائله ويتحدّثون بمناقبهِ ويتسابقون في حبّهِ واحترامه . وشيّد في العشار كنيسة باسم « قلب يسوع » الاقدس وابتنى في العمارة كنيسة « مار يوسف » خطيب العذراء عليها السلام .

وفي ٣١ تموز ١٩٢٦ نُقل المطران اثناسيوس جرجس دلاّل من كرسيّ بغداد الى كرسيّ الموصل ودُعي « قورلّس جرجس » . وفي ١٠ تموز ١٩٣٧ انعم عليه البابا بيوس الحادي عشر بلقب « جليس لدى العرش البابويّ » ذكراً لمرور ربع قرن (١٩١٢ — ١٩٣٧) على سيامته الاسقفية وقد اذاع بفرصة يوبيل العذراء عام ١٩٣٤ رسالة رعائية على ابناء ابرشيته وحثهم على التقرب من الاسرار المقدّسة لمنال الغفران . ونشر في السريانية صلوات فرضية خصوصية لتلك الغاية الشريفة . وما برح هذا المطران الهمام ناهضاً باعباء ابرشيته الموصليَّة الواسعة الارجاء متفانياً كلّ التفاني في ما يعود الى خيرها الروحيّ والزمنيّ[1] اطال الله تعالى بقاه .

الفصل الثامن

رئاسة الخورفسقفوس موسى سركيس ثانية
(١٩٠٣ — ١٩١٢)

سبق هـذا الرئيس الفاضل فتولّى رئاسة دير سيدة النجاة ٦ اعوام (١٨٨٧—١٨٩٣) كما ذكرنا . وبعد هذا التاريخ تولّى النيابة البطريركية في اورشليم فافرغ الجهود المستمرة حتى تيسر له ان يشتري ارضاً ويبتني مركزاً للطائفة السريانية . وضم اليه مصلّى تيمناً باسم مار افرام السرياني

(١) لخصنا كلمتنا هذه عن مقالٍ نشرناه في مجلة « الحبّ والسلام » (السنة الثانية ١٩٣٧ صفحة ١٩٣ — ٢٠١) .

ملفان الكنيسة . واشترك في ذلك الصنع المبرور السيد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني المغبوط واعيان الملّة والاقليرس وبعض المشايخ والرجال الافاضل . وقد كابد الخوري موسى في سبيل تلك العمارة الجديدة ما كابد من اتعاب ومشقّات وافرة وتبرّع بمبلغ ٢٠٠ ليرة ذهبية تعزيزاً لذلك المشروع واشرف على العمَلة في اثناء الحرّ اللافح والبرد القارس حتى انجزه بحوله تعالى .

وفي ايلول ١٩٠٣ استقدمه السيد البطريرك الى لبنان وعقد له الرئاسة على دير الشرفة وفوّض اليه ان يتوشح بصليب الصدر ويستعمل صليب اليد ويلبس الخاتم في جميع الحفلات البيعية لكنَّه لم يستعمل شيئاً من ذلك على الاطلاق .

باشر الخوري موسى مهمّته باوفر نشاط يُشرف على ابنائه التلامذة اشراف الاب العطوف على اولاده الاعزّاء . ولم ينثر عن الاعتناء بارزاق الدير وعقاراته . فقضى ٩ اعوام مواظباً دون كلال على تلك الاعمال والمشاريع المفيدة .

وفي عهد رئاسته الميمونة وضع البطريرك الانطاكيّ الحجر الاوَّل لدير الراهبات الافرميّات على قمّة « البياضة » في ارض دير الشرفة . وتمّ ذلك في ٢٨ تموز ١٩٠٤ بموآزرة السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري والسيد غريغوريوس بطرس هبرا ورئيس الشرفة المشار اليه مع جمهور الكهنة وتلامذة الشرفة .

وفي ١٠ آب ١٩٠٨ أصدر السيد البطريرك صكّاً رسميّاً نصب به رئيس الشرفة نائباً عنه خلال تغيبه في اوربا هذه خلاصته :

« نهدي البركة الرسوليّة والسلام الخاصّ الى ولدنا العزيز الفاضل الخورفسقفوس موسى سركيس رئيس دير الشرفة الجزيل الاحترام

« قضى الاطبّاء ان نتغيّب عن مركزنا ببيروت . فلذلك نوجّه اليكم النيابة البطريركيّة عنّا على بيروت ودير مار افرام الرغم وعلى جونية ورسالة زحلة وابرشية حمص وحماة وسائر القرى المتعلّقة بها . ومن ثم فبقوّة صكّنا هذا نقلّدكم الولاية لتسوسوا عنّا الاماكن المذكورة بشعبها وكهنتها بما هو آئلٌ لخيرها .

«وكذلك نفوّض اليكم باسم الكرسي الرسوليّ المقدّس الولاية لتفسحوا من موانع الزواج اي موانع القرابة الدمويّة ذات الدرجة الثانية في اربعة حوادث للاماكن المذكورة اعلاه . وكذلك من موانع الدرجة الرابعة في ثمانية حوادث ..

«ثم اننا نخوّلكم في هذه الفرصة على مدى الايّام الامتياز بان تلبسوا الخاتم والصليب وان تباركوا الشعب بالصليب في اثناء القداس . ونختم مهدين اليكم تكرارًا البركة الرسوليّة والسلام الخاصّ .

«صدر عن قلّايتنا البطريركيّة ببيروت في ١٠ آب ١٩٠٨ وهي السنة العاشرة لبطريركيّتنا — اغناطيوس افرام الثاني

بطريرك السريان الانطاكي»

وقد جدّد البطريرك الانطاكيّ هذا الانعام عام ١٩٠٩ ايضاً . وأَحبّ الرئيس يومئذٍ ان يحجّ الاراضي المقدّسة فذهبنا في خدمته في تموز السنة المرقومة وجُلنا معاً في كنائس القدس الشريف وبيت لحم وعين كارم وعماوس . ثم توجّهنا الى الناصرة وزرنا طبريّة وبيت صيدا وتبغة وجبل تابور والكرمل وعدنا في ايلول الى بيروت .

وعاد الخورفسقفوس موسى الى دير سيدة النجاة يستأنف أَعماله حتى صباح الاحد ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ فاستدعاه البطريرك الانطاكيّ الى بيروت ورقّاه في كنيسة مار جرجس الى كرسيّ اسقفيّة حمص وحماة والنبك وملحقاتها وسمّاه «اوسطاثيوس موسى» . ورقى معه الاب موسى دّلال الى مطرانيّة بغداد وسمّاه «اثناسيوس جرجس» كما نوّهنا في الفصل السابق .

فودّع تلامذته الاعزاء وتوجه الى ابرشيّته الجديدة مفعم القلب رجاءً وطيداً وثقة تامة بالله عزّ شأنه . وساس رعيته المحبوبة سياسة ابويّة مدة ٦ اعوام اضطرّ في اثرها ان يقصد لبنانَ لسبب مرض عضال اعتراه . وزجى ايامه الاخيرة مصطبراً على الاوجاع منقاداً لاحكام الله تعالى الغامضة حتى ١٩ آب ١٩١٨ ففاضت روحه النقية بيد خالقها وراح ينال ثواب جهاده المستمر في بيعة الابكار السماوية . ولُحد جثمانه الطاهر في مغارة الآباء بمصلّى سيدة النجاة تغمّد المولى نفسه بغزير رحماته . وقد خلّف لدير الشرفة كل ما ملكت يمينه من كتب مطبوعة في مختلف اللغات .

الخورفسقفوس يوسف هبرا

وننتهز الفرصة لنذكر كلمة عن ابن اختهِ الجليل الخورفسقفوس يوسف هبرا تلميذ البروبغندا الذي تولى رعاية تلاميذ الشرفة عام ١٩١١ وألقى دروس اللاهوت الادبي على الشمامسة الكبار [1] . فقد سأله خاله الطيب الاثر ان يجود على مكتبة دير الشرفة بمجموعة العلامة موروني الايطالية وهي تتألف من ١٢٠ كتاباً مجلّدة تجليداً متقناً وأسنى للدير عينه تحفاً تقوية ورسوماً جميلة وكان في تلك الغضون يختلف ذات المرار الى دير سيدة النجاة يقضي مع التلامذة مدة من الزمان اطال الله تعالى بقاه .

(١) راجع كتابنا « أجمل زهرة في حديقة آل هبرا » (٢٥ - ٢٨) .

الفصل التاسع

كهنة دير الشرفة (١٩٠٥ – ١٩١٢)

١ – الاب افرام بوصيك (١٩٠٥ –)

هو جبرائيل بن روفائيل بن توما بوصيك نسيب الخورفسقفوس بطرس بوصيك رئيس دير الشرفة السابق ذكره . قدم معنا عام ١٨٩٥ الى دير سيدة النجاة وكان ميلاده في ٦ ايلول ١٨٨١ واكب على الدرس والمطالعة واحراز المناقب الكهنوتية حتى ارتقى الى الرتبة المقدّسة صباح ٢٠ آب ١٩٠٥ بوضع يد البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط . وانطلق في ١٨ ايلول السنة ذاتها الى طرسوس بقيليقيا وانشأ فيهـا رسالة سريانية مؤلفة من ٣٦ بيتاً وخدمها خدمة ابويّة مفرغاً الجهود الطيّبة في القـاء بذار الكثلكة في قلوب الشيوخ والشبان . وكان في اوّل عهده يتمشى حسب مؤتلفاتهم من حيث الاصوام ومواسم البطالة وتكليل الشبان والشابات ريثما تمكن من تخميرهم في الايمان الكاثوليكي المقدّس فاحبّوه

واحبهم وجعلوا يمتثلون اوامره ومشوراته في شؤونهم الروحيَّة والزمنيّة . وانتقى منهم ثلاثة فتيان شرّبهم المبادىء الكاثوليكيّة وبعثهم الى دير الشرفة ودير الاباء البندكتيّين باورشليم . غير انه لم يثبت منهم في الدعوة المقدّسة سوى الاب بولس مراد الشيخة وسيأتي ذكره فيما بعد .

اقام الاب افرام في طرسوس تسعة اعوام وبضعة اشهر يعتني بخدمة الانفس ويلقي الدروس العربيَّة في مدرسة المرسلين الكبوشيين وفي مدرسة راهبات العائلة المقدسة ونهض كذلك بخدمة ابنا طائفة الروم الكاثوليك اكثر من خمسة اعوام (١٩٠٧ - ١٩١٢) . وقد سمعنا نحن رئيسة الراهبات المشار اليهنّ تثني اعذب الثناء على غيرة الاب افرام وعلى تفانيه في خدمة مدرستهن بطرسوس .

غير ان الاب افرام الهمام اضطرّ ان ينتزح عن طرسوس عام ١٩١٤ بسبب الحرب الكونية الماضية . فشخص الى بيروت وتولّى ادارة المدرسة الطائفية ثم انطلق عام ١٩١٦ الى حلب وجعل يدرّس تارة في مدارس السريان الكاثوليك وطوراً في مدارس الروم الكاثوليك وحيناً في مدرسة الارمن . وقضى ٢٢ سنة (١٩٢١-١٩٤٣) في كلية المرسلين الفرنسيسيين بالشيباني ونُصب فيها ناظراً على الطلبة الداخليّين والخارجيّين عشرة اعوام . ثم انتقل في تشرين الاوّل ١٩٤٢ مع اولئك الاباء الافاضل الى ديرهم الجديد بحلة العزيزيّة . وما برح الى هذا اليوم يعيش معهم ويقرّب الذبيحة الالهيَة في كنيستهم طبقاً لطقسه السرياني . وهو ينطلق كل يوم احد وعيد فيقرّب القدّاس في دار العواجز التي يديرها صاحب الفضيلة والفضل المحامي القانوني فتح‌الله صقَّال الجليل .

ولا بدّ لي من ان اشير اشارةً خفيفة الى نهوض الاب افرام النشيط بادارة ميتم الجنرال فوش الفرنسي الشهير في حلب . لكن الجنرال سرايل عزله عن وظيفته لانه كان — كما لا يخفى — يحب الطغمة الاكليريكية ويحترم ارباب الكهنوت احتراماً ممتازاً ! !

ويسرّني ان اختم كلمتي بعبارة امتنان اوجّهها الى هذا الاب المحبوب الذي قمت وقعدت معه في دير سيدة النجاة ورضعنا معاً أَلبان الفضائل والعلوم · على اني لما بشرته باستعدادي لنشر تاريخ هـذا المعهد المبارك ابتهج قلبه كل الابتهاج وجاد عليّ بمبلغ لاجل طبعه · كافاه المولى السخي وأمدّ في ايام حياته ·

٣ – القس انطون مطلوب البغدادي (١٩٠٦ –   )

وُلد في بغداد بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٨٨٢ ثم اقبل الى دير الشرفة وانصرف الى الدراسة حتى ١ ايلول ١٩٠٤ فبعثه البطريرك الانطاكي الى القدس الشريف ليعلّم التلامذة اللغتين السريانيّة والعربيّة في اكليريكيّة الاباء البندكتيين · ثم عاد الى دير الشرفة وسافر في خدمة السيد البطريرك الى حلب في تشرين ١٩٠٥ ومكث هناك يواصل الخدمة حتى صباح ١٤ كانون الثاني ١٩٠٦ فرقاه البطريرك المغبوط في كاتدرائيّة حلب الى الرتبة الكهنوتية وامره ان يعود الى بيت المقدس ويستأنف التعليم في الاكليريكيّة المشار اليها · فواظب القس انطون على مهمته حتى تموز ١٩٠٨ ثم انطلق الى بغداد وطنه يخدم النفوس تارة فيها وطوراً في البصرة وآونة في العمارة وهو اليوم يقيم القداس في كنيسة مار يوسف بالكرادة ببغداد ·

٣ – القس يوحنا حسن الموصلي (١٩٠٦ –   )

أبصر النور في الموصل في ١٥ آذار ١٨٨٢ ويمّم دير الشرفة في ٢٦ تشرين الاول ١٨٩٩ وانصرف الى المطالعة والدرس سبعة اعوام . وكان مُلمّاً باشغال المطبعة فساعد مديرها في صفّ الحروف والطبع مدّة معتبرة . وما انفكّ يزاول الدرس والشغل معاً حتى ١٧ حزيران ١٩٠٦ فرقاه البطريرك الانطاكي الى درجة القسوسيّة . وخدم النفوس اولًا في «مسكنة» احدى قرى حمص ثم في زحلة وفي بيروت . وعاد في السنة ١٩١٨ الى الموصل يواصل خدمة النفوس في رعيّة الطاهرة .

وامتاز الاب يوحنا حسن برخامة صوته وتفننهِ في الاناشيد السريانيّة والترانيم العربية . وما فتئ يخدم النفوس في وطنه حتى اليوم .

٤ – الخورفسقفوس جرجس ابرهيمشاه (١٩٠٦ – ١٩٣٩)

امتاز هـذا الخوري الفاضل بشمائل حلوة ومزايا حسنة في كل ادوار حياتهِ على مثال والده وأجداده المباركين . وعلى رغم ما اعترضه من صعوبات ومناهضات فقد استمر ثابتاً في مبادئه الحسنة مقيماً على عهوده الشريفة . فقد قدم الى دير الشرفة اوّل مرة عام ١٨٨٥ في السن الثالثة عشرة واقام بضعة اعوام يواصل الدروس الكهنوتية ثم اضطرّ ان يعود الى وطنه عام

١٨٨٨ مع البطريرك جرجس المغبوط لداعي مرضٍ اعتراه · وثابر هناك على عاداتهِ في حضور الصلوات القانونية وخدمة الذبيحة السرّية · وراسل هو واهله بطريرك الملّة مار اغناطيوس بهنام بنّي المغبوط ليأذن له في العودة الى ديره واستكمال علومه · ولكنه لم يفز بغايته المقدّسة حتى السنة ١٩٠٥ فكتب الكومندور جرجي ابرهيمشاه الفاضل من القاهرة

الى السيد اغناطيوس افرام رحماني البطريرك الانطاكي في شأن ابن عمه الشماس جرجس مصرّحاً لغبطته بكونه ثابتاً راسخاً في دعوته · فلم يرَ السيد البطريرك الا ان يكتب له ليشخص الى دير الشرفة في صيف السنة ١٩٠٥ وهناك درس ما كان ينقصه من العلم اللاهوتي حتى صباح الاحد ٢٢ تموز ١٩٠٦ فرقاه البطريرك الى رتبة الكهنوت في بيعة سيدة النجاة وزوّده ببركته وبعثه الى القاهرة يدعو الى المولى تعالى ان يسهل طريقه ويديم توفيقه · ورحّب به ابن عمه الكومندور جرجي ابرهيمشاه صاحب العوارف الجمّة والاعمال المبرورة ·

وطفق يثابر على خدمة النفوس حتى غدا امثولةً صالحة للجميع باقواله واعماله · وأنشأ هناك جمعية مؤلفة من ارباب الحرف وساقة العجلات الكهربائية والفقراء وتولّى تعليمهم وتثقيفهم في المبادئ الدينية وتعويدهم

التقرب من الاسرار المحيية . والى القارىء ما كتبه اليه في هذا الصدد بطريرك الطائفة المغبوط .

«نهدي البركة الرسولية والسلام الربّاني الى ولدنا العزيز القس جرجس ابرهيمشاه الموقر حرسه المولى .

« راقت لنا العبارات الانيقة التي ضمّنتَها عريضتك البنوية . فنقابلك على ذلك بتأكيدنا لك مودتنا الابوية . ونحن واثقون بانك تقيم ثابتاً على عزمك . وقد سرّنا جدّاً الاخبار بانك ساعٍ في جمع ارباب الحرف وساقة العربات الكهربائية وغيرهم لتعلمهم المبادىء الدينية وتدعوهم الى التقوى والدنوّ من الاسرار المقدّسة . فنثني على غيرتك وندعو الى الله تعالى ان يبارك عملك هذا ويجزل لك الثواب .

« ونروم علاوةً على ذلك ان تُلقي ارشاداً مدّة عشر دقائق في اثناء قدّاسك ايّام الاحد والعيد في شرح الانجيل او احدى العقائد الدينية بشرط ان تستعدّ لذلك أحسن استعداد . وبذلك تحصل فائدتان : احداهما انك تألف ملكة الوعظ والثانية ان كلام الله تعالى يوقظ المؤمنين من تهاونهم الى العبادة . . . فضاعف حرسك الله تعالى السعي في هذا الشأن . ولا يأخذ منك الفتور عند مشاهدتك المصاعب . بل لازم الالحاح فتفوز بالمرام

« وعربوناً لمودتنا الابوية نهدي اليك تكراراً البركة الرسولية والسلام —

« بيروت ١١ تشرين الثاني ١٩٠٦ اغناطيوس افرام الثاني
بطريرك السريان الانطاكيّ »(١)

وهناك عرائض جمة رفعها الخوري جرجس ابرهيمشاه في احوال مختلفة ودواعٍ شتى الى المقام البطريركيّ تُنبىء كلّها بمكنونات صدره وتأهبه التام للتضحية والتفاني في سبيل خلاص الانفس .

وبرع هذا الخوري الجليل باللغة العربية فكان يراسل مجلّة « الآثار الشرقية » مدّة حياتها التي استغرقت اربعة اعوام (١٩٢٦ — ١٩٢٩) ويكتب فيها مقالات ونبذاً واخباراً ويدبجها بقلمه السيال . وكاتَبَ كذلك السيد ثئوفيلس يوسف رباني مطران حمص وحماة والنبك وتوابعها عندما انشأ مجلّته الجميلة « الحبّ والسلام » عام ١٩٣٦ في مدينة حمص مركز اسقفيته . وقرض الشعر العربي فنظم عدة قصائد عامرة انتوى ان ينشرها

---

(١) راجع كتابنا « آل ابرهيمشاه في التاريخ » .

بالطبع ، وقد اغتنمت ابرشية مصر السريانية فرصة يوبيله الكهنوتي الفضي في السنة ١٩٣١ فاقامت تكريماً لفضيلته حفلة جميلة شائقة برهنت على معرفتها لجميل كاهنٍ غيورٍ همام، أدى لها الخدم الجلّى مدة ربع قرن وحلت وفاته عام ١٩٣٩ مخلّفاً في القلوب أشهى الذكريات. تغمّد الله تعالى نفسه بغزير مراحمه وامتعها في جنان نعيمه .

٥ – القس بهنام خزيمة القرقوشي (١٩٠٦ – ١٩١٥)

وُلد في قرقوش قرية عامرة بالسريان الكاثوليك في ابرشية الموصل بتاريخ ١٢ نيسان ١٨٨٢ وانضم في حداثته الى مصاف الرهبان في دير مار بهنام الشهيد . وفي ١ شباط ١٩٠٥ استدعاه البطريرك الانطاكي الى دير الشرفة فتشرب ما اعتازه من مناهل العلوم اللاهوتية ثم ارتقى الى الرتبة الكهنوتية مع الخوري جرجس ابرهيمشاه المشار اليه في ٢٢ تموز ١٩٠٦ ثم عاد الى وطنه مكبّاً على خدمة الانفس حتى السنة ١٩١٥ فقتل شهيداً في اثناء الحرب العالمية الماضية .

٦ – القس جرجس عيد (١٩٠٨ –   )

وُلد هذا القسيس الموقر في زيدل المجاورة لحمص ، وانطلق في حداثة سنّه الى دير السريان المشهور باسم دير مار مرقس باورشليم . واحرز شيئاً من

المبادئ السريانية والعربية وسيم شماساً دياقوناً . ثم انضم الى الكنيسة الكاثوليكية بارشاد الخوري موسى سركيس النائب البطريركي في القدس الشريف وتحضيضه فأرسله الى اكليريكية سيدة النجاة بالشرفة في ١٧ ايلول ١٩٠٢ وانصرف هناك الى اقتباس الخلال الكهنوتية والعلوم اللاهوتية بكل حرصٍ واجتهاد حتى ارتقى في ١٩ تموز ١٩٠٨ الى الرتبة المقدسة . ثم انطلق الى وطنه وجعل يتنقَّل من قرية الى قرية يخدم فيها النفوس مخلّفاً في كل منها ذكرى جميلة لاعمال غيرته وتقواه وطاعته التامة لرئيسه الجليل .

٧ - القس عبدالمسيح زهر (١٩٠٨ -)

وُلد هذا الاب الفاضل في زيدل بجوار حمص في ١٥ تشرين الاول ١٨٨٤ وأمَّ دير الشرفة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٢ واعتكف مع التلامذة اقرانه على اكتناز الفضائل والمعارف والعلوم الكهنوتية حتى ١٩ آب ١٩٠٨ فسيمَ قسيساً وانطلق الى جبل الزيتون باورشليم وتولى تعليم التلامذة السريان في اكليريكية الآباء البندكتيين . ثم شخص الى بيروت عام ١٩١٣ واستمر فيها حتى السنة ١٩١٨ وبعد هذا عاد الى بيت المقدس يدرّس اللغة العربية في مدارسها ثم وافى الى لبنان واقام ردحاً من الزمان يعلِّم تلك اللغة في دير الاباء اليسوعيين ببكفيا . ومن هناك عاد

الى زيدل وطنهِ لسبب انحراف صحته وانصرف الى المطالعة والدرس حتى اليوم .

وقد نبغ هذا القسيس الورع في اللّغة العربية خاصةً فنشر مقالات جمة في مجلّة المشرق نذكر منها : مقالته السديدة في « هل اللغة العربية غنية ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟ » . ومقالة في « انتقاد على الناقدين » ومقالة في « عمر الارض الماضي والباقي » . ونشر في المجلّة المشار اليها عام ١٩٢٩ سبع مقالات . وعام ١٩٣٠ ست مقالات . وتولى زماناً ادارة مجلّة « رقيب صهيون » في اورشليم . وكتب بعض مقالات في مجلّة « الحب والسلام » التي انشأها السيد ثيوفيلس يوسف رباني الجليل مطران حمص وحماة وتوابعهما عام ١٩٣٦

ونشر عام ١٩٢٩ في المطبعة الكاثوليكية كتاباً لطيفاً بعنوان « طرائف » ضمّنه حكايات أدبية وقصصاً اجتماعية انتقادية في ٢١٢ صفحة

٨ – القس بولس سباط الحلبي (١٩٠٩ – ١٩٤٦)

أبصر النور في سلخ كانون الثاني ١٨٨٧ وقصد دير الشرفة في ٩ تشرين الاول ١٩٠٣ وقضى ستة اعوام معتكفاً على الدرس والمطالعة حتى صار قسيساً في ٢ آيار ١٩٠٩ وعاد الى حلب وطنه . ثم انتقل الى

اروشليم وتولّى تعليم تلامذة الآباء البندكتيين مدة سنتين وارتحل بعد ذلك الى القاهرة واتخذها مقراً له . ونشر كتابه « المشرع » الذي حذا فيه حذو « مجالس ايليا مطران نصيبين النسطوري » . ونشر كذلك بعض مباحث فلسفية ودينيَّة وطبِّية وتاريخيَّة للمفريان ابن العبري ويوحنا بن ماسويه وعبيد الله بن بختيشوع واسحق اسقف نينوى النسطوري و « الحكم النافعة للنفس والبدن » تأليف ايليا مطران نصيبين المذكور آنفاً ورفعها هديّة الى السنيور موسوليني . ونشر ايضا رسالة وجيزة للسيد جرمانس فرحات مطران حلب عنوانها « بلوغ الارب في علم الادب » . وهذه النشرات برمّتها لا تكاد تتجاوز ٢٠٠ صفحة .

واشتهر القس بولس خصوصاً بما جمعه من المخطوطات البالغ عددها على قوله ١٣٢٦ مخطوطة اغلبها عربية مبتذلة ومكرّرة وبعضها نادر خطير [١] . وكتب وصفها بالفرنسيّة عام ١٩٢٦ و١٩٣٨ و١٩٤٠ ثم نشر فهرسها بالعربية في ثلاثة مجلدات في ٥٨٦ صفحة غالى في تقديرها وارتكب اغلاطاً في اعمارها . وقد افادنا ثقة ان تلك المخطوطات باسرها بعث بها القس بولس الى عاصمة الكثلكة وضمت الى المكتبة الواتيكانية . وظلّ هذا القسيس النشيط مواصلاً اعماله حتى ادركته المنون عام ١٩٤٦ في القاهرة . رحمه الله تعالى .

٩ – الاب شمعون يازجي (١٩٠٩ –)

لقيتُ في صديقي الوفيّ الاب شمعون يازجيّ رحابة صدر ووفرة استحسان لتأليف تاريخ ديرٍ عزيز ربينا في اكناف سيدة النجاة شفيعته . واخذنا اصول الفضيلة وبدايات العلم عن رؤسائه واساتذته . فساعدني حرسه الله تعالى مساعدةً غدت اقوى دافع دفعني لاواصل العمل وانشر الكتاب

(١) المشرق ٢٤ : ١٩٢٦ ٤٧١ و٣٥ : ١٩٣٧ : ١٥٦

بالطبع مجاهراً بالثناء على جهاده واجتهاده مسدياً الشكر لجميله وسخائه ٠

ينتمي هذا الاب الفضيل الى اسرة يازجي السريانية الشهيرة ٠ قال الشيخ عيسي اسكندر المعلوف في تاريخ المشايخ اليازجيين واصهارهم انهم حورانيو الاصل وافوا الى حمص نحو القرن الخامس عشر ثم انتقل فروعها الى دمشق ومرمريتا وحصن الاكراد والى لبنان ووادي التيم ٠ وفي اواخر القرن السابع عشر جاء من حمص الى غرب لبنان سعد اليازجي ٠ وسعد ولد جنبلاط وجنبلاط ولد ناصيف وناصيف ولد عبدالله وعبدالله ولد الشيخ ناصيف (١٨٠٠ — ١٨٧١) والشيخ ناصيف ولد الشيخ ابرهيم (+ ١٩٠٦) ٠

فقد يتاح لنا ان نستنتج من كلام المؤرخ ان اسرة يازجي السريانية واسرة يازجي الرومية تتحدران كلتاهما من جدٍ واحدٍ ٠ ودليلنا على ذلك ١ً — تقرير شيوخ آل يازجي في وادي التيم ان اصلهم من صدد لا من حوران ٠ ٢ً — ان اسم عبدالله والد الشيخ ناصيف واسم الشيخ ابرهيم نجله محفوظان في اسرة يازجي السريانية كذلك وقد اشتهر منها الاسقف ابرهيم بن عبدالله يازجي (١٧٦٤ — ١٨٢١) المشهور بخطه السرياني[1] وعبدالله شقيق القس شمعون الذي رُمنا ان نلخّص اخباره للقرّاء الاعزاء ٠

وُلد الاب شمعون في زيدل المجاورة لحمص في ٦ نيسان ١٨٨٨ واسم ابيه يوسف واسم جده الياس الذي اتصف بسخائه ونفوذ كلمته لدى الحكومة التركية وكانت داره الواسعة الارجاء محط العشائر يقصدونه من الاطراف ويستشيرونه في شؤونهم ٠وقد انضم الى الكنيسة السريانية الكاثوليكية عام ١٨٧٦ على يد المرسلين اليسوعيين ، وافادنا المطران جرجس شاهين ان آل اليازجي لما اعتنقوا الايمان الكاثوليكي قدموا ٣٥ ليرة ذهبية بمثابة زكاة الى البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت المغبوط[2]

(١) اللؤلؤ المنثور : تأليف البطريرك افرام برصوم ٤٩٦

(٢) مخطوطة النبك : رقم ٢٧

في ١٥ شباط ١٩٠٢ رحّب دير الشرفة بالاب شمعون يازجي وظلّ يختمر في العلم والفضائل حتى رقّاه مار اغناطيوس افرام رحماني في ٢ ايار ١٩٠٩ الى الرتبة المقدّسة ونصبه راعياً للتلامذة . فنهض بتلك الوظيفة حتى السنة ١٩١١ ثم عاد الى وطنه وتولّى خدمة النفوس في القريتين فعزّز كنيسة مار يوليان الشيخ وديره القديم وافرغ ما منحه الربّ الجوّاد من قوّة وذكاء

في تأليف القلوب النافرة . وناهض المعلّم سليمان الجبّور البروتستاني وأحزابه وتغلّب عليهم ومرّن أبناء جماعته على اعمال التقوى وممارسة الاسرار . وثابر على خدمتهم ٢٥ سنة (١٩١١ — ١٩٣٦) .

غير ان الحكومة التركيّة ناهضته غير مرّة ورحّلته عن مركزه باشارةٍ من المطران عبد النور خلال الحرب الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) . فكان الاب شمعون في تلك الغضون يتسلّل ليلاً راجلاً الى القريتين ليشرف على

ابناء رعيته ويوطدهم في الايمان الكاثوليكي ويوزع عليهم الاسرار ويعللهم بالفرج القريب . بيد ان الحكومة استرسلت في معاداته واستاقته مخفوراً الى حمص ومحتقراً .

دارت الايّام دورتها ووضعت تلك الحرب الغاشمة اوزارها وعاد الاب شمعون الى رسالته واسترجع ما اغتصبه المطران عبدالنور واصبح رسول خير وصلةَ حبٍّ بين الدولة الفرنسيَّة المنتدَبة وبين الحكومة السوريّة حتى استحقّ ان تزيّن فرنسا صدره بنوط المعارف من درجة ضابط .

ولمَّا ثار الدروز عام ١٩٢٥ هجموا على دير القريتين ونهبوا أمتعته وأمتعة الاب شمعون معاً وحاولوا ان يقضوا على حياته فلم يَرَ الّا ان يستغيث بسيّدة النجاة ويرتمي من الدور الاعلى الى اسفل ويسير ركضاً على قدميه حتى وصل منهوك القوى الى قرية حوّارين البعيدة ١٥ ميلاً عن القريتين ودفع ريالاً الى احد الفلّاحين ليدلّه على صديقه الزعيم عبد الحليم الاخرس صاحب مزرعة « ابي الفرج » واستأنف سيره في ذلك القفر البلقع خائفاً مذعوراً يخيَّل اليه ان عصابات الثوار تطارده . وما عتم ان ادركه عبد الحليم المشار اليه ورجاله وقال له : « ثق يا قسيس ولا تخف فنحن اخوانك ونفديك بارواحنا ! » . عادت الطمأنينة الى قلب القسيس شمعون وتحدّرت الدموع من مقلتيه وقال للزعيم وصاحبيه : « بارك الله فيكم يا أشبال الفلاة وحماة الاصدقاء ! » . على ان الزعيم اركب القسيس حصان خادمه فمضى به الى صدد واقام مدّة ثم عاد الى حمص وقابل المستشار مترو القائد الفرنسيّ فرحّب به وهيّأ له غرفة في منزله يظلّ فيها ريثما تنقشع تلك السحابة المكفهرة

غير ان الاب شمعون الحّ على القائد الفرنسيّ ليبرق الى مستشار تدمر كي يسارع الى القريتين في طيّارته ويكشف الثوار عنها فكان له ما طلب وبادر الى تلك البلدة والقى اربع قنابل فارتعب الثوار ولاذوا بالفرار .

امّا اهالي القريتين فقد أمسوا يتقلبون في دقعاء الفاقة لان الثوار سلبوا مؤونتهم فكتبوا الى اصحابهم يطلبون القوت لهم ولعيالهم . عند

ذلك كتب الاب شمعون الى السيد البطريرك افرام رحماني المغبوط ليمدّه بالاسعاف ثم باع فرسه بمائة ليرة وفتح مطعماً بجوار الكنيسة وجعل يوزّع الطعام على المعوزين ثم تواردت عليه المساعدات من اميركا ولاسيما من شقيقه عبدالله السخي ومن ابن اخيه ريثما استتبت الطمأنينة وجعل الثوار خصومه يقصدونه ويسألونه ان يكون همزة وصل بينهم وبين الفرنسيّين فلبى طلبهم وساعدهم مساعدة تامّة حتى اجمعوا على احترام الدولة المنتدبة والخضوع لاوامرها . واستحقّ القس شمعون لذلك ان يقلده مسيو اميل فوكنو مستشار الداخليّة نوط الشرف مكافاة لخدمته .

وفي السنة ١٩٢٧ كتب السيد ثيوفيلس يوسف ربّاني مطران الابرشيّة الجليل الى الاب شمعون يستدعيه الى حمص وخوّله الاشراف على جماعة فيروزة الكاثوليكيَّة . وقد اجتذب الى الكنيسة الكاثوليكيَّة بضع عيال سريانيَّة على رأسها الشيخ عبدالله اشعيا في الحفر مع ٤٠ نسمة .

ومنذ السنة ١٩٢٨ جعل الاب شمعون يلحّ على غبطة السيد البطريرك ليأذن له في الذهاب الى اميركا الشماليَّة ليتفقد احوال اخوته وذويه . غير انه لم يفز بغايته الا في صيف السنة ١٩٣٦ وفي ٢٠ تموز السنة المرقومة اعدّ له راعي الابرشيَّة المطران يوسف ربَّاني مأدبة انيقة على ضفاف العاصي دعا اليها جمهور الكهنة . وممَّا قاله له حين ذاك : « . . انّنا لسنا نرتاب في انك ايها الابن العزيز ستكون رسول حبّ وسلام وصلةً متينة بيننا وبين اولادنا الاحبَّاء في المهجر . . فبلغهم عواطف محبتنا الابوية وبركتنا الرسوليَّة وادعيتنا المتواترة في توفيقهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة »[1] .

وفي ٢٥ تموز اقبل الاب شمعون الى بيروت وزار دير الشرفة وودع نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل المغبوط وودعنا ثم ابحر الى اميركا . وما كاد يصل الى جاكسون فيل حتى التفّ حوله اهله واصحابه

(١) مجلّة الحبّ والسلام : ١٩٣٦ عدد آب

واحتفوا به احتفاء جميلاً · ومذ ذاك اخذ عـلى عاتقهِ النهوض بخدمتهم الروحيّة · وأسس لهم اخوية تيمُّناً باسم العذراء سلطانة الجبل بلا دنس · واتخذ للصلاة اوّل بدء غرفة واسعة في دار اخوتهِ العامرة وصبغ بمياه العماد يومئذٍ بعض فتيان وفتيات مرّ على ولادتهم اكثر من عشر سنوات ·

وبعـد اشهر معدودة استدعاه السيد جوزف هورتي مطران ابرشيّة سانت اوغسطين الجليل وفتح له ابواب كنيسته ورخص له ان يقيم القداس ويوزّع الاسرار فيها طبقاً للطقس السرياني · ولم يقتصر الاب شمعون

الغيور على تغذية النفوس وتشريبها المناهل الصافية بل راح يهيىء للشبيبة روايات عربيّة يلقنهم اياها ويمرنهم على تمثيلها · من جملة ذلك نذكر رواية « جزاء الشهامة » التي مثلها بنون وبنات عـام ١٩٤٦ بادارته وحضرها جمهور كريم من الجالية السريانيّة وبعث بريعها الى نيابة الكردينال الاثيل ليوزعه عـلى المعوزين · والرسم الذي امام القارىء النجيب يمثل

رسوم اولئك الفتيان والفتيات ويشاهد رسم الاب شمعون النشيط منتصباً الى يمينهم .

وما برح الاب شمعون الوقور مقيماً في جاكسون فيل باميركا الشمالية مع اخوته الثلاثة السادة عبدالله وانطونيوس وجرجس ولفيف أسرهم المباركة . وبينما نكتب هذه الاسطر علمنا ان الاب شمعون توجّه الى شيكاغو بدعوة رسميّة لاستقبال نيافة الكردينال اوجين تيسران كاتم اسرار المجمع الشرقي المقدس وتشرّف بلثم يمينه ومنال بركته الرسولية . وتفاوضا ملياً بشأن ابرشيَّة حمص .

وأنتهز هذه الفرصة لأُبدي عاطفة الامتنان للسيد خليل سكر السرياني الدمشقي الفاضل الذي تربطه بالاب شمعون يازجي الجليل اواصر صداقة متينة . فقد راسلته غير مرة وراسلني واستخلصت من رسائله الكريمة ما تحلى به من التقى وصالح الاعمال فضلاً عن شغفه بطائفته السريانية وتفانيه في تعزيز مشاريعها الدينية والثقافية . وقد جاد عليّ بمبلغ في سبيل نشر هذا الكتاب فاستحق لذلك ان اثبت اسمه الكريم ههنا مثنياً على عاطفته الشريفة شاكراً له مبرّته داعياً له ولصديقه الاب شمعون باستطراد التوفيق ودوام العافية وطول العمر .

١٠ - القس حنا مقدلسي (١٩٠٩ -)

قدم الى دير سيدة النجاة في ٤ تشرين الاوّل ١٩٠٢ بالغاً الثامنة عشرة . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية مع الاب شمعون يازجي السابق ذكره . وتولى خدمة النفوس في « مسكنة » احدى القرى الخاضعة لمطرانية حمص وحماة . وامتاز هذا الاب الوقور بورعه ووداعته واخلاصه الطاعة لرئيسه وتفانيه في خدمة النفوس مفرغاً اقصى ما لديه من الغيرة في تكميل واجباته .

١١ - القس يوسف موساكي (١٩١٠ - ١٩٣٩)

وُلد في قرقوش وانضوى الى سلك الرهبان في دير مار بهنام الشهيد . ثم قدم الى دير الشرفة وانجز العلوم الكهنوتية وارتقى الى الرتبة المقدسة عام ١٩١٠ وتوفاه الله تعالى عام ١٩٣٩ ولم نعلم شيئاً من اخباره .

١٢ - الخورفسقفوس اندراوس سفر (١٩١٠ -)

وصل الى دير الشرفة عشية ٢٠ ايار ١٩٠٢ وكان ميلاده في ٣٠ نيسان ١٨٨٧ وزاول الدرس ثمانية اعوام وارتقى الى الرتبة المقدّسة في كنيسة السيدة بحلب بوضع يد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني المغبوط صباح الاحد ٥ ايار ١٩١٠ واستصحبه الى الرها وديار بكر وماردين حيث اقام شهرَين . ثم واصل سفره الى الموصل وعيَّنه السيّد البطريرك خادماً للنفوس في قرى طور عبدين حتى انتهى الى نصيبين ومن هناك استدعاه السيّد البطريرك الى ماردين عام ١٩١١ واتخذه كاتباً لاسراره حتى السنة ١٩٢١ فانتقل الى حلب ونهض بخدمة راعيها السيّد ديونيسيوس جبرائيل تبوني الجليل . وما برح مثابراً حتى اليوم على خدمة هذا الحبر الانطاكي الاثيل بكلّ حرص وامانة واخلاص . وقد كافأه صاحب

النيافة الكردينال البطريرك المغبوط بان رقاه في ٨ ايلول ١٩٤٦ الى رتبة خورفسقفوس .

١٣ – القس افرام دعَّاس (١٩١٢ –   )

وُلد في ١٠ تشرين الاوّل ١٨٨٩ بقرية الحفر الواقعة بين صدد والقريتين من قرى ابرشيَّة حمص . ويمم دير الشرفة في ١٥ نيسان ١٩٠٢ وأحب اللغة السريانية فأتقنها وثابر على الدروس الكهنوتيَّة حتى سيمَ قسيسا في ٢٩ نيسان ١٩١٢ وانطلق الى الحفر مسقط راسهِ وتولّى خدمة النفوس فيها حتى يومنا . وامتاز هذا القسيس الورع بخضوعه لرئيسه وكلفه بخلاص الانفس وقد ربح للكنيسة المقدّسة ٤٠٠ نسمة ضمّها الى الحظيرة الواحدة وما برح يشرّبها مياه الفضائل الصافية منذ ٣٥ سنة . وقد انشأ كتابا عنوانه « الكمال الالهيّ » اطلعنا عليه يوم زرناه عام ١٩٣٦ ولم يتوفق في نشره بالطبع .

١٤ – الخورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس (١٩١٢ – ١٩٣٥)

نشرنا اخبار هذا الاب البارّ المشهور بصلاحه واعماله المبرورة في رسالة قلب يسوع الاقدس عام ١٩٣٦ وكان ميلاده في دمشق الشام صباح الاحد

الجديد ٢٣ نيسان ١٨٥٤ وانتزح الى بيروت مع والدَيه اليان سركيس ومريم قرواني عام ١٨٦٠ وتلقّى العلوم في كلية الاباء اليسوعيين وتعاطى التجارة حقبةً طويلة من حياتهِ . وثابر على خدمة كنيسة مار جرجس ببيروت حتى نيسان ١٩١٢ فقصد دير سيدة النجاة يواظب على الاستعداد لقبول الرتبة الكهنوتية ورقّاه البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط الى ذلك المنصب السامي في ١٠ تشرين الثاني من السنة عينها واتخذه كاتباً لاسراره فنهض بتلك المهمّة ١٧ سنة ورقاه صباح السبت ١٢ شباط ١٩٢١ الى رتبة خورفسقفوس .

وعلى اثر وفاة البطريرك افرام المغبوط تولّى خدمة خلفه مار اغناطيوس جبرائيل الاوّل حتى تشرين ١٩٣٥ فخارت قواه ولزم الفراش مصطبراً على الآلام والاوجاع ولفظ روحه النقيّة بيد خالقها في ١٨ كانون الاول ودُفن جثمانه المبارك في كنيسة مار جرجس بمدفن البطريرك افرام رحماني رحمهما الله تعالى .

ولسنا ننسى الخدم الجلّى التي ادّاها هذا الخوري التقيّ لدير سيدة النجاة مدّة حياته كلها . فهو الذي كان يشتري لذلك الدير كل ما احتاج اليه سكانه من مأكول ومشروب وكسوة ويغار على مصالحه

ويتفانى في تعزيزه . وقد وقف كتبه كلها لمكتبته . ومن اثاره العلمية « الذكرى الذهبيَّة لاول قدّاس في كنيسة بيروت السريانية » نشرها في المشرق وعلى حدة عام ١٩٣٣ واردفناها نحن بكلمةٍ وجيزة اثنينا فيها على ما اداه هذا الخوري النشيط لتلك الكنيسة من الاعمال المبرورة والخدم المشكورة . ونشرنا سيرة حياته في « رسالة قلب يسوع » وفي مجلّة « الحب والسلام » بحمص .

الفصل العاشر

رئاسة الخورفسقفوس افرام حيقاري (١٩١٢ - ١٩٢١)

اعتكف على الدرس والمطالعة في اكليريكيَّة المرسلين الدومنكيين بالموصل ١١ سنة . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ٢٢ ايَّار ١٩٠٤ بالغاً الثالثة والعشرين . وفي تشرين السنة عينها استدعاه البطريرك الانطاكي الى بيروت واصطفاه كاتباً لسره وفي القابل بعثه الى زحلة فقضى ثلاث سنوات يخدم النفوس بكل غيرة ونشاط . وفي السنة ١٩٠٧ تولّى النيابة البطريركيَّة في مدينة النبك التابعة لابرشيّة حمص .

وعلى اثر ارتقاء رئيس الشرفة الخورفسقفوس موسى سركيس الى كرسي اسقفيّة حمص كما مرّ بك استدعاه السيد البطريرك الى دير الشرفة وولاه الرئاسة عليه ورقّاه في ٢٥ ايار ١٩١٣ الى رتبة خورفسقفوس .

على انه في غضون رئاسته اصاب ما اصاب الدير من الضيق والعوز بسبب الحرب الهائلة التي استغرقت اربعة اعوام (١٩١٤-١٩١٨) . ذلك لان المدارس الاكليريكية أغلقت ابوابها في الاستانة وفي القدس الشريف وفي بيروت . وكان التلامذة السريان في سنّ الخدمة العسكرية فافرغ السيد البطريرك السعي للمحافظة على دعوتهم ورحّب بهم في دير سيدة النجاة وضمّهم الى سائر التلامذة حتى اصبحوا ٤٥ تلميذاً يقوم بتدريسهم

وخدمتهم ١٥ كاهناً واخاً وقد بلغ مجموعهم ٦٠ شخصاً اضطرّ الرئيس ان ينهض بمعيشتهم في تلك الايام المشؤومة السوداء ويسهر على متابعة دروسهم سهراً متواصلاً · والى القارىء النجيب اسماء من علق بذهننا منهم :

١ً — الشمامسة الذين قدموا من اكليريكية الاباء اليسوعيين ببيروت : حنا رحماني · جرجس حمّال · جبرائيل خوري · بولس هندو · جميل خيّاط ·

٢ً — الشمامسة الذين قدموا من اكليريكية مار لويس الكبوشية بالاستانة : يوحنا باكوس · توما سيف · جبرائيل بالدو ·

٣ً — الشمامسة الذين قدموا من اكليريكية الاباء البندكتيين بالقدس الشريف : يوسف بجّودة بطرس شهلا · افرام فرنساوي · بولس مراد · افرام جرجور · جبرائيل كليجا · افرام دروّج ·

فهولاء جميعاً ثابروا على دروسهم في اكليريكية الشرفة حتى انقشعت سحابة تلك الحرب الجائرة ·

وما عدا جمهور الدير هذا فقد اعتنى الخورفسقفوس افرام حيقاري الغيور باعاشة عشرين عائلة من شركاء الدير القاطنين بجواره وبجرود كسروان · وأمدّهم بحبوب ونقود وانقذهم من الجوع ولم يطالبهم بما ترتب عليهم من الديون ·

واتفق الرئيس كذلك مع رؤساء اديار درعون حريصا وغوسطا وبزمّار وعين ورقة على اغاثة فقراء تلك القرى · وانتقوا ١٢٥ شخصاً من الفقراء المحتاجين وجعل كل دير يوزّع في الاسبوع بالمناوبة عليهم ٢٠٠ غرام خبزاً كل يوم طول مدة الحرب فانقذهم الرب من الموت ·

وقاسى الرئيس ما قاسى في تلك الايّام العصيبة من اضطهاد السلطة العسكريّة التركيّة التي فرضت على الدير ضرائب باهظة لا تطاق واجرت تحريات دقيقة قصد ابتزاز المال وتنغيص المعيشة على سكان الدير ولذلك اضطرّ الرئيس ان يقوم باسفار شاقة الى جهات الجبل للحصول على مؤونتهم ومؤونة بعض الفقراء ·

من ذلك كله يتضح لكل عاقل ما لاكليريكية الشرفة من الفضل العميم وما بذله رئيسها في ذلك الزمان البائد من الهمة العالية والعناية الوافرة للنهوض بحاجات الكهنة والتلامذة والاخوة من مطعم وملبس وما شاكل ذلك حتى اضطر ان يستقرض مبالغ طائلة باسم الدير ليسد بها حاجات المقيمين فيهِ ٠

المطران باسيليوس افرام حيقاري

وقد انشأ الخوري افرام الهمام دارين بطبقتين في ساحل جونية تحسيناً للاوقاف وزيادة لريعها ٠ وعُني خصوصاً باصلاح مرافق الدير ومنافعهِ فابتناها على طراز موافق لاصول الصحة والنظافة ٠

وعُني الخوري افرام بتحسين اراضي الدير ولاسيما في صرود لبنان كالمزرعة وميروبا وفاريا فاستفاد الدير من اغلالها وحبوبها وسدّ فوهة كبيرة في حاجاته ٠

وواصل الرئيس خدمة دير سيدة النجاة حتى ايار ١٩٢١ فاستدعاه

السيد البطريرك الى بيروت وولاه خدمة رعيتها فنهض بذلك خير نهوض. وفي ٤ تشرين الاول ١٩٣٦ رقاه الكردينال البطريرك المغبوط الى الرتبة الاسقفية وسماه « باسيليوس افرام » واناط به الاشراف على زحلة وجونية وطرابلس . ولا يزال حتى اليوم ناهضاً بمنصبه الشريف حفظه الله تعالى .

ومن آثار قلمه مقالات ضافية عنوانها « الاسابيع الاجتماعية الفرنسية جلستها العشرون في باريس ٢٣ — ٢٩ تموز ١٩٢٨[1] ومقالات جمة نشرها على صفحات البشير عن رحلته الى تدمر وعن آثارها ومدافنها التاريخية .

الفصل الحادي عشر

كهنة دير الشرفة من السنة ١٩١٣ حتى السنة ١٩١٩

١ — المطران ثاوفيلس يوسف ربّاني الموصليّ

انضمّ الى سلك تلامذة دير الشرفة في ٣ كانون الثاني ١٩٠٧ وكان

(١) مجلة الآثار الشرقيّة : مجلّد ٤ سنة ١٩٢٩ صفحة ١٣

ميلاده في الموصل بتاريخ ٦ آب ١٨٨٩ وواظب على اكتناز العلوم والخلال الكهنوتيّة ٦ اعوام وتضلّع خصوصاً في فنّ الوعظ حتى نبغ فيه نبوغاً ممتازاً . وفي ١١ ايّار ١٩١٣ سيم كاهناً وتوجّه الى ماردين وتولّى فيها ادارة مدرستَي البنين والبنات حتى السنة ١٩١٥ فسيق في ١٤ حزيران مع جمهور غفير من الكهنة والمسيحيين الى دياربكر موثقاً بالحبال . ثم انجاه الله تعالى من تلك الداهية العمياء فعاد الى ماردين يواصل اعماله في حقل الكنيسة والمدرسة . وجعل غرفته خلال المجاعة (١٩١٦ – ١٩١٧) كاهراء يوزّع منها الذخائر على المساكين والمعوزين .

وليلة ٧ شباط ١٩١٨ اذ كان ساهراً في مراجعة حسابات اليتامى والفقراء انقلب عليه زيت البنزين فاحترق عنقه ويداه وكاد يُقضى على حياتهِ . لكن الله تعالى أَشفق عليه فعُولج واستجمع قواه وعاد الى عمله. وفي السنة ١٩٢٤ شخص الى بيروت فوجّهه السيد البطريرك الى القدس الشريف بمثابة وكيل بطريركيّ ورقّاه في ٣ ايّار ١٩٢٥ الى رتبة خورفسقفوس . وثابر على القاء المواعظ والرياضات في كنائس اورشليم وبيت لحم ويافا والناصرة وغيرها . وافرغ الوسع في ادخال عشرات من اليتامى والفقراء في عدّة ملاجىء . وبذل همة وافرة في ابتناء كنيسة جميلة في بيت لحم تيمُّناً باسم القدّيس يوسف خطيب سيدتنا مريم العذراء وطاف لهذا السبب بلاد سوريا وما بين النهرين والعراق وجمع ما جمع من حسنات المؤمنين حتى تمكّن من تكميل تلك الكنيسة اللّطيفة الجميلة .

وفي نيسان ١٩٢٧ قرّ رأي اساقفة الملّة على انتخاب الخوري يوسف ربّاني اسقفاً لكرسي ابرشيّة حمص وحماة ووافق على ذلك الحبر الروماني والبطريرك الانطاكيّ . وصباح الاحد ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٨ تذكار مار اغناطيوس النوراني رقّاه البطريرك الانطاكيّ الى الرتبة الاسقفيّة بموآزرة السادة : اثناسيوس اغناطيوس نوري وديونيسيوس جبرائيل تبوني واقليميس ميخائيل بخاش ويوليوس بهنام قليان وسمّاه « ثاوفيلس يوسف » . وحضر

ذلك الاحتفال المهيب نيافة القاصد الرسوليّ السيد فردينو جيانيني والسيد اغناطيوس مبارك مطران بيروت والسيد اثناسيوس خرياطي مطران الروم الملكيين. وانتهت تلك الحفلة الجميلة في كنيسة مار جرجس السريانيَّة ببيروت.

وافتتح المطران يوسف اعمال اسقفيَّته بمنشور رعويّ عنوانه «الله تعالى ابونا» اذاعه في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٩ وجعل بعد هذا ينشر نبذاً بعنوان «خلاصة ارشادات التعليم المسيحيّ» ونشر كذلك كتاباً سماه «المنهج» ضمنه زبدة القوانين المفروضة على ابناء ابرشيته نشره عام ١٩٣٢ ثم انشأ مجلّة منذ السنة ١٩٣٦ عنوانها «الحبّ والسلام». ادرج فيها احلى المواضيع في اساليب مبتكرة لا يتوخى منها الا اجتذاب الاخوة المنفصلين الى الحظيرة الواحدة. وقد رأيناه على المنابر يجيل الحاظه ذات اليمين وذات اليسار وسمعناه يصدع بالفاظ عسجدية تنبثق من صدر رحب وذهن حادّ وتصوّر قويّ مؤسسةٍ على حجج متينة وبراهين صحيحة ونصائح ابوية فيلتقطها المؤمنون ويستفيدون اجزل الفوائد.

ومن مشاريعه الرسولية في ابرشيته ابتناؤه بفضل الكرسيّ الرسوليّ المقدّس كاتدرائية كبرى في حمص تيمناً باسم الروح القدس. وكنيسة جميلة في فيروزة تيمناً باسم «قلب يسوع» الاقدس. وكنيسة جديدة في النبك باسم سيدتنا مريم العذراء. ورمّم دير مار يوليان الشيخ في القريتين. اطال الله تعالى بقاه...

٢ – القس ملكي شمعون عبدي (١٩١٣ – ١٩١٥)

هو احد الرهبان الافراميين الاتقياء وُلد عام ١٨٨٧ في باتة قرية جميلة بطور عبدين. ولمّا ترعرع بعثه القس بطرس صلبو المرسل الافرامي الى دير مار افرام فانخرط في سلك رهبانه وواصل الدرس حتى ١٢ كانون الاول ١٩١٠ فشخص الى دير الشرفة ليكمل علومه وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ١١ آيار ١٩١٣ وعاد الى ماردين ومنها توجه الى باتة

وطنه وطفق يخدم النفوس بغيرة تامّة . الّا ان مدّة قسوسيته لم تطل فان الاتراك والاكراد ثاروا ثورتهم العمياء وفتكوا به في حزيران ١٩١٥ كما فتكوا بعدد وافر من القسّان والرهبان وجماعة المؤمنين .

٣ – المونسنيور يوحنا عزّو الموصليّ (١٩١٩ –)

هو ابن جرجس بن يوحنا عزّو احد وجهاء جماعة السريان الكاثوليك وعضو المجلس المليّ في الموصل . امتاز والده جرجس بصلاح سيرته وطيب سريرتهِ وصنائعه المبرورة . واتفق ان البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط تعهّد الموصل عام ١٩٠٠ ينتوي ان يرمّم دير مار بهنام الشهيد القديم الاجيال ويبحث عمّن يساعده في انجاز رغبته الشريفة وهو يردّد مع اشعياء النبيّ : « مَن أُرسل ومن يذهب ؟ » . اطّلع الخواجا جرجس عزو على نيّة البطريرك فنهض من فوره وقال : « هنذا أَرسلني » : (اشعيا ٦ : ٨) . ابتهج صاحب الغبطة بتلك البادرة وأثنى على شهامة ابنهِ جرجس واعتمد على جهوده في مشروعه المبارك ونصبه قيماً على الدير .

تخلّى الخواجا جرجس عن اشغاله وأَغلق حانوت صياغته وسار الى الدير ينوي ترميمه . وجمع البنّائين والعملة وجعل يراقبهم في شغلهم

ويبتاع لهم كلّ ما افتقروا اليه . ولم يقتصر على ذلك بل اقنع ابنَي حاصود عبدالله وسلطان واشترى منهما ثلثي عقارهما شارطين ان يكون له حصة فيهما . فلبى طلبهما وكتب ثلثي ما اشتراه باسم الدير والثلث الثالث باسمه ريثما انتهت المعاملات القانونيَّة في الحكومة . وبعد هذا اعاد الخواجا جرجس حصته الى الدير وظلّ يثابر على عمله حتى السنة ١٩٠٢ فتولى شؤونه من بعده الاب افرام نقَّاشة الفاضل . وعاش الخواجا جرجس عزّو ٦٢ سنة (١٨٤٤ — ١٩٠٦) قضى اغلبها في خدمة كنيسة الطاهرة ودير مار بهنام وخلّف ابنَين وهما الاب يوحنا والشماس توفيق .

فالشماس توفيق وُلد عام ١٨٩٠ وتوجّه عام ١٩١١ الى اميركا الشماليَّة حاملًا توصيةً من صديقنا الهمام الاب شمعون يازجي الى والده واخوته في « جاكسون ڤيل » ليعتنوا بأمره . وقد نهضوا بما اوصاهم هذا الاب الفضيل حتى راجت اشغال توفيق وارتاشت احواله . وجمع عام ١٩١٨ مبلغاً من المال من بعض المواصلة وغيرهم في اميركا وبعث بقسم صالح منه الى دير الشرفة على يد شقيقه الاب يوحنا .

وفي السنة ١٩٢٧ عاد الشماس توفيق الى بيروت واستقبلناه نحن بمجالي التكريم والترحيب ثم قصد زيارة الاراضي المقدّسة وبعد ذلك انطلق الى الموصل وطنه واقترن بالفتاة المهذّبة فضيلة نجلة السيدة مريم شقيقة نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط . ورزقهما المولى ثلاثة صبيان : جرجس ويوسف وبهنام وثلاث بنات .

امّا المونسنيور يوحنا بن جرجس عزّو فقد وضعته والدته ظريفة (١٨٦٥ — ١٩٠٢) نجلة يوسف المقدسي جبو سفر التقيَّة في ٢ نيسان ١٨٨٧ وصبغه بمياه المعموذية الخوري بهنام بدريّة تلميذ دير الشرفة وفي ١١ اذار ١٩١١ يمّم دير سيدة النجاة بالغاً الرابعة والعشرين واندمج في سلك التلامذة يواصل الدروس حتى ٧ ايّار ١٩١٦ فرقّاه مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط الى الرتبة الكهنوتية في كنيسة سيدة النجاة . ثم استدعاه

عام ١٩١٨ الى بيروت واتخذه كاتباً لأسراره وأذن له ان يساعد الخوري يوسف اسطنبولي في خدمة رعية بيروت ويدير المدرسة الطائفية الملاصقة لكنيسة مار جرجس .

وفي ١٨ تشرين الاوّل ١٩٢١ عاد الاب يوحنا الى وطنه بطريق البحر وتولى هناك سنة كاملةً التدريس في مدرسة المرسلين الدومنكيين . ثم سمّاه البطريرك الانطاكيّ في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢ زائراً لدير مار بهنام الشهيد وفي اوائل السنة ١٩٢٤ نصبه رئيساً على ذلك المعهد الرهبانيّ المقدّس . فاقام ٧ اعوام يفرغ الوسع في تعليم الرهبان وتثقيفهم . وأغنى مكتبته بكتب علمية وتاريخية ومدرسية مختلفة اللغات .

وفي السنة ١٩٢٩ عاد الاب يوحنا الى دير الشرفة مع خاله المونسنيور جرجس سفر وحضرا الاحتفال بتسليم العكاز البطريركيّ الى السيد اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط . ثم توجّها معاً الى القدس الشريف وعادا معاً الى الموصل . وبعد ذلك انحدر الاب يوحنا الى بغداد ايزور شقيقه الشماس توفيق ومكث عنده ٦ اشهر ثم رجع الى وطنه ومن هناك وافى عام ١٩٣٠ الى بيروت ووجهه صاحب الغبطة الى اكليريكيّة القدس الشريف فاقام هناك حتى تموز ١٩٣٢ يلقي الدروس العربيّة والسريانيّة على تلامذة تلك الاكليريكيّة . وبعد هذا التاريخ انتدبه السيد البطريرك الى بيروت واتخذه كاتباً لأسراره وما برح لهذا العهد ناهضاً بخدمته .

وقد انعم عليه الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر اجابةً الى طلب نيافة الكردينال البطريرك جبرائيل المغبوط برتبة « كمريري » في ٥ كانون الثاني ١٩٣٨ ثم سمّاه الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر « مقدّماً في البلاط البابوي » .

وصباح الاحد ١١ ايّار ١٩٤١ رقّاه نيافة الكردينال البطريرك الى رتبة خورفسقفوس في كاتدرائيّة مار جرجس ببيروت مكافاة لخدمته .

وخصص المونسنيور يوحنا عزو ردحاً من زمانه بالتاليف والترجمة .

فنشر في مجلّة المشرق عام ١٩٢٣ مقالتين الاولى في « اخبار شهداء نجران » والثانية في « اخبار البطريرك اغناطيوس نعمةالله الماردينيّ » . ونقــل الى العربيّة عن السريانية سيرة القدّيسة فبرونيا شهيدة نصيبين ونشرها في مطبعة المرسلين البولسيين بحريصا . ونشر كذلك بعض مقالات في « نشرة الاحد » وفي مجلّة « المسرّة » وفي « رسالة قلب يسوع » وفي « مجلّة الآثار الشرقية » وهو اليوم معتكف على انشاء ترجمة مستوفاة عن القدّيس ربولا مطران الرها (٤١٢ — ٤٣٥) المشهور . وفقه المولى تعالى .

٤ – القس يوسف رزقو (١٩١٨ –   )

وُلد في المنصوريّة قرية بجوار ماردين في ١٤ ايلول ١٨٩٢ وقصد دير الزعفران في حداثته واقام هناك مدة يدرس السريانية . ثم انهزم واقبل الى دير سيدة النجاة بالشرفة في تشرين الثاني ١٩١٣ وانضمّ الى سلك التلامذة . وقرأ العلوم الكهنوتية واذدخر ما اذدخر من المزايا الجميلة حتى ارتقى في ٥ ايار ١٩١٨ الى الرتبة المقدّسة وعاد الى ماردين ومكث فيها ردحاً من الزمان ثم توجه الى الدربيسية جنوبي غربي ماردين وابتنى مصلّى فيها وجعل يخدم المؤمنين المنتزحين اليها من ماردين ومن غيرها من مدن تركيا وقراها . وأُصيب هذا الكاهن النشيط بألم في جنبه اضطر لسببه ان يقدم الى حلب فعالجه الاطبّاء وقضوا بقطعه لئلّا تعدو العدوى الى سائر اعضائه . وعلى رغم ذلك فانه ما برح يواصل اعماله الكهنوتية حتى اليوم بغيرة متوقدة

٥ - القس اسطفان بخّاش الحلبي (١٩١٩ -)

أبصر النور في حلب في شباط ١٨٩٥ وشخص في ٢٧ ايلول ١٩١٠ الى دير سيّدة النجاة يزاول العلوم الكهنوتية تسعة اعوام فاحرز منها نصيباً جيّداً . وفي ١٣ نيسان ١٩١٩ سيم قسيساً وأُرسل الى زحلة ليخدم نفوس السريان المقيمين فيها . وقد انشأ هناك مدرسة زاهرة تقدّمت في معارج النجاح رويداً رويداً حتى اوفى عدد طلابها على ٢٠٠ طالب يتلقنون الفرنسية والعربيّة واحياناً السريانيّة . واشترى القس اسطفان ارضاً فسيحة ليبتني فيها مدرسة كبرى وقد دشنها عام ١٩٣٨ السيّد باسيليوس افرام حيقاري مطران بيروت في حفلة جميلة . وزينت الجمهورية اللبنانيّة صدر القس اسطفان بنوط الاستحقاق اللبناني مكافأة له على جهوده ونشاطه .

٦ - القس بطرس سابا البرطلي (١٩١٩ -)

وُلد هذا القسيس النشيط في قرية برطلي العامرة التابعة لابرشية الموصل بتاريخ ٣ تشرين الاول ١٨٩٣ وقدم الى دير سيدة النجاة وانضمّ الى تلامذته في ١٠ تشرين ١٩٠٦ واختمر في كلتا اللغتين السريانيّة والعربيّة وانطلق الى اكليريكية الاباء البندكتيين بجبل الزيتون يلقنهما كلتيهما للتلامذة السريان . وفي السنة ١٩١٤ عاد الى الموصل واقام يخدم راعيها الجليل

المطران غريغوريوس بطرس هبرا فرقاه صباح ١٤ كانون الاول ١٩١٩ الى الدرجة القسوسيَّة . واقام في الموصل يختلف الى اكليريكيَّة المرسلين الدومنكيين يلقي الدروس السريانية والعربيَّة على تلامذتها . وفي السنة ١٩٣٦ شخص الى بيروت ومكث مدة في دير الشرفة يعلّم السريانيَّة ثم استدعاه السيد اثناسيوس بهنام قليان مطران بغداد وضمه الى كهنة ابرشيته .

وانشأ القس بطرس سابا بعض كتب ومقالات عربيَّة نذكر منها « خطبة في رئاسة بطرس الرسول وخلفائه الاحبار الرومانيين على الكنيسة باسرها » وهي على شكل محاضرة القاها في كنيسة المرسلين الدومنكيين وغمرها بشهادة الاباء السريانيين ثم نشرها عام ١٩٢٣ في المطبعة السريانيَّة ببغداد . وانشأ مقالة في « الصور والتماثيل في الكنيسة » نشرها عام ١٩٣٦ في مجلة « المنارة » بجونية .

وامتاز القس بطرس فضلاً عن رسوخ قدمه بالاصول الآرامية بخطه الرائع فنسخ بعض كتب سريانيَّة طقسيَّة . وانشأ فهرساً وجيزاً لمخطوطات مكتبة البطريركيَّة السريانيَّة ببيروت . وهو ينوي ان ينشر بالطبع غرماطيقاً سريانياً عصرياً يوافق مشرب الاقليرس في عهدنا .

الفصل الثاني عشر

نيابة الخورفسقفوس جرجس ستيتة في الشرفة

(١٩٢١ — ١٩٢٢)

وُلد هذا الخورفسقفوس الجليل في زيدل واصطبغ بمياه المعمودية في ٤ تشرين الاول ١٨٨٧ واقبل الى دير الشرفة في ٢١ ايار ١٨٩٨ وفي ايلول ١٩٠٠ توجّه الى اكليريكيَّة الاباء الكبوشيّين في الاستانة · واكب هناك على اقتباس العلوم الكهنوتيَّة احد عشر حولاً حتى ارتقى الى الرتبة المقدّسة بتاريخ ١٠ حزيران ١٩١١ وبعد هذا عاد الاب جرجس الى دير سيدة النجاة وجعل يلقي الدروس على التلامذة وظلّ كذلك حتى تموز ١٩١٦ فانطلق الى زحلة وتولّى رعيتها · وفي السنة ١٩٢٠ وجّهه البطريرك الانطاكيّ الى دمشق فصرف الجهود الحسنة في استرجاع دير مار يوليان الشيخ في القريتين · وكان السريان المنفصلون قد انتهزوا فرصة الحرب العالميَّة عام ١٩١٤ — ١٩١٨ فاحتلوه · وقد تسلَّم الخوري جرجس ذلك الدير القديم العهد بما فيه مع جميع ارزاقه واعاده الى السريان الكاثوليك كأمس وما قبلُ · وتم ذلك بفضل المفوضية الفرنسيَّة العليا التي سبقت فاتخذت ذلك الدير منذ عهدٍ بعيد تحت حمايتها ·

في ايّار ١٩٢١ نصب الاب جرجس نائباً لرئاسة اكليريكيَّة الشرفة وفي القابل بعثه البطريرك المغبوط الى القاهرة بمثابة زائر بطريركي فاقام هناك حولاً كاملاً وعاد الى بيروت وتولّى خدمة السيّد البطريرك فرقّاه في ٢٨ نيسان ١٩٢٧ الى رتبة خورفسقفوس وظلّ في خدمة البطريرك المغبوط ورافقه في رحلته الاخيرة الى حلوان والقاهرة عام ١٩٢٩ ثم عاد الى بيروت ·

وكتب الخوري جرجس عدّة نبذ في مجلة الآثار الشرقية نذكر منها

« منافع سوريا الاقتصادية » و« الحساب الغريغوري وتعميمه » . و« محاضرات السيد بودريار رئيس جامعة باريس الكاثوليكية » . واخصها : مقالته « الفونيقيون في التاريخ » وترجم الى الفرنسية خلاصة القدّاس السرياني . وكتب اخبار البطريرك افرام رحماني في اواخر حياته . وسيأتي بعد هذا كلامنا عنه في اثناء رئاسته على دير الشرفة وسيامته الاسقفيَّة (١٩٢٩ - ١٩٣٣) .

الفصل الثالث عشر

رئاسة المطران اقليميس ميخائيل نجّاش الحلبي

(١٩٢٢ – ١٩٢٦)

عُقدت رئاسة دير سيدة النجاة للسيد اقليميس ميخائيل نجّاش الجليل في ١٤ ايلول ١٩٢٢ طبقاً لصكٍ كتبه البطريرك الانطاكيّ ودفعه اليه هذا نصه :

«اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكيّ

« يهدي البركة الرسوليّة والسلام الربّاني الى اولادنا الاعزّاء الموقرين الكهنة معلمي تلاميذ مدرستنا الاقليريكيّة البطريركيّة والشمامسة والاخوة المنتمين اليها حرسهم المولى.

« نعلن اننا اظهاراً لمزيد رغبتنا في ان نشاهد مدرستنا الاقليريكية البطريركيّة في دير سيّدة النجاة بالشرفة راقيةً في سبيل النجاح من جهة الفضائل الكهنوتيّة والدروس قد رأينا ان نقيم رئيساً عليها يبذل مساعيه في كلّ ما يؤول الى خيرها وتقدّمها : حضرة الاخ الموّقر مار اقليميس ميخائيل نجاش مطران قنّسرين شرفاً الجزيل الحرمة. وفوّضنا الى سيادته كلّ سلطان يلائم وظيفته المنوّه بها.

« فندعوكم قاطبةً الى الانقياد لاوامره وتدابيره بكلّ دّقة ودون أدنى تردّد. وعهدنا باولادنا الكهنة ان يكونوا اوّل المساعدين لسيادته للقيام بواجبات وظيفته. ونستمطر الأيد السماويّ عليكم قاطبة لتحقيق الآمال التي نعقدها في هذا الشأن. ونكرّر لكم البركة الرسوليّة.

« صدر عن قلايتنا البطريركيّة في بيروت ١٤ ايلول ١٩٢٢ ».

افرغ المطران ميخائيل الجليل كلّ ما منحه الله تعالى من القوى في تعزيز الاكليريكية وترقيتها واتفق في غضون ذلك ان بلغ السنة الخامسة والعشرين لسيامته الاسقفية (١٩٠٠ — ١٩٢٥) فاغتنم الكهنة والشمامسة والتلامذة تلك الفرصة الجميلة ليعربوا لرئيسهم المحبوب عن عواطف اخلاصهم فاحتفلوا بيوبيله الاسقفي الفضيّ احتفالا شائقاً. وتقاطر ابناء الطائفة من بيروت ودمشق وحلب وغيرها حاملين اليه الهدايا محبورين يدعون له باستمرار العافية فكان يرّحب بهم اجمل ترحيب ويثني على عواطفهم ومحبّتهم.

ونحن بدوونا لا نرى الّا ان نبدي لهذا السيّد المفضال عواطف الشكر والإمتنان الجزيل اذ اتاح لنا يومئذٍ ان نشرف على مخطوطات الدير وحثنا لننشئ لها فهرساً مطوّلا مستوفىً. فاقمنا هناك شهرين كاملين نطالع

تلك الكتب كتاباً فكتاباً نقلب صفحاته ونغمن في محتوياته حتى قيّض لنا الله سبحانه وتعالى ان ننشر عام ١٩٣٦ فهرساً مشبعاً بالمعلومات المفيدة عن تلك المخطوطات طبقاً لفهارس مكتبات اوربا الشهيرة .

هكذا حُفظت تلك الكنوز الثمينة بهمّة المطران ميخائيل الجليل وتحضيضه . وليس ذلك بالكثير على هذا الحبر الفضيل الذي يُعَدّ من نخبة اساتذة الدير في تدريس تلامذته اللغة اللاتينية والعلوم اللاهوتية النظريّة والادبيَة مدّة اربع سنوات (١٨٩٧ — ١٩٠١) وتحبيبه اليهم العيشة الكهنوتية وخدمة النفوس العزيزة على قلب الله جلّ شأنه .

وكان ميلاد هذا الرئيس الجليل في حلب سادس تشرين الاولّ ١٨٦٥ وقدومه الى دير سيدة النجاة في ١٥ ايار ١٨٧٩ ثم انطلق الى رومية وانضمّ الى تلامذة اكليريكية الهروبندا عام ١٨٨٠ واذدخر ما اذدخر من العلوم والفضائل حتى ارتقى في ١٩ اذار ١٨٩٠ الى الرتبة الكهنوتية وعاد الى حلب وطنه .

وبعد هذا تعين خادماً للنفوس في ابرشية بيروت وارتقى في ٢٢ تموز ١٨٩٤ الى رتبة خورفسقفوس وتولّى القاء دروس التعليم المسيحي على البنين والبنات في المدرسة الايطالية مدّة سبع سنوات . ثم شخص عام ١٨٩٧ الى دير الشرفة وتولّى تدريس التلامذة كما نوّهنا .

وفي ٣ حزيران ١٩٠٠ صباح احد العنصرة رقاه البطريرك الانطاكيّ في بيعة دمشق الى كرسي مطرانيتها وسماه « اقليميس ميخائيل » فنهض برعاية ابرشيته نهوضاً مقدساً حتى السنة ١٩٢٢ فاستعفى ونُصب رئيساً لدير الشرفة كما قلنا .

وانتقى في تلك الغضون اربعة من تلامذته بعثهم الى الاكليريكية الاوربانية وهم انطون حائك وفيليب بياوني الحلبيَّان وميخائيل صائغ الموصلي ويوسف بلدو المارديني . فهولاء الاربعة قضوا اربعة اعوام في دير الشرفة اولًا ثم وجّههم الرئيس الجليل في ٢٠ تشرين الاوّل ١٩٢٦ الى

رومية العظمى وارتقوا الى الرتبة الكهنوتية وسيأتي ذكرهم فيما بعد .

وفي السنة ١٩٣٦ نُصب المطران ميخائيل الجليل وكيلاً بطريركياً في القطر المصريّ فساس تلك الابرشية العامرة خير سياسة ووفى الديون المترتبة على المطرانية وكانت ٥٠٠ جنيهٍ مصريٍ . ثم انصرف الى تعزيز المدرسة الطائفية التي تبرّع بنفقات تأسيسها السيد الكريم ميشيل يغمور وهي تضمّ اليوم بين جدرانها اكثر من ١٥٠ فتىً يتعلّمون مبادىء القراءة واصول الديانة وخدمة الكنيسة . واشترى المطران ميخائيل بيوتاً مجاورة لكنيسة سلطانة الوردية بمبلغ ٢٦٩٠ جنيه . وهو ينوي ان يقوّضها ويوسّع الكنيسة التي شيّدها المرحوم الكومندور جرجي ابرهيمشاه . ونضيف الى ذلك كله ان الجمعيّة الخيرية وجمعيّة مار افرام المنتمية الى جمعيّة مار منصور دي بول قد ازدهرتا ازدهاراً لامعاً في عهد رئاسته . وما برح ايّده الله تعالى مثابراً على اعماله الرسوليّة في تلك الابرشيّة المباركة حتى يومنا هذا اطال الله تعالى بقاه .

الفصل الرابع عشر

القس حنا خوري (١٩٢٣ —   )

كان ميلاد صديقنا العزيز القس حنا خوري في صدد صباح ١٥ تموز ١٨٧٩ ونزعت نفسه الى الحياة الكهنوتية فأقبل عام ١٩٠٢ الى دير الشرفة راجلاً ماشياً على قدَميه من صدد وطنه حتى دير الشرفة . وقد رحّبتُ به يوم ذاك وذهبتُ به الى الرئيس الخوري بولس هبرا فدفع اليه حنا رسالة القس جرجس دعادين . خادم رعية صدد . فادرج اسمه مع التلامذة واقام خمس سنوات مكبّاً على الدرس والمطالعة . غير ان الضعف سطا على عينَيه فأقعده عن مواصلة دروسه واضطرّه ان يعود عام ١٩٠٧ الى صدد وطنه مستسلماً لاحكام الله تعالى .

مكث الشماس حنا ثلاثة اعوام يعالج عينيه حتى صحتا . وبعد ذلك اقبل الى زيدل وتولى التدريس عشرة اعوام (١٩١٠ – ١٩٢٠) في المدرسة الطائفية ثم عاد الى صدد وجمع بعض الفتيان وجعل يلقنهم المبادىء السريانية والعربية ويمرّنهم على التعليم المسيحيّ خصوصاً . وظلّ مدّة ١٣ سنة يدرّس ويعلّم وهو يفتكر في الدعوة الكهنوتية متذكراً الحليب النقيّ الذي ارضعته اكليريكية الشرفة العزيزة على قلبه . ويوم الاحد ١ تشرين الاول ١٩٢٣ رقاه السيد ثاوفيلس يوسف جرجي في كنيسة مار موسى الحبشيّ بالنبك الى الرتبة الكهنوتية .

عاد القسّ حنا الى وطنه ناشطاً الى خدمة النفوس بمثله الصالح وارشاده الابويّ وسيرته الرضية . وانضمّ على يده الى الكنيسة الكاثوليكية جماعات صدديّة جمة ولكنّها لم تثبت في وعدها . وقد كتب لي هذا القسيس الغيور في احدى رسائله يقول : « يمكنني ان اصرّح لك يا ابتِ بان ثلاثة ارباع اهالي صدد انضمّوا الى الكنيسة الكاثوليكية في فترات مختلفة واستمرّوا زماناً مقيمين على عهودهم لكنّهم ما لبثوا ان انتكصوا ونكثوا عهودهم وعادوا الى عقيدتهم العتيقة لاجل غايات شتّى » .

على ان أُسرة المرحوم الشيخ ابرهيم القرقور ولاسيما الشيخ شحادة

الكريم وانجاله الثمانية الافاضل رسخوا رسوخاً تاماً في عهودهم المقدّسة . ولولاهم لَمَا تيسر لقسّيس كاثوليكي ان يواصل خدمته الشريفة في قريةٍ تشبث اهلها كل التشبث بعقيدة الطبيعة الواحدة منذ عهد بعيدٍ . وما برح القس حنا باذلاً الهمّة في النهوض بواجباته الكهنوتية حتى اليوم .

الفصل الخامس عشر

رئاسة دير الشرفة من السنة ١٩٢٧ حتى السنة ١٩٢٩

١ — القس بطرس هندّية الحلبي (١٩٢٧ — ١٩٢٨)

على اثر انتقال السيد اقليميس ميخائيل نجاش الجليل الى ابرشية القطر المصري نُصب القس بطرس هندية رئيساً على دير الشرفة في ١ ايار ١٩٢٧ فخدم الاكليريكية خدمةً نصوحاً زهاء سنة و٨ شهور ثم عاد في ٢٦ كانون الاول ١٩٢٨ الى حلب اجابةً الى الحاح راعيها السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني الجليل .

وكان ميلاد هذا القسيس الفاضل في الرها في اول تشرين الاول ١٨٩٦ ثم يمم دير سيدة النجاة في ٢ تشرين الاول ١٩١١ واقام سنتين يتثقف في السريانية والعربية . وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩١٣ سافر الى

عاصمة الكثلكة وانضم الى تلامذة الاكليريكية الاوربانية فاكب على تحصيل العلوم والمناقب الكهنوتية حتى صار قسيساً في ١٩ اذار ١٩٢٠ وعاد الى دير الشرفة وتولى رعاية التلاميذ وتعليم الكتاب المقدس اربعة اعوام . وفي السنة ١٩٢٤ استدعاه مطران حلب وولاه خدمة النفوس . ومن حسناته المشكورة انه دفع الى دير الشرفة ٥٠ ليرة ذهبية الغاء لنذره في ١٦ اذار ١٩٣٢ وما برح هذا الاب الفضيل ناهضاً بخدمة الرعية الحلبية نهوضاً مشكوراً .

٢ – المطران يوليوس بهنام قليان الموصلي (١٩٢٨ – ١٩٢٩)

ينتمي هذا الحبر الجليل الى اسرةٍ موصلية كريمة امتاز غير واحد من رجالها باعمالهم وصنائعهم المبرورة وُلد عام ١٨٨٣ وسافر الى رومية ١٨٩٩ واقام في اكليريكية البروبغندا حتى ٢١ كانون الثاني ١٩٠٥ فأصيب بضعف الجأه ان يبرحها ويعود الى وطنه . فوصل الى دير الشرفة ومكث ثلاثة اعوام يكمل دروسه اللاهوتيّة على الاب موسى دلّال الفاضل

حتى ١٩ تموز ١٩٠٨ فسيم قسيساً وانطلق الى الموصل مسقط رأسهِ . ونُصب رئيساً على دير مار بهنام الشهيد . فنهض بتلك الرئاسة (١٩٠٩ — ١٩٢٠) وخلّف في ذلك المعهد المقدّس ذكريات جميلة لجهوده . وفي السنة ١٩٢٠ تولّى النيابة على ابرشية الموصل العامرة .

وبعد هذا وقع اختيار البطريرك المغبوط واساقفة كرسيه الانطاكيّ على انتخاب القس بهنام اسقفاً لكرسي ماردين . فاستدعاه الى بيروت ورقاه في ٣٠ نيسان ١٩٢٢ الى كرسيّ تلك الابرشية وسمّاه « يوليوس بهنام » . وسار المطران الجديد الى دمشق ونهض بخدمة الابرشيّة حتى السنة ١٩٢٤

وفي السنة ١٩٢٥ سافر الى القاهرة ومكث يسوس رعيّتها حتى السنة ١٩٢٧ فعاد الى بيروت . ثم طاف قرى الجزيرة قرية فقرية وعاد الى لبنان . ونُصب في ٢٧ كانون الاول السنة المرقومة رئيساً على دير الشرفة . فابدى من الغيرة والتفاني في سبيل التلامذة كلّ ما منحه الرب من همّةٍ وجدٍّ وبرهن عن عطفه عليهم بان استأذن السيد البطريرك المغبوط ومضى بهم الى فلسطين ليتبرّكوا بزاراتها المقدّسة . وكان سفرهم صباح الاربعاء ٧ آب فمرّوا بجبل الكرمل والناصرة وجبل تابور ونابلس او شخيم القديمة . ووصلوا الى المدينة المقدّسة يوم الجمعة ٩ آب وحضروا الحفلات في كنيسة قبر المخلص وفي جبل الجلجلة الخ .

وسحر الخميس ١٥ آب سافروا الى قرية ابي غوش فرحّب بهم الآباء البندكتيون وتلامذتهم السريانيون ترحيباً شائقاً . وبعد هذا عادوا الى بيت لحم وعين كارم وعماوس ووصلوا الى بيروت في ١٩ آب[١] .

ثم عاد المطران بهنام مع تلامذته الى دير سيدة النجاة وظل ناهضاً

---

(١) راجع وصفنا لهذه الرحلة الجميلة في مجلة الآثار الشرقيّة ٤ : ١٩٢٩ : ٤٥٧ — ٤٧١

بشؤونهم حتى ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٩ فسماه السيد البطريرك بموافقة الاساقفة مطراناً لابرشية بغداد واطلق عليه اسم « اثناسيوس بهنام » تيمُّناً باسم اسلافه الميامين . ولا يزال ناهضاً برعاية الابرشية بما رزقه الرب الاله من حكمة وغيرة واخلاص .

وتفرّغ المطران بهنام الجليل في يومنا لنشر كتاب الانجيل المقدّس في المطبعة السريانيّة ببغداد . وقد نقل عن اللاتينيّة والايطالية والفرنسيّة شروح الاناجيل الاربعة وهو ينوي ان ينشرها كذلك بالطبع لفائدة المؤمنين عموماً وابناء ابرشيته البغداديّة خصوصاً . وفّقه المولى في انجاز غايتهِ المقدسة .

القسم السابع

ذكر اساقفة وكهنة درسوا حقبة في الشرفة

الفصل الاول

الاساقفة والكهنة من السنة ١٧٨٩ حتى السنة ١٨٧٩

١ - ٤ - اربعة شبان درسوا في الشرفة وفي بروبغندا

هم نصرالله وجرجس جروة الحلبيان وبطرس اخطل وبطرس قليدجي الموصليان . وصلوا الى دير الشرفة نحو السنة ١٧٨٧ ودرسوا السريانية والعربية ٠ ثم بعثهم عام ١٧٨٩ الى اكليريكية بروبغندا مؤسس الدير الطيب الاثر ٠ وارتقى الشماس جرجس جروة في ٢٩ حزيران ١٨٠٢ الى الرتبة الكهنوتيَة وتوفي عام ١٨٠٦ امّا الثلاثة فقد اضطروا ان يعودوا الى وطنهم لمرض اعتراهم[١]

٥ - ٧ - ثلاثة كهنة درسوا في الشرفة

هولاء الكهنة هم : القس جرجس جاجة والقس اصلان الماردينيان والربان توما الآمدي . انضمّوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة ثم اقبلوا الى دير الشرفة واكملوا علمهم وعاد كلّ منهم الى وطنهِ وقد سبق ذكرهم في هذا الكتاب (صفحة ١٣٤) .

---

(١) راجع هذا الكتاب ٧٨

٨ - ٩ - القس بطرس والقس يوسف المارديينّان

قدما الى دير الشرفة عام ١٨١٤ وقد سبق ذكرهما في هذا الكتاب (صفحة ١٧١) .

١٠ - الخورفسقفوس روفائيل جروة الحلبيّ (١٨٢٣ - ١٨٩٢)

قضى هذا الخوري الجليل اعواماً في دير الشرفة ثم بعثه عمه البطريرك اغناطيوس بطرس جروة الى رومية فدرس الفلسفة واللاهوت في اكليريكية بروبغندا . وفي ١٩ حزيران ١٨٢٣ رقّاه عمه الى الرتبة الكهنوتيَّة واستصحبه الى رومية في ٢١ ايلول ١٨٢٥ بمثابة ترجمان وكاتب لسرّه . وكان معه كذلك في قسطنطينية عام ١٨٤٤ وقد نهض بخدمة البطريرك المغبوط نهضة مشكورة[1] . ورقّاه في ٢٩ اذار ١٨٤٦ الى رتبة خورفسقفوس ورقّى معه اربعة قسوس حلبيين وهم : الخوارنة جرجس شلحت الذي صار بطريركاً وجبرائيل ربّاط وباسيل صعب ويوسف ياقين[2] . وبعد ذلك تنقل الخوري روفائيل في بلاد اوربا حتى استقرّ في البندقية وفيها ادركته الوفاة عام ١٨٩٢ ومن حسناته المشكورة اتحافه دير الشرفة بكاس فضية مذهبة حفر

(١) تاريخ المطران افرام نقاشة ٤٦٥ (٢) فيه ٥٨٥

عليها اسمه . واضاف الى ذلك بعض كتب محفوظة في مكتبة الدير حتى اليوم اتينا على ذكرها في الفهرس (صفحة ١٧١ و٤٣٢ و٤٤٧) .

١١ – المطران اقليميس بولس صهب الحلبي (+ ١٨٤٩)

تكلمنا عن هذا المطران الجليل (صفحة ٢٠٧ – ٢١١) من كتابنا هذا وذكرنا انه تلقى علومه بدءَ بدءٍ في دير الشرفة ثم استكملها في اكليريكية بروبغندا وعاد الى الشرفة وترأس عليها وتوفي عام ١٨٤٩ في ميروبا .

١٢ – المطران اقليميس يوحنا معمارباشي المارديني (١٨٤٦ – ١٩١٤)

وُلد في ماردين في ٢٩ كانون الثاني ١٨٣٠ ويمم دير الشرفة في ١ تشرين الثاني ١٨٤٦ ودرس السريانية والعربية . ثم بعثه رئيس الدير الى اكليريكية المرسلين اليسوعيين في غزير فاكمل دروسه ورقاه البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري المغبوط في ٢٤ نيسان ١٨٥٤ الى الرتبة المقدسة في كنيسة سيدة النجاة واتخذه كاتباً لسرّه واستصحبه الى اوربا (١٨٥٤ـ ١٨٥٦) وماردين . وارتقى القس حنا في ٢٥ اذار ١٨٦٥ الى رتبة خورفسقفوس وخدم النفوس في بيروت (١٨٦٥ – ١٨٧٢) وفي دياربكر

وماردين . ورقاه مار اغناطيوس بهنام بني المغبوط عام ١٨٩٢ الى كرسي مطرانية دمشق في كاتدرائية حلب . وانشأ في دمشق جمعيتها الخيرية . ثم استعفى من الكرسي الدمشقي . وعُين نائباً رسولياً (١٨٩٧ — ١٨٩٨) . وقضى بقية حياته في وطنه حتى توفاه الله تعالى ليلة عيد الصعود ١٩١٤

وعُني المطران يوحنا بطبع كتاب هدبدبا في المطبعة اليسوعية ببيروت عام ١٨٧٧ واهدى الى دير الشرفة طائفة صالحةً من الكتب . وجاد على كنايسته بمبلغ ١٦٩٠٠ غرش . رحمه الله تعالى .

١٣ – الخورفسقفوس بطرس بوصيك الماردينى (١٨٤٦ – ١٩٠٦)

اقام ٦ اعوام (١٨٤٦ — ١٨٥٢) في دير الشرفة مكبّاً على اقتباس السريانية والعربية ثم انطلق الى غزير ومنها الى رومية وفيها انجز علومه . وقد استوفينا اخباره (صفحة ٣٢٦ – ٣٢٩) من هذا الكتاب .

١٤ – الخورفسقفوس بطرس حنانيا الدمشقي (١٨٥٤ – ١٩١٣)

درس أولاً في الشرفة عام ١٨٥٤ وأكمل علومه في اكليريكية المرسلين اليسوعيين بغزير . ثم عاد الى الشرفة عام ١٨٦٧ واقام سنتين حتى ارتقى في ٧ اذار ١٨٦٩ الى الرتبة المقدسة . وخدم النفوس في دمشق وطنه وسافر الى اوربا بامر السيد اقليميس يوسف داود . وفي السنة ١٨٩٤ عاد الى دير الشرفة وظلّ سنتين ثم رجع الى وطنه وفيه ادركته المنون . وهو من جملة الآباء الذين نذروا لدير الشرفة ثلث مالهم[١] . وقد أهدى الى الدير تخوتاً حديدية لمنام التلامذة .

١٥ – الخورفسقفوس جبرائيل دقاق الماردينى (١٨٥٨ – ١٩١٦)

كان من نجباء القسوس وفضلائهم يمّم الشرفة عام ١٨٥٨ بالغاً السابعة

---

(١) سجلّ تلامذة الشرفة ٦٢

عشرة من سنِهِ . وتوجه في القابل الى رومية وتلقّى العلوم في الاكليريكية الاوربانية فنبغ في الفلسفة واللاهوت وارتقى عـام ١٨٦٩ الى الرتبة الكهنوتية وعاد الى وطنه وبرع خصوصاً في فنّ الوعظ فجمّل منبر بيعة والدة الله الكبرى في ماردين بخطبه الرنّانة وبلاغة تعابيره . وشخص عام ١٨٧٥ الى دير الشرفة وتولّى رعاية التلاميذ حتى السنة ١٨٧٧ ثم

عاد الى ماردين مواظباً على خدمة النفوس والقاء المواعظ حتى اصبح ممّن يشار اليه بالبنان ويتحدّث ببراعته ونجابته كلّ لسان . غير ان الخوري جبرائيل اضطرّ عام ١٨٨٦ ان يغادر وطنه الى حلب ومنها الى دير الشرفة وانطلق عام ١٨٨٧ الى باريس واقام فيها حتى اخترمته المنون عام ١٩١٦ رحمه الله تعالى .

١٦ – الخورفسقفوس يوسف معارباشي الماردينيّ (١٨٥٨ – ١٨٨٩)

كان وصوله الى دير الشرفة عام ١٨٥٨ وسافر عام ١٨٥٩ الى رومية واخذ العلوم عن اساتذة اكليريكية بروبغندا حتى استكمل الغاية منها . وقد اتينا على تفاصيل اخباره في كلامنا عن رئاسته على دير الشرفة (صفحة ٢١٩ — ٣٠٤) .

١٧ – القس انطون صالحاني اليسوعي (١٨٦١ – ١٩٤١)

قصد هذا الاب الفاضل اكليريكية الشرفة عام ١٨٦١ بأمر راعيه المطران غريغوريوس يعقوب حلياني الحميد الاثر . وانتقل في القابل الى اكليريكية غزير اليسوعية ونهض دير الشرفة بكل لوازمه من كسوة وكتب . وكان يقضي فيه مدة الصيف يراجع دروسه السريانية والعربية ويتأهب لقبول الرتبة الكهنوتية . وفي السنة ١٨٦٧ انضمّ الى الرهبنة اليسوعية وارتقى في ٢٢ ايّار ١٧٨٠ الى الرتبة المقدّسة .

وكان ميلاد الاب انطون في دمشق عام ١٨٤٧ وقُتل والده عبدالله عام ١٨٦٠ في فتنة دمشق . وفي السنة ١٨٦٦ وافى الى دير الشرفة كما قلنا . وعلى اثر انضمامه الى الرهبنة اليسوعيّة تولّى زماناً تدريس الخطابة وادارة المدارس وتحرير جريدة البشير (١٨٩١ و١٨٩٥ – ١٨٩٩) . وصنف ونشر كتباً جمّة برهنت على حذقهِ ونجابتهِ . وأخص الكتب التي نشرها : تاريخ مختصر الدول تأليف المفريان غريغوريوس ابن العبري . وديوان الاخطل الغسّاني النصرانيّ اليعقوبيّ . والف ليلة وليلة . وثلاثة مجلّدات من كتاب « رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني » . ونشر مقالات شتى ذات فوائد دينية وعلميّة في مجلة المشرق الزاهرة . ووقف على طبع جميع الكتب التقويّة التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية .

وعلاوة على اشتغاله بالتأليف والنشر فقد اعتكف طول حياته الكهنوتية على القاء المواعظ والرياضات في مختلف الكنائس والاديار في لبنان وسوريا. وظلّ سالكاً مسلكه هذا الحميد حتى لفظ روحه البارة عام ١٩٤١ في دير الاباء اليسوعيين بغزير بشيخوخة جليلة مخلفاً لغيرته الرسوليّة وتفانيه في سبيل النفوس اطيب الذكرى . رحمه الله تعالى .

١٨ – الخورفسقفوس افرام ابيض الحلبي (١٨٦٢ – ١٩١٣)

أبصر النور عام ١٨٤٩ ويمّم دير الشرفة عام ١٨٦٢ وفي القابل قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير واعتكف على اقتباس المزايا والمعارف الكهنوتيّة اربع عشرة سنة حتى احرز منها نصيباً وافراً . وفي افتتاح السنة ١٨٧٧ ارتقى الى الرتبة المقدّسة وتولّى خدمة النفوس في بيروت حتى السنة ١٨٨٣ وفي تلك الغضون شُيّدت كنيسة مار جرجس في بيروت فظلّ الخوري افرام يراقب العملة مدة خمس سنوات وهو الذي احتفل فيها بالقدّاس الاوّل . وتولّى ادارة شؤون دير الشرفة غير مرّة[1] ثم نُصب عام ١٨٨٦ نائباً بطريركياً في القاهرة فخدم النفوس هناك بغيرة

---

(١) طالع هذا الكتاب : صفحة ٢٨٨

وحكمة وامانة حتى رقد بالرب عام ١٩١٣

وتفرّد الخوري افرام بمواعظهِ الزاجرة التي القاها في دير الشرفة وفي كنيسة الآباء اليسوعيين وفي كنيسة مار جرجس السريانية ببيروت وفي القاهرة . وهي تنيف على ١٠٠ موعظة افرغها في قالب يلذّ المطالع والسامع معاً . وكان رحمه الله تعالى خطيباً بليغاً مجمقعاً حادّ الذهن حاضر الفكر سريع الخاطر متين الحجة . وكان كذلك طيّب القلب سليم النيّة رضيّ الخلق مضطرماً غيرة على خلاص الانفس . افرغ المولى على نفسهِ سحائب رضوانه ورحماته .

١٩ – الخورفسقفوس توما باهي البغداديّ (١٨٦٦ – ١٩١٧)

وُلد عام ١٨٥٣ ووصل الى دير الشرفة عام ١٨٦٦ واقام ثلاث سنوات يدرس السريانيّة والعربيّة . وتوّجه عام ١٨٦٩ الى رومية واكمل علومه في الاكليريكيّة الاوربانيّة . وارتقى الى رتبة القسوس عام ١٨٧٩ وعاد الى بغداد وطنه يخدم النفوس . وفي السنة ١٩٠٤ استدعاه البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط وقلّده النيابة البطريركية في القدس الشريف . ومكث مواصلاً عمله حتى السنة ١٩١١ فعاد الى وطنه وقضى نحبه عام ١٩١٧ رحمه الله تعالى .

٢٠ – المطران ديونيسيوس افرام نقاشة الموصليّ (١٨٦٦ – ١٩٢٠)

أبصر النور في ٢٧ كانون الثاني ١٨٥٠ وقرأ العلوم اولًا في دير الشرفة منذ ١٤ ايار ١٨٦٦ حتى السنة ١٨٦٧ ثم ارتحل الى رومية واكمل دروسه في الاكليريكيّة الاوربانيّة وصار قسيساً عام ١٨٧٤ وعاد الى الموصل وطنه يخدم النفوس . وفي السنة ١٨٩٥ تولّى خدمة الرعيّة السريانيّة في الرها وناله فيها ما ناله من اهوال الاتراك في تلك السنة المشؤومة واضطر ان يعود الى وطنه . وانزوى ردحاً من الزمان في دير مار بهنام

الشهيد يثقف بعض الشبان ويهيئهم للانخراط في السلك الرهباني · وفي السنة ١٨٩٩ اقبل الى دير الشرفة واقام طول الشتاء يقلّب مخطوطاته ومحفوظاته متأهباً لانشاء تاريخه «عناية الرحمان في هداية السريان» الذي نشره عام ١٩١٠ بالطبع · وعاد الى دير الشرفة تكراراً عام ١٨٩٠ ليستأنف مراجعة الرسائل القديمة المكنوزة في مكتبة هذا المعهد المبارك ·

وفي ٥ نيسان ١٩٠٣ نُصب في كنيسة سيدة النجاة مطراناً لحلب بوضع يد السيد اغناطيوس افرام رحماني المغبوط وسُمي «ديونيسيوس افرام» · ونهض برعاية الابرشيّة الحلبية حتى السنة ١٩١٤ فاصيب بمرض عضال اضطرّه ان يقصد دير الشرفة عام ١٩١٩ وقضى فيه اواخر حياته محتملاً مضض الاوجاع بصبر جميل · وحلّت وفاته في اذار ١٩٢٠ ودُفن في مغارة الآباء بالكنيسة القديمة ·

وخلّف المطران افرام ما عدا تاريخه المشار اليه محاورةً بين مار افرام والملّة السريانية باللغة السريانية الفصحى نظمها عام ١٨٩٩ ونقلنا عنها نسخة بخط يدنا[١] · ومن مصنفاته : الجزء الاول من تاريخ الطائفة السريانية · ومختصر التعليم المسيحي في السريانية والتركية والكردية · وغير ذلك من التآليف التي لم يتوفق في نشرها بالطبع ·

(١) فهرس المخطوطات ٢٨١

٢١ – الخورفسقفوس روفائيل بردعاني الماردينيّ (١٨٦٦ – ١٩١٥)

وُلد عام ١٨٥١ ووصل الى دير الشرفة عام ١٨٦٦ وفي ايلول السنة المقبلة قصد رومية واخذ العلوم عن اساتذة بروبغندا ثم عاد الى حلب ورقاه البطريرك جرجس المغبوط في ٣ تموز ١٨٧٤ الى رتبة القسوس وعاد الى وطنه يخدم النفوس حتى السنة ١٨٨٧ فاستدعاه البطريرك المغبوط ورقاه الى رتبة خورفسقفوس وعينه نائباً في بيروت . ثم عاد ١٨٩٢ الى ماردين وانطلق الى سعرد عام ١٨٩١ واضطرّ ان ينهزم منها عام ١٨٩٥ تملصاً من شر الاتراك والاكراد معاً .

وفي ١٠ حزيران ١٩١٥ استاقه الاتراك وفتكوا به مع سائر الكهنة والجماعة كما فصلنا في كتابنا « القصارى في نكبات النصارى » (ص١٨٤ – ١٩٨) .

ونقل الخوري روفائيل الى العربية كتاب « منّ النفس » تأليف الاب بولس سنيري اليسوعي في ١٣٤٠ صفحة كبيرة . وكتاب « شرح الكتاب المقدّس » من سفر التكوين حتى نبوءة صفنيا في ٢٣٤٠ صفحة . وهذان المخطوطان الضخمان اصبحا في حوزتنا بعد ما نشرنا فهرس مخطوطات مكتبة دير الشرفة . وقد ضممناهما فيما بعد الى المكتبة المشار اليها .

٢٢ – القس ايليا نحيت الماردينيّ (١٨٦٩ – ١٨٩٣)

شخص عام ١٨٦٩ الى دير الشرفة ثم انطلق الى رومية واكمل علومه في بروبغندا وعاد الى الشرفة عام ١٨٧٦ واستأنف درس الفلسفة واللاهوت حتى ارتقى الى الرتبة المقدّسة عام ١٨٨٠ وخدم النفوس في ماردين وطنه ثم انتقل الى دير الزور وأُصيب بداء وبيل اضطره ان يقصد الأطباء في حلب لكنهم عجزوا عن شفائه فقضى نحبه عام ١٨٩٣ ولم تستغرق مدّة كهنوته اكثر من ١٣ سنة رحمه الله تعالى .

٢٣ – المطران اوسطاثيوس موسى سركيس الدمشقيّ

سبقنا فكتبنا اخباره في كتابنا هذا (صفحة ٣٣٠ و٣٤٤) ولاسيما حينما أُنيطت به رئاسة دير الشرفة .

٢٤ – الخورفسقفوس يعقوب الملكيّ (١٨٧٦ – ١٩٤٥)

وُلد في قلعة المرأة شرقي ماردين وكان اسمه يوحنا وهو ابن ملكي شقيق السيّد اغناطيوس يعقوب بن يوسف كيسو بطريرك السريان الارثذكس (١٨٤٧ – ١٨٧١) وكان وصوله الى الشرفة في ٢٢ حزيران ١٨٧٦ ثم توّجه في القابل الى اورشليم ودرس العلوم في اكليريكيّة البطريركيّة

اللاتينيَّة . وبعدما اكمل علومه عاد الى ماردين وارتقى الى الدرجة المقدَّسة في ١٠ كانون الثاني ١٨٨٦ بوضع يد المطران يعقوب متى احمردقنه ونُصب راعياً لرهبان دير مار افرام ثم اقام في دير الزور يخدم الرعيَّة وعاد الى ماردين عام ١٩٠٩ وفي السنة ١٩١١ تولى خدمة الرعيَّة في اورشليم وفي بيت لحم . وعلى اثر الحرب الماضية انطلق عام ١٩١٨ الى انطاكية واستمر فيها حتى انتقل الى حلب عام ١٩٤٥ وفيها قضى نحبه رحمه الله تعالى .

٢٥ ـ القس بولس صعب (١٨٧٦ ـ ١٩٠٣)

وصل الى دير الشرفة في ١٥ تشرين الثاني ١٨٧٦ وانضمَّ الى الرهبنة الافراميَّة التي انشأها البطريرك جرجس المغبوط وفي ١٩ ايلول ١٨٧٧ وجهه البطريرك مع حنا ملكي ابن اخي البطريرك يعقوب السريانيّ المذكور آنفا الى مدرسة بيت جالا البطريركية بالقرب من القدس الشريف . فاعتكف مدَّة احدى عشرة سنة على اقتباس العلوم الكهنوتيّة ثم عاد الى دير الشرفة ورقاه البطريرك الانطاكيّ الى الرتبة المقدَّسة في ٢٠ تموز ١٨٨٨

وعُين القس بولس صعب قارئاً في مجمع دير الشرفة كما ذكرنا (ص٣٣٢) فنهض بوظيفته خير نهوض . وقد نذر ثلث تركتهِ لدير سيدة النجاة كالوف عادة سائر تلامذة الشرفة . وفي اوائل السنة ١٩٠٢ قدم الى

بيروت لإجراء عمليَّة جراحيَّة توفي على اثرها في ٢٦ كانون الثاني بالغاً ٤٠ سنة وترأس صلاة الجناز البطريرك اغناطيوس افرام رحماني رحمه الله تعالى

٢٦ – القس حبيب جالينوس الحلبي (١٨٧٦ – ١٨٨٨)

يمم دير الشرفة عام ١٨٧٦ وقضى ردحاً من الزمان يتعلم السريانيَّة والعربيَّة . ثم انطلق الى رومية واكبَّ على المطالعة في الاكليريكيَّة الاوربانيَّة وسيم قسيساً عام ١٨٨٧ وعاجلته المنيَّة عام ١٨٨٨ فلم تستغرق قسوسيته اكثر من سنة ٠

٢٧ – القس بولس مازجي الامدي (١٨٧٨ – ١٩٣٦)

وُلد في دياربكر وقدم الى دير الشرفة عام ١٨٧٨ ثم سار في السنة ١٨٧٩ الى رومية ومكث ١٢ سنة يواصل الدروس في بروبغندا ونُصب قسيساً عام ١٨٨٩ وعاد الى وطنه يخدم النفوس حتى رقد بالرب عام ١٩٣٦ رحمه الله تعالى ٠

الفصل الثاني

الأساقفة والكهنة من السنة ١٨٧٩ حتى السنة ١٩٠٠

١ – المطران اقليميس ميخائيل نخّاش الحلبي (١٨٧٩ –)

كتبنا في فصل مضى كلمةً عن هذا المطران الجليل الذي تولى رئاسة دير سيدة النجاة (١٩٢٢ – ١٩٢٦) وكان قدومه الى هذا المعهد المبارك عام ١٨٧٩ وذهابه الى رومية عام ١٨٨٠ وسيامته الكهنوتيَّة عام ١٨٩٠ [1] .

(١) راجع هذا الكتاب : ٤٤٢

٢ – الخورسقفوس يوسف شلحت الحلبي (١٨٧٩ - ١٩٤٧)

هو يوسف بن جرجس بن يوسف شلحت وُلد في ١٣ تشرين الثاني ١٨٦٣ ويمّم دير الشرفة في ٧ ايار ١٨٧٩ وفي ٢٧ تشرين الاوّل السنة عينها انطلق الى اكليريكية نشر الايمان المقدّس برومية وظلّ هناك حتى السنة ١٨٨٤ يتلقّى العلوم ثم عاد الى دير الشرفة بسبب وعكة طرأت على صحته . وظلّ يواصل دروسه حتى ٩ ايلول ١٨٨٦ فارتقى الى الرتبة الدياقونية وفي ١ حزيران ١٨٨٨ سيم قسيساً . وانطلق الى وطنه يخدم الرعية . وفي السنة ١٨٨٨ تولّى الاشراف على اوقاف دير الشرفة في حلب حتى السنة ١٨١٤ واتخذه السيد ربولا افرام رحماني مطران حلب معاوناً له في اشغاله فأخلص له الخدمة وسافر معه غير مرّة الى اوربا . ورقّاه في ١٥ آب ١٩٠٣ في كنيسة دير الشرفة الى رتبة خورفسقفوس . ولمّا تولّى مطرانية حلب مار ديونيسيوس جبرائيل تبّوني الجليل نصبه في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٠ نائباً عاماً للابرشية ثم انعم عليه عام ١٩٢٦ بلبس الخاتم وصليب الصدر . وفي ١٥ ايار ١٩٣٢ استعفى من ابرشية حلب واقبل الى بيروت ونزل في الصرح البطريركيّ مشمولاً بعطف صاحب النيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي المغبوط وكان يقضي مدّة الصيف في دير سيدة النجاة .

نهض الخوري يوسف ٤٤ سنة بخدمة النفوس وتولى حساب اوقاف المطرانية وفقراء الابرشية ١٢ سنة ولبى دعوة ربه في بيروت صباح ٢٧ شباط ١٩٤٧ ودُفن في كنيسة مار جرجس رحمه الله تعالى .

٣ – القس حنا بن ميخا زتّو الموصلي (١٨٨٠ –)

وصل الى دير الشرفة مساء ٢١ حزيران ١٨٨٠ ورقاه الى الدرجات الاوليّة السيد اقليميس يوسف داود في كنيسة سيده النجاة صباح ٣١ كانون الثاني ١٨٨٢ وابرز النذور الرهبانية في ٢٩ حزيران السنة عينها . ثم غادر الدير في ١ آب ١٨٨٣ الى الموصل وطنه . وفي السنة ١٨٨٩ يمّم دير مار افرام بماردين واستكمل العلوم الكهنوتية وارتقى الى الرتبة المقدّسة في ١ تشرين الثاني ١٨٩٢ مع رفاقهِ القس الياس شمعي والقس فيلبس قريشوع والقس افرام حجو . وعُيّن لخدمة الرعيّة في بلدة سويرك . وهناك انتابه ما انتابه من الغوائل والمخاوف اذ ثار الاتراك والاكراد على النصارى في خريف السنة ١٨٩٥ فقتلوا ونهبوا وذبحوا وارتكبوا من المنكرات والفضائح ما ارتكبوا . وقد كتب القس حنا بخطّ يده ما جرى له في تلك المدينة المنكود حظها قال ما خلاصته :

«يوم السبت ٢ تشرين الثاني ١٨٩٥ ثار المسلمون على نصارى سويرك فقصدتُ صديقي عيسى بك قائمقام الحميدية واستخبرته عن الامر فحدثني بما زادني هلعاً وفزعاً . وعند العصر نشم المسلمون يهجمون على اسواق النصارى وعلى بيوتهم . فاخذني الرعب وخرجت من بيتي حافياً مكشوف الرأس راكضاً الى دار عيسى بك وتوسّلت اليه كي يحميني . فاخفاني في احدى الغرف حتى صباح الاحد فقرع الثوّار باب الدار يريدون قتلي وقتل شرذمةٍ من النصارى لحقتني الى دار عيسى بك المشار اليه . لكنّ البك حمانا وكشفهم عنا . وعند الغروب قال لي البك لا بد من ان تغادر بيتي . فازداد اضطرابي وخفقان قلبي . وواصل الثوار هجومهم حتى يوم الاثنين فقتلوا ونهبوا ولم يعفوا الا على النساء والفتيات تكملة لخلاعتهم . وعند الساعة الرابعة بلّغني عيسى بك ان اخرج من داره لسبب خوفه من الحكومة فقلت له : حبّاً لله اقتلني بيدك فذلك خير لي من ان يقتلني العسكر ولست اطالبك بدمي في يوم الدين! فبكى عيسى بك ورافق الجند وتحامى عن ان يقتلوني . وجعلت امشي على جثث القتلى خائفاً مرتعشاً حتى وصلنا الى خان البلدية

وعاد عيسى بك الى داره . وان احد الضباط استلّ سيفه وصاح بي يقول بالتركية ما شرحه : « يا كافر وابن كافر امشِ » . فمشيت معه . وانطلق عيسى بك يريد القاضي واوصاه بي فاوفد جندياً اخذني الى مركز الضباط . وشاهدت الجنود يسحبون جثث القتلى الى خارج المدينة ويحرقونها بالكاز او يرمونها في حفرة ويخفونها . وسألني الضابط هل عند النصارى اسلحة ؟ فقلت له ان كل ما عثر عليه العسكر قد نهبوه ولم يجدوا سلاحاً .

« ويوم الاثنين مساءً سمعت المنادي ينادي باسم الحكومة ويقول : كل من يضرب نصرانياً يُحبس ١٥ يوماً » وعينت الحكومة لكل شخص ٢٠٠ درهم خبزاً .

وليلة الخميس ٧ تشرين سار بي احدهم الى بيت القاضي واقمتُ عنده ٣٥ يوماً . وكان المسلمون يلومونه ويحاولون قتلي وثاروا يوماً عليّ اذ كان القاضي غائباً فنهضت امينة خاتون امرأته وكشفتهم وغلقت الباب وجعلت تشجعني وتقول : لا تخف اني لن اسلّمك اليهم قبلما أُقتل انا واولادي ! واتفق ان ابرهيم باشا الكردي ارسل من ويران شهر مركزه بعض الدواب لنقل من بقي من النصارى واراد اصحابه ان ينقلوني معهم فأبى القاضي حرسه الله تعالى .

« على اني لما كنتُ في دار القاضي ارسلت عدّة مكاتيب الى المطران بطرس طوبال والى البادري يوحنا في ديار بكر وطلبت مساعدتهما لكن مكاتيبي لم تصل اليهما . والخلاصة اني مكثت في بيت القاضي طريح الفراش ١٥ يوماً ثم التمستُ منه ان يرحّلني الى وطني فرحّلني الى ديار بكر مع ضيا باشا فودّعته شاكراً له لطفه وحمايته وسرتُ ماشياً الى دياربكر ورقدتُ ليلاً على الارض السماء غطائي والحضيض وطائي والبرد القارس يزعجني . وكنتُ في طريقي اعاين قرى النصارى خاوية خالية وبيوتها محترقة او مهدمة .

« وصلت الى دياربكر منهوك القوى فرحّب بي المطران بطرس الجليل ونصحني ان اواجه مدّعي العموم فواجهتُه فرحّب بي وسلّاني . ومكثت ٨ ايام في دياربكر ثم بعثني المعاون الى دجلة فركبت الكلك مع بعض النصارى وكنت اشاهد يميناً ويساراً قرى النصارى مهدّمة واهاليها تحت عبودية الاكراد . وكان اولئك الاكراد يستفسرون قائلين هل بقي كفّار في دياربكر وفي سويرك ام لا ؟

« اخيراً وصلت في ٢٠ كانون الاوّل ١٨٩٥ الى الموصل لابساً ثياباً رثّة تستر بدني فاعارني احد القسّان ثياباً ودخلت البلد شاكراً الله تعالى . وقد بلغ عدد القتلى ١،٢٠٠ نسمة من الرجال وخمس نساء فقط . وقُتل من الجملة ٩٠ صبياً في مدرسة اليعاقبة مع معلمهم وقسّيسهم . وقتل قسوس الارمن ثلاثتهم واسقف البروتستان واولاده . ونُهبت الكنائس كلها . فهذا الذي جرى للنصارى في تلك البلاد عام ١٨٩٥ وقد حقّ لي ان اقول مع داود النبيّ «لولا ان الربّ كان معنا عندما قام البشر علينا لابتلعونا ونحن احياءً عند اضطرام غضبهم علينا» (مز ١٢٣ : ٢ و٣) .

٤ - الخورفسقفوس جرجس شاحت (١٨٨٥ - ١٩٢٨)

وصل الى دير الشرفة عام ١٨٨٥ وقصد في القابل مدرسة عينطورة ومكث ٨ شهور يدرس الفرنسيَّة وعاد بعد ذلك الى الشرفة يستأنف الدروس الكهنوتيَّة حتى رقّاه عام ١٨٩٠ عمّه البطريرك جرجس المغبوط الى الرتبة المقدّسة . واعتكف على المطالعة والترجمة والتصنيف فتفقّه اسرار اللغة العربيَّـة واستجلى غوامضها وبرع في نثرها ونظمها فعرّب امثـال فنيلون نثراً ونظماً . وانشأ كتاب « النجوى » في الصناعة والعلم والدين . ونظم قصيدة عنوانها « الطراز المعلم في مديح العذراء مريم »[1] . وصنف كتاباً آخر عنوانه « الجدوى » في ٦ فصول ضمنه اشعاراً رائقة وحججاً راهنة في وجود الخالق عزّ وجلّ . وعلق عليه الشيء الكثير حتى اصبحت حواشيه تستغرق اربعة اخماسه . وانشأ عام ١٩١٠ مجلة عنوانها « الورقاء » عاشت ستة اشهر . وانشأ نبذة اسمها « الشكوى » و « مدحةً في مار افرام » .

ومن محكم اراجيزه قوله :

هذه هي الدنيا وفيها الشرُّ   هـذا هو الدين وفيه الخيرُ
بعضُ بها تغدو لنـا ابليسا   بعها به تغدو لنـا قدّيسا

---

(١) المشرق ٧ : ١٩٠٤ : ١٠٨٣ و ١٠٨٧

وتوّفي الخوري جرجس في حلب بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٣٨ وخلّف مكتبة ثمينة لعبت بها يد الضياع رحمه الله تعالى .

٥ – القس بولس قصّار (١٨٨٧ –)

مكث ثلاثة اعوام في دير الشرفة (١٨٨٧ – ١٨٩٠) ثم انتقل الى اكليريكيّة بروبغندا . وثابر سبعة اعوام على الدروس وسيم عام ١٨٩٧ قسيساً فعاد الى مسقط رأسه واقام بضع سنوات ثم ارتحل الى اميركا مع القس بولس بخّاش السابق الذكر .

٦ – القس يوسف ايّوب الحلبيّ (١٨٨٩ – ١٩١٢)

وصل الى دير الشرفة عام ١٨٨٩ وارسله الخورفسقفوس موسى سركيس الى اكليريكيّة المرسَلين اليسوعيين ببيروت فجدّ في تحصيل العلوم الكهنوتيّة حتى احرز منها نصيباً وافراً . وكان يقضي فصل الخريف في دير سيدة النجاة ويختمر في اللغة السريانيّة والطقوس البيعيّة . ونذر الدير ثلث امواله في ١٤ ايلول ١٨٩٥ كمألوف عادة التلامذة . وفي ٢١ نيسان ١٩٠١ رقّاه السيد اقليميس ميخائيل بخّاش في كنيسة دمشق الى الرتبة الكهنوتيّة وعاد الى حلب . لكن المنيّة عاجلته فتوفي كهلاً عام ١٩١٢ رحمه الله تعالى

٧ – القس نقولا اديب الحلبيّ (١٨٩٠ –   )

قـدم عام ١٨٩٠ الى دير الشرفة وقصد عام ١٨٩١ الاكليريكيَّة البطريركيَّة في القدس الشريف وظلّ هناك حتى السنة ١٨٩٦ ثم عاد الى دير الشرفة واستأنف دروسه تارةً في اكليريكيّة الآباء اليسوعيين وطوراً في الشرفة . ثم تولّى القاء دروس اللاهوت النظري على التلامذة حتى ٢١ نيسان ١٩٠١ فارتقى مع القس يوسف ايّوب الى الرتبة المقدّسة .

وخدم القس نقولا الرعيَّة السريانيّة في القاهرة حتي السنة ١٩٠٦ ثم عاد الى وطنه وجعـل يعلّم في مدارس مختلفة ولم يُسوَّغ له الاشتغال بخدمة الرعية الحلبية .

٨ – المطران ربولا يوسف بخّاش الحلبيّ (١٨٩٤ –   )

وصل الى دير سيدة النجاة صباح ٩ نيسان ١٨٩٤ بالغاً الحادية عشرة. وفي ايلول ١٨٩٥ انحدر الى بيروت وانضمّ الى تلامذة الاكليريكية اليسوعية وجعـل يقضي العطلة الصيفية في الشرفة يتمرّن في السريانية والانغام الكنسية . ورقّاه شقيقه المطران اقليميس ميخائيل بخّاش في ٢٤ ايّار ١٩٠٨ الى الرتبة الكهنوتية وخدم اولًا رعية حماة ثم رعية زحلة. وفي ربيع السنة ١٩١٠ رافق البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط

في رحلته الى بلاد ما بين النهرين فزار الرها ودياربكر وماردين وطور عبدين والموصل وعاد الى دمشق ومنها ارتحل عام ١٩١٢ الى القاهرة وجعل يخدم النفوس . وفي السنة ١٩٣٧ تولّى النيابة البطريركية في الاسكندريّة ورقّاه شقيقه في ٢٥ تموز السنة عينها الى رتبة خورفسقفوس .

خدم الخورفسقفوس يوسف نجاش ابرشية مصر ٣٣ سنة بكلّ جدّ ونشاط وامانة . واستدعاه الكردينال البطريرك المغبوط مار اغناطيوس جبرائيل تبوني الى بيروت ورقّاه صباح الاحد ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٤ في كنيسة مار جرجس الى الرتبة الاسقفية على الرها وسماه « ربولا يوسف » تيمُّناً باسم القدّيس ربولا مطران الرها (+ ٤٣٥ م) المشهور بفضائله وعلومه . وما برح ناهضاً بخدمة نيابة الكردينال البطريرك حتى يومنا . اطال المولى تعالى ايّام حياته .

٩ - الخورفسقفوس افرام حدّاد الدياربكريّ (١٨٩٩ -)

وُلد عام ١٨٨٧ وَشخص الى دير الشرفة في ٤ نيسان ١٨٩٩ ثم ارتحل في ٩ ايلول السنة عينها الى رومية واقام في اكليريكيَة البروبغندا وحصَّل الملفنة في الفلسفة وفي اللاهوت النظريّ والادبيّ . وفي ٥ حزيران ١٩٠٩ ارتقى الى رتبة القسوس وعاد الى دير الشرفة ثم قصد وطنه ومكث هناك حتى سلخ تشرين الثاني ١٩١٢ فاستدعاه السيد البطريرك وولّاه تدريس اللاهوت النظري والفلسفة عام ١٩١٨ في الشرفة وقضى مدّة الحرب ١٩١٤ بمثابة معاون لرئيس الدير الخوري افرام حيقاري الموقّر . وسُمّي مونسنيوراً عام ١٩١٩ بوظيفة كمريري . وفي السنة ١٩٢٦ توجّه الى رومية مع اربعةٍ من تلامذة الشرفة وحلّوا في دار النيابة البطريركية السريانية بجي كمبو مارسيو . وجعل المونسنيور افرام يناظرهم حتى السنة ١٩٣٠ فارتحل الى اميركا الشمالية ليزور اهله وابناء وطنه ثم عاد الى لبنان وتقلّد عام ١٩٣٢ النيابة البطريركيّة في القدس الشريف . وارتقى الى رتبة خورفسقفوس في ٢٢ ايلول ١٩٤٥ وما برح ناهضاً بمنصبه حتى اليوم .

ونغتنم الفرصة لنبدي عاطفة الشكر لشقيقه الفاضل الدكتور جان حدّاد الذي امتاز بتفانيه في عيادة المرضى الفقراء مجاناً طمعاً بالثواب السماويّ سائلين له المكافأة المضاعفة والعافية التامّة وطول العمر .

١٠ – القس حبيب خيّاط الرهاويّ (١٨٩٩ –)

وُلد في الرها في ١٤ ايار ١٨٨٧ وقدم الى دير الشرفة في ٢٨ حزيران ١٨٩٩ ثم سافر الى رومية في ٩ ايلول وتلقّى العلوم في اكليريكية بروبغندا وصار قسيساً في ٢١ ايار ١٩١٠ وعاد الى دير الشرفة وتولّى رعاية التلامذة اربع سنوات ودرّس الكتاب المقدّس واللاهوت النظري ·

وفي السنة ١٩١٤ المشؤومة سافر الى الرها وطنه وناله هناك ما ناله من مخاطر وغوائل هائلة حتى ان الاتراك هجموا على والده الشماس اسطيفان وعلى شقيقه جورج وفتكوا بهما فتكاً ذريعاً · وظلّ القس حبيب مختفياً عن أبصار العتاة زماناً حتى تمكّن من الانهزام عام ١٩٢٢ الى حلب ثم انطلق عام ١٩٢٣ الى الاسكندرونة وخدم الرعية · وفي السنة ١٩٢٨ جاء الى بيروت وتولّى خدمة النفوس في رعية مار جرجس · وقد ساعد الاب حبيب المنتزحين من ابناء وطنه الى بيروت وما برح ناهضاً بخدمتهم الروحية حتى اليوم ·

١١ – القس اسطفان سفر الموصليّ (١٨٩٩ – ١٩١٦)

تفرّد هذا القسيس الوقور بوداعته وخضوعه التامّ لرؤسائه · وكان وصوله الى دير الشرفة في شتاء ١٨٩٩ بالغاً الثالثة والعشرين واقام سنة

وتسعة شهور مجتهداً في احراز الفضائل والعلوم مكبّاً على نسخ الكتب حتى ٢٤ ايلول ١٩٠١ فسافر الى دير مار جبرائيل في فينة وتعلم الالمانية ثم انتقل عام ١٩٠٤ الى فريبورغ واكمل درس اللاهوت وارتحل عام ١٩٠٦ الى بلاد روسيا مع القسيس الوقور ابن ملك السكس . وكان يراسلني في اثناء رحلته ويصف لي كل ما يشاهده في تلك البلاد . ثم عاد الى فريبورغ ورقّاه السيد البطريرك في ١٤ ايلول ١٩٠٧ الى الرتبة الكهنوتية وسماه اسطفان . وعاد في القابل الى دير الشرفة وتولّى رعاية التلامذة ثم

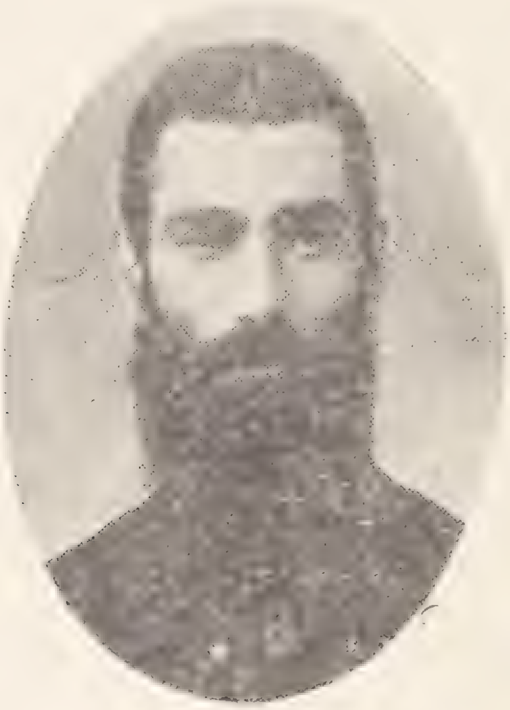

انطلق عام ١٩٠٩ الى وطنه ومكث مدة وجيزة وعاد الى سوريا وخدم رعيّة حماة ولم تطل مدته اذ فتكت به حمّى قوية عام ١٩١٦ وقد نقلنا رفاته من حماة عام ١٩٢٧ ووضعناها في كنيسة مار جرجس ببيروت . رحمه الله تعالى .

ومن منسوخات القس اسطفان : قاموس القس جبرائيل قرداحي نسخه عام ١٩٠٠ في دير الشرفة ونسخ كذلك كتاب بيتكاز . وكتاب يوحنا اسقف دارا وهو محفوظ في المكتبة البطريركية ببيروت . ونقل عن الالمانية تلبية لطلبنا مقدمة كتاب كليلة ودمنة التي نشرها في ليبسيك عام ١٨٧٦ المستشرق غوستاف بيكل وتيودور بنفي . ونسخ كذلك

كتاب فكاهات ابن العبري السريانية وقد وقفه شقيقه عام ١٩٣٠ لمكتبة دير الشرفة ووصفناه في فهرس المخطوطات (صفحة ٢٩٢ — ٢٩٣) .

١٢ — الخورفسقفوس جبرائيل فخير الدياربكري (١٩٠٠ — ١٩٤٥)

قدم الى دير الشرفة في حداثته وقضى فيه بضعة ايام ثم عاد الى دياربكر وطنه وبعد هذا سافر الى باريس وانضم الى جمعيَّة الاباء الانتقاليّين ودُعي بوليكربس وظلّ عندهم حتى السنة ١٩٠٠ فاحضره البطريرك افرام رحماني المغبوط الى دير الشرفة في ١٢ شباط السنة المذكورة وولّاه الاشراف على المطبعة التي استحضرها من اوربا . فنهض الشماس بوليكربس بهمَّته خير نهوض وطبع كتاب الاشحيم الذي برز عام ١٩٠٢ وهو رابع طبعة . وفي ٢٥ شباط ١٩٠١ ارتقى الى رتبة الكهنوت وسُمي جبرائيل وتولّى رعاية التلاميذ . وفي القابل عُين نائباً بطريركيّاً في الاستانة لتضلّعه من التركيَّة والفرنسيَّة . وظلّ ناهضاً بوظيفته حتى اخترمته المنيَّة في كانون الثاني ١٩٤٥ وزار غير مرّة عاصمة الكثلكة وجبل لبنان واقتنى بعض عقارات في الاستانة . رحمه الله تعالى .

الفصل الثالث

الأساقفة والكهنة من السنة ١٩٠٠ حتى السنة ١٩٣٠

١ – الاب جرجي اليان (١٩٠٠ –)

أبصر النور في زيدل بلدة جميلة بجوار حمص صباح ١٥ كانون الثاني ١٨٨٥ ودخل اكليريكية سيدة النجاة في ٢٠ تشرين الاول ١٩٠٠ واقام سبعة اعوام يدرس السريانية والعربية حتى حذق فيهما وبدت على محياه علائم النجابة فوجّهه رئيس الشرفة في ٢٠ ايلول ١٩٠٧ الى اكليريكية بروبغندا برومية وحصل من العلوم الفلسفية واللاهوتية وشروح الكتاب المقدّس نصيباً وافراً وزُين صدره بنوط الملفنة . وارتقى في ١٧ ايار ١٩١٣ الى الرتبة الكهنوتية ٠ ثم عاد الى حمص ليخدم الرعية . غير ان رئيس الشرفة استدعاه في ٢٦ تشرين الاول السنة عينها وولاه القاء دروس اللاهوت الادبيّ على الشمامسة . فنهض بتلك المهمّة نهوض الاستاذ

النشيط النجيب . ثم عاد عام ١٩٢٠ الى وطنه واقام فيه حتى السنة ١٩٢٥ وكان في هذه السنوات الستّ يراسل جريدة البشير ويلقي الدروس على طلبة مدرسة المرسلين اليسوعيين بحمص .

وبعد هذا استرخص المقام البطريركي وأبحر في ٢٥ تشرين الاوّل ١٩٢٥ الى البرازيل ليتفقد شؤون اهله وابناء وطنه . وتولى هناك في اكليريكية « بيلّو هوريزنتو » تدريس الكتاب المقدّس والآباء الشرقيين وتاريخ الكنيسة الشرقيَّة مدّة عشر سنوات . وقرأ العبرانيَّة على استاذ يهوديّ فلسطينيّ وجعل يدرّسها التلامذة ويستعين بها على شرح الكتاب الكريم وتعوّد القاء محاضرات دينيّة تاريخية تنطوي مواضيعها خصوصاً على ملافنة الكنيسة الكاثوليكية ولاسيا الذين نبغوا في بلاد المشرق .

وخصص الاب جرجي اليان اوقات فراغه بالتأليف والترجمة فصنَّف تاريخاً لزيدل وطنه بعنوان « كثلكة زيدل » استعان به الخورفسقفوس جرجس ستيتة الفاضل في مقالٍ نشره في مجلّة « الآثار الشرقية »[١] . ونشر في مجلّة المشرق[٢] مقالة ممتعة عنوانها « حاضرة سان باولو في البرازيل » . فذكر تاريخها ووصف عاصمتها ومتحفها وصناعاتها وزراعتها ومعارفها وكثلكة سكانها وذكر السوريّين واللبنانيين فيها . وهي مقالة محكمة تسترعي النظر وتبرهن على سعة اطلاع كاتبها .

وما عدا ذلك فقد نقل الاب جرجي اليان الفاضل الى اللغة البرتوغالية « مختصر القدّاس السريانيّ » و« نشيد مار افرام في عيد الميلاد » . ونشيده كذلك في عيد القيامة . وقصيدته في وصف حياته التي مطلعها « ܕܗܢܐ ܕܗܕܐ ܩܕܡ » . ووصيته الاخيرة المؤثرة . وأعدّ للنشر اخبار البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المثلّث الرحمات .

وقد توثّقت عرى الصداقة بين هذا الاب الجليل وبيني مذ زرته عام

---

(١) السنة الثانية ١٩٢٧ صفحة ٢٨١ (٢) المشرق ٢٤ : ١٩٢٦ : ٦٨٧

١٩٠٩ في عاصمة الكثلكة وتحدّثتُ معه في « كستل غندلفو » مصيف تلامذة البروبغندا . ومذ ذاك الحين تواترت الرسائل بيننا . ولا ارى بدّاً من اسداء اخلص الشكر لجميله اذ ساعدني في نشر هذا الكتاب مساعدة مالية تستحقّ الذكر . ذلك كلّه برهان مقنع على ولائه لسيدة النجاة صاحبة دير الشرفة المغبوطة وعلى وفائه لمعروفها واحسانها . وقد سبق ووفى نذره لها كافأه الربّ خير المكافاة واطال ايّام حياتهِ .

٢ – الخورفسقفوس يوسف خيّاط الموصليّ (١٩٠٣ – ١٩٤٧)

ينتمي الى اسرة خيّاط السريانيّة الموصليّة النبيلة التي اشتهر كثير من افرادها باعمالهم الخيريّة ومدافعتهم عن الايمان الكاثوليكي المقدّس وثقافتهم العالية . وقد عرفنا شقيقه الدكتور حنا خيّاط الذي تولّى وزارة الصحة في الدولة العراقية وشقيقه الدكتور سليم والدكتور سامي نجل الدكتور حنا ثم نسيبه فتحالله بك خيّاط نزيل الاستانة ونجله الذكي الفؤاد فكتور الذي تولّى قنصلية فرنسا في ديار بكر ثم جرجي افندي خيّاط في حلب .

اقبل الخورفسقفوس يوسف ابن المرحوم بهنام خيّاط الى دير الشرفة في صيف السنة ١٩٠٣ واقام ستة اشهر يمرّنه على الاصول اللاهوتيّة الاب موسى دلّال (رئيس اساقفة الموصل في عهدنا) . ثم رقّاه مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط في ١٥ آب السنة عينها الى الرتبة الكهنوتية في كنيسة سيدة النجاة . وعاد بعد ذلك الى وطنه يقوم بخدمة رعية كنيسة الطاهرة .

وارتحل الخوري يوسف الى بلاد اوربا ولاسيا الى عاصمة الكثلكة في مهمّة كلّفه بها السيد قرلس بولس دانيال تلميذ الشرفة فنهض بذلك خير نهوض . ونظراً الى فرط ذكائه ورسوخ قدمه في مختلف العلوم والفنون والآداب اجمع المواصلة على انتخابه عضواً في مجلس النواب العراقي وله

مواقف خطيرة في ذلك المجلس تجلّت فيها عبقريته ومحبته الوطنية ومدافعته عن حقوق الدولة العراقيّة . وسافر لهذه الغاية دفعتين الى لندن عاصمة انكلترا . وفي اواخر حياته مُني بضعف اقعده عن مواصلة اعماله فقضى ايامه الاخيرة مصطبراً يحمد الله تعالى على سرّائه وضرّائه مستسلماً الى العناية الالهية حتى رقد بالرب في ٢١ تموز ١٩٤٧ رحمه الله تعالى .

٣ – القس حنا رحماني (١٩٠٥ –)

هو ابن بهنام بن حنا رحماني وكان جدّه حنا ابن عمّ البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط . وامّه مرتا حسّون شقيقة الاستاذ سليم حسّون الذي اشتهر في عالم الصحافة ونشر عدة مقالات في جرائد الموصل وبغداد . وانتُخب عضواً في مجلس النوّاب العراقيّ . اصطبغ حنا بمياه العماذ في ٣ آب ١٨٩١ بيد القس افرام نقّاشة واخذ العلوم الابتدائية في مدرسة الطاهرة السريانية وفي مدرسة المرسلين الدومنكيين . وعلى اثر وفاة والده في ٧ كانون الثاني ١٩٠٥ قدم الى بيروت يريد الانضمام في سلك الاكليرس فبعثه نسيبه البطريرك المغبوط الى دير الشرفة في ٢٠ حزيران ١٩٠٥ ثم نزل الى بيروت واندمج في سلك تلامذة الاكليريكية اليسوعية واعتكف على الدروس حتى السنة ١٩١٢ وحصّل شهادة الملفنة في الفلسفة والطبيعيّات .

وفي السنة ١٩١٤ اغلقت الاكليريكيّة المشار اليها بسبب الحرب الكونيّة فانتقل الشماس حنا الى دير الشرفة وجعل يلقي دروس الفلسفة السكولسطيقية في اللاتينيّة على التلامذة مدة اربعة اعوام الحرب . ومن جملة تلامذته الذين ارتقوا الى الرتبة المقدّسة فيما بعدُ نذكر القسوس : افرام درّوج وحنا باكوس وافرام فرنساوي وبولس هندو وافرام جرجور وجبرائيل كابيجا . وفي ٧ ايار ١٩١٦ ارتقى الشماس حنا مع اربعة شمامسة الى الرتبة الكهنوتية بوضع يد البطريرك افرام رحماني المغبوط[١] . واتخذه

(١) راجع كتابنا « القصارى في نكبات النصارى » ص ٤٦٥

البطريرك عينه كاتباً في قلّايته .

وفي السنة ١٩١٩ توجّه القس حنا رحماني الى الموصل وطنه وولّاه الانكليز ادارة مدرسة الطاهرة وكانت يومئذ اشهر مدارس الموصل وأهمّها .

وعلى اثر وفاة والدته عام ١٩٣٢ انحدر الى بغداد وأُنيطت بجدارته ادارة الدروس العربيّة في مدرسة حديثة افتتحهـا المرسلون اليسوعيون الاميركيون . وكان يختلف يومئذٍ الى مدرسة مار افرام السريانيّة ببغداد ويشرف على طلبتها .

وبعد هذا استدعته عام ١٩٣٧ وزارة المعارف العراقيّة الى الموصل وتولّى تدريس اللغة الفرنسية في مكتبها الثانويّ واضاف الى ذلك الاشتغال بادارة المدرسة السريانية تلبيةً لطلب راعي الابرشيّة مار قرلُس جرجس دلّال الجليل .

على ان الاب حنا رحماني لم يقتصر على التدريس والتعليم في مختلف المدارس بل خصَّص وقتاً من زمانه للتأليف والتحبير فنشر مقالات ضافية في جرائد الموصل وبغداد نذكر منها مقالة وافية عنوانها « اللغة العربية ووجوب اصلاحها » وهو من المحبذين لفكرة ابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية كما صنع مصطفى كمال بالحروف التركيَّة .

واشتغل هذا الاب الذكيّ الفؤاد بالشعر فنظم عدّة قصائدٍ عربيَّة في شتى المواضيع لم ينشرها بعدُ بالطبع . وانشأ مأساةً عنوانها « غفران الامير » نشرها في اعداد مجلة المشرق (1) ببيروت . موضوعهـا حروب المناذرة والغساسنة . وصنَّف كتيباً لطيفاً عن المرحوم نعوم عبيدة السرياني صاحب الايادي البيضاء على الاعمـالِ الخيرية في العراق ولاسيما على دير مار بهنام الشهيد .

وانشأ القس حنا رحماني « ردّاً » عـلى القس يوسف كوكي الكلداني الذي تحدّى انتقاد ما نشره العلّامة البطريرك افرام رحماني عن القدّاس

---

(١) المشرق ٢١ : ١٩٢٣ : ٢٢١ الخ .

الكلداني في كتابه « الليترجيات الشرقية والغربية »[1]

وللاب حنا رحماني ولع بالخطابة الدينية والادبية والعلمية وكثيراً ما يلقي المواعظ في كنيسة الطاهرة وفي اكليريكية المرسلين الدومنكيين وفي الاكليريكية البطريركية الكلدانية الخ . وهو ينوي ان ينشر كتاباً باللاتينية موضوعه « الفلسفة السكولسطيقية » ينطوي على سلسلة الدروس التي القاها على شمامسة دير الشرفة كما نوّهنا . وما برح يثابر على اعماله ودروسه حقق المولى جميع نياته الصالحة .

٤ – المطران اثناسيوس بهنام قليان (١٩٠٥ –)

سبقنا فكتبنا كلمةً عن هذا المطران الجليل لمّا تولّى رئاسة دير الشرفة عام ١٩٢٨ (صفحة ٤٤٨) . والآن نلمح الى قدومه من عاصمة الكثلكة عام ١٩٠٥ الى دير سيدة النجاة ومكوثه فيه ثلاثة اعوام استكمالاً لدروسه اللاهوتية حتى ارتقى في ١٩ تموز ١٩٠٨ الى الرتبة الكهنوتية .

٥ – الخورفسقفوس جرجس حمّال (١٩٠٦ –)

يُعَدّ هذا الخورفسقفوس الفاضل من نجباء الاكليريكية اليسوعية واذكيائها تلقّى فيها الدروس الكهنوتية مع زميله الاب يوحنا رحماني السابق ذكره وأصبحا معاً من الكهنة الممتازين علماً وفضيلةً .

أبصر الاب جرجس النور في ماردين في ٢٣ تموز ١٨٩٣ وانضمّ الى تلامذة الشرفة في ١٢ تشرين الاول ١٩٠٦ وهو ينتمي الى أُسرة شريفة من الأُسر السريانية . اشتهر والده يوحنا بمناقب عالية وفضائل راهنة وخلّف في كنيسة العذراء بماردين ذكرى جميلة لتقواه وحسناته .

وقام من اسرة حمال النبيلة القس بطرس ابن الشماس انطون حمال

---

(١) صفحة ٤٣٤ – ٤٦٩

الذي انضوى الى الرهبنة الافرامية وتفرّد بمحاسنه وصفاته الحلوة وخدم النفوس في وطنه وفي معمورة العزيز وفي طور عبدين ثم تولّى عام ١٩١١ النيابة البطريركية بماردين واخيراً قُتل شهيد الايمان المقدّس عام ١٩١٥ بينما كان متوجّهاً من مديات الى عين ورد حيث حاصر الاهالي وعاندوا الحكومة التركية ·

وعرفنا من هذه الاسرة الكريمة الشيخ الجليل الشماس انطون حمال المشهور بورعه وخدمته المتواصلة في هيكل الربّ الغفّار ونجله نصري الفاضل وحفدته اسكندر وفيلبس وعبدالمسيح الذين استاقهم اعداء الدين والانسانية مع القافلة الاولى في ١١ حزيران ١٩١٥ وذبحوهم فقضوا مع ٤١٧ شهيداً[1] في سبيل الايمان المقدّس ·

امّا الخوري جرجس بن يوحنا حمّال رحمه الله فقد اقام ثلاثة اعوام بدير الشرفة ثم نزل في ٥ كانون الثاني ١٩٠٩ الى بيروت وانخرط في سلك تلامذة الآباء اليسوعيين واصبح قدوةً لاقرانه بجدّه واجتهاده · ونبغ في العلوم الفلسفية واللاهوتية والحقّ القانونيّ · وعاد الى دير الشرفة عام ١٩١٤ وقضى فيه أعوام الحرب الاربعة البائدة · ثم نُصب قسّيساً مع

(١) اطلب كتابنا « القصارى في نكبات النصارى » ١٩٣ - ١٩٨

رفيقه الشماس يوحنا رحماني صباح الاحد ٧ آيار ١٩١٦ وتولى تدريس الشمامسة ورعاية التلامذة . وفي حزيران ١٩١٩ سافر الى ماردين وطنه واقام ردحاً من الزمان حتى اضطر ان يعود عام ١٩٢٢ الى لبنان وتوجه عام ١٩٢٧ الى مدرسة الآباء اللعازريين في عينطورا يدرّس طلبتها الفرنسية والعربية . وبعد ذلك انطلق الى القطر المصري وتولى خدمة النفوس في تشرين ١٩٤٤ في ثغر الاسكندرية . وفي ٨ ايلول السنة ١٩٤٦ استدعاه الكردينال البطريرك الى دير الشرفة ورقاه الى رتبة خورفسقفوس مكافأة لغيرته ومساعيه الحسنة . وما برح يسوس الرعية السريانية في الاسكندرية حتى هذا اليوم . اطال المولى تعالى بقاءه ووفقه في مهمته الشريفة .

٦ – القس لويس مرمرجي (١٩١٠ –)

وُلد في بغداد في ٢٢ اذار ١٨٩١ وتلقى العلوم اولاً في اكليريكية الآباء البندكتيين باورشليم . ثم قصد الشرفة في ١٦ تموز ١٩١٠ واقام سنتين يستكمل علومه حتى ارتقى في ١ كانون الاول ١٩١٢ الى رتبة الشماس ثم استصحبه راعيه السيد اثناسيوس جرجس دلال الجليل الى بغداد وهناك رقاه في ١٠ ايار ١٩١٤ الى الرتبة الكهنوتية . وخدم القس لويس رعية

العمارة حتى السنة ١٩٢٧ وقضى سنة واحدة في البصرة (١٩٣٠ — ١٩٣١) ثم تولى خدمة النفوس في بغداد حتى الآن . ولا يزال يقصد الربوع اللبنانية في اثناء الصيف استجماماً لقواه الضعيفة .

٧ — القس يوحنا باكوس البغدادي (١٩١٠ —)

قدم من بغداد في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٠ الى دير سيدة النجاة . وكان ولاده في ١٣ آب ١٨٩٨ وانطلق في ١٢ آبِ ١٩١١ الى الاستانة وانضم الى سلك تلامذة اكليريكيَة مار لويس الكبوشية الملاصقة لقصر السفارة الفرنسية . وزاول هناك العلوم حتى ٢٦ ايار ١٩١٥ فاضطرّ ان يعود الى دير الشرفة بسبب الحرب البائدة . واقام اربعة اعوام حتى خمدت نيران تلك الحرب الظالمة . ثم سافر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩ الى رومية واكمل دروسه في اكليريكية بروبغندا وسيم قسيساً في ١٨ كانون الاول ١٩٢١ وقفل الى دير الشرفة واستقرّ مدّة ثم عاد الى بغداد وطنه . وقد اتخذه القاصد الرسوليّ السيد جورج دي جونش عام ١٩٣٨ كاتباً لاسراره . ذلك لخبرته التامّة باللاتينية والفرنسية والعربية .

٨ - القس جبرائيل كليجا (١٩١١ -)

يتحدّر هذا القسيس الوقور من أُسرة كليجا الماردينية التي انضمّت الى البيعة الكاثوليكيّة في عهد مؤسس دير الشرفة المغبوط كما يتضح من رسالة قديمة ضممناها الى محفوظات هذا المعهد المبارك . وعرفنا ابن عمّه الفاضل السيّد عبد المسيح سعيد[1] نزيل بغداد الذي تفرّد بالعطف على المشاريع الخيريّة وأُغرم بمحبة طائفته السريانية وامتاز بخضوعه لرؤسائه الاجلاء . وقد لقيتُ من فضله ما حداني على ابداء الشكر لعوارفه والثناء على صفاته والدعاء بطول حياته وحياة أَنجاله المحروسين .

وُلد الاب جبرائيل بن روفائيل بن ايليا كليجا في ١٢ ايلول ١٩٠١ ويمّم ديرَ الشرفة في ٩ نيسان ١٩١١ ثم قصد اكليريكية اورشليم واندمج في سلك تلامذة الاباء البندكتيين يواصل دروسه حتى السنةَ ١٩١٤ فاضطرّ ان يعود الى الشرفة وقضى فيه اعوام الحرب الاربعة يواظب على الدرس

---

(١) اشتهر سعيد والد عبد المسيح بنزاهته وعدالته وكان رحمه الله تعالى اوّل متوظف مسيحي في حكومة مذيات قاعدة طور عبدين . وقام من اسرة « كليجا » عينها سعيدٌ ثانٍ حجّ الاراضي المقدّسة ومكث زماناً في حلب وجاد على تلك الابرشيّة بمبلغ جزيل مدوّن في سجل المطرانيّة رحمه الله تعالى .

والمطالعة . ونظراً الى نجابته وذكائهِ اصطفاه رئيس الشرفة الخورفسقفوس افرام حيقاري الجليل ووجّهه الى اكليريكية البروبغندا فنجح نجاحاً تاماً في دروسه واحرز اكليل الملفنة في الفلسفة واللاهوت وسيم قسيساً مع الشماس افرام جرجور والشماس بولس هندو في سلخ اذار ١٩٢٣ في كنيسة مار يوحنا اللاترانية الشهيرة .

عاد الاب جبرائيل الى الشرفة وتولّى بعدئذٍ خدمة النفوس في ابرشية بيروت . وفي السنة ١٩٢٨ وجّهه صاحب الغبطة الى الاسكندرونة فانصرف الى انجاز بنيان كنيستها الجديدة ثم كتب الى السيد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني المغبوط يلتمس منه ان يتوجّه الى تلك المدينة ليدشّنها .

سافر البطريرك الانطاكي في رهطٍ من الاساقفة والخوارنة والقسوس كنا نحن في جملتهم واحتفى به ابناء الملّة السريانية احتفاء شائقاً ورحّب به الاب جبرائيل بخطاب بديع عند دخوله الى تلك الكنيسة الجميلة . وصباح الاحد ٣٠ اذار السنة المذكورة قام البطريرك المغبوط بحفلة التدشين وقد استغرقت ثلاث ساعات كاملة وقضى في ذلك الثغر ثلاثة ايام محفوفاً بالاجلال والتكريم ثم قصد زيارة انطاكية في حاشيته . وهو اول بطريرك سرياني تعهد تلك المدينة عاصمة البطاركة الانطاكيين اسلافه . وفي ١ نيسان رقّاني غبطته في كنيسة مار بطرس الكبوشية الى رتبة خورفسقفوس .

اما الاب جبرائيل فقد عاد الى بيروت عام ١٩٣١ وتولّى خدمة السيد البطريرك ورعية كنيسة « سيدة البشارة » التي اسّسها هو تجاه اوتيل ديو دفرنس . وبذل المساعي المشكورة في خدمة الاخوة السريان المنفصلين حتى تيسر له ان يضم طائفة صالحة منهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية . واشتغل الاب جبرائيل بالتصنيف فنشر « نبذةً في تاريخ الكنيسة في الاجيال الثلاثة الاولى » . واضاف الى ذلك جزئين من « التعليم المسيحي » مع

شروح جزيلة الفائدة . وهو يوزّع تلك الكتب على طلبة المدرسة الملاصقة لكنيسة «سيدة البشارة» التي يقوم هو بادارتها .

الاب اوجين دلّال

على ان الاب جبرائيل كليجا الهمام اطّلع عندما كان في الاسكندرونة على صنائع الاب اوجين ورطان دلال وشقيقيه جرجي وعبدالله وعلى عوارفهم السخية . ووقف على ما لهم من الايادي البيضاء على كنيسة «الوردية» السابق ذكرها . فابت شهامته الا ان يُبدي لذلك الاب الفضيل الوافر المبرّات عاطفة معرفة الجميل . وكان رحمه الله تعالى قد قصد بيروت عام ١٩١٨ لاجل المعالجة وفيها توفي كما ذكرنا (ص ٣٢١) . فلم يَرَ الاب جبرائيل الا ان يلبي طلب السيد جرجي والسيد عبدالله شقيقي الفقيد العزيز فشخص الى بيروت ونقل الرفات الى كنيسة «الوردية» وصلى عليه صلاة الجناز ثم لحده في ضريح خصوصي أُعدّ له تحت مذبح قلب يسوع الاقدس بحضور شقيقيه وابناء الطائفة الفضلاء ولاسيما انجال المرحوم رزق‌الله مخزومة وآل اسطنبولي وآل مارديني وآل توما النبكي وايواز ودقاق متذكرين ما كابد الاب اوجين من الاعراق والاتعاب في سبيل مشترى ارض تلك الكنيسة وتأسيسها[١]

(١) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٤ : ١٩٢٩ : ٣٨٤ وكتابنا هذا : صفحة ٣٢١

وقد سبق الاب اوجين المذكور في الخير نخدم النفوس كما قلنا في رسالات ماردين وسويرك ودير الزور · ونهض كذلك بخدمة المطران غريغوريوس عبدالله سطوف في حمص عندما كان كاثوليكيًّا · وتولى هناك ادارة مدرسة الآباء اليسوعيين ثم انتقل الى النبك عام ١٩٠٢ وخدمها بمثابة نائب بطريركيّ وأسس كنيسة للجماعة السريانيّة في يبرود · وبعد هذا انطلق الى الاسكندرونة واتفق مع شقيقيه الفاضلَين فانشأ ميتماً سريانياً ونهض الشقيقان بتهيئة الكسوة والمؤونة لليتامى وتولى الاب اوجين تثقيفهم في التعليم المسيحيّ وتمرينهم على الاعتراف والتناول · وكان الشقيقان يشتريان حولًا فحولًا كميّات وافرة من الذخيرة تفضل عن حاجة اليتامى فيوزّعانها على المساكين عموماً ·

السيّد جرجي دلّال

وعرفنا نحن السيد جرجي دلّال معرفة شخصيَّة في ماردين وشاهدناه بعيننا يشتغل منبر كنيسة العذراء الكبرى ومذابح كنيسة دير مار افرام وغير ذلك اذ كان بارعاً في صناعة النجارة وتخريم الخشب · ومما نسطره لهذا الاستاذ الجليل بمداد الشكر والثناء نهوضه بوصيَّة شقيقه الاب اوجين اذ بعث الى دير الشرفة الذي تربى فيه بمائة ليرة مصرية وارسل كذلك ٥٠ ليرة مصرية الى السيد ثئوفيلس يوسف رباني مطران حمص الفاضل ·

وهو ينوي ان ينهض بمشاريع اخرى تقوية انجازاً لوصيّة شقيقه المرحوم حقق المولى نيّاته الصالحة واطال عمره ٠

٩ – الخورفسقفوس بولس هندو (١٩١١ –)

وُلد في جزيرة قردو ويُقال جزيرة ابن عمر في ٢٢ كانون الثاني ١٨٩٩ ووصل الى دير الشرفة في ٢٠ نيسان ١٩١١ ثم نزل في ١ تشرين السنة عينها الى بيروت وانخرط في سلك تلامذة اكليريكيّة اليسوعيين تلبيةً لطلب الخورفسقفوس ميخائيل ملكي الحميد الاثر ٠ فدرس ثلاثة اعوام حتى اضطرّت تلك الاكليريكيّة ان تغلق ابوابها فلاذ بدير الشرفة واقام فيه حتى ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩ ثم سافر مع الشماسين المذكورين آنفاً الى رومية وارتقى الى درجة القسوس في سلخ اذار ١٩٢٣ ثم قفل راجعاً الى دير الشرفة وظلّ فيه زماناً حتى تهيأ له الذهاب الى بغداد لزيارة ذويه ٠ وفي ١٤ تموز ١٩٢٧ عاد الى عاصمة الكثلكة وسُمّي نائباً بطريركياً خلفاً للمونسنيور توما حلبية الفاضل عام ١٩٣٢ وارتقى الى رتبة خورفسقفوس في اوّل السنة ١٩٣٦ وحاز من مكارم الحبر الرومانيّ في ٥ كانون الثاني ١٩٣٨ رتبة كمريري ٠ وأُحصي في زمرة اعضاء مجمع

الكنائس الشرقية الذي يديره في عهدنا نيافة الكردينال اوجين تيسران العلّامة الفرنسيّ المشهور ·

وصنف الخوري بولس هندو مؤلّفاً في «مفارنة المشرق» نقله عن كتابنا «جثالقة المشرق ومفارنة السريان» الذي نشرناه عام ١٩٢٤ تباعاً في مجلّة المشرق · وبلغنا انه نشر كتابَين بحث فيهما عن الأسرار والعادات والقوانين طبقاً لمؤلفات الكنيسة السريانية ونشرهما عام ١٩٤١ و١٩٤٣ في رومية ·

١٠ – القس توما سيف (١٩١٢ –)

هو من ابرشية حمص وحماة · وُلد في زيدل في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٩٨ وقصد دير الشرفة في ٢٢ نيسان ١٩١٢ ثم سار في ٢٠ ايلول ١٩١٣ الى اكليريكية الآباء الكبوشيين في قسطنطينية · وعاد الى وطنه في اذار ١٩١٤ واقام هناك حتى سلخ كانون الاول ١٩١٨ فعاد الى دير سيدة النجاة ليراجع دروسه · ثم انطلق في ١٢ تشرين الاول ١٩٢١ الى رومية واستقر خمسة اعوام في البروبغندا وسيم قسيساً في ٣ نيسان ١٩٢٦ وعاد الى وطنه وجعل يخدم الرعية في رسالات ابرشية حمص وحماة حتى يومنا ·

١١ - الخورفسقفوس جبرائيل خوري (١٩١٤ -)

اعتمذ في كنيسة العذراء بقطنا احدى القرى اللائذة بابرشية دمشق في ١٠ ايار ١٨٩٨ وقصد في تشرين الاول ١٩٠٨ الاكليريكية اليسوعية ببيروت ثم انتقل عام ١٩١٤ الى اكليريكية الشرفة واكمل دروسه وارتقى في ٣ تموز ١٩٢٠ الى الرتبة الكهنوتيَّة وتوجّه الى مصر واقام زمناً وجيزاً ثم عاد الى بيروت وقصد حلب وخدم راعيها السيّد ديونيسيوس جبرائيل تبوني الجليل . وفي شباط ١٩٢٢ عاد الى القاهرة يشاطر الخوري جرجس ابرهيمشاه خدمة النفوس . وسافر في آيار ١٩٢٣ الى اميركا الشمالية واقام في بروكلين يبحث عن العيال السريانيّة فاحصى منها ١٠٨ عيال اغلبهم من حلب وانشأ لهم مصلّى برخصة راعي الابرشيَّة . وما عتم ان توجه الى نيويرك ووجد فيها ٦٠ اسرة سريانيَّة . وفي ٢٧ ايلول ١٩٢٩ استقدمه البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط الى باريس واستصحبه الى بيروت فنهض بخدمته حتى ٦ كانون الثاني ١٩٣٢ ثم اوفده البطريرك المغبوط الى باريس ليدرس الحق القانوني الكنسي والمدنيّ . ثم سماه في حزيران ١٩٣٣ نائباً بطريركياً ورقاه في تموز ١٩٣٨ الى رتبة خورفسقفوس .

وأنشا الخوري جبرائيل مجلة فرنسية عنوانها «نشرة الرسالة السريانية» عاشت ثلاثة اعوام (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ثم انتهى امرهـا بسبب الحرب الالمانية . على ان الالمان عندما احتلوا باريس طرقوا باب الخوري جبرائيل وسلبوه امتعته في ٢٦ تموز ١٩٤٠ ثم كرّوا الكرّة في ٤ ايلول واحتلوا ما بقي عنده من نقودٍ واثاثٍ . وليس ذا وقتاً لذكر ما قاساه من المخاوف والاخطار . وما برح ناهضاً بخدمة الرعيّة في كنيسة مار افرام التي تبرّعت بها الدولة الفرنسية عام ١٩٢٥ على الملة السريانية . وقد قدم عام ١٩٤٦ الى دير الشرفة واقام مدة الصيف ثم عاد الى باريس .

١٢ ـ القس بولس مراد الشيخة (١٩١٤ -)

وُلد في طرسوس بقيليقيا في ١٦ نيسان ١٨٩٥ وانطلق عام ١٩٠٨ الى اورشليم بمشورة الاب افرام بوصيك خوري تلك الرعيّة . واقام بولس في الاكليريكية البندكتيّة حتى السنة ١٩١٤ فغادرها الى دير الشرفة وانجز علومه وسيم قسيساً مع الخوري جبرائيل المذكور آنفاً . وانطلق الى آطنة يساعد الخوري فيلبس شقّال في خدمة الرعية . ثم تولّى ادارة الميتم الكاثوليكي على اثر هجرة المسيحيين لتلك المدينة وانقلب راجعاً الى بيروت على كرهٍ منه مستصحباً ابناء الميتم المذكور . وانطلق عام ١٩٢٢

الى قلعة جندل التابعة لابرشية دمشق وعاد عام ١٩٢٥ الى بيروت . وبعد ذلك توجّه عام ١٩٢٧ الى حلب يخدم المهاجرين والميتم السرياني . ثم جاء عام ١٩٣٦ الى بيروت وتولّى خدمة رعيّة مار افرام في حي المصيطبة وادارة المدرسة السريانية وخدمة راهبات الكرمل الى هذا الحين .

١٣ – الخورفسقفوس افرام جرجور (١٩١٤ –)

أبصر النور في ماردين في ٨ ايلول ١٩٠٠ واصطبغ بمياه المعموديّة في ١٢ الشهر المذكور . وقصد في ١٥ آب ١٩١١ اكليريكية القدس الشريف وانتزح عنها عام ١٩١٤ مع رفاقه ويمّم دير الشرفة واقام فيه حتى ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩ فانطلق الى اكليريكية بروبغندا وثابر على الدرس حتى اكتملت ثقافته وسيم قسيساً في سلخ اذار ١٩٢٣ وعاد الى دير الشرفة حاملاً شهادة البكالوريا في اللاهوت عام ١٩٢٠ وشهادة المأذونية عام ١٩٢١ وشهادة الملفنة في اللاهوتين الادبي والنظري والكتاب المقدّس والتاريخ عام ١٩٢٣ وكان استاذه في اللاهوت النظري نيافة الكردينال اغاجنيان بطريرك الارمن المغبوط .

وفي السنة المذكورة عاد الخوري افرام الى دير الشرفة وتولّى رعاية التلامذة حتى السنة ١٩٢٧ فسافر الى عاصمة الكثلكة وحضر حفلات

اليوبيل المئوي الثالث لتأسيس اكليريكية بروبغندا الشهيرة . ومن هناك توجه الى فرنسا وتعهد باريس وليزيو ولورد وباري له مونيال واهم مدنها والقى خطباً بالفرنسية في بعض كنائسها .

وبعد هذا عين الخوري افرام خادماً لرعية مار يوسف في بيت لحم فانجز بنيان كنيسة مار يوسف التي وضع حجرها الاول عام ١٩٢٥ مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط وابتناها السيد يوسف ربَّاني الهمام . وتعوّد الخوري افرام علاوة على خدمة الرعيّة القاء مواعظ الرياضات في مختلف كنائس فلسطين . وكان يلقي الدروس العربية على طالبات مدرسة راهبات صهيون وطلّاب مدرسة اخوة المدارس المسيحية واكليريكية الاباء الفرنسيين والمدرسة الطائفية

وفي السنة ١٩٣٦ استدعاه الكردينال البطريرك المغبوط الى بيروت وولاه خدمة النفوس في كنيسة مار جرجس . ثم رقاه في ١٧ ايار ١٩٤١ الى رتبة خورفسقفوس . وارتحل في ١ تشرين الثاني ١٩٤٦ الى اميركا الجنوبية لزيارة ذويه . وعند كتابتنا هذه الاسطر قفل الى بيروت في ١٣ آب ١٩٤٧ غانماً سالماً وفقه المولى تعالى .

١٤ – القس افرام درّوج (١٩١٤ –)

كان من زمرة تلامذة البندكتيين الذين عادوا الى دير الشرفة . وقد

اعتمد في ١٥ شباط ١٨٩٥ في كنيسة زيدل واقام خمس سنوات في دير سيدة النجاة ريثما سافر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩ الى اكليريكية نشر الايمان المقدّس . وصار قسيساً في ١٨ كانون الاوّل ١٩٢٠ وعاد الى وطنه يخدم رعية زيدل او غيرها من الرعايا المنوطة بمطرانية حمص وحماة . ويُعد الاب افرام درّوج من نوابغ اللغة اللاتينية فهو يكتب فيها نظماً ونثراً دون تكلف .

١٥ - القس يوسف بجودة (١٩١٦ -)

وصل الى دير الشرفة مع رفقته القادمين من بيت المقدس واقام طول مدّة الحرب الماضية ريثما ارتقى في ٧ ايار ١٩١٦ الى رتبة الكهنوت . ثم نزل الى بيروت وتولّى التعليم في المدرسة الطائفية وخدمة النفوس حتى اوّل اذار ١٩١٩ فعاد الى بغداد وطنه يخدم الرعيّة في بغداد وفي ملحقاتها .

١٦ – القس بطرس شهلا (١٩١٤ –)

وُلد في النبك وقرأ العلوم اولًا في دير الاباء البندكتيين بالقدس الشريف ثم اقبل مع رفاقه الى دير الشرفة حتى سيم قسيساً في ٧ ايار ١٩١٦ وخدم النفوس في حماة ثم انتقل الى النبك وطنه .

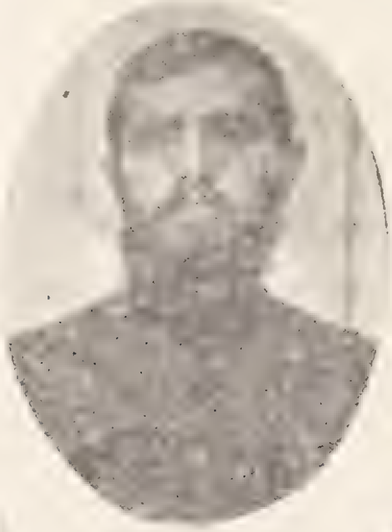

١٧ – القس افرام فرنساوي (١٩١٤ –)

هذا ايضا رجع مع رفاقه من القدس الشريف عام ١٩١٤ الى دير الشرفة وصار قسيساً في ١٣ نيسان ١٩١٩ وعاد الى وطنه . وما لبث ان رجع الى بيروت وقصد اميركا الشمالية تحت السكت فلم يتوفق في منال مقصده فعاد القهقرى خائباً مأيوساً ووصل عام ١٩٢٦ الى بيروت

واقام زماناً في مستشفى العصفورية يعلّم اللغة الفرنسيّة . ثم نزل الى بيروت وادّى الطاعة لغبطة السيد البطريرك واقام زماناً يناظر المطبعة السريانية ويلقي الدروس في المدارس حتى عاد الى وطنه وانحدر الى البصرة يخدم النفوس ثم انتقل عام ١٩٤٦ الى الموصل مسقط رأسه .

١٨ – القس فيليب بيلوني الحلبي (١٩٢٢ –)

احتضنته اكليريكية سيدة النجاة في ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٢ بالغاً الثانية عشرة من سنيه . واقام اربعة اعوام منصرفاً الى اقتباس العلوم اللغويّة . وانطلق في ٢٠ تشرين الاول الى رومية وحلّ في دار النيابة البطريركية الجديدة بجيّ كمبو مرسيو وجعل يدمن الدرس ويختلف الى اكليريكية بروبغندا لأخذ الفلسفة واللاهوت عن اساتذتها اللامعين . وقد احرز الملفنة والبكالورية وارتقى الى رتبة الكهنوت في ١٨ كانون الاول ١٩٣٢ وعاد الى حلب وطنه في ١ تموز ١٩٣٣ وانطلق في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٨ الى الاسكندرونة ودرّس الأدب العربي في مدرسة اخوة المدارس المسيحية وفي ٤ ايار ١٩٣٩ قفل راجعاً الى حلب ثم سافر الى جرابلس في ١٨ تشرين الاوّل ١٩٤١ وابتنى هناك مصلى باسم العذراء المغبوطة وعاد في ١٨ نيسان ١٩٤٤ الى وطنه وتولّى خدمة النفوس في « البركات »

وتعوّد القاء الدروس في مدرسة الاخوة المريميين وفي مدرسة الرهبان الميكتاريين الارمن . وهو يدير مدرستي السريان . وكتب مقالات حسنة في رسالة العمال ورقيب صهيون والكلمة والنضاد ومجلة « ميتم راهبات الارمن » و« اللواء » في الاسكندرونة و« الشهباء » الخ .

١٩ – القس يوسف بلدو (١٩٢٢ –)

في ٨ شباط ١٩٢٢ وصل الى دير الشرفة وقضى اربعة اعوام ثم سافر في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٦ الى رومية وقرأ العلوم العالية مع رفيقيه الشماس انطون حائك والشماس فيليب بيلوني وصار قسيساً في ١٠ حزيران ١٩٣٣ وعاد الى بيروت . وهو ابن بطرس بن ملكي بلدو غادر جدّه ملكي وطنه ماردين في ٢١ حزيران ١٨٨٢ وانتزح الى آطنه واستوطنها . وكان ميلاد القس يوسف في ٢٣ كانون الاول ١٩١٢ وتولّى خدمة رعية سيدة البشارة ثمانية اعوام (١٩٢٣ – ١٩٤١) ثم انتقل الى رعية مار جرجس وهو يقرّب الذبيحة السرية صباح كل يوم في بيعة قلب يسوع الاقدس بمستشفى العواجز الذي تديره راهبات امّ الاوجاع الفرنسيات ويلقي الدروس عند اخوة المدارس المسيحية .

٢٠ - القس انطون حائك (١٩٢٢ -)

قدم الى دير الشرفة في ١٤ اذار ١٩٢٢ وكان ميلاده في ٢٥ ايلول ١٩١٠ وارتحل مع الشماس يوسف بلدو الى روميه وسيم معه قسيساً . ويُعد هذا القسيس من نجباء تلامذة الشرفة وبروبغندا احرز الدكتورا في الفلسفة والليسانس في اللاهوت والشهادة في المعهد الشرقي . وانقطع ردحاً من الزمان الى الاشراف على بعض رسائل وعرائض تبودلت بين الكرسي الرسولي واحبار السريان منذ القرن الثاني عشر فنقل منها ما نقل وضمّه الى حقيبته ينوي ان ينشره بالطبع لفائدة القراء . وعهدنا بنجابته ان يواصل سعيه هذا الحميد فيتحفنا باخبار جديدة ما برحت منطمسة في بطون الاوراق حتى عهدنا .

٢١ - القس ميخائيل صائغ الموصلي (١٩٢٤ -)

اصطبغ بمياه العماذ صباح ١٨ كانون الثاني ١٩٠٩ وأقبل في ١١ كانون الاول ١٩٢٤ الى دير الشرفة واقام فيه عامين ثم سافر في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٦ الى عاصمة الكثلكة وانضم الى تلامذة بروبغندا . واعتكف على

الدرس والمطالعة حتى سيم قسيساً في ١٨ كانون الاول ١٩٣٢ وعاد الى الموصل يخدم رعية مار توما الرسول حتى يومنا هذا .

٢٢ – القس ابرهيم لطيف (١٩٢٤ –)

قدم في ميعة شبابه من حمص الى دير الشرفة واخذ مبادىء اللاهوت الادبي حتى ارتقى في اول شباط ١٩٢٥ الى الرتبة المقدسه ثم عاد الى وطنه وانطلق الى قرية فرقلس يخدم النفوس . وامتاز هذا الاب الموقر بتقواه وصفاء قلبه وامتثاله اشارة رأعيه الجليل .

٢٣ – القس برنردس مرمرجي (١٩٢٥ –)

أبصر النور في ٢٧ تموز ١٨٨٤ وقصد دير مار اسطفانوس بالقدس الشريف عام ١٩١٠ وانضم الى الرهبنة الدومنكية وظل ١٥ سنة يسير سير الرهبان حتى ٢٠ آب ١٩٢٥ فاقبل الى دير سيدة النجاة واستقر خمسة اعوام مثابراً على درس اللاهوت وسيم قسيساً صباح ٢٩ حزيران ١٩٣٠ في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة بوضع يد السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري

الجليل وخدم الرعية زماناً في بيروت ثم انتقل الى جونية وما برح يخدم فيها النفوس حتى اليوم .

الفصل الرابع

ذكر اساقفة وقسوس انضمُّوا الى الكثلكة واقاموا حقبة في دير الشرفة

رأينا من اللازم ان نخصص هذا الفصل بذكر اساقفة ورهبان وقسان عاشوا زماناً عند اخوتنا السريان الارثوذكس ثم تجلَّت لهم اضواء الحقائق الكاثوليكيَّة فجاهروا بانضمامهم الى الكنيسة الواحدة المقدَّسة الكاثوليكية الرسوليَّة . واقبلوا الى دير سيدة النجاة وقضوا حقبة طويلة او قصيرة يتولى الاساتذة تمرينهم على اقتباس ما نقصهم من العلوم الكهنوتيَّة . وقد سبقنا فذكرنا فريقاً منهم في تضاعيف كلامنا ورأينا الآن ان نقتصر على ذكر من شاهدناهم بعيننا وقمنا وقعدنا معهم في هذا المعهد المقدس:

١ – القس بشارة مانيط الامديّ

انضمّ الى الكنيسة الكاثوليكيّة على يد السيد اغناطيوس جرجس شلحت عندما كان في ماردين عام ١٨٨١ وارسله البطريرك الى دير الشرفة في سلخ السنة المذكورة فاقام حتى ١٩ اذار ١٨٨٤ ثم عاد الى وطنه . وخدم النفوس في خربوط زماناً ثم عاد الى دير الشرفة عام ١٨٩٤ ومكث ثلاثة اعوام ورجع عام ١٨٩٧ الى وطنه مواصلاً خدمة الرعيّة حتى وفاته ودُفن في كنيسة دياربكر .

٢ – المطران غريغوريوس عبدالله سطوف

كان هذا المطران من مطارنة السريان الارثوذكس وحصل تنافس بينه وبين البطريرك اغناطيوس عبد المسيح الذي صار بطريركاً عام ١٨٩٥ فانطلق الى دياربكر وقرّر دستور العقائد الكاثوليكيّة في ٣٠ اذار ١٨٩٦ بين يدي المطران ماروثا بطرس طوبال في كنيسة مار بطرس ومار بولس على مسمعٍ ومرأى من الاقليرس وجماعة المؤمنين . وكتب اليه مار اغناطيوس بهنام بني البطريرك الانطاكي يهنئه بانضمامه ويشير عليه ان يقصد دير الشرفة ليختبر بالاصول الكاثوليكيّة .

وصل المطران عبدالله الى دير سيدة النجاة في اوائل ايلول ١٨٩٦ فرحّب به الخوري بولس هبرا أجمل ترحيب وهيأ له غرفةً جميلة وعين له مَن يخدمه في حاجاته . ولمّا فتحت قاعات التدريس في ١٥ ايلول انضمّ المطران الى الشمامسة الكبار وجعل يحضر معهم الدروس اللاهوتيَّة النظريّة والادبيَّة التي كان يلقيها عليهم الخوري يوسف شرف الخازن وظلّ يواصل سماع الدروس بكل ارتياح ولذة حتى سلخ اذار ١٨٩٧ فاستفاد منها فوائد جمة ورأى ان يُبدي معرفة الجميل لأستاذه الخوري يوسف فاهدى اليه خاتماً وصليب صدرٍ . هكذا اقام المطران عبدالله في هذا المعهد المقدّس نحو ٧ شُهور ثم ودّع الرئيس والاساتذة والتلامذة الى حمص وهناك نهض بخدمته الاب اوجين دلال الغيور . ثم سافر المطران عبدالله مع البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس افرام رحماني الى عاصمة الكثلكة وتشرّف بزيارة البابا لاون الثالث عشر وجدّد لقداسته عهود الوصال والاتفاق . وظلّ عشر سنوات (١٨٩٦ — ١٩٠٦) مقيماً على إخلاصه وامانته . لكنه طمع اخيراً في البطريركيّة فعاد الى العقيدة المنوفيزيتيّة ونُصب بطريركاً دخيلاً في ٢٨ آب ١٩٠٦ في دير الزعفران اذ كان السيد اغناطيوس عبدالمسيح البطريرك الشرعيّ مقيماً في مديات قاعدة طورعبدين حيّاً يُرزَق .

٣ — الربّان نوح الكعبيّ

كان هذا الربّان شمّاساً يخدم المطران عبدالله المذكور آنفاً ويقيم معنا الصلوات القانونيَّة . وكان له صوتٌ عالٍ يُزعج السامعين . واصله من الكعبية قرية بجوار دياربكر اقام مع المطران عبدالله في دير الشرفة سبعة شهور ثم انطلق الى دير مار مرقس باورشليم وظلّ مقيماً هناك حتى وفاته

٤ — المعلّم نعوم فائق الدياربكريّ

وُلد هذا المعلم الفاضل عام ١٨٦٨ في دياربكر وكلف منذ نعومة

اظفاره باللغة السريانية وصار شمّاساً انجيلياً وتعرّف في ديار بكر بالمطران عبدالله سطرف ثم أقبل الى حمص واقام اربعة اشهر يعلم في مدرستها . وعلى اثر ذلك قصد عام ١٨٩٦ دير الشرفة وزار المطران عبدالله المشار اليه يخدم قداسه ويتناول الاسرار المقدّسة ويختلف الى المكتبة ويختمر في

اللغة السريانية . وفي اواخر شباط ١٨٩٧ غادر الدير الى القدس الشريف ثم رجع الى وطنه . وفي ٢٢ ايلول ١٩١٢ ترك ديار بكر وتوجه الى اميركا مع اسرتهِ فوصل اليها في ٥ كانون الاول ١٩١٢ وهناك انشأ جريدة « الانتباه » ثم جريدة ܚܘܝܕܐ وادركته المنيَّة عام ١٩٣٠ وكان رحمه الله تعالى متفانياً في حب بني امّته . وطالما عالج اتّحادها واتفاقها واجماع كلمتها فاصاب من ذلك بعض ما تمناه . وكنا نراسله ويراسلنا باللغة السريانية . وقد نظمنا ابياتاً سريانية في وصف جهوده نشرها الاستاذ مراد فواد جقي مع قصائد مختلفة اللغات في كتابٍ عنوانه « نعوم فائق ذكرى وتخليد » ونشره عام ١٩٣٦ وهو كتاب يستحق الاعتبار ويعرب عن معرفة جميل ناشره الهمام .

٥ - الراهب شمعون البانيّ

اتصف هذا الراهب الورع بتقواه وإلمامه باللغة السريانيّة وكان يطالع مخطوطات المكتبة الزعفرانية ويثقف بعض الرهبان . وفي السنة ١٨٩٨ تجلّت له الحقائق الكاثوليكية فقصد البطريرك اغناطيوس افرام رحماني واعرب له عن مضمرات قلبه فرحّب به كل الترحيب . وبعدما اعلن الراهب شمعون صورة الايمان رسمياً في كنيسة والدة الله بماردين ارسله البطريرك الانطاكي عام ١٨٩٨ الى دير الشرفة فاستقبله الخوري بولس هبرا استقبالاً جميلاً واطلق له الحريّة في اقامة صلواته القانونيّة متى شاء في الكنيسة . وكان هذا الراهب الجليل يعرف المزامير الداوديّة كلها على ظهر قلبه يتلوها برمّتها مرّة في الاسبوع ويضيف اليها الصلوات القانونية. وظلّ مقيماً في دير الشرفة زهاء سنتين ثم عاد الى ماردين . وفي السنة ١٩٠٥ رجع الى لبنان فوجّهه البطريرك الانطاكي الى دير مار افرام الرغم حيث عاش سنتين منقطعاً الى العبادة والصلاة . وانطلق ثانية الى ماردين عام ١٩٠٩ واقام فيها حتى انتهت الحرب الكونية الماضية فرجع الى دير الشرفة ومكث فيه حتى توفاه الله تعالى في ٢٠ شباط ١٩٣٣ في السن الخامسة والتسعين واحتفل الخوري زكريا ملكي رئيس الدير مع لفيف القسّان

والتلامذة بجنازته يشاركهم الرهبان البندكتيون ثم لحدوه في مقبرة الكهنة . رحمه الله تعالى .

وكان الربَّان شمعون ممتازاً بتقواه وعذوبة حديثه ورخامة صوتهِ وبساطة قلبه . وانشأ بعض ميامر ومقاطيع سريانية ضمّها الى مجلد خصوصي واهداه الى مكتبة دير الشرفة[1] وضمّ اليه كتاب « اشحيم » منسوخاً سنة ١٩٠١ كتب في آخره ما نصه : « انا الكاهن الراهب شمعون بن موري صروي من قرية باتي . مكثتُ في العالم ٢٠ سنة ثم قصدت دير الزعفران واقمت فيه ٣٢ سنة انضممتُ بعدها الى الكنيسة الكاثوليكية . وهذه هي السنة ٣٤ (١٩٣٢) لانضمامي . وقرأت الصرف والنحو في كتاب « ܘܗܡܙܐ » وكتاب « ܗܘܕܝܐ » وكتاب ابدوكس . وقرأتُ شرح العهد القديم والجديد والحان البيتكاز وتعلّمتُ المزامير والاشحيم غيباً » ثم اردف يقول : « انا الراهب شمعون بعونه تعالى اتلو المزامير كلّها في كلّ خمسة ايام وارتل تسابيح آل حنانيا احدى عشرة مرّة في اليوم ... واتلو صلوات الاشحيم ومسبحة الورديّة يوميًّا . واصنع كلّ يوم ٣٢ ماطونيّة مع ܗܝܡܢܐ ܕܫܠܝܚܐ . ثم ان آيات المزامير هي ٢٠٣٩ آية . وفيها ذكر الله عزّ وجلّ ٤٠٠ مرّة واسم ܗܡܙܐ ٨٠٠ مرّة ... وتشتمل المزامير والتسابيح على ٤٢٣٩ آية »[2] .

ونختم هذه الكلمة القصيرة بما كتبه البطريرك افرام رحماني المغبوط بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٠٥ الى الخوري موسى سركيس رئيس دير الشرفة عن الربّان شمعون الفاضل قال : « ... انحاز الربان شمعون الى الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ نحو سبع سنوات وهو ثابت فيها عن اقتناع . ويعرف السريانيّة جيداً سواء من جهة القواعد ام من جهة التكلُّم . وطبعه حسن وهو يحبّ النظام والصلاة والعبادة والطقس . ولا بأس ان يكون وقت الفرصة مع التلامذة ليتكلّم معهم بالسرياني ... » .

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٢٨٤

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : ٥١٣ و١٤٥

٦ - الربّان ابرهيم البشيرانيّ

وصل الى دير الشرفة عام ١٨٩٨ مع الربّان شمعون . وسبق فأعلن العقيدة الكاثوليكيّة معه كذلك بين يدي مار اغناطيوس افرام رحماني في بيعة والدة الله بماردين . وقد رحّب به رئيس الشرفة ترحيبه برفيقه وأعدّ له غرفة مجاورة لغرفته ، وأمرني ان أعلّمه اللّغة العربيّة . فجعلتُ اختلف اليه ساعة في النهار القنه تلك اللّغة حتى اخذ يتكلّم بها اذ كانت لغته الاصليّة اللغة الكرديّة وأدمن الربّان ابرهيم عاداته التقويّة وصلواته القانونيّة ادماناً مباركاً حتى ان الرئيس الجليل اتّخذه قدوة وجعل يحضّ التلامذة ويحثّهم ليقتدوا بمثاله . واقام الربّان ابرهيم في الشرفة حتى نيسان ١٩٠٣ فاستأذن الرئيس في حجّ الاراضي المقدّسة فأذن له ، وهناك انطلق الى دير مار مرقس ورجع الى حالته الاولى . وتوسّم فيه رئيسه علامة الجهد والجد فبعثه الى اميركا حيث جمع مبلغاً من المال عاد به وابتنى كنيسة في زحلة . وأُصيب بحمّى خبيثة فقصد مستشفى الاميركان ببيروت وفيه قضى نحبه عام ١٩٣٧ ودفن في كنيسة مار بطرس ومار بولس بحيّ المصيطبة .

٧ - الراهب افريم الرهاويّ

لحق الراهب افريم بالراهبين المذكورين ويمّم دير سيدة النجاة واقام فيه ردحاً من الزمان . ثم انطلق عام ١٩٠٦ الى دير مار افرام الرغم بلبنان واستقرّ هناك زهاء سنتين عاد بعدهما الى الرها مسقط رأسه ، وجعل يخدم النفوس قدر طاقته حتى قُتل شهيداً في السنة ١٩١٥ وكان خبيراً بالسريانيّة والعربيّة ولاسيا بالتركيّة .

٨ - القس الياس نور الصدديّ

انضمّ الى البيعة الكاثوليكيّة عام ١٩٠٠ على يد السيد اقليميس ميخائيل بخاش مطران دمشق وتلا صورة الايمان الاوربانيّة في كنيسة مار

بولس واشار عليه المطران ميخائيل نفسه ان يقصد دير الشرفة ويتمرّن في علم اللاهوت الادبي . فامتثل القس الياس مشورة المطران وشخص الى الدير واقام فيه ثمانية شهور مواصلاً المطالعة وسماع الدروس اللاهوتيّة . وفي ايلول ١٩٠١ عاد الى صدد قريته يخدم المتكثلكين فيها . وظلّ ثابتاً في مواثيقه حتى السنة ١٩٠٥ فعاد الى ما كان عليه من قبلُ .

٩ – القس جبرائيل مناري

عرفنا هذا القسّ الفاضل حق المعرفة وتولّينا تعليمه وتثقيفه في الحقائق الكاثوليكيَّة حتى اختمر فيها وجاهر رسميًا بالايمان الكاثوليكيّ . وكان قدومه الى دير الشرفة في اذار ١٩٠٢ والتمس من صاحب الغبطة البطريرك افرام رحماني ان يأذن له في القدوم الى الدير ويعين له معلّما يفقهه في العقائد الكاثوليكيَّة فاذا اقتنع نادى بها والا دفع نفقات أكله وشربه وعاد الى حالته الاولى .

بناءً عليه وصل القس جبرائيل الى دير الشرفة وأمرني الخوري بولس هبرا الرئيس الجليل ان اقوم بتعليمه فثابرت على ذلك حتى احد العنصرة ٣١ ايار ١٩٠٣ فاقبل البطريرك الى الدير وأَعلن القس جبرائيل صورة الايمان الكاثوليكيّ فاذن له البطريرك ان يمارس وظيفته الكهنوتيَّة ويقيم الذبيحة الالهيّة . وظلّ كذلك حتى اوّل ايلول من السنة عينها . ثم التمس من صاحب الغبطة ان يرخّص له في العودة الى وطنه فرخّص له في ذلك واهدى اليه بدلة قدّاس وكاساً ومبخرة الخ . فقال للسيد البطريرك : ارغب ان تدفع لي اجرة سفري الى حلب وتكتب الى مطرانها ليدفع الاجرة الى ماردين ثم تكتب الى مطران ماردين ليوصلني الى سعرد وطني . فكان كما رغب .

وجعل القس جبرائيل يراسل البطريرك الانطاكيّ ويعرض عليه ما يلاقيه من الصعوبات حتى عينه كاهناً يخدم النفوس في المنارة مسقط رأسه وثابر

على خدمته باخلاص واجتهاد حتى السنة ١٩١٥ فكان حظه حظ الكهنة المجاهدين اذ فتك به الاكراد والاتراك فمات شهيد الايمان المقدّس ·

وحكى لنا هذا القسيس الفاضل مجمل ما حصل له في حياته قال ما خلاصته : « توفي قسيس المنارة واضطرّني المطران لقبول الرتبة الكهنوتية مع اني لم اكن اعرف اللغة السريانية · فخضعت لأمره · ومـا عتم ان توفيت امرأتي فتركت المنارة وانطلقت الى الموصل وجمعتُ مقداراً من المال وارتحلت الى الملبار واقمت هناك اربع سنوات حتى تعلمت التكلم باللغة السريانية · ومن هناك سافرت الى بلاد الحبشة ومكثتُ سنتين ثم وافيتُ الى القاهرة وفاوضتُ المرسلين الاميركان فعينوني موزّعـاً للكتاب المقدّس براتب معلوم · ومكثت كذلك اربع سنوات وسافرت الى اورشليم واقمت سنتين في دير مار مرقس · وكانت افكاري في رحلتي هذه مضطربة قلقة مشوّشة لا ادري اية هي الكنيسة الحقيقية القويمة لاتبعها · وانا كذلك اذ شعرتُ بدافع يدفعني لاقصد الكنيسة الكاثوليكية فجئت الى بيروت وقابلت البطريرك افرام المغبوط وكان من امري مـا كان » ·

مكث القس جبرائيل مناري في دير سيدة النجاة نحو سنتين وكان معتكفاً على ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة الكردية التي كان متضلعاً منها · وكان يكتب الترجمة بحروف سريانية · وعلاوة على ذلك فقـد كان يقضي ساعة او ساعتين من نهاره في فلاحة الاراضي المجاورة للدير ·

وامتاز هذا القسيس المحبوب بحلاوة حديثه ولين عريكتهِ وشديد محبته لبني امته · فقد كتب رسالةً في السريانية مسهبة بعث بهـا الى اساقفة الملبار يدعوهم ليقتفوا آثاره · واطلعنا نحن على تلك الرسالة التي كانت تشتمل على اكثر من عشر صفحات وافرغناها في قالب سريانيّ فصيح ·

وقد سأله صاحب الغبطة يوماً قائلاً : عرفت انك طفتَ بلاداً شتى

وزرتُ مدناً عديدة كالموصل وبغداد والبصرة وبلاد الملبار والهند والحبشة ومصر وفلسطين ولبنان . فقل لي الحقيقة اي بلد أعجبك واستطبته اكثر من غيره ؟ فقال القس جبرائيل فوراً : ارجو من غبطتك ان لا تعتب عليّ ان صرّحت بالحقيقة وهي اني فضلت وافضل قرية « المنارة » مسقط رأسي على كل البلاد التي زرتها واقمتُ فيها !!! .

١٠ - القس جرجس الآزخيّ

انضمّ الى الكنيسة الكاثوليكية بارشاد الخوري ميخائيل ملكي تلميذ دير الشرفة النائب البطريركيّ في الجزيرة . واقبل عام ١٩٠٤ الى الشرفة فاقام بضعة أشهر يتغذّى من العلم اللاهوتي والروح الكاثوليكي ثم ودّع التلامـذة وداعاً مؤثراً مصرحاً بانه لن ينسى فضل الدير ومَن فيه .

١١ - القس توما مرجان السويركيّ

هو احد قسّان السريان المنفصلين سيم قسيساً وُعين لخدمة رعية سويرك وطنهِ . وكان يجهل اللغة السريانية والاصول الدينية جهلًا تاماً . واتفق ان البطريرك افرام رحماني المغبوط مرّ في طريقه بتلك المدينة فاقبـل القس توما وقبل يمينه والتمس منه ان يضمه الى مصاف القسوس الكاثوليكيين فشرط عليه البطريرك ان يقضي مدة في دير الشرفة ليختمر في العقيدة الكاثوليكية . فامتثل القس توما أمر البطريرك واقبل عام ١٩٠٥ الى دير سيدة النجاه وجاهر بالايمان المقدّس واقام ردحاً من الزمان يواصل الدرس حتى اذا كان ربيع السنة ١٩٠٦ عـاد الى وطنه ولبث راسخاً في عهوده مواظباً على خدمة الرعيّة حتى السنة ١٩١٥ فقتل شهيداً على يد الاتراك . وامتاز ببساطة سريرته ونقاوة قلبه ولطيف معاشرته وثقته التامّة بعناية الله تعالى في كل شؤونه .

المطران يوليوس بطرس سهدو

وُلد في مدّو قرية باطراف الجزيرة عام ١٨٦٢ وترهّب في دير مار مرقس باورشليم وسيم قسيساً عام ١٨٨٨ ورقاه البطريرك اغناطيوس عبد المسيح في ٩ شباط ١٨٩٦ الى كرسي مطرانية حمص وحماة . وفي السنة ١٩٠٦ جاهر بالحقيقة الكاثوليكية على يد القس انطون عبد الصمد المرسل الافرامي في حمص . فسر البطريرك افرام رحماني المغبوط كل السرور وبعث يستدعيه الى بيروت . وصباح الاحد ٢٠ كانون الثاني ١٩٠٧ قرّر دستور العقيدة الكاثوليكية في بيعة مار جرجس بين يدي البطريرك المشار اليه .

وبعد هذا بعثه البطريرك الى دير الشرفة ليراجع بعض الكتب الدينية السريانية والعربية كيما يتثبت في مقاصده الصالحة . وتولّى القس موسى دلال راعي التلاميذ[1] الاعتناء بأمره . وقضى معه مدة يرشده ويلقنه ما يجب ان يتصف به من الخلال والمزايا مَن كان مثله حائزاً الكرامة الاسقفية . وكان المطران بطرس يجاهر بانه مستعد ان يجلب الى حضن الكنيسة الكاثوليكية جميع ابناء الحارة الشرقية في صدد .

قضى المطران بطرس بضعة اشهر في دير الشرفة يطالع ما يطالع من المخطوطات والكتب الدينية حتى طلب العودة الى حمص فلبى البطريرك طلبه . وظل ثابتاً على مواثيقه حتى السنة ١٩١١ فانضمّ الى كنيسة الروم الارثوذكس فعمّده بطريركهم وكرّر عليه كل السيامات الكهنوتية وعين له راتباً معلوماً وظلّ على تلك الحال حتى وفاته .

١٣ – الراهب ابرهيم حاوجي المارديني (١٩١٠ – ١٩٣٨)

يَمّم دير الشرفة عام ١٩١٠ في السن الخامسة عشرة . واقام سنتين

(١) راجع هذا الكتاب : ٤٠٣ – ٤٠٦

كاملتين مثابراً على تحصيل العلوم السريانيّة والعربية . ثم خرج من الدير وعاد الى وطنه وقصد دير الزعفران . وما عتم ان صار قسيساً وشخص الى بيروت واسس الميتم السرياني بنفقات الجمعية السريانية باميركا . وكان السيد فتح‌الله خضرشا من اقوى المساعدين له في ذلك المشروع الخطير . وقد نجح على يده نجاحاً باهراً وخرج منه شبان تضلعوا من السريانية وانطلقوا الى مختلف البلاد وجعلوا يعلمونها في المدارس .

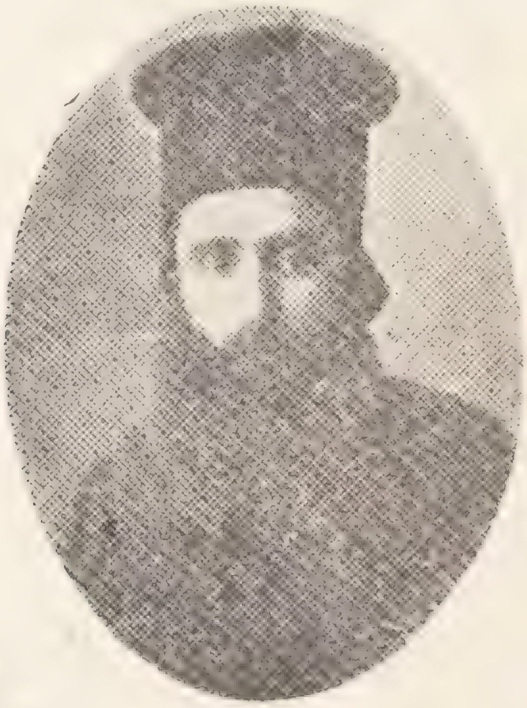

وفي كانون الثاني ١٩٣٠ عوّل القس ابرهيم ان يعود الى الكنيسة الكاثوليكية فقصد دير الشرفة واعتكف بضعة ايام ثم قرر في ١٣ اذار السنة عينها دستور الايمان المقدّس جهرةً بين يدي صاحب السيادة المطران ثئوفيلس يوسف جرجي وهو يردّد الآية الانجيلية : « ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونه » (متى ١١ : ١٢) . وأُصيب الراهب ابرهيم بأمراض عديدة وكابد غير مرّة عمليات جراحية . وفي السنة ١٩٣٧ انطلق الى اورشليم ونزل في دار النيابة السريانية الكاثوليكية . فاستقبله المونسنيور افرام حدّاد بكلّ عطفٍ ومحبة اخوية وعُني بأمره . واستمرّ مقيماً عنده حتى ادركته المنون في ٢٤ ايار ١٩٣٨ رحمه الله تعالى .

١٤ – البطريرك اغناطيوس عبدالمسيح (١٩١٣ – ١٩١٤).

أبصر النور في قلعة المرأة قرية لطيفة عـامرة بين ماردين ودير الزعفران واحبّ السلك الرهباني فتدرّج في مناصبه حتى صار بطريركاً في في ١٦ حزيران ١٨٩٥ ثم زاحمه البطريرك عبدالله سطوف الصدّي فانتقل البطريرك عبدالمسيح الى مديات حاضرة طور عبدين واقام فيها حتى ١ ايار ١٩١٢ فارتحل الى بلاد الملبار

ثم عاد الى اورشليم في اذار ١٩١٣ واعلن الايمان الكاثوليكي لابن وطنه الخوري يعقوب ملكي ثم جاء الى بيروت وصرّح تكراراً بمعتقده رسمياً للبطريرك الانطاكي مار اغناطيوس افرام رحماني في ٣ ايار السنة المرقومة.

وبعد هذا قدم البطريرك عبدالمسيح المغبوط الى دير الشرفة واقام نحو ثمانية اشهر محفوفاً بالتجلّة والتكريم يقوم بخدمته رئيس الدير الخوري افرام حيقاري الموقر ويوفر له دواعي الراحة والاطمئنان وصباح عيد انتقال السيدة الى السماء احتفل البطريرك بقداس حبري وألقى بعد الانجيل موعظةً في تقريظ العذراء افتتحها بقول مار يعقوب: «ܕܟܘܪܐ ܐܦܢ ܡܫܝܚܐ ܡܢܗ ܘܒ ܐܢܘܪܐ ...». وفي اواخر تشرين الاوّل ارتحل البطريرك عبدالمسيح الى رومية وذهب بخدمته رئيس الدير المومأ اليه فوصلا معاً في ٢ تشرين

الثاني . وقابل البطريرك عبدالمسيح الحبر الروماني البابا بيوس العاشر وأبدى شعوره النقيّ وخضوعه لإمام الاحبار وانشده النشيد السرياني ومطلعه « ܟܠܐ ܚܘܡ ܕܐܝܠܐ ܘܒܟܢ ܡܥܡܪ ܘܡܣ ܠܟܗܢܘܬܐ » . فرحب به خليفة شمعون كيفا ترحيب الاخ باعزّ اخوته وأتحفه بصليب وخاتم ذهبيّ وشجعه على الاستمرار في عهوده ومواثقه ثم عانقه معانقة الاخ لاخيه . فانصرف البطريرك من عند البابا الروماني مفعم القلب سروراً بما شاهده وسمعه . وعاد الى دير الشرفة وقضى فيه فصل الشتاء . وفي اوائل اذار ١٩١٤ ودّع البطريرك افرام رحماني وقصد ماردين فدخلها في ١٦ الشهر في مهرجان عظيم . واستقبلناه بقصيدة عربيّة قوطعت ذات المرار بالتصفيق الحادّ . وهتف البطريرك ثلاث دفعات بحياة البابا الروماني . وقام بخدمة البطريرك عبد المسيح السيد ثاوفيلس جبرائيل تبوني مطران ماردين حتى ١٨ حزيران فاغتنم الفرصة بعض اصحابه واستغفلوا النائب البطريركيّ ومضوا به الى دير الزعفران وهو ينادي بأعلى صوته ويقول « فليحيَ سيدنا البابا » وتوفي في تشرين الثاني ١٩١٤

١٥ – يوليوس ابرهيم داود مطران حمص (١٩١٢ – ١٩١٤)

نفر اساقفة السريان الارثوذكس من معاملة بطريركهم الدخيل عبدالله سطوف الصدّي ولاسيما لان دأبه وديدنه كان مقتصراً على حشد المال من اي جهة كان . وهذا ما حمل السيد يوليوس ابرهيم داود الماردينى مطران حمص على ان يرتاب في عقيدته فترك ابرشيته واقبل الى بيروت مع المطران ايونيس الياس هاولي والراهب يوحنا كروم الماردينى في تشرين الثاني ١٩١٢ وزاروا البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط فرحّب بهم اجمل ترحيب فصرّحوا لغبطته انهم متفقون على المجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية والمروق من طاعة بطريركهم الدخيل . فاشار عليهم البطريرك ان يقضوا اسبوعاً في دير الاباء اليسوعيين وهناك القى عليهم

الاب انطون صالحاني السرياني اليسوعي مواعظ الرياضة ·

وصباح ٢١ كانون الاول السنة المذكورة قرّر الثلاثة اعني المطران ابرهيم والمطران الياس والراهب يوحنا صورة الايمان الكاثوليكي في كنيسة مار جرجس السريانية بين يدي صاحب الغبطة على مرأى ومسمع من الاكليرس وجماعة المؤمنين · واعلنوا انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية وطاعتهم للحبر الروماني رئيس البيعة الجامعة ولغبطة البطريرك الانطاكي[1]

المطران يوليوس ابرهيم داود

وفي ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ حضر المطران ابرهيم والمطران الياس الاحتفال بسيامة الخورفسقفوس ميخائيل ملكي اسقفاً للجزيرة والخورفسقفوس جبرائيل تبوني اسقفاً لماردين ثم توجها معاً الى دير الشرفة واقاما مدّة الشتاء والربيع في ذلك المعهد المبارك يتوطدان في اصول العقائد الكاثوليكية ·

وفي صيف السنة عينها توجّه المطران يوليوس ابرهيم الى دمشق الشام ونُصب معاوناً للسيد اقليميس ميخائيل نجاش الجليل وهناك واصل عمله بحرض السريان المنفصلين ليقتفروا آثاره · ولقد كان يُرجى خير جزيل من ذكاء روحهِ وسعة مداركه فضلاً عن جميل اخلاقه · الا ان المنون عاجلته

(١) البشير : عدد ٢١٩٩ كانون الاول ١٩١٢

فاستراحت نفسه مع الاحبار الابرار وترأس صلاة الجناز على نفسه السيد اقليميس ميخائيل نجاش راعي الابرشية الدمشقية وضمّ رفاته الى رفات الاحبار المختارين المدفونين في كنيسة دمشق تغمد الله تعالى نفسه بغزير رحماته .

١٦ – ايونيس الياس هلّولي مطران القدس (١٩١٢ –)

هذا المطران كذلك اشمأز معاملة البطريرك عبدالله سطوف الصدّي اذ كان يلاحقه في طلب الاموال لسد جشعه فاستعفى من كرسي اورشليم واقبل الى بيروت واتفق مع المطران يوليوس ابرهيم في المجاهرة بالايمان الكاثوليكي المقدّس وقضيا معاً اشهراً في دير الشرفة لا يستثني عليهما الرئيس الخورفسقفوس افرام حيقاري شيئاً مما يعود الى راحتهما . وعين لهما احد الكهنة ليفقههما في الاصول الكاثوليكية .

غير ان المطران الياس ما عتم ان نقض عهده واخلف في وعده فانقلب الى عقيدته الاولى وسار الى ماردين عام ١٩١٦ وهناك قضى نحبه .

١٦ – الخورفسقفوس بشاره حدّاد الماردیني

يمت هذا الخوري بنسبه الى قبيلة نصرانية معروفة بالشمسية تسكن في مدينة ماردين في شرقيها الجنوبي . وتلقى العلوم الرهبانية منذ حداثته . وبسبب رسوخ قدمه في اللغة التركية اتخذه البطريرك عبد المسيح المذكور اعلاه كاتباً لاسراره ورحل معه الى ديار بكر سنة ١٨٩٥ و١٨٩٦ وكتب ما جرى في تلك الغضون من مذابح النصارى(١) . وفي السنة ١٩١٣ انضمّ الخوري بشاره الى الكنيسة الكاثوليكية واقبل الى دير الشرفة وقضى فيه مدة الحرب الماضية كلها يطالع وينسخ الكتب ويتعلم ما ينقصه . واقام مدّة في رعشين ومدّة في شنغير منقطعاً الى نساخة الكتب . واضطرّ ان يغادر احياناً دير الشرفة لان السريان المنفصلين حاولوا استجلابه اليهم على يد الحكومة التركية منتهزين فرصة اعلانها الحرب على فرنسا المحامية عن المسيحيين . هكذا قضى الخوري بشارة ستة اعوام في دير الشرفة (١٩١٣ – ١٩١٩) ثم استقرّ اياماً في جونية وبعد هذا سار الى دمشق وانتقل الى جوار ربه في ٧ تشرين الثاني ١٩٢٥

ومن المخطوطات التي نسخها واهداها الى مكتبة دير الشرفة نذكر « رسائل مار بولس » كتبها بحروف كرشونية في ٤٤٣ صفحة وعلق هذه

(١) راجع كتابنا القصارى في نكبات النصارى ٤٨

العبارة في آخرها وهي : « كتبه الراهب بشارة صومي حداد الخورفسقفوس المارديني الشمسي سنة ١٩١٥ مسيحيّة » ووقفها لمكتبة دير الشرفة[1] .

١٦ – الشماس جبرائيل ابرهيم بيطار

ونضمّ الى الخوري بشارة ابن اخته صديقنا النجيب جبرائيل بن ابرهيم بيطار الذي شخص الى دير الشرفة في منتصف ايّار ١٩١٤ وشُبع عقله من العلوم العربيّة والسريانيّة والفرنسيّة . ومكث في هذا المعهد المبارك حتى ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ ثم غادر الدير حافظاً له في قلبه ذكريات طيبة جميلة وعاد الى دمشق . ثم انتقل مع اسرته الى يافا يتعاطى التجارة باصناف الخيطان . حرسه المولى تعالى وحرس أسرته المباركة ووفّقه في جميع اشغاله .

---

(١) فهرس المخطوطات ٣٥

القسم الثامن

الناذرون ووكلاء دير الشرفة

الفصل الاول

الناذرون الاوّلون (١٧٨٥ – ١٨٢٤)

تضطرنا معرفة الجميل ان نلهج بالشكر الجزيل والثناء الوافر على جمهور الكهنة والشمامسة والاخوة الافاضل الذين ابدوا لسيدة النجاة المغبوطة عواطف حبهم واحترامهم فخدموا معهدها المبارك ليلَ نهار باعراقهم واتعابهم وتخلوا له عمّاً جنته يمينهم · لا يبغون في ذلك كله الّا تعزيز الدير وخلاص نفوسهم . غير مكترثين لحر النهار وقرس الليل منتقلين من قريةٍ الى قرية ومن مزرعة الى مزرعة فأحببنا ان نخصص بهم هـذا القسم من تاريخ دير الشرفةِ تخليداً لذكراهم الجميلة واقراراً بحسناتهم الجمة ·

والى القارىء النجيب لائحة حُفظت في احدى مخطوطات دير الشرفة[1] تشتمل على ذكر اولئك الناذرين واحداً واحداً طبقاً لتاريخهم وهذه هي اسماؤهم :

١ – الربان ايليا الديار بكريّ . ابرز نذره في ٢١ تشرين الاوّل ١٧٨٥

٢ – الشدياق حنا عاقل الحلبي أَبرز نذره في ٢٦ تشرين الاوّل ١٧٨٨

٣ – جبرائيل يوسف سريدار الحلبي نذر في ٥ كانون الثاني ١٧٩٠

---

(١) مخطوطات دير الشرفة ١٤٠

٤ — القس يوسف بن يعقوب صُبيّ الحلبيّ نذر في ٢٤ تشرين الثاني ١٧٩٠

٥ — القس بطرس جروة نذر في ١ حزيران ١٧٩٩ وقد تدرج في الرتب الكهنوتية حتى ارتقى الى الكرسي الانطاكي (١٨٢٠ — ١٨٥١)

٦ — متى بن توما متايا نذر في ٢٨ ايار ١٨٠٢

٧ — الياس بن جرجس هزّاز الحلبي في ١٢ حزيران ١٨٠٢

٨ — الخوري انطون قدسي الحلبي في ٩ نيسان ١٨٠٦

٩ — توما عبد الاحد المارديني في ١٧ ايار ١٨٠٩

١٠ — الاخ يوحنا عكس الحلبيّ في ٢ تموز ١٨١١

١١ — الاخ ميخائيل يوسف فرّا الحلبيّ في ٢ تموز ١٨١١

١٢ — الاخ يوسف جرجس طبّاخ الحلبي في ٨ تموز ١٨١٧

١٣ — الاخ انطون عبدالله يازجي الحلبي في ١٩ تموز ١٨٢٠

١٤ — الاخ عبدالله فرج‌الله حمصي الحلبي في ١٤ آب ١٨٢٠

١٥ — الاخ شكرالله بن توما يغمور الحلبيّ في ١٥ اب ١٨٢١

١٦ — الاخ الياس جرجس مداراتي الحلبي في ١٥ اب ١٨٢١

١٧ — الاخ رافائيل بن جبرائيل حائك الحلبيّ في ٢٢ ايلول ١٨٢١ وقد ارتقى الى كرسي اسقفية بيروت عام ١٨٤١ (١)

١٨ — الاخ يوحنا بن جرجس اسلامبوليّة الحلبي في ٦ اب ١٨٢٢

١٩ — الاخ يوحنا بن ابرهيم هزاز الحلبي في ٢١ ايلول ١٨٢٤

٢٠ — الاخ توما بن الياس ابرهيمشاه الحلبي في ٢١ ايلول ١٨٢٤

ومن هؤلاء الاخوة من أبرز نذره في دير مار افرام الرغم وارتقوا الى الرتبة الكهنوتية كالأخ يوحنا هزاز والاخ توما ابرهيمشاه اللّذين خدما ذلك الدير ودير الشرفة معاً وخلّفا في كلّ منهما ذكراً طيباً لتعبهما.

---

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٢٢٦

الفصل الثاني

المقدسي ميخائيل قفّاف الحلبي (١٨٤٢ ـ ١٨٦٢)

نذكر في طليعة الاخوة الافراميين الذين تجرّدوا لخدمة دير سيدة النجاة باعراق جباههم واموالهم المقدسي ميخائيل قفّاف الحلبيّ فقد خلّف لتقواه وفضله في هذا المعهد اعذب الذكريات ٠ وكان وصوله اليه عام١٨٤٢ فنهض بخدمة الارزاق في اطراف الجبل اللبناني وفي سواحله نهوضاً استحق كلّ شكر وثناء ٠ على انه ما حلّت ركابه في دير الشرفة حتى دفع اوّل بدء ١٠ آلاف غرش الى الخوري جرجس صعب رئيس الدير فاشترى الخوري ميخائيل ازرق الذي خلفه في الرئاسة ناعورة باسمه في جونية ٠ وقطعتي ارض مغروستين توتاً في حريصا ٠ وقطعة ارض في ميروبا .

وفي السنة ١٨٥٤ أوصى المقدسي ميخائيل قفّاف وصيّته الاخيرة وفوّض الى الخوري ميخائيل ان يقوم بتنفيذها ٠ وهذا بدوره عرضها على السيد اغناطيوس انطون سمحيري البطريرك الانطاكي (١٨٥٣ - ١٨٦٤) فأيدها وكتب الى المحسن الكريم يثني على تعبهِ وأريحيّته ويسأل له الثواب الوافر في الدارَين .

وثابر المقدسي ميخائيل على اعماله المبرورة يتنقل من قرية الى قرية يُشرف على اراضي الدير ومزروعاتهِ وارزاقه حتى اخترمته المنون في ٢ نيسان ١٨٦٢ واقام الرئيس وكهنة الدير والتلامذة لراحة نفسه جنّازاً حافلا اشترك فيه جميع الرهبان والكهنة المجاورين لدير الشرفة .

وحوت سجلّات الشرفة ثلاثة عقارات حبسها المقدسي ميخائيل على دير سيدة النجاة ٠ اوّلها في تموز ١٨٥٩ رقمه ٥٤ وثانيها رقمه ٤٤ وثالثها رقمه ٤٦ وقفها المقدسي الكريم في ٥ تشرين الاوّل ١٨٦١ وقرّر رئيس الدير ان يخصص الربع من ريع عودة ميروبا بقداديس تقرَّب عن نفس

الواقف السخيّ بجسنة دارجة . وتمّ ذلك بتأييد البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس (١٨٦٦ - ١٨٧٤) بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٨٦٧[١] . نسأله تعالى ان يتغمّد نفسه بغيوث رحماته ويجزل له المكافاة في نعيمه .

الفصل الثالث

الشماس رزق الله سفور دقّاق الحلبيّ (١٨٦٥ - ١٩١٨)

عرفنا هذا الشماس الفاضل الذي لم يتلكأ عن ملاحظة ارزاق دير سيدة النجاة وترقيتها واغنائها مدّة ٥٣ سنة كاملة لا يحتاج ان يُدفع الى العمل والكدّ بل ان يُدفع عنه . فقد وافى الى هـذا المعهد المبارك عام ١٨٦٥ بغية الانقطاع الى عبادة الله عزّ وجلّ والتفاني في خدمة سيدة النجاة التي شغف بحبها منذ الصغر . فرحّب به الخوري ميخائيل ازرق وفوّض اليه الاشراف اوّلا على بيت المؤونة . ثم ولّاه ادارة الاوقاف في مختلف القرى اللبنانيّة .

وفي ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ نذر النذور الرهبانيَّة الثلاثة بين يدي السيد البطريرك مار اغناطيوس جرجس شلحت . فأثنى على فضيلته ورقاه

---

(١) سجلّ الدير : صفحة ١٩٢

الى درجة مرتل في افتتاح السنة ١٨٧٨ والى رتبة قارىء في ٩ اذار السنة نفسها • وفي ٢٦ تشرين الاول ١٨٧٩ رقاه السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق الى درجة شماس رسالي • ومذ ذاك تفرغ هذا الشماس الهمام لخدمة الوقف متفانياً لاجل نجاحه ونموه وازدياده حريصاً على غلاله وحقوقه • وكنا نراه يطوف من قرية الى قرية لا يستقر ولا يهدأ صيفاً وشتاء خريفاً وربيعاً على مثال عسائيل (٢ ملوك ٢ : ١٨) قلما يكترث للطوارىء والصعوبات • يجدد ويرمم ينشىء ويغرس ويزرع ويحصد في مزرعة كفردبيان واراضي نبع اللبن وميروبا ومراح شداد وبقعاتا ورعشين ودرعون وحريصا وبطحا وساحل علما وجونية وفي برج البراجنة والشبانية وزحلة وهلم جراً حتى توفق بحوله تعالى ان يزيد الاوقاف ويحسن العقارات تحسيناً بيناً ظاهراً . وكان على رغم سياحاته وتنقله من محل الى محل يتقلل من المعيشة ما يقدر ويتجافى ما يستطيع اليه سبيلاً •

وفي السنة ١٩٠٢ وجهه البطريرك اغناطيوس افرام رحماني الى اورشليم فأشرف هناك على العملة في بنائهم المعهد المليّ قريباً من باب العمود بينه وبين نزل الفرنسيين .

ومما أحيا للشماس رزق‌الله جميل الذكر في الشرفة انفاقه مبلغاً من ماله على ارزاقها • ومشتراه كرماً عام ١٨٨٨ في وطأ الجوز وابتناؤه عام ١٨٩١ ثلاثة مخازن وداراً واسعة في ساحل جونية • وقد سجل وقفه هذا في محكمة جونية باسم دير سيدة النجاة في ٢٠ شباط ١٩١٥ فأمر البطريرك الانطاكي المغبوط ان يقرَّب كل سنة على مذبح سيدة النجاة عشرون قداساً عن نفس الواقف السخي التقي ونفس والديه • وحتم كذلك ان يقام كل سنة جناز وقداس عن نفسه ليلة عيد التجلي[١] • ثم ان الشماس رزق‌الله دفع عام ١٩١٥ عشرة الاف غرش للدير وتفرغ للرحيل الى دار الخلود .

(١) سجل الدير : صفحة ١٩٨ و٢٤٦

وفي ٢٥ ايلول ١٩١٨ شعر بانحطاط في اعضائه فتزوّد بالاسرار المقدسة ولفظ النفَس الاخير مستودعاً روحه النقية بين يدي يسوع ومريم ومار يوسف. واقام الخوري افرام حيقاري رئيس الشرفة مع جمهور الدير جنّازاً حافلاً لراحة نفسه اشترك فيه عدد غفير من الخوارنة والكهنة والرهبان والاهالي ولاسيما شركاء الدير الذين انحدروا من اعالي الجبل ليودعوه الوداع الاخير وابنه الخوري بطرس فضول المرسل اللبناني الوقور معدداً مناقبه ولاسيما زهده في الحطام الدنيا . هكذا قضى الشماس رزق الله حياته في سبيل الله تعالى ورقد بشيخوخة صالحة مكرمة بالغاً السابعة والثمانين صرف منها ٥٣ سنة في خدمة دير سيدة النجاة[1] رحمه الله تعالى رحمة واسعة وكافأه على اتعابه مكافأةً مضاعفة .

الفصل الرابع

الشماس يوسف تبّان الحلبي (١٨٧٦ ــ ١٩١٦)

هو يوسف بن انطون بن ميخائيل تبّان الحلبي وُلد عام ١٨٤٢ وفي السنّ ٣٤ اقبل الى دير سيدة النجاة منصرفاً عن كل ما في الدنيا

(١) راجع مقالنا « طرفة في اخبار دير الشرفة » (المشرق ١٨ : ١٩٢٠ : ٥٨٩)

الغرور من زهو ولهو ولذة . آخذاً على نفسه عهداً ان يسلك مسلك الاخوة الافراميين فنذر النذور الثلاثة في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ ثم صار مرتلاً وقارئاً ورسالياً مع رفيقه الشماس رزق الله السابق ذكره. واناط به رئيس الدير الوكالة على ماديات التلامذة كاعداد الطعام وتهيئة الكسوة والترحيب بالضيوف الخ . فكان مَثَلُهُ في دير سيدة النجاة مَثَل سميهِ يوسف بن يعقوب يومَ صار وكيلاً على بيت فرعون وموزعاً الذخائر في اثناء المجاعة (تكوين ٤١) .

وارتقى الشماس يوسف الى رتبة شماس انجيلي في ٢٤ تشرين الاول ١٨٨٦ وجُعل ساعياً خلال المجمع الملي المعقود في دير الشرفة عام ١٨٨٨ فكان يبلّغ الاوامر ويوصل الاخبار الى اصحابها ليجتمع الاحبار في الاوقات المحدودة ويتداولوا في مختلف الشؤون .

واتصف الشماس يوسف بخصال حسنة نادرة . فكانت روحه في هدوّ وطمأنينة تامّة وعشرته في بهجة وبشاشة مستمرّة . واعتاد ادمان التقرّب من الاسرار الالهيّة ومطالعة الاسفار المقدّسة والكتب التقويّة كلما فرغ من اعماله . وكان يزور القربان الاقدس مراراً في اليوم ويستغيث بسيدة النجاة في جميع الامور ولاسيما في اثناء حلول الخطب والكوارث .

وفي شتاء السنة ١٩١٣ امتحنه الله جلّت احكامه بعقلة في لسانه . فقصد سيدة النجاة الام الرؤوم العطوف وسألها بالحاح وثقة ان تشفق عليه واخذ يتلو تساعيتها المؤثرة . وما كاد ينتهي منها حتى انطلق لسانه وجعل يرقص طرباً ويترنم بمديح تلك الام القديرة وينشر بين الملا سوابغ فضلها .

وخصص الشماس يوسف بعض الوقت بمطالعة كتب الطب وكان يعالج مرضى التلامذة والشركاء والاهالي المجاورين ويقدّم لهم الدواء مجاناً دون عوض . وكثيراً ما كان يقضي الساعات الطوال مع المرضى من التلامذة والقسوس ويشجعهم ليحتملوا العذاب بقلب مجبور . ولما حضر السيد اقليميس يوسف داود من دمشق الى دير الشرفة عام ١٨٨٩ طبقاً لمشورة الاطباء

لقي في الشماس يوسف خادماً اميناً وصديقاً وفياً . فكان يستدعيه الى غرفته وهو يتململ على فراش الاوجاع ويصغي الى احاديثه الحلوة فيتناسى شيئاً من آلامه الممضة .

وفي ٢٠ نيسان ١٩١٠ كتب الشماس يوسف وصيته الاخيرة وجاد بكل ما اكتسبه بعرق جبهته على دير سيدة النجاة . وقد ايّد البطريرك الانطاكي تلك الوصيَّة ووقّع عليها السيد اقليميس ميخائيل نجاش مطران دمشق والسيد غريغوريوس بطرس هبرا مطران الموصل والسيد يوليوس باسيل قندلفت مطران يافا .

وفي ١٦ كانون الاوّل ١٩١٥ أُصيب بداء الفالج الوبيل واشتدت عليه وطأته ليلة عيد الميلاد من تلك السنة . وكان الشاب النجيب منصور ضاهر سلهب احد شركاء الدير يخدمه خلال مرضه ويقرأ له بعض فصول من الكتاب الكريم او بعض سير القديسين . وظل الشماس يوسف ملازماً فراش الاوجاع عشرة شهور لا يفتر من تناول القربان الاقدس يكابد ما يكابد من الآلام حتى تشرين الاول ١٩١٦ فاستيقن بدنوّ الاجل ولبث كذلك حتى ١٣ الشهر المذكور فسلّم روحه بيد خالقها ورقد رقاد الابرار بهدؤ وسلام بالغاً ٧٤ سنة . وترأس الصلاة في جنازته السيد اوسطاثيوس موسى سركيس واشترك معه كهنة الدير والتلامذة ورؤساء الاديار والرهبان وخوارنة الرعايا وابنه تأبيناً مؤثراً القس جبرائيل نجاش احد اساتذة الدير معدداً مناقبه الشريفة .

هكذا قضى الشماس يوسف الوقور شيخوخة صالحة مؤدياً الامانة التامّة لدير سيدة النجاة مخلصاً الطاعة للرؤساء مخلفاً للكهنة والتلامذة ولجميع من عرفه او عاشره ذكرى حلوة جميلة اذ كان رحمه الله تعالى حلو النفس رضي الخلق رقيق الحاشية . ولقد غاب عن الابصار ولكن آثاره باقية ومحاسنه يردّدها كل لسان . ومنذ ٢٠ نيسان ١٩١٠ حتم البطريرك الانطاكي ان يقدّس لراحة نفس الشماس يوسف الورع كل سنة

قدّاس في الاسبوع الذي يقع فيه عيد مار يوسف شفيعه في ١٩ آذار بحسنةٍ مضاعفةٍ تؤخذ من واردات الدير . وقد احسن القس انطون سفر الموقر اذ صوّر صورته وصورة رفيقه الشماس رزق الله السابق ذكره ووضع لهما إطاراً جميلاً وجعل كل منهما على باب الغرفة التي كان يشغلها تغمد الله تعالى نفسيهما بغزير رحماته .

الفصل الخامس

الخورفسقفوس انطون قرواني الدمشقي (١٨٨٨ — ١٩٣٠)

سبقنا فكتبنا كلمةً قصيرة عن هذا الخوري الورع في القسم الخامس والفصل العاشر من كتابنا هذا . والآن تدعونا معرفة الجميل لنقول كلمةً عما صنعه عند دير سيدة النجاة في اثناء وكالته على ارزاقه .

كان الخوري انطون قرواني يتعاطى في شبابه صناعة الصياغة والمجوهرات الثمينة . وحل يوماً في محنةٍ جسيمة انقذته منها والدة الله العذراء القديرة باعجوبة ظاهرة . فهجر العالم واقبل الى ديرها عام ١٨٨٠ وهو في السن الاربعين لينقطع الى العبادة ليس غير .

وقد وقف لدير سيدة النجاة في ١٦ آب ١٨٨٩ اربعة مخازن او حوانيت وأوصى ان يقسم ريعها قسمين يخصص القسم الاوّل لدير الشرفة والثاني بقداديس توزّع على كهنة الطائفة[1] .

وأثبت في وصيّته الاخيرة المؤرخة في ٢٤ تموز ١٩٣٠ انه حبس ثلاثة مخازن من مخازنه في جونية فاوصى ان ينفق نصف ريعها على فقراء جمعيّة مار منصور دي بول في بيروت والنصف الثاني على فقراء تلك الجمعيّة عينها في دمشق الشام . وتبرع على ميتم راهبات المحبة في عينطورا بمبلغ ٧٠٠ ليرة

---

(١) سجل الدير : صفحة ٢٤١

لبنانية . واشترك في بنيان النيابة البطريركية باورشليم بمبلغ ٢٠٠ ليرة ذهبيَة . وابتنى مصلى في جونية تيمُّناً باسم شفيعه مار انطونيوس ابي الرهبان ووقفه مع دارٍ للكاهن السرياني الذي يتولّى خدمة ذلك المصلى .

ومما نذكره لهذا الاب الفاضل انه كان يقضي اسبوع الآلام كله في دير الشرفة فينصرف الى تزيين الكنيسة طبقاً للحفلات المقدسة التي كانت تجري اعتيادياً في ذلك الاسبوع المقدّس . ولم يفتر الخوري انطون عن حضور الرياضات والحفلات التي كانت تقام في دير الشرفة طول حياته . وكان رحمه الله تعالى يتلو الصلوات القانونية في كتاب الاشحيم او في الفناقيث بكل تدقيق . ويكتفي لمعيشته وكسوته بالضروري فقط .

الفصل السادس

الشماس باسيل ناعم الحلبي (١٨٩١ — ١٩٣٤)

في ٩ نيسان ١٨٩١ يمّم باسيل ناعم الحلبي دير سيّدة النجاة ينوي مساعدة الشماس رزق‌الله سفّور دقاق في خدمة ارزاق الدير وعقاراته . فتشرّب روحه التقيّ ونذر نذور الرهبنة في ٢ تشرين الاوّل ١٨٩٢ وجعل يطوف معه قرى لبنان ويناظر العَمَلة من الصباح حتى العِشاء يحرثون ويزرعون

ويسقون ويحصدون في اراضي الدير المعروفة «بالجرد» ثم يستغلها وينقلها الى الدير. وثابر الشماس باسيل على صنعه هذا المشكور مدّة ٢٣ سنة بكل امانة واجتهاد.

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٨٩٨ ارتقى الى رتبة شماس رسائليّ فكان يخدم الذبيحة الالهيَّة مع لفيف التلامذة ويزيّن الحفلات البيعيَّة بصوتهِ الرخيم وخشوعه الوافر. وقد وثق البطريرك الانطاكيّ بامانته وغيرته وطاعته فبعثه اولاً الى القدس الشريف عام ١٩٠٢ ليناظر العملة في عمـارة النيابة البطريركيَّة. وأرسله كذلك في خامس نيسان ١٩٠٧ الى الخرطوم بالسودان علَّه يتمكّن من ابتناء وكالةٍ هناك في الارض التي تكرّمت بها الحكومة على الطائفة السريانية وقد قضى الشماس باسيل هناك بضعة اشهر يعالج تأييد الحكومة لِمَا تبرّعت به ولكنَّه لم ينجح في مهمّته فعاد الى دير الشرفة واستعادت الحكومة ارضها.

رجع الشماس باسيل الى لبنان واستأنف اعماله في ارزاق الدير ومزارعهِ وعقاراته فتوفّق في ذلك خير توفيق واستحقّ الثناء الجزيل على اتعابه. واجتمع عنده شيء من النقود مما جنته يداه واكتسبه بعرق جبينه. فوقف حصّةً منه للدير وحصَّة ثانية لفقراء أسرته في حلب. وسبق فكتب وصيته الاخيرة في ١٥ ايار ١٩٢٣ وأيّدها البطريرك الانطاكي المغبوط وحتَم ان يقام قداسان على مدار السنة لراحة نفسه بعد وفاته احدهما في ١ كانون الثاني وهو عيد شفيعه مار باسيليوس ملفان الكنيسة والثاني في ١٩ تموز[1].

وكان الشماس باسيل مغرَماً بمحبَّة العذراء المغبوطة سيدة النجاة مشتركاً في اخوياتها مستغيثاً بها في صعوباتهِ وملمّاتهِ. ولما اشتد عليه المرض الاخير ضاعف ابتهاله الى تلك الام العطوف وكان رئيس الدير الخورفسقفوس

---

(١) سجلّ الدير : صفحة ٢٥٠

زكريا ملكي الفضيل يختلف الى قلَّايته مراراً ليلًا ونهاراً يعتني بمداواته ويساعده في احتمال اوجاعه حتى استودع نفسه النقيّة بيد خالقها في ٨ تشرين الاول ١٩٣٤ وترأس صلاة جنازته السيد البطريرك المغبوط والمطران يوحنا حبي الجليل رحمه الله تعالى ٠

الفصل السابع

القس انطون سفر الزيدليّ (١٩١٣ —)

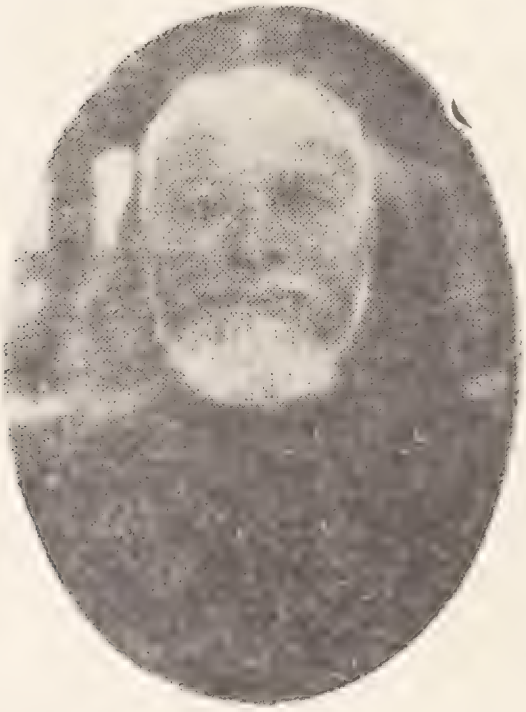

تُعَد أُسرة سفر من أقدم الأُسر السريانية الكاثوليكية في زيدل المجاورة لحمص ٠ واشتهر منها القس بولس سفر الذي ناضل عن الحقائق الكاثوليكية في كل ادوار حياته وأَصبح قدوة صالحة لجميع اهل بلدته باعماله واقواله ٠ وقد نصبه المطران غريغوريوس جرجس شاهين في ١٥ آب ١٨٧٨ قسيساً وولاه خدمة الرعية في زيدل فنهض بهمّته نهوضاً مقدساً حتى بلغ شيخوخة مباركة ٠

امّا القس انطون فكان قدومه الى دير الشرفة في ٢٥ ايار ١٩١٣ متوخياً خدمة سيدة النجاة بكل ما منحه الله تعالى من قوة وذكاء ٠ فانضم الى الشماس رزق‌الله الشيخ الجليـل والى الشماس باسيل السابق

ذكرهما وجعل يطوف معهما في الجبل اللبناني يتعرف بالشركاء والعقارات والاراضي . وعاش مثلهما عيشة مألوفة لكنها شظفة مقترة غير مكترث لطعامه وكسوته . مبتهجاً باقتدائه بالزهاد والرهبان العاملين مضحياً براحته وصحته لوجه الله الكريم . ذلك ما حببه الى البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط فاشار عليه ان يخصص وقتاً من اوقاته للدرس والمطالعة فامتثل اوامر البطريرك وحصل شيئاً من اللغتين السريانية والعربية . وفي ٢٤ ايار ١٩٢٥ رقاه الى الدرجة الكهنوتية وشدد عليه التوصية باستئناف عمله في الاشراف على عقارات الدير .

وكتب القس انطون صكاً ارخه في ٢٣ ايار ١٩٢٥ وقرر فيه انه باختياره التام يخصص نفسه بخدمة ارزاق دير سيدة النجاة ويستنفد الوسع في نجاحها . ثم عاهد الله عز وجل وصاحب الغبطة وخلفاءه بالمواظبة على شغله في املاك الدير حتى نهاية حياته .

أثنى البطريرك الانطاكي على شعور القس انطون وعهوده وقرر ان تكون معيشته وكسوته على حساب الدير وان يستبقي لنفسه ما يحصل عليه من حسنات القداسات التي يقربها . وفي ١٩ كانون الثاني ١٩٢٧ ولاه السيد البطريرك ادارة المطبخ والقيام بلوازم الطعام والشراب والكسوة. ثم نصبه في ٢٩ نيسان السنة المذكورة راعياً على التلامذة يناظرهم نهاراً وليلاً . وفي ٩ تشرين الثاني وكل اليه البطريرك ادارة الارزاق وقبض وارداتها والقيام بما يلزم التلامذة من طعام وكسوة . وقد نهض القس انطون بما أُمر به نهوضاً تاماً .

وفي السنة ١٩٢٨ انفق القس انطون ٦٠٠ ليرة لبنانية لاجل اصلاح سقف الكنيسة . فكتب أليه السيد البطريرك بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٩ يثني على سخائه . ومما نذكره لهذا الاب الهمام اعتناؤه بجمع حجج عقارات الدير وقد نقلها بخطه في مجلد خصوصي ليستسهل المطالع الوقوف على تواريخها ومواقعها ومحتوياتها واسماء المتبرعين بها . وما برح القس انطون

معتكفاً على صنعه بلذّة ونشاط معتبراً خدمة دير سيدة النجاة أحلى تسلية لقلبه . واضمن فائدة للحصول على غايته القصوى .

ونضم الى هؤلاء فريقاً من الاخوة ممن خدموا هذا المعهد المبارك مثنين على ما ابدوه من الامانة والغيرة سائلين المولى تعالى ان يكافئهم على تعبهم وهذه اسماؤهم :

١ – انطون عيسى المطران (١٩٠٢ – ١٩٠٧)

قضى هذا الشاب ثلاثة اعوام في دير الشرفة ثم انطلق الى دير مار افرام الرغم يشرف على ارزاقه . وفي السنة ١٩٠٧ عاد الى صدد وطنه .

٢ – انطون عبدالله دريخا الحلبي (١٩٠٣ – ١٩٠٨)

خدم اولاً دير سيدة النجاة تحت نظارة الشماس يوسف . ثم جعل يرافق الشماس رزق‌الله في جولاته في اطراف الجبل اللبناني . ولمَّا عوّل البطريرك افرام رحماني المغبوط ان يجدّد دير مار افرام الرغم في لحف قرية الشبانيّة عام ١٩٠٤ اختار الاخ انطون دريخا ليتولى ادارة ارزاقه . فاقام هناك حتى السنة ١٩٠٨ واكتشف منجم فحمٍ حجري استدعى عملة ليشتغلوا به ولكنه قلما استفاد منه اذ كان ما يبيعه منه لا يكاد يكفي لاجرة العملة فغمّض عنه وارتحل الى اميركا .

٣ – جرجي يوسف منيّر (١٩٠٥ – ١٩٠٨)
٤ – نبيه طحّان 〃 〃
٥ – متى بن يوسف سارة 〃 〃

كان جرجي منيّر من بلدة قطنة التابعة لدمشق . وكان نبيه طحّان من القريتين ويوسف سارة من النبك . وهؤلاء الثلاثة قصدوا دير الشرفة عام ١٩٠٥ وخدموا ارزاقه ثلاثة اعوام خدمة مخلصة ثم عاد كل منهم الى وطنه .

٦ - اسعد فاعور (١٩٢١ - ١٩٢٦)

هو ابن ناصيف فاعور من قرية زيدل . خدم دير الشرفة في بيت المؤونة خدمة نصوحاً . وامتاز بامانته ولطيف مسايرته فضلاً عن تقواه . وعرض على المقام البطريركيّ ان يأذن له في الامتزاج مع التلامذة في دروسهم حين فراغه من الشغل . وكان يدمن مطالعة الكتب التقويّة ولاسيما الكتاب المقدّس . وبعد هذا كتب له اهله من اميركا يلحون عليه بالذهاب اليهم فانطلق الى تلك البلاد وجعل يراسلني تارة فاخرى ويطلب بعض الكتب والنشرات التقويّة فكنتُ ارسلها اليه ثم انقطعت اخباره .

٧ - الياس جرجس عجقيّة الحلبيّ (١٩٣١ - ١٩٣٤)

قدم الى دير سيدة النجاة بالغاً الثلاثين من سنيهِ وتولّى الخدمة في بيت المؤونة (الكلار) واستقبال الضيوف . وثابر على الخدمة مدّة ثلاثة اعوام ثم عاد الى حلب وطنهِ .

الفصل الثامن

الخورفسقفوس حبيب قره كلّه الماردينيّ

وُلد هذا الخورفسقفوس الجليل في ماردين في ٥ شباط ١٨٧٩ وانضوى الى الرهبنة الافراميّة في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩١ وتوشّح بالاسكيم الملاكي في ١ تشرين الاوّل ١٨٩٥ وارتقى الى الرتبة الكهنوتيَّة في ١٤ ايلول ١٩٠٥ وتوجّه في القابل الى كربوران قرية بطور عبدين وابتنى فيها كنيسة جميلة باسم مار افرام ومصلّى في قرية باقسيان المجاورة لها . وأبدى في كلتا القريتَين من الهمّة والنشاط في سبيل نشر الايمان الكاثوليكيّ المقدّس ما خلّد لغيرته اجمل الذكرى .

وفي صيف السنة ١٩١٠ ارتحل مع البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط الى الجزيرة والموصل ثم عاد الى مركزه يثابر على اعماله . وفي السنة ١٩١٣ عاد الى ماردين وتولّى الاشراف على بنيان كنيسة قلعة المرأة المجاورة لدير الزعفران . وفي السنة ١٩١٤ قدم الى النبك وشاد فيها عام ١٩٢٤ داراً للمطرنة وضمّ اليها بعض دكاكين .

وفي السنة ١٩٢٥ حجّ الخوري حبيب عاصمة الكثلكة وزار بعض بلاد فرنسا . وفي حزيران ١٩٢٧ استدعاه البطريرك الانطاكي وولّاه ملاحظة تلامذة دير الشرفة مع الاب بطرس هندية الموقر والاشراف على عقاراته في انحاء الجبل اللبناني . فنهض الاب حبيب بهمّته خير نهوض حتى ٢ شباط ١٩٢٨ فرقّاه السيد البطريرك الى رتبة خورفسقفوس وفي سلخ هذا الشهر عاد الى النبك . وفي هذه السنة عينها فوّض اليه السيد البطريرك ان يطّلع على تركة السيد غريغوريوس جرجس شاهين فكانت حصة الدير منها ٨٤ ليرة عثمانيّة ذهبيّة حوّلها الخوري حبيب الى صاحب الغبطة .

على ان الخوري حبيب استعفى من خدمة الرعيّة في النبك وقدم الى لبنان في ١٥ نيسان ١٩٤٤ وعرض أمره على المقام البطريركيّ فعيّنه نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكيّ وكيلاً على دير مار افرام الرغم المجاور لقرية الشبانية وما برح مقيماً هناك حتى يومنا هذا

الفصل التاسع

وكلاء اوقاف دير الشرفة في حلب

كان لدير الشرفة في حلب ثماني دور قديمة العهد حبسها عليه آباؤنا البطاركة والاساقفة وبعض الكهنة والمؤمنين . غير ان تلك الدور تمّ بيعها منذ السنة ١٩٢٥ بتفويض بطريركي ودُفع قسم من اثمانها تسديداً لديونٍ ترتبت على الدير خلال الحرب الماضية (١٩١٤ – ١٩١٨) وأُنفق قسم صالح منها في تشييد عقارات انطوش بيروت التي سبق ذكرها[١] .

وقد تولّى الاشراف على تلك الدور وكلاء امناء جَبوا أُجورها وبعثوا بها الى رئيس الدير عاماً بعد عام . واوّل من عرفنا من اولئك الوكلاء الخوري يوسف اسلامبوليّة (١٨٤٩ – ١٨٨٩) تلميذ هذا المعهد المبارك . فقد تولّى الاشراف عليها مدّة اربعين سنة وخدمها خدمة مشكورة أمينة .

ثم تقلّد الاشراف على الدور المذكورة الخوري يوسف شلحت فنهض بما عُهد اليه ٢٥ سنة (١٨٨٩ – ١٩١٤) بكل اخلاص وامانة .

وبعد هذين الوكيلين أُنيطت جباية أُجور تلك الدور بالسيد ديونيسيوس حبيب نعساني مطربوليت حلب الجزيل الفضل خلال قسوسيته . فخدمها ثماني عشرة سنة (١٩١٤ – ١٩٣٢) بما عُرف به من الهمة والنشاط والامانة .

وُلد حرسه الله تعالى في ٢٤ كانون الاول ١٨٨٨ ولمّا بلغ ١٢ ربيعاً يمّم بيروت وانضمّ الى تلامذة اكليريكيّة الاباء اليسوعيين معتكفاً على المطالعة واقتباس المزايا الكهنوتيّة حتى نُصب قسيساً صباح ٨ حزيران ١٩١٢ في كنيسة دمشق بوضع يد مطرانها السيد اقليميس ميخائيل بخاش الجليل . وتفانى في خدمة النفوس مدّة ٢٠ سنة تفانياً اهّله ان يرقى الى كرسي

---

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٢٢٥

مطرانية حلب صباح احد العنصرة ١٥ ايار ١٩٣٢ بوضع يد السيد مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي الجزيل الطوبى في كنيسة السيدة عليها السلام ودُعي ديونيسيوس حبيب على مثال اسلافه الميامين . وفي صيف السنة ١٩٣٤ رافق السيد البطريرك الى رومية وتشرّف بلثم يمين الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر والتمس بركته الرسولية له وللابرشية الحلبية وعاد الى المشرق في ٢٠ تموز السنة عينها . وما برح يرعى تلك الابرشية الخطيرة التي تُعد باكورة الابرشيات السريانية الكاثوليكيّة بما عرف به من غيرةٍ وحزمٍ واخلاص .

على اننا لما اعتمدنا ان ننشئ هذا التاريخ كتبنا الى سيادته نستطلعه طلع اوقاف الدير في تلك المدينة فلبّى طلبنا بجواب مؤرخ في ٦ شباط ١٩٤٦ تضمن تفاصيل تلك العقارات وبيعها نلخصها في ما يلي :

١ً — دار في محلّة العريان بيعت عام ١٩٢٥ بمبلغ ٤٨٥ ليرة عثمانية ذهبيّة ودُفع المبلغ الى البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط فانفقه في

عمارة انطوش بيروت ٠

٢ً – نصف دار في حارة العنكبوت بيع عام ١٩٢٩ بمبلغ ١٢٥ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٣ً – نصف دار في زقاق الخلّ وقف المطران قورطس يوسف حائك بيع عام ١٩٣١ بمبلغ ٣٨٧ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٤ً – دار في زقاق بالي بيعت عام ١٩٣١ بمبلغ ٣٦٠ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٥ً – دار في محلّة العطفي بيعت عام ١٩٤٢ بمبلغ ١٧٥ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٦ً – دار في محلّة قسطل الحرامي بيعت عام ١٩٣٣ بمبلغ ٣٠٠ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٧ً – دار في محلّة عبد الرحيم وقف الخوري افرام مداراتي تلميذ دير الشرفة ٠ بيعت عام ١٩٣٨ بمبلغ ١٢٥ ليرة عثمانية ذهبية ٠

٨ً – دار في زقاق الاربعين بيعت عام ١٩٤١ بمبلغ ١٤١ ليرة عثمانية ذهبية ٠

فيكون مبلغ ما بيع من اوقاف الدير في حلب ٢٠٩٨ ليرة ذهبية ٠ ولم يبقَ في حلب وقف يخصّ دير الشرفة ٠

القسم التاسع

المستشرقون في دير الشرفة

فتحت اكليريكية الشرفة أبوابها لقبول رهط من المستشرقين الذين تسامعوا باخبارها وتناقلوها . ونهض اساتذتها بتلقينهم احدى اللغتين السريانية او العربية او كلتيهما معاً . وهناك مستشرقون قصدوا الاشراف على مخطوطاتها القديمة الثمينة فنقلوا عنها ما احبُّوا وعادوا الى اوطانهم مجبورين ناشرين الوية الثناء على ما لاقوه من رئيس الاكليريكية ومن اساتذتها . وقد سبقنا فذكرنا المستشرق اوكريلان الذي يمم الشرفة عام ١٧٨٦ اعني سنة افتتاحها وتعلَّم ما شاء ان يتعلمه ونقل ما احبّ ان ينقله وعاد الى بلاده يذيع اسم الشرفة ويعرب عمَّا لاقاه من رئيسها المغبوط من الأنس والاعتناء والمجاملة .

على اننا رحنا نقلب سجلّات الدير القديمة ومخطوطاته علّنا نظفر باسماء علماء الاستشراق الذين قدموا اليه من بلاد اوربا واقاموا فيه استكمالاً لعلومهم فلم نعثر على ضالتنا . فاستنتجنا من مطالعاتنا ان رؤساء الدير الاوّلين لم يكترثوا لهذا الأمر ولم يدوّنوا شيئاً في سجلّاتهم عن قدماء المستشرقين اذ كانت افكارهم موجهةً الى تثقيف ابناء ملتهم وبعثهم الى الرسالات السريانية التي كانت يومئذٍ كأرض قاحلة تفتقر الى من يبذر فيها بذور الايمان المقدّس ويحرثها ويسقيها ويتوقع نموَّ غلّاتها .

ولما كان ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جلّه اقتصرنا في هذا القسم على ذكر رهط من المستشرقين ممن شاهدناهم نحن بعيننا وما برح اغلبهم في قيد الحياة وهذه اسماؤهم مع ذكر نتف من اخبارهم :

١ – الاب يوحنا باريزو البندكتيّ

شخص الاب باريزو الى دير الشرفة عام ١٨٩٧ واشرف على مخطوطات مكتبته وكتب عنها فصلًا ممتعاً كان مدعاةً الى تشويق غير واحد من المستشرقين ليتعهدوها ويطلعوا على ما حوته من الذخائر الكتابية[1] وقد أتقن هذا الاب الجليل اللغة السريانية الفصحى ولغة اهالي معلولا وبخعة وجبعدين المجاورة لدمشق ونشر فيها مؤلفاً موجزاً . ونشر كذلك عام ١٨٩٤ كتاب ܬܚܘܝܬܐ ܕܐܦܪܗܛ ܚܟܝܡܐ ܦܪܣܝܐ . وهو اقدم كتاب دينيّ صنَّفه افراهاط مؤلفه في السنة ٢٣٧ و٣٤٤ م يساعده المستشرق غرافان . ثم نشره الاب باريزو تكراراً عام ١٩٠٧ في البترولوجيا السريانيّة بباريس وضم اليه مقالة « ܬܚܘܝܬܐ العنقود » تأليف افراهاط عينه . ونشر كذلك مؤلفات اخرى دلت على كثرة مطالعاته وبُعد نظره وغزارة علمه .

٢ – الاب جوليوس جنان البندكتيّ

كلف هذا الاب الفاضل بفنّ الموسيقى البيعية منذ حداثته . وفي السنة ١٨٩٦ استاذن السيد اغناطيوس بهنام بنيّ المغبوط واقبل الى دير الشرفة ليدرس الانغام السريانية ويضبطها بالعلامات الفرنجية . واقام الاب جوليوس حولًا كاملًا في الدير مشمولًا برعاية رئيسهِ الخوري بولس هبرا الذي عيّن شماسين بارعين في الالحان وهما الشماس انطون شبين والشماس قسطاكي بصال[2] الحلبيين وكانا ممتازين برخامة صوتهما وضبطهما اصول الانغام فكان الشماس انطون يقصد غرفة الاب جنان ساعةً قبل الظهر والشماس قسطاكي ساعةً عند الغروب . وثابرا على ذلك زهاء ثمانية شهور يساعدهما

(١) اطلب كتابنا « اجمل زهرة في حديقة آل هبرا » ٩٥

(٢) دخل انطون دير الشرفة عام ١٨٩٠ وخرج عام ١٨٩٧ ولم يتوفّق في البلوغ الى الرتبة الكهنوتية . اماً الشماس قسطاكي فقد سيم قسيساً عام ١٩٠٣ وتوفّي كهلًا عام ١٩٠٨ كما ذكرنا صفحة ٣٩٦

الاب باسيل ايّوب ريثما تمكن الاب جنان من الوقوف على اصول الانغام وفروعها . واستنبط لإحكامها بعض نقاط او علامات للدلالة على نبرات شرقيَّة لا اثر لها في الموسيقى الفرنجيّة . هكذا ظلّ يواصل عمله بجهد مستمرّ حتى كاد ينهي التقاط الانغام برمّتها .

وفي السنة ١٨٩٨ قام الاب جنان برحلة الى بلاد ما بين النهرين فزار الموصل وضبط الالحان الكلدانية . وعاد من الموصل الى ماردين وحلب ودير الشرفة ليكمل ما ابتدأ به . وكنا نشاهد هذا الاب الهمام يلعب تارة على الارغن يسمعنا نغمات سريانيَّة مضبوطة وينشدها احياناً من تلقاء نفسه . وكان كلما خرج ظاهر الدير او جلس في ظلّ شجرة من اشجار الصنوبر والسنديان علق ينشد بصوت خافت . هكذا اتقن اصول الانغام السريانيَّة ونشر كتاباً فرنسياً في المطبعة الكاثوليكيَّة ببيروت حكى فيه عن اصل الانغام ومستنبطها وعن فروعها وتشعبها . غير انه لم يتوفّق في نشر الانغام بالنقاط كما كان يحب فبقي عمله طيّ النسيان حتى جاء الاب يوليان بوياد والاباتي انسلمس شيباس لاسال البندكتيان فاكملاه ونشرا الكتاب كما نذكر ذلك قريباً .

٣ – الاب يروسلاف شيدلاك النمساويّ

يمّم الاب يروسلاف عام ١٨٩٧ دير سيدة النجاة وتولّى تدريسه الشماس يوسف ديبو الدمشقي تلميذ دير الشرفة (١٨٨٩ — ١٩٠٠) فاخذ عنه اللغة العربيّة واحكم قواعدها واصولها . ودرس كذلك اللغة السريانيَّة حتى أَصبح يفهم الفاظها ومعانيها . ويُعدّ هذا الاب الجليل من فضلاء الكهنة وجهابذة العلماء . وقد صنف ونشر بالطبع كتباً جمّة .

٤ – الاب انطون الدومنكيّ

يمّم هذا الاب الفاضل دير سيدة النجاة في السنة ١٨٩٩ ورحّب به رئيس الشرفة أَحسن ترحيب . وقد اقام شهوراً يتلقن اللغة العربيَّة حتى الم

بها ثم عاد الى وطنه يثابر على مراجعة دروسه ·

٥ – الاب فلينجر النمساويّ

قصد هذا الاب الجليل عام ١٩٠٠ دير الشرفة حاملًا توصية من صديقه الخورفسقفوس موسى سركيس النائب البطريركيّ في اورشليم · واكبّ على اقتباس اللغة السريانيَّة حتى أحكمها وعاد الى القدس الشريف وارتقى الى الرتبة الاسقفيَّة وتولى رئاسة نزل النمساويّين في اورشليم ·

٦ – الاستاذ لويس ديلابورت الفرنسيّ

في شتاء السنة ١٩٠٥ شخص الاستاذ لويس ديلابورت المستشرق الفرنسيّ الى دير الشرفة ليطلع على مخطوطات خزانته · فتصفَّحها ونقل عنها ما شاء ان ينقله · ثم عاد الى باريس وكتب مقالًا لخّص فيه ما لاقاه من رئيس الدير من التكريم والحفاوة · ونشر وصفاً موجزاً لعددٍ من المخطوطات بلغ ١٥٦ مخطوطاً يغلب على مواضيعها بعض اسفار الكتاب المقدّس وشروح الاسرار البيعيَّة والطقوس السريانيَّة . وبعد هـذا قصد مدينة حمص واخذ صورة فوتغرافية عن نسخة من العهد الجديد طبقاً للترجمة الحرقليّة مكتوبة على رقّ الغزال تخصّ كنيسة السريان الارثودكس · ووصفها وصفاً مشبعاً[1] ·

٧ – الاب يوليان بوياد البندكتيّ

في صيف السنة ١٩٠٩ وصل الى دير الشرفة الاب يوليان بوياد الراهب البندكتيّ الفرنسي يصحبه الاب انسلموس شيباس لاسال · وقضى عشرة شهور يدرس السريانيَّة والعربيَّة حتى المّ بهما · وانتهز فرصة اقامته في الدير فراجع الانغام التي سبق الاب جوليوس جنان فاخذها وضبطها

---

(١) المشرق ١٣ : ١٩١٠ : ٧٩٥

بالنوطة الافرنجيَّة وبالغ في ضبطها وتكميلها . وفي السنة ١٩١٠ عاد الى القدس الشريف وتولى التدريس في الاكليريكيَة السريانيّة بجبل الزيتون. وجعل يراسلني الى ماردين ويطرح عليَّ بعض اسئلة طقسيّة وتاريخيَّة تعزيزاً لكتاب انتوى نشره في الطقس السرياني الانطاكيّ واصوله وفروعه . واستغرقت المراسلة بينه وبيني نحو ثلاثة اعوام وكنت اكتب له الاجوبة وادله على مصادرها . وتولّى اربع سنوات (١٩١٠ — ١٩١٤) ادارة مجلة « La mission Syrienne de Bénédictins en Orient »

وفي السنة ١٩١٤ قدم الاب يوليان الى بيروت وتقاول مع مدير المطبعة اليسوعيّة الكاثوليكيَّة لاجل نشر الانغام السريانيَّة بالنوطة الفرنجيَّة . وما كاد ينشر كراساً او كراسين حتى أُعلنت الحرب الكبرى (١٩١٤— ١٩١٨) فترك الاب يوليان هذا المشروع وانطلق الى فرنسا واندمج في السلك العسكري وقتل في ١٢ تشرين الاول ١٩١٤ في ساحة الوغى بمدينة كران . بناءً على ما تقدم أُرجىءَ نشر الكتاب الى ما بعد الحرب المذكورة.

٨ - الاباتي انسلمُس شيباس لاسال

لهذا الاباتي الجليل صفحة جميلة في تاريخ سيدة النجاة بالشرفة . فقد يمّمه أول مرّة عام ١٩٠٩ مع الاب يوليان بوياد المذكور آنفاً . واقام معه يتلقّى السريانيَّة والعربيَّة والانغام البيعيّة . ولما أُشهرت الحرب عام ١٩١٤ انطلق الى فرنسا وانضمّ الى زمرة الممرضين . وعيّنته الحكومة الفرنسيَّة ترجماناً باللغة العربيَّة . فنهض بتلك الوظيفة نهوضاً حسناً مدة سنتين واستحق ان يدبّج صدره بنوط « صليب الحرب »

وفي السنة ١٩١٩ عاد الاب انسلمس الى القدس الشريف وتولّى رئاسة الاكليريكيّة الكهنوتيّة في جبل الزيتون . وعوّل على استئناف نشر الانغام السريانيَّة بالنوطة الفرنجية تكملة لعمل الاب جوليوس جنان والاب يوليان بوياد . وقد استغرق طبع الكتاب اربعة اعوام (١٩٢٤ — ١٩٢٧) يساعد

الاب انسلمس في التنقيح واصلاح الاغلاط السريانيَّة الاب زكريا ملكي وكاتب هذه الحروف . على ان الاب انسلمس خلّف بعمله وتعبه هذا مأثرة جميلة نفيسة شكرته لاجلها الملّة السريانيّة جمعاء ولاسيما رؤساؤها واقليريها . واتضح لاهل الشرق والغرب معاً غنى الكنيسة السريانيَّة في هذا الفن الجميل .

الاباتي انسلمس شيباس لاسال

وفي السنة ١٩٣٠ عقد البطريرك الانطاكي عزمه على ضمّ اكليريكيَّة اورشليم الى اكليريكيّة الشرفة وجعلها اكليريكيَّة واحدة . وكان الاب انسلمس اقوى مساعد له في انجاز عزمه المبارك على ما نذكره في القسم العاشر . واستحق هذا الاب الهمام ان يرقّى الى رتبة « اباتي » ويتقلد لقب « رئيس دير وادي يهوشافاط » الذي كان رئيسه في عهد الصليبيين يدير عدة ديورة وكنائس في فلسطين[1] . ويتولّى الاباتي انسلمس في يومنا الاشراف على الرهبنات المارونيَّة من قبل الكرسي الرسولي المقدّس يطلعه حيناً بعد حين على ماجرياتها .

(١) اطلب مقالنا « الرهبنة البندكتيَّة في فلسطين » (المشرق ٣٠ : ١٩٣٢ : ٥٠١)

٩ – الاب بونونتور اوباك الاسباني

للاب بونونتور اوباك صفحة جميلة في قيود الرهبان البندكتيين المنتمين الى دير مونسرّات باسبانيا . اتقن ما عدا اللغة الاسبانية الوطنية واللغة الكتالونية أصول اللغات اللاتينية والعبرانية والفرنسية والايطالية . واحبّ ان يتضلع من السريانية والعربية فيمم دير الشرفة في ٧ آيار ١٩٠٨ وقضى اربعة اشهر يدرس اللغتين كلتيهما على الاب موسى دلال الذي نُصب فيما بعد مطراناً لبغداد ثم الموصل . وعُقدت بين التلميذ واستاذه صلات متينة ما برحت متوثقة العرى حتى يومنا .

وفي تموز ١٩١٤ عاد الاب بونونتور الهمام الى دير سيدة النجاة ليستكمل الدروس السريانية والعربية فقضى ثلاثة اشهر ثم قفل راجعاً الى اورشليم . وفي ٢ آيار ١٩٢٣ عاد ثالث دفعة الى الشرفة ومكث خمسة اشهر يتمرن على اقتباس الليترجية السريانية ريثما أتقنها . ثم استأذن الكرسيّ الرسوليّ فأذن له ان يقرّب الذبيحة الالهية باللغة السريانية الابويّة . واحتفل بالقداس

السرياني اوّل مرّة على مذبح السيدة في كاتدرائية حلب بتاريخ ٣٠ ايلول السنة المذكورة ·

وارتحل الاب بونوتتور في ٢ تشرين الاوّل السنة عينها الى بغداد فرحّب به استاذه القديم السيد اثناسيوس جرجس دلال واقام عنده في القلّاية المطرانية سبعة شهور على الرحب والسعة ثم انطلق الى الموصل فاكرم وفادته السيد غريغوريوس بطرس هبرا راعي الابرشية . وتعهّد الاب بونوتتور كنائس الموصل وقراها العامرة ولاسيما كنيسة دير مار بهنام الشهيد ودهش بما شاهده فيها من الآثار السريانية الغالية والكتابات السطرنجيلية البديعة والتصاوير والزخارف الجميلة . وزار كذلك الرسالات الجديدة في الجزيرة العليا عام ١٩٢٧

وقام الاب بونوتتور النشيط بثلاث رحلات الى ابرشية حمص وحماة ١٩١٠ و١٩٢٢ و١٩٢٧ وتعهّد دير مار موسى الحبشيّ ظاهر النبك ودير مار يوليان الشيخ في القريتين وابتهج بما شاهده في كلا الديرين من الآثار القيمة السابقة لعهد الانفصال المشؤوم · وأخذ عنهما ما شاء اخذه من الرسوم الثمينة .

وانتوى الاب بونوتتور غير مرة ان يتفقد كنائس طور عبدين وماردين ودياربكر والرها وغيرها من الكنائس السريانية غير ان الحكومة التركية لم تلبِّ طلبه فعاد الى دير الآباء البندكتيين في جبل الزيتون واستأنف عمله في نقل الكتاب المقدس برمته اعني العهدين القديم والجديد الى اللغة الكتالونيّة . وقد اصدر منه ٨ مجلدات مزينة بالرسوم · وارتحل لاستكمال عمله المجيد الى اطراف فلسطين وموآب وجبل سيناء دون ان يكترث للنفقات ومشقّات الاسفار وأخطار شذاذ البادية · وما برح يواصل عمله الى هذا التاريخ بما عرف به من الجد والنشاط .

على ان هذا الاب الغيور يذكّرنا بابناء وطنه الاسبانيين الافاضل الذين جادوا على دير الشرفة بعوارف جمة أتينا على تفاصيلها في الاقسام الاولى

من كتابنا هذا . وما فتىء كهنة الشرفة وتلامذتها يرطبون ألسنتهم بالثناء على مناقب هذا الاب المفضال ويمجدون الخلّاق الكريم على ما حباه من غزارة العلم والفضيلة حرسه المولى تعالى ووفقه في انجاز مشروعه المقدس .

١٠ – الاب اوغسطين ميايه الفرنسيّ

نبغ هذا الاب الفاضل في علم اللاهوت النظري نبوغاً أهله ان يتولى تدريسه للاقليرس مدة عشر سنوات متوالية . وفي السنة ١٩١١ قدم الى الشرفة ودرس العربية اول بدء على الاب موسى دلال وأتقنها على الاب جبرائيل نجّاش ثم عاد الى ديره يثني على استاذَيه وعلى ما لاقاه في الشرفة من علامات الترحيب والتأهيل .

١١ – الاب ريموندو الفرنسيّ

قرأ هذا الاب الجليل مع راهبين من رهبنته الفرنسيسية اللغة العربية على الاب جبرائيل نجاش في دير الشرفة ثمانية شهور (١٩١١ — ١٩١٢) وكان هؤلاء الآباء الثلاثة يقيمون في ديرهم بحريصا . وكان الاب جبرائيل يقصدهم تارةً وطوراً يقصدونه هم ريثما تثقّفوا في تلك اللغة واستسهلوا قرأتها والتكلم بها . ثم قفلوا عائدين الى وطنهم مجبورين .

١٢ – الاب سيخادور اليسوعيّ

رُزق هذا الاب الوقور صوتاً رخيماً شجياً حبب اليه درس فنّ الموسيقى الجميل حتى برع فيه . وألمّ كذلك باكثر من عشر لغات ورام ان يضيف اليها اللّغة العربيّة فشخص الى دير الشرفة واكب على تحصيلها بجدّ واجتهاد . وتعوّد نقل عبارات عربيّة واثباتها في دفتر خاص كان يحمله في جيبه وقت النزهة . وكان يلقي على التلامذة بعض عبارات يكررها غير مرّة حتى يحكم التلفظ بها . ولما استوفى حظه منها عاد الى وطنه مسروراً .

١٣ – الاب انستاس من جمعية الاباء الافريقيين بمصر
١٤ – الاب كوردو 〃 〃 〃 〃 〃
١٥ – الاب انطونين جوسين

هؤلاء الكهنة الثلاثة اقاموا مدة طويلة او قصيرة في دير الشرفة وتلقوا اللغة العربيّة عن اساتذته . ولم نقف على تاريخ قدومهم وعلى مدة اقامتهم في الدير بالضبط .

١٦ – الشيخ نوفل ابن الشيخ قنصو الخازن (١٨٦١ – ١٩٠٥)

اشتهر هذا الشيخ الجليل بأدبه الجمّ وثقافته الناضجة . وكان في حداثته يختلف الى دير الشرفة المجاور لداره فيقرأ السريانيّة والعربيّة مع التلامذة ريثما برع في العربيَّة خصوصاً وجعل ينظم فيها قصائد مستملحة . ثم درس اصول الفقه على الخوري يوحنا حبيب الطيّب الاثر عندما كان متولياً تدريس التلامذة في الشرفة (١٨٦١ – ١٨٦٨) كما مرّ بك[١] . وقد نبغ نبوغاً تامًا في هذا العلم وخلّف فيه ذكريات طيّبة شهدت له بالذكاء والكفاءة ولاسيما بالامانة .

واتفق ان احد العظام استدرجه ليقرّر قضيَّة مخالفة الصواب وكان الشيخ نوفل يومئذٍ قاضياً في البترون فاوعز بدق ناقوس الكنيسة دقات محزنة واحتشد الاهالي وانبرى الشيخ نوفل يؤبّن الحق والعدل على مسامعهم فاستعظموا الامر واثنوا على جرأة الشيخ وامانته . وما عتم ان استعفى من منصبه وعاد فانزوى في بيته .

وقد اثبتنا لهذا الشيخ الجليل ابياتاً حفرت على رخامة فوق باب كنيسة العذراء الشمالي بالشرفة[٢] . ومن جيّد شعره مرثيته للسيد العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق المتوفّى عام ١٨٩٠ افتتحها بقوله :

---

(١) راجع هذا الكتاب ٢٣٥
(٢) راجع هذا الكتاب ٢٩١

ما لي ارى قلب الجماد يذوبُ   والشمس عنّا نورُها محجوبُ ...
تبكي المنابر والمحابر ربّها   تبكي الانامُ بعيدُها وقريبُ
يشكو الورى ألماً لفقدك مثلما   في فقد يوسف قد بكى يعقوبُ
لكنما شتّان فيما بيننا   قد آب يوسفهُ ولستَ تأوبُ
تبكي عليك مؤلفاتٌ قد غدت   بجميل ذكرك في البلاد تجوبُ
تبكيك أشرافُ الشآم ودمعهم   مثل السحاب على الهضاب يصوبُ[1]

وقال يرثي استاذه المطرن يوحنا حبيب المتوفى في ٤ حزيران ١٨٩٤

ألا هنّئوا دار البقا بنزيلها   وعزّوا به دار الفنا فهو راحلُ
قضى العلَم المشهورُ علماً وعفّةً   وعدلاً وحزماً حقّقته المشاكلُ ...
أأحبارَنا مات الحبيبُ وليتني   جُعلتُ فداهُ قبلما الخطب نازلُ ...
كأنك يوحنا الحبيبُ حقيقةً   وآياتُ تنزيلٍ عليك دلائلُ ...
وأنشأتَ بيتاً للعلوم ومعهداً   لنشر كتاب الله واللهُ فاعلُ
وانفذت رسلاً في الانام بواسلاً   افادوا كثيراً والوفودُ قلائلُ
ومَن لي بصبرٍ والتجلد ذاهبٌ   على رزء استاذي وجسمي ناحلُ

وحلّت وفاة الشيخ نوفل في تشرين الثاني ١٩٠٥ فبكاه رجالات الدين والدنيا وكتبوا الى شقيقه الكونت حصن رسائل التعازي يشاطرونه ويشاطرون آل الخازن عامة وخاصة احزانهم ويتأسفون على فقده رحمه الله تعالى .

هذا ما تيسر لنا الحصول عليه من اخبار رهطٍ من العلماء الافاضل الذين درسوا السريانية او العربية او كلتا اللغتين معاً على اساتذة دير سيدة النجاة بشرفة درعون . ونحن على اعتقاد تام من انه قد فاتنا ذكر غيرهم ممن سبقوا عهدنا كما ألمحنا . وفي ما سردناه مؤونة كافية للدلالة على ما اداه هذا المعهد المبارك من الخدم الجلّى ترويجاً للغتين الشرقيتين المشار اليهما وكفى .

---

(١) القلادة النفيسة ٨٨

القسم العاشر

ادماج اكليريكية القدس في اكليريكية الشرفة

(١٩٣٠ —)

وقفة في دير الشرفة

شُغفتُ منذ الصبا بسيدة النجاة العجيبة الحبيبة وتقتُ الى مركزها البهي الجميل في شرفتها المباركة . ومابرحت كلفاً بها هائماً بجمالها منذ نصف قرن اقلِّب النظر مراراً في مشاهدها الفتانة أصوغ عواطف التسبيح والحمد لبارئ الكون وأترنم بنغمات الشكر للروح القدّوس الذي ألهمني ان أشخص الى هذا المعهد المقدّس لاتبرّك بعروسهِ العذراء المجيدة واشاهدها كملكةٍ معظمةٍ استوت على عرش ديرها تحدق بها من ناحيةٍ حدائق نضيرة تبتسم عن زهور متأرّجة وتضحك بمختلف الوانها الشهيّة فتنعش زوّارها وعبيدها بروائحها العبقريّة . وتطوّقها من ناحيةٍ ثانيةٍ خمائل لطيفة من أرزٍ وسروٍ وصنوبرٍ وشربينٍ ودلبٍ وصفصافٍ تفعم النفس روعةً وجلالاً وتشاهَدُ احياناً صنوف الطير جاثمةً فوق اغصانها تفتن العيون وتسحر القلوب بنغماتها الساحرة . ويترقرق النسيم البليل بين اوراقها . ويلامس الوجود وينعش الصدور ويكسح منها الهموم والغموم . وينشئ في القلوب عواطف نقيّة للخلّاق القدير الكريم ولربّة هذا المقام الشريف . فلا يتمالك المرء ان يهتف بكلّ جوارحه قائلاً : ما أبدع هذه المناظر ! ما أزكى هذه الروائح ! ما اشهى هذه النغمات ! « هذه هي راحتي الى الابد . ههنا أسكن لاني أحببتها » (مز ١٣١ : ١٤) .

ههنا في اكليريكيّة الشرفة عُقدت مجامع مليّة . وأُقيمت حفلات بيعية بسيامة بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان ازدانوا بالتقى والنقى والاعمال الصالحة . ههنا في معهد سيدة النجاة تفتحت العقول وصُقلت الأذهان وتثقفت الطبائع وارتوت القلوب بمياه التعاليم الخلاصية . من هذه العلية المباركة خرج جمّ غفير من الكهنة مفعمين غيرةً وهمّةً وانطلقوا متدفقين الى مختلف المدن والقرى ليضرموا في القلوب جذوات محبّة الله عزّ وجلّ ومحبة الصليب الكريم ومحبة العذراء ومحبة الكنيسة المقدّسة وأسرارها الخلاصية .

أجل انكِ يا ايتها الشرفة جميلةٌ بملكتكِ العذراء المجيدة ! جميلة بذكرياتك الشهية جميلة ببطاركتك المغبوطين واساقفتك الافاضل وكهنتك وشمامستك المحبوبين ! وكلّما خطرتِ ببالي طارت بي مخيلتي من الملأ الادنى الى الملا الاعلى وتغلغلت في السحب تغلغل الطائر في الغمام . وبلغت بي الى مقرّ الملائكة العلويّين فلاحظتُ بعين الايمان سموّ ملكة السماء واصغيت اليها تقول: « ارتفعتُ كالارز في لبنان وكالسرو في جبال حرمون . كالنخل في السواحل وكغرس الورد في اريحا . كالزيتون النضير في السهل وكالدلب على مجاري المياه » (سيراخ ١٤ : ١٧ — ٢٠) .

قف ايها القارىء النجيب عند ابتسام الصبح في يومٍ من ايام الربيع فوق سطح الشرفة تُلفِ حواليك مشاهد خلّابة جذابة ترتاح اليها القلوب والابصار . وتشاهدْ جبالاً شامخة وتلالاً مخضوضرة وهضاباً مكلّلة بغلائل شهيّة وارياف مدبّجة بزهور بهية قلّما تشاهد نظيرها في انحاء المعمورة جمعاء . فيخيّل اليك ان السماء والارض والبحر معاً قد خلعت على هذا المكان من المحاسن أروعها ومن الزخارف أجملها وأبدعها . تشاهد ازاءك قرى عامرة ومزارع خصيبة ورياضاً لطيفة . تشاهد كنائس واديارا جميلة ومدارس شهيرة . وتسمع في الاسحار خصوصاً دويّ نواقيسها يرتفع في الاجواء يدعو المؤمنين ليشاطروا الملائكة العلويين تسابيح الله المجيد وتقاديسه الثلاثية

قائلين : « قدوس الله قدوس القويّ قدّوس الذي لا يموت ارحمنا » ٠

هناك تشاهد وادي درعون مكتظًّا بالزروع والحقول والكروم وقناة مياهه الصافية تسيل الى مقام سيدة بكركي صرح الكرسي البطريركي الماروني الفخم ٠ وتلمح تجاهك تمثال سيدة لبنان تشرف من ربوتها البهيجة على البحر الفونيقي تستمطر على اللبنانيين غيوث البركات السماويّة ٠ وترى بجوارها مصيف القصادة او السفارة الرسولية ودير الرهبنة الفرنسية ودير الرسالة البوليسية ودير مار يوحنا حراش غاطساً بين غابة من الصنوبر كثيفة ومدرسة عينطورا الزاهرة بمثابة تاج لامع في الجوّ ودير سيّدة طاميش رابضاً في مستوى فسيح واديار الزوق وغيرها من الاديار والمعاهد الجميلة ٠

واذا تياسرت ألفيتَ دير مار شليطا القديم العهد لاطئاً بين دوحات من السنديان ضخمة ٠ وشاهدتَ دير سيدة بزمار جاثماً كاللبؤة في عرينها٠ ثم يمتد باك البصر حتى جبل صنين فترى الثلوج تكلّل قمته ٠ وتشاهد قرى عجلتون وريفون وقرى المتن حتى بكفيا وبحرصاف وهلم جرّا ٠

وكثيراً ما ترى الضباب رابضاً فوق سطح البحر كأنه قطع من الثلج او اسفنج يمتص المياه ثم يعلو رويداً رويداً وينتشر فوق القرى فيرطّب الزروع والرياض وسائر الحقول والبقاع ٠

واذا وقفتَ في ذاك السطح الجميل عشيَّة يوم من الايام وأطلتَ النظر الى سواحل البحر من نهر ابرهيم حتى ثغر بيروت ملكت البهجة جوانحك فلمحت قوارب غادية رائحة ذات اليمين وذات الشمال ورأيتَ سفناً ألقى اصحابها الشباك للقنص تطفو بهم تارة وطوراً ترسب ومراكب ضخمة تمخر البحر متجهة الى الجزائر والى السواحل القاصية . ثم تلمح الشمس تنحدر الى مخبأها وتبسط اسلاكها القرمزية فوق الجبال والهضاب ٠ وتتكسر أشعتها بين امواج البحر المتلاطمة وتصبغها بالوانٍ صفراء تتحوّل احياناً الى اشكال وردية حمراء او زرقاء . وتلمحها عند دنوّها من المغيب كشاب في ميعة شبابه او كعروس رافلة بحلل زاهية مختلفة الاشكال

او كشيخ معمم بعمامة بيضاء · ولا تكاد تزلق في الافق حتى تبدو الك النجوم في صحراء الرقيع ثابتة او متحركة او سيارة ·

عند ذلك ينبثق القمر ويستوي على هودج من بلّور وتصطفّ الكواكب مائجة حوله كجيوش مجيشة فيصبّ على هامات الشجر تيجان انواره الفضيَّة · وينثر اضواءه فوق الغابات وعلى اكتاف الروابي والقرى فتتراءى الك كرياضٍ رُصفت أرضها بدرر بديعة الالوان · ويصبّ أشعته على امواج البحر فتعوم تارة فوق سطحه وتغوص طوراً في قعره · فلا تتمالك حين ذاك ان تدعو الخلائق برمتها ناطقة وغير ناطقة لتندفع مترنمة بعجائب الله القدير هاتفة بمعجزاته الفائقة اطوار العقول · مرتلة مع داود النبي والملك العظيم : سبحي الربّ ايتها الشمس والقمر · سبحيه يا جميع كواكب النور · سبحيه ايتها الجبال وكل التلال · سبحيه ايتها الاشجار المثمرة وكل الارز · سبحوه يا ملوك الارض وجميع الشعوب والرؤساء والقضاة· سبحوه يا ايها الاحداث والعذارى والشيوخ مع الصبيان · وكل نسمة فلتسبح للرب · هللويه هللويه هللويه ·

الفصل الاول

مجمع الاساقفة لانتخاب بطريرك جديد

هذا سادس مجمع عقده الاساقفة الاجلاء في دير سيدة النجاة لانتخاب بطريرك للكرسيّ الانطاكيّ · وكان اوّل تلك المجامع كما ذكرنا عام ١٨٠٢ لانتخاب مار اغناطيوس ميخائيل ضاهر · وثانيها عام ١٨١٤ لانتخاب مار اغناطيوس سمعان زورا · وثالثها عام ١٨٢٠ لانتخاب مار اغناطيوس بطرس جروة · ورابعها عام ١٨٥٣ لانتخاب مار اغناطيوس انطون سمحيري وخامسها عام ١٨٧٤ لانتخاب مار اغناطيوس جرجس شلحت · وسادسها

هذا المجمع الذي عقده سبعة اساقفة وهم السادة : ديونيسيوس جبرائيل تبوني مطران حلب المدبّر الرسوليّ . واثناسيوس اغناطيوس نوري . واقليميس ميخائيل بخاش . واثناسيوس جرجس دلّال وثئوفيلس يوسف ربّاني . وكتبوا الى السيد غريغوريوس بطرس هبرا مطران دمشق فكتب اليهم يستعذر لانحراف صحته ويصرّح بموافقته على مَن يقع عليه انتخابهم .

بعد هذا ترأس المجمع السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري أقدم الاساقفة عهداً . واعتكفوا منذ ١٥ حزيران على رياضة ألقى مواعظها الاب انطون صالحاني اليسوعيّ . وصباح ١٨ حزيران اقاموا جنّازاً لراحة نفس البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني المثلّث الرحمات . وفي ٢٣ حزيران عيّنوا الخوري جرجس ستيتة كاتباً للمجمع وكاتب هذه الحروف مسجلاً . وصباح ٢٤ حزيران قرّب رئيس المجمع الذبيحة السرّية وعند نهايتها خرج جميع الكهنة والشمامسة والمؤمنين ولم يبق ضمن الكنيسة سوى الاساقفة والكاتب والمسجل . ووُضع كتاب الانجيل في باب المذبح . وجلس رئيس المجمع وجلس الى جانبيه الشاهدان : السيد يوليوس بهنام قليان والسيد ثئوفيلس

يوسف رباني . وجلس تجاههم الكاتب والمسجل .

بعد ذلك جثا الاساقفة واستغاثوا بالروح القدس ثم لزم كلٌّ منهم كرسيه . وطفق رئيس المجمع يتوسل الى الاساقفة ليصطفوا راعياً كفؤاً بالمنصب البطريركيّ السامي . فاتفقوا جميعاً وانتخبوا بالصوت الحيّ مطران حلب بطريركاً انطاكيًّا . وما كادت تعلن اصواتهم حتى نهض رئيس المجمع ودموع الفرح تتحدّر على وجنتيه وقال : « ايها الآباء المحترمون . بما انكم رأيتم ان تنتخبوا بالصوت الحيّ سيدنا المطران ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب ليكون بطريركاً لطائفتنا السريانيّة وأباً لنا : لذلك أُعلن باسم السنودس المجمع مصرّحاً بان السيد جبرائيل تبوني السامي الاحترام هو المنتخَب أباً وبطريركاً علينا وعلى طائفتنا السريانيّة قاطبةً » .

ثم توجه رئيس المجمع عينه وتوجه معه الاسقفان الشاهدان والكاتب والمسجل وجثوا امام المنتخب فقال له رئيس المجمع بصوت جهوريّ باللغة السريانية « ܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܩܪܐ ܠܟ ܕܬܗܘܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܠܟܘܪܣܝܐ ܫܠܝܚܝܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܠܟܠܗ ܐܘܡܬܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܡܫܝܚܝܐ ܐܘܟܝܬ ܐܒܐ ܠܟܠܟܘܢ » .

فخرّ المنتخب جاثياً وصلى هنيهة ثم قال : « اني اخضع صاغراً لارادة الله تعالى المتجلية في اتفاقكم معاً ايها الاخوة الاحباء . وعلى رغم ضعفي فاني اتوكّل على نعمة الله مقوية الضعفاء واثقاً بموآزرتكم ايها السادة الاجلاء مصرّحاً بالرضا والقبول معلناً باني « اقبل واسلِّم » . فشكر الاساقفة ونهضوا مستبشرين ووشحوا المنتخب بالمصنفة والغفارة والبطرشيل الحبريّ وصليب الصدر والتاج وتوجهوا به الى العرش فجلس وتقدّم كل من الاساقفة ولثموا يمينه . ثم كتب المسجل تقرير الانتخاب بتاريخه وسائر مشتملاته في صكّ أمضاه كل من الاساقفة بدوره ووقعه بختمه .

وبعد هذا فُتحت الابواب وقُرعت النواقيس وارتفعت اصوات التهانيء ودخل الاقليرس والمؤمنون جميعًا الى الكنيسة وانحدر البطريرك الجديد من عرشه وانتصب امـام المذبح يحف به السادة وترنّم تلامذة الشرفة بنشيد «ܐܟܣܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܡܫܡܫܢܐ» ثم جثا الجميع ومنحهم البطريرك البركة الرسوليَّة وتقدَّموا واثموا يمينه . ثم خرجوا من الكنيسة تتقدمهم راية الصليب وهم يترنمون بترنيمة التهانيء وعند بلوغهم الى القاعة انتصب كاتب هذه الحروف وأنشد قصيدته التي افتتحها بهذا البيت :

ناديت في لوعتي[1] لهفاه يا سَلَفُ   والآن جئت انادي حبذا الخلف

ثم أَلقى الاب جبرائيل نجاش الجليل خطاباً جميلًا مهنئاً السيد البطريرك الجديد الجزيل الطوبى وتلا التلامذة بعده خطباً في السريانية والفرنسيَّة والعربيَّة · ورفعت البشرى على جناح البرق الى قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر والى الابرشيات السريانيّة · واخذ الاحبار والاعيان يتقاطرون من مختلف البلاد الى دير الشرفة لتقديم التهانيء للبطريرك الجديد يدعون الى المولى تعالى في اطالة عهده وتوفيقه ·

اما الاحتفال بتسليم العكاز البطريركيّ الى الحبر الانطاكيّ الجديد فقد تمّ بجالي الابهة في كاتدرائية مار جرجس السريانية ببيروت صباح الاحد ٣٠ حزيران كما وصفنا ذلك في كتابنا « البطريرك الجديد (صفحة ١٥—٣٥)

---

(١) اشارة الى مؤلفنا « لوعة القاصي والداني على السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني » راجع كتابنا « البطريرك الجديد » صفحة ٣

الفصل الثاني

مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي ودير الشرفة

تدعوني فروض البر البنوي لاجاهر اصالة عني ونيابة عن اخوتي تلامذة دير سيدة النجاة بعواطف الامتنان لرئيسه

الاعلى مار اغناطيوس جبرائيل تبّوني كردينال المشرق والبطريرك الانطاكيّ المثلّث الطوبى الذي آل على نفسه ان يعيد الى هذا الدير المقدّس فتوّته وشبابه ملمعاً بما اصطنعه عنده من الاعمال المبرورة وما انشأه فيه من المشاريع الكهنوتيَّة وما أسّسه من الأبنية الجميلة مذ عُقدت لغبطته الرئاسة العامّة على الطائفة السريانيَّة جمعاء . واقتصر على التصريح بانه حرسه الله تعالى لم يكتف لديره هذا بالضروريّ بل اعتزم ان يجود عليه بالكمالي.

١ – ادماج اكليريكيّة القدس في اكليريكيّة الشرفة

هذا هو اوّل مشروع خطير قام به السيّد البطريرك المغبوط بجعله اكليريكيَّة سيّدة النجاة واكليريكيَّة مار مبارك ومار افرام اكليريكية واحدة يدير شؤونها العلمية والثقافية الرهبان البندكتيّون . فقد استدعى الاباتي انسلمس شيباس لاسال الفاضل رئيس الرهبان البندكتيين من القدس وعرض عليه رأيه وهذا بدوره كتب الى رئيس الرهبنة العام يشاوره في الأمر فاقبل الى دير الشرفة واجتمع غير مرّة بالسيّد البطريرك وعقدا الاتفاق معاً على ان تتولى اكليريكية القدس تثقيف التلامذة في الدروس الابتدائية واكليريكية الشرفة تثقيفهم في الدروس الكهنوتية العالية

ومما قرّره صاحب الغبطة والرئيس العامّ اوّلاً – ان يُنتخَب

لكلتا الاكليريكيتين اساتذة محنكون من الرهبنة البندكتية ومن الاقليرس السرياني يتولى هؤلاء تثقيف التلامذة المبتدئين في السريانية والعربية في اكليريكية القدس وينهض اولئك بتدريس الشمامسة العلوم العالية في اكليريكية الشرفة. ثانياً - ان ينصب السيد البطريرك رئيساً عاماً على اكليريكية الشرفة يناط به ادارتها وادارة ارزاقها وعقاراتها. ثالثاً - ان يرفع مدير الاكليريكيتين اعني الآباتي انسلمس الى المقام البطريركي حولاً فحولاً لائحة يشرح فيها احوال كلٍّ من التلامذة والشمامسة من حيث التقوى والعلم وسير الاكليريكيتين عموماً. رابعاً - ان يرفع كذلك رئيس الشرفة سنةً فسنةً الى المقام البطريركي لائحةً عن سير الاكليريكية من حيث الشؤون الروحية والعلمية والاقتصادية.

٢ - الرياضة السنوية

حتم السيد البطريرك ان تقام في دير الشرفة رياضة كهنوتية عمومية حولاً فحولاً في اواخر ايلول يعتكف في اثنائها رهط من الاساقفة وكهنة الابرشيات المجاورة مع اكليرس الشرفة قاطبةً كيما يجددوا العزائم وينشطوا الى استئناف اعمالهم في سبيل خلاص نفوسهم والنفوس المستودعة اليهم. ذلك ولعمري مشروع تقوي سام. يدعو الاكليرس السرياني الموقر ليبدوا

عواطف معرفة الجميل لراعي رعاتهم الاثيل شاكرين له فكرته المقدّسة واهتمامه بخلاص نفوسهم ونفوس رعاياهم داعين له باستمرار اليمن والتوفيق وطول الاعمار ٠

٣ – سائر مشاريع السيّد البطريرك في دير الشرفة

قرَّر صاحب الغبطة كذلك ان يتصرَّف دير الشرفة كأمس وما قبل في ريع حوانيت بيروت التي جددها سالفه المثلَّث الرحمة وأنفق في بنيانها ما جُمع من مبَيع اوقاف الدير التي كانت في حلب منذ عهد بعيد ٠

وفي السنة ١٩٣٦ جدد صاحب النيافة الكردينال البطريرك المغبوط ردهة الاستقبال وشاد في دور الدير الثاني غرفاً لسكناه مكان الغرف القديمة التي كان يشغلها سالفه مؤسّس الدير المذكور في الخير ٠

ولم يقتصر حرسه الله تعالى على هذا البنيان الجميل فقط بل نهض عام ١٩٤٥ بتجديد مصلّى سيدة النجاة التاريخيّ القديم حيث كانت تمارس الحفلات الدينية والسيامات الكهنوتية والحبرية كما فصَّلنا ذلك في القسم الثاني من كتابنا هـذا ٠ فاستحضر من اهدن احدى قرى لبنان الشهيرة العامرة حجاراً صلبةً سماقيّة وسوداء برّاقة ومصدّفة وابتنى بها ثلاثة مذابح ظريفة لطيفة ورصف ارض المصلّى بحجارة مثلها ٠ وفي ٥ ايلول

١٩٤٣ دشّن البطريرك المغبوط هذا المصلّى الجميل بحضور السيد ايونيس جرجس ستيتة والسيد ديونيسيوس حبيب نعساني. واحتفل الاحبار الثلاثة كل منهم على مذبح خصوصي بالذبيحة الالهية . وقد اصبح هذا المصلّى مدعاة الى خشوعٍ لذيذٍ وعبادة هادئة يخطر ببال الخلَف ذكريات السلف الصالح ويدفع الزائر الى استمطار غيوث الرحمات الالهية على نفوس الاحبار الفضلاء المضطجعين فيه .

٣ – ممثلو فرنسا ودير الشرفة

ولسنا نرى بدّاً من ذكر زيارة ممثل فرنسا الجنرال بينة والسيدة عقيلته لنيافة الكردينال البطريرك المغبوط في دير الشرفة يوم الاربعاء ٢٣ آب ١٩٤٤ وقد دعاهما نيافته الى تناول الطعام على مائدته ودعا معهما نيافة السيد رمي لوبراتر القاصد الرسولي . ولما كانوا جميعاً على المائدة اذا بالهتاف يستدعي الجنرال عاجلاً فبادر فوراً وسمعه يزف اليه البشرى بانتزاع باريس العاصمة من يد المغتصب وعودتها الى اصحابها الابطال الفرنسيين .

رجع الجنرال الى المائدة يرقص طرباً متهللاً وبشر الكردينال ولفيف الحضور فتغلغلت تلك البشرى اللذيذة في الافئدة تغلُّل أشهى النسائم في ازكى الزهور وهتفوا قاطبة بحياة فرنسا المجيدة وانتصارها . وترقرقت دموع البهجة على الخدود . ثم انحدروا الى كنيسة سيدة النجاة وادّوا فروض الحمد والشكر لله القدير على تلك المنة العظمى . اما عقيلة الجنرال فخرّت على الحضيض جاثية خاشعة تتصبّب على وجنتيها دموع الفرح وتتدفّق من اعماق قلبها عواطف الشكران للربّ المنّان لاجل تحرير وطنها العزيز . وقد اثبت الجنرال بينة تلك البشرى اللذيذة في سجل دير الشرفة الذهبي

تخليداً لذلك اليوم التاريخي معرباً عن اغتباطه واغتباط نيافة الكردينال ونيافة القاصد الرسولي بتلك الذكرى الشهية[1]

وفي ١٧ آب ١٩٤١ وافى فخامة الجنرال دي غول محرّر فرنسا يصحبه صديقه الجنرال كاترو الى دير الشرفة ليزور نيافة الكردينال البطريرك المغبوط . ولشد ما كان ابتهاج اهالي القرى المجاورة بقدومه الميمون فقد بادروا في قضهم وقضيضهم الى الترحيب به وقدّموا له طاقات الزهور الزكية الانيقة عربوناً لتعلقهم بفرنسا . وقد حمل فخامته تلك الطاقات الجميلة واتى بها الى الدير وزار كنيسة سيدة النجاة وقدّمها لها هدية بنويّة ملتمساً حمايتها لابنة الكنيسة البكر . ثم خرج من الكنيسة وقصد غرفة الكردينال فرحّب به وبالجنرال كاترو اجمل ترحيب وقضوا ساعة في التحدّث تُدار عليهم المرطبات والحلوى . ولما خرج الجنرال وكان فناء الدير غاصّاً بالاهالي ارتفعت اصوات الفرح وجعلوا يصفقون تصفيقاً حاداً مستمراً يهتفون بحياة فرنسا وديمومة عزّها الى ان توارى فخامته عن الابصار .

وقد شفع الجنرال عينه زيارته هذه بزيارة ثانية في ٢٤ آب ١٩٤٢ ومعه صديقه المخلص الجنرال كاترو فكان لهما من الترحيب والتجميل ما كانه في المرّة السابقة .

٥ – اجتماع نيافة الكردينال بالسادة الاساقفة

في ٣٠ تموز ١٩٤٤ عقد صاحب النيافة المبجل في دير الشرفة مجمعاً مؤلفاً من السادة : اثناسيوس اغناطيوس نوري وثاوفيلس يوسف ربّاني وابونيس جرجس ستيته وديونيسيوس حبيب نعساني وباسيليوس افرام حيقاري وانتخبوا الخورفسقفوس يوسف بخاش مطراناً للرها . وتمّ الاحتفال بسيامته في ١٢ تشرين الثاني من السنة المرقومة .

---

(١) راجع كتابنا « آثار فرنسا ومآثرها في لبنان وفي سوريا » ١٤٣

وبينما نحن ندوّن هذه الاسطر في دير الشرفة في ١٠ آب ١٩٤٧ اذا باحبار الطائفة الاجلاء يلبّون طلب صاحب النيافة الكردينال البطريرك المغبوط ويوافون الى دير سيدة النجاة لاجل التداول في شؤون الملّة . وهذه اسماؤهم : اقليميس ميخائيل نجاش مطران مصر . وقورلّس جرجس دلال مطران الموصل . واثناسيوس بهنام قليان مطران بغداد . وثيوفيلس يوسف ربّاني مطران حمص وحماة . وايونيس جرجس ستيته مطران دمشق . ويعقوب يوحنا جي مطران الجزيرة . وديونيسيوس حبيب نعساني مطران حلب . وباسيليوس افرام حيقاري مطران بيروت . وربولا يوسف نجاش مطران الرها . وفّقهم المولى تعالى في مشاريعهم ومساعيهم .

ويسرّنا كثيراً جداً ان نيافة ابينا الكردينال البطريرك المغبوط يفرغ الجهود في يومنا لتأسيس مركز ثانٍ في شمالي دير الشرفة يخصّص بالتلامذة الاقليرسيين . وقد استحضر المهندس لاجل هذه الغاية الشريفة وطفق العملة يهيئون الاحجار وينحتونها . وسيضمّ صاحب النيافة الى ذلك تجديد بنيان الكنيسة لتكون طبقاً لهندسة الكنائس السريانية الابوية منذ الاجيال النصرانية الاولى .

على ان دير سيدة النجاة البطريركي اصبح في عهد نيافة الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل المغبوط مزاراً لرهطٍ من اقطاب الدين والدنيا واعيان الملة السريانية وجمعياتها الخيرية يتوافدون اليه زرافات من حلب والموصل وبغداد والبصرة والجزيرة العليا ودمشق وحمص وحماة والنبك والقدس الشريف والقطر المصري الخ . يستشفعون سيدة النجاة المغبوطة في حاجاتهم الروحية والزمنية ويتبرّكون بلثم يمين ابيهم الكردينال البطريرك المغبوط ويلاقون ما يلاقون من ايات التكريم والترحيب من رئيس الدير الجليل ومن وكلائه في حلهم وترحالهم . ثم يعودون الى اوطانهم يحملون له في قلوبهم اطيب الذكريات واشهاها .

الفصل الثالث

تأسيس اكليريكيّة الاباء البندكتيّين السريانية في القدس

لا بأس ان نلمع في هذا الفصل بتاريخ تاسيس اكليريكية مار مبارك ومار افرام في القدس الشريف. فنقول: في السنة ١٨٩٩ تشرّف البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس افرام رحماني المغبوط بمقابلة البابا لاون الثالث عشر الطيّب الآثار والتمس من قداسته ان يأذن لاباء الرهبنة البندكتية الفرنسيين ان يشيدوا في القدس اكليريكية ويلقنون فيها فتياناً سريانيين العلوم الكهنوتية.

الاباتي بنوا غريادور الفرنسيّ

لبى الاب الاقدس ملتمس البطريرك الانطاكيّ ثم توجّه البطريرك نفسه الى باريس وصرّح برغبة ابي المؤمنين العام لنيافة الكردينال وللسيد دلكاسة وزير الدولة الفرنسية ولرؤساء الرهبنة البندكتية فأعربوا قاطبةً عن ارتياحهم وموافقتهم على هذا المشروع الخطير المقدّس.

نشط الرهبان البندكتيون الافاضل الى تحقيق تلك الامنية الشريفة

واشتروا عام ١٩٠٠ ربوة في جبل الزيتون تُطل على وادي يهوشافاط وعلى عين شيلوحا وعلى المدينة المقدّسة • واقبل الاباتي بنوا (بندكتس) غريادور الجليل الى القدس في ٤ ايلول ١٩٠١ ووضع الحجر الاول لبنيان غرف من اللبن استقر فيها هو وستة من رهبانه • ثم كتب عام ١٩٠٣ الى السيد البطريرك في ارسال بعض الفتيان ليباشر تعليمهم كما تم القرار بينه وبينهم • فوجّه اليه في ٢٥ ايار السنة عينها ٤ فتيان ثم بلغ عددهم ٨ فتيان في آب واحتفل الخورفسقفوس موسى سركيس النائب البطريركي باوّل قدّاس في ذلك المصلّى الجديد . وثابر الاساتذة البندكتيون الافاضل على تثقيف بواكير تلامذتهم حتى السنة ١٩١٤ فاضطرّوا ان يغلقوا ابواب الاكليريكية بسبب الحرب العامة .

وكان مجموع التلامذة يومئذٍ ١٧ تلميذاً عاد الثمانية الصغار الى اهلهم واقبل السبعة الكبار الى اكليريكية الشرفة فرحبت بهم اجمل ترحيب ونهضت بتثقيفهم ومعيشتهم في تلك السنين العصيبة القاحلة وارتقى منهم اربعة الى الرتبة الكهنوتية وهم : القس يوسف بجّودة والقس بطرس شهلا والقس افرام فرنساوي والقس بولس مراد . امّا التلامذة افرام دروّج وجبرائيل كليجا وافرام جرجور فبعدما قضوا اعوام الحرب في دير الشرفة وجّههم الرئيس الى رومية ليكملوا علومهم في اكليريكية بروبغندا وقد ذكرنا تفاصيل اخبار هؤلاء واولئك في ما مضى .

بقي ان نذكر الشماسين اللذين مكثا في القدس الشريف بعد اغلاق الاكليريكيَّة وهما : الشماس حنا مستكاوي والشماس زكريا ملكي .

فالشماس حنا مستكاوي ينتمي الى اسرة مستكاوي الحلبيَّة القديمة العهد . اشتهر جدّها حنا مستكاوي بمناصرته للسيد اغناطيوس ميخائيل جروة مؤسس دير الشرفة . لما انضمّ الى الحظيرة البطرسية • وشاركه في ذلك يعقوب بن جرجس مستكاوي وظلّت هذه الاسرة الشريفة ثابتة في عهودها المقدّسة حتى اليوم . وقد انضمّ الشماس حنا في ٢٠ شباط ١٩٠٤

الى اكليركية القدس الشريف وهو خامس تلامذتها وباكورة الذين ثبتوا في الدعوة المقدّسة • قضى ١٥ حولًا راسخاً في مقاصده الصالحة حتى استدعاه السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني الجليل الى حلب ورقاه في ١٢ تشرين الاوّل ١٩١٩ الى الرتبة الكهنوتيّة المقدّسة • وعاد بعد ذلك الى القدس

الاب يوحنا مستكاوي

الشريف يثابر على تعليم التلامذة السريان في الاكليريكيّة البندكتيّة حتى تموز ١٩٢٦ ففوّض اليه السيد البطريرك النيابة البطريركيّة في اورشليم وقد نهض بتلك النيابة نهوضاً شريفاً حتى تموز ١٩٣٢ فاستدعاه السيد ديونيسيوس حبيب نعساني مطربوليت حلب الجليل وولّاه خدمة النفوس وما برح مواظباً على خدمته المقدّسة حتى يومنا •

اما الشماس زكريا ملكي فقد مكث مدة الحرب الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) في اورشليم لدى نسيبه الخورفسقفوس يعقوب ملكي النائب البطريركيّ • ثم عاد الى الاكليريكيّة البندكتيّة ريثما انهى دروسه وارتقى الى الرتبة الكهنوتيّة في نيسان ١٩٢٥ وستأتيك اخباره قريباً عند تكلمنا عن رئاسته على دير الشرفة •

الفصل الرابع

رئاسة الخورفسقفوس جرجس ستيتة (١٩٢٩ — ١٩٣٣)

سبقنا فكتبنا كلمة وجيزة عن هذا الرئيس الجليل وذكرنا موجز اعماله وتصانيفه . وقد اصطفاه مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي المغبوط رئيساً على دير الشرفة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٩ خلفاً للسيد اثناسيوس بهنام قليان مطروبوليت بغداد . وقد أحدث الرئيس الجليل في الدير أبنية جديدة. وفي ايام رئاسته انقضت صاعقة هائلة في ١٣ كانون الثاني ١٩٣١ على قبة الناقوس فحطمتها وسقط الناقوس الصغير على الارض وشمل الرعب جميع القلوب . واضطر الرئيس ان يرمم القبة وينشىء الشرائط الواقية غوائل الصاعقة .

وفي ١٤ آب اقام الرئيس « ثلاثيّة » تكريماً لذكرى مرور ١٥ قرناً على عقد المجمع الافسوسيّ الذي قرّر ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً وان العذراء مريم والدة الله . واشترك في هذه الثلاثيّة المرسلون اللبنانيون والروم الملكيون . في اليوم الاول احتفل المرسلون اللبنانيون بقدّاس رسميّ طبقاً للطقس المارونيّ . وفي اليوم الثاني احتفل السيد البطريرك بقداس حبري وفي اليوم الثالث قرّب السيد يوسف كلّاس القدّاس الالهيّ طبقاً للطقس البوزنطي .

وفي ١ ايّار ١٩٣٢ زار البطريرك انطون بطرس عريضة الجزيل الطوبى اكليريكيّة الشرفة في ستة من اساقفة كرسيه الانطاكي فرحّب به السيد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط وقضى البطريركان الانطاكيّان ردحاً من الزمان يتفاوضان في شؤون الجبل اللبنانيّ وانتهزنا تلك الفرصة فأنشدنا للبطريرك انطون الجزيل الطوبى محبّ اللغة السريانيّة ابياتاً ترحيبيّة هذا مطلعها :

غبطة البطريرك انطون بطرس عريضه

ܒܫܢ̈ܝ ܡܪܥܝܬܗ ܦܛܪܝ ܠܐܢܛܘܢܝܘܣ ܕܪܝܫ ܥܪܝܕܐ

ܐܒܘܢ ܐܝܬܘܗܝ ܚܕܘܬܐ ܘܡܘܬܪܐ ܕܟܠ ܟܢ̈ܫܐ ܀

ܡܫܡܫ ܒܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܟܠܐ ܕܫܪܪܐ ܘܚܣܝܢܐ

ܘܐܪܙܐ ܡܦܪܢܣܘܬܗ ܒܥܡ̈ܐ ܕܡܫܝܚ ܘܒܥܕܬܐ ܀

ܚܠܘܗܝ ܐܬܩܛܒܘ ܚܝܠܐ ܘܩܝܡܬܐ ܠܥܕܬܐ

ܘܗܘ ܗܘ ܐܬܐܡܪ ܢܦܠ ܕܟܠܗܘܢ ܠܒܢ̈ܝܐ ܀

ܥܠ ܢܦܫ ܘܦܠܐ ܚܕܐܐ ܕܐܬܐܡܪ ܩܕܡܝܐ

ܥܕ ܟܢܘܫܬܐ ܦܠܚܘ ܒܣܘܢܗܕܘܣ ܡܪܕܝܬܐ ...

وفي ١٣ تشرين الثاني من السنة ١٩٣٢ باشر الرئيس عمارة الغرف الجديدة لسكنى السيد البطريرك المغبوط مع ردهة الاستقبال ومدخل الدير وقد كلّفت ٨٠٠ ليرة ذهبيّة . وانتهت في ١٥ تموز ١٩٣٣ وقد جاد السيد البطريرك عليها بمبلغ ٣٠ الف فرنك .

وثابر الخورفسقفوس جرجس ستيتة على النهوض برئاسة الشرفة مدة اربعة اعوام حتى اجمع البطريرك المغبوط واساقفة الكرسي الانطاكي على انتخابه خلفاً للسيد غريغوريوس بطرس هبرا المثلث الرحمة في الكرسي الدمشقي .

وصباح ١ تشرين الاول ١٩٣٣ احتفل السيد البطريرك في كنيسة سيدة النجاة بالسيامة المقدسة احتفالاً شائقاً يوآزره رهط من الاساقفة ورقاه الى الكرسي الدمشقي وسماه « ايونيس جرجس » ورقى معه كذلك الخورفسقفوس يوحنا حبي الى كرسي الجزيرة وسماه « يعقوب يوحنا » وحضر الاحتفال جمهور صالح من كهنة دمشق واعيانها واعيان الجزيرة مبتهجين مسرورين شاكرين للبطريرك الانطاكي المغبوط اهتمامه بشؤون الابرشيتين العزيزتين .

وما مر القليل حتى غادر السيد ايونيس جرجس دير الشرفة الى ابرشيته واستقبله ابناؤه استقبالاً جميلاً عاقدين الامال بنجاح مساعيه روحياً

وزمنياً . وافتتح الحبر الجديد اعماله برسالة رعائية لطيفة عنوانها « السير في سبيل الواجب » تنبىء عن روحه النقيّ وعمّا تجمّل به من الصفات الكهنوتيّة المأثورة التي أهلته لتلك الرتبة السامية .

وفي ربيع السنة ١٩٣٤ ارتحل المطران جرجس الى عاصمة الكثلكة وتشرّف بلثم يمين الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر ملتمساً ان يوآزره ببركته الرسولية لينهض برعاية الابرشية الدمشقيّة نهوضاً ابوياً . وبعد ذلك توجّه الى عاصمة فرنسا ثم عاد الى ابرشيته يرعاها في مروج الصلاح وفي قلبه الامال الكبار والاماني الحسان لاجل رقيها الروحي والزمني .

الفصل الخامس

قدوم اول فوج من القدس الى دير الشرفة وسيامة خمسة منهم قسوساً

في ٢٣ ايلول ١٩٣٠ وصل من القدس الشريف الى دير سيدة النجاة الاباتي انسلمس رئيس دير البندكتيين ووصل كذلك اربعة اساتذة من الرهبان البندكتيين و٢٠ تلميذاً اكليريكاً . وكان صاحب الغبطة والسيد اثناسيوس اغناطيوس نوري والسيد ثوفيلوس يوسف جرجي والاباتي بنوا غريادور البندكتي ورئيس الدير الخوري جرجس ستيته ولفيف الكهنة والتلامذة في انتظارهم . فقبّلوا يمين صاحب الغبطة وقصدوا الكنيسة متهلّلين يترنمون بنشيد الشكر لله عزّ وجلّ ولسيدة النجاة المغبوطة .

وصباح اوّل تشرين الاوّل افتُتحت المدارس وتولّى كلٌّ من الاساتذة صفه . وسارت الامور خير مسير حتى صيف السنة ١٩٣٢ فاستكمل خمسة من الشمامسة العلوم الكهنوتية العالية وقرّر صاحب الغبطة ان يحتفل بسيامتهم صباح عيد مار بطرس ومار بولس واليك اسماءهم :

١ – القس يوسف مسعود (١٩٣٢ –)

وُلد هذا القسيس الورع عام ١٩٠٨ في يافا ودخل عام ١٩١٩ اكليريكيَّة الاباء البندكتيين بجبل الزيتون . وظلَّ يواصل الدرس ١١ سنة ثم قدم في ١٣ ايلول ١٩٣٠ مع رفاقه الى دير سيدة النجاة كما ذكرنا واكبَّ على متابعة دروسه حتى انضمَّ الى السلك الكهنوتيّ في ٢٩ حزيران ١٩٣٢ بوضع يد السيد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط . ثم عاد القسّ يوسف الى القدس وتولّى التعليم في الاكليريكيَّة البندكتيَّة وفي السنة ١٩٤١ أُنيطت به رعيّة بيت لحم ثم انتقل عام ١٩٤٥ الى القاهرة يثابر على خدمة الانفس ويلقي الدروس على الطلبة في المدرسة الطائفيَّة حائزاً رضى راعيه السيد اقليميس ميخائيل نجاش الجليل .

٢ – القس جرجس هزّاز الحلبيّ (١٩٣٢ –)

وُلد في حلب في ٨ حزيران ١٩٠٤ وانضمَّ عام ١٩٢٠ الى تلامذة اكليريكيَّة الآباء البندكتيين وارتقى مع الاب يوسف مسعود المذكور آنفاً

الى الرتبة الكهنوتيَّة ٠ ثم عاد الى وطنه وتولى خدمة رعية مار افرام في (البراكات) حتى سافر عام ١٩٣٧ الى اميركا ٠

٣ - القس بولس صبّاغ (١٩٣٢ -)

ينتمي هذا القسيس الوقور الى اسرة صباغ السريانيَّة الحلبيَة التي اشتهر بعض افرادها بمناقب نادرة وغيرة متوقدة على تعزيز الايمان الكاثوليكي ٠ وانطلق عام ١٩٢٠ الى اكليريكيَّة القدس وهو في السن الثانية عشرة ٠ ثم فارقها وقدم مع رفيقيه المشار اليهما الى الشرفة وسيم معهما قسيساً ٠ وبعد هـذا عاد الى وطنه ونهض بخدمة راعيه الجليل السيد ديونيسيوس

حبيب نعساني حتى السنة ١٩٣٨ ثم تولّى خدمة رعية مار افرام . وفي السنة ١٩٤٤ توجّـه الى جرابلس التابعة لابرشيّة حلب وما برح ناهضاً بخدمة النفوس هناك بما عُرف به من التفاني والاجتهاد .

٤ – القسّ اندراوس عامون (١٩٣٢ –)

أسرة عامون ماردينيّة الاصل ارتحلت الى القاهرة واستوطنتها . وفي السنة ١٩٢٠ شخص جرجس عامون الى القدس الشريف وهو في الثالثة عشرة من سنيه واندمج في سلك تلامذة الاكليريكيّة البندكتيّة معتكفاً على اقتباس المزايا والعلوم الكهنوتية . ثم أقبل مع رفاقه الى دير الشرفة وارتقى الى الرتبة المقدسة وسُمّي القس اندراوس وخدم النفوس اولاً في قطنة اللاذقة بابرشية دمشق ثم انتقل عام ١٩٣٦ الى الاسكندريّة ومنها توجّه عام ١٩٣٨ الى القاهرة . وللاب اندراوس كلَف بفن الخطابة يلقي المواعظ الدينية والمحاضرات العلمية في كلتا اللغتين الفرنسية والعربية .

٥ - القس بطرس هبرا (١٩٣٢ -)

وُلد في القاهرة ٢٩ كانون الاول ١٨٩٩ وهو خامس انجال حبيب هبرا شقيق المطران غريغوريوس بطرس هبرا رئيس دير الشرفة . تلقى العلوم اولاً في مدرسة المرسلين اليسوعيين واحرز شهادة حسنةً في كلتا البكالوريتين المصرية والفرنسية وادمن الشغل في وزارة الزراعة سبعة اعوام (١٩١٨ - ١٩٢٥) ودرس الحقوق المدنيَّة وحصل شهادة طيِّبة برهنت على ذكائه وتفوّقه .

وفي السنة ١٩٢٦ يمم دير الشرفة لا يحفل بِمَن ترك وما ترك لا يهمه الّا باوغ غايته المقدّسة في الارتقاء يوماً الى المذبح الغفَّار والاشتغال بخلاص النفوس . وفي القابل قصد اكليريكية القدس ثم عاد تكراراً الى الشرفة مع الشمامسة المذكورين آنفاً . ولما استكمل علومه ارتقى معهم الى الرتبة الكهنوتية وعاد الى القاهرة يثابر على خدمة النفوس ويلقي مبادىء التعليم المسيحي على الاحداث . واقام سنة ١٩٣٥ في الاسكندريّة وعاد في القابل الى القاهرة يخدم الجمعيَات الخيرية اسوة بشقيقه عفيف المذكور في الخير ويتولّى كذلك ادارة المدرسة السريانية التي شادها المرحوم ميشيل يغمور الطيب الأثر على نفقته بجوار كنيسة سيدة الوردية .

الفصل السادس

رئاسة الخورفسقفوس زكريا ملكي (١٩٣٣ —   )

قضى هذا الرئيس الوقور في اكليريكية الاباء البندكتيين زهرة عمره وحصَّل ما حصَّل من المناقب الشريفة والعلوم اللغوية والعالية ما اهله ان ينضمّ الى الطغمة الكهنوتية . ونبغ في الاناشيد السريانية فساعد الاباتي انسلمس الجليل مدّة اربعة اعوام في ضبطها ونشرها بالنوطة الفرنجية عام ١٩٢٨ واضاف الاب زكريا الى ذلك زهاء ٦٠ انشودة من الاناشيد السريانية الرخيمة المؤثّرة ضبطها بالنوطة ولكنه لم ينشرها بالطبع بعدُ .

وكان ميلاد الاب زكريا عام ١٩٠٠ في قلعة المرأة المجاورة لماردين وشخص عام ١٩١١ الى اكليريكية القدس الشريف واندفع الى الدرس والتدريس فيها حتى السنة ١٩٢٥ فتوجّه السيد اغناطيوس افرام رحماني المغبوط الى اورشليم وتوجهنا نحن في خدمته . وصباح ٣ ايار السنة المرقومة

احتفل البطريرك الانطاكي احتفالاً رهجاً مهيباً في كنيسة نوتردام دفرنس بالذبيحة السرية ورقى في اثنائها الشماس زكريا الى الرتبة المقدسة . ثم وشّح الاب يوسف ربّاني النائب البطريركي بصنفة الخورنية . واستغرقت تلك الحفلة البهية النادرة المثال ثلاث ساعات كاملة . وخرج البطريرك المغبوط يثني اجمل الاثنية على ما شاهده من النظام وعلى ما سمعه من رخيم الانغام .

واستأنف الاب زكريا القاء الدروس على التلامذة كأمس وما قبل . وفي صيف السنة ١٩٢٨ استدعاه البطريرك الانطاكي واستصحبه الى بلاد اوربا فزار معه الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر في ٦ ايلول وتبرّك بلثم يمينه . وجال في بعض بلاد فرنسا وايطاليا واسبانيا . ثم عاد في تشرين الى القدس يواصل عمله . واتفق ان بعض العيال السريانية جاهرت بالايمان الكاثوليكي المقدّس وتولى الاب زكريا خدمة نفوسهم وجعل يقرّب الذبيحة الالهية في المصلى الجميل الملاصق لكنيسة نوتردام دفرنس . وكان اولئك السريان يتوافدون الى سماع قداسه ويبتهجون كل الابتهاج بمواعظه الابوية وبانغامه السريانيّة الرخيمة . وتعوّد الاب زكريا الاختلاف الى بيوتهم بيتاً بيتاً يحثهم على الثبات في عهودهم ووعودهم .

وفي ٥ تشرين الاول ١٩٣٣ استدعاه السيد البطريرك المغبوط وولّاه على دير سيدة النجاة فنشط كل النشاط في تحقيق اماني صاحب الغبطة . وما عدا اهتمامه بالشمامسة والتلامذة وملاحظته ارزاق الدير وعقاراته فقد انصرف الى تجميل ضواحيه فطفق منذ ٥ نيسان ١٩٣٤ يغرس حواليه صفوف اشجار الأرز والحور والزيتون والصنوبر والشربين واستأنف العمل كذلك في ١٥ ايار ١٩٣٥ فزرع ٣٠٠ نصبة او غرسة من الارز والصنوبر والشربين والاكاسيا وما شاكل ذلك .

وفي ١٧ شباط السُنة المذكورة استقرّت له الرئاسة على دير الشرفة

ورقاه السيد البطريرك في ٢٤ شباط الى رتبة خورفسقفوس فأخذ يواصل شغله بنشاط واجتهاد .

وفي ٨ نيسان السنة عينها سافر الرئيس الجديد مع الاباتي انسلمس الجليل الى العراق فزارا بغداد والموصل ودير مار بهنام والقرى المجاورة العامرة بالسريان وعادا الى لبنان مارّين بالقامشلية والاحسجا وحلب وحمص ووصلا الى دير الشرفة في ٥ آيار . واستأنف الاب زكريا عمله في حقل دير سيدة النجاة مفرغاً كل الوسع في تعزيزه . وفي ٢٨ اذار ١٩٣٩ سافر الى الاحسجا وقضى في دار والده بطرس بضعة اسابيع وعاد في ٢٨ آيار الى الدير .

ومما يستحق الذكر ان العملة منذ حزيران ١٩٤٠ جعلوا يشتغلون في حفر القنوات لجرّ مياه نبع العسل من لحف صنين الى كسروان . وفي ٢٠ آيار ١٩٤١ وصلت المياه الى الدير فكان ذلك اليوم يوماً تاريخياً مشهوداً . ومنذ ٢٧ ايلول السنة عينها أُنشئت (مشارات) البقول بجوار الدير تسقيها تلك المياه الصافية .

وقد فُوجئ هذا الرئيس الهمام بمرض شديد في ١٣ نيسان ١٩٤١ اضطرّه ان يقصد اوتيل ديو دفرنس ببيروت حيث عُولج معالجة استغرقت حتى ٢٠ آيار فابلّ والحمد لله تعالى من مرضه وعاد الى عمله . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٤٣ عاوده المرض وكان اشد من الاول فقضى اكثر من اربعة اشهر يتململ على فراش الاوجاع حتى أشفق الرب عليه وزال عنه الخطر ورجع في ١٨ آيار الى شغله شاكراً لسيدة النجاة فضلها وجميلها .

ولا بد لنا من الالماع الى جهود الخورفسقفوس زكريا الرئيس الجليل في قضية الديون الوافرة التي تراكمت على الدير منذ السنة ١٩١٤ فقد سدّدها كلها عام ١٩٤٧ واستحق لذلك اجمل الاثنية .

ونحن معتقدون كل الاعتقاد ان سيدة النجاة المغبوطة هي التي اسعفته وساعدته في مشاريعه هذه كلها . ولذلك فقد ساقته معرفة الجميل والولاء

هــذه السيدة القديرة فكلّف المطبعة الكاثوليكيّة اليسوعيّة فاخذت بالزنغوغراف صورة سيدة النجاة التذكاريّة وطبعت منها لحسابه ١٥٠،٠٠٠ صورة ملوّنة وجعل يوزّعها عــلى كل من يقصد زيارة مقامها المقدّس ليزدادوا حبًا لتلك السيدة المغبوطة وتعلّقًا بمقامها المجيد .

ولفرط شغف الخوري زكريا بحبة السيد فلبيانس ميخائيل ملكي[1] نسيبه الطيب الآثار فقد نشر خلاصة اخباره عام ١٩٤٤ في رسالة قلب يسوع التي يديرها الآباء اليسوعيون في بيروت . وهو ينوي ان ينشرها برمّتها في كتاب قائم براسه ان شاء الله تعالى .

ولست ارى بدًّا من المجاهرة بالثناء على نجابة هذا الرئيس المحبوب اذ أثار في قلبي الشوق الى وضع هذا الكتاب تخليداً لذكرى الشرفة وخدمةً لابنائها البررة الاحبة .

الفصل السابع

قسوس دير الشرفة (١٩٣٣ و١٩٣٤)

١ – القس يعقوب نعوم (١٩٣٣ –)

هو اسحق مقدسي نعوم يتحدّر من أسرة ماردينية قديمة العهد في كثلكتها وكان القس يوسف مقدسي نعوم من بواكير قسوس دير الشرفة كما ذكرنا[2] . وكان ميلاد اسحق في ٢ حزيران ١٩١٠ وقصد اكليريكية القدس في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ثم قدم الى دير سيدة النجاة عام ١٩٣٠ مع الفوج الاول وارتقى في ١٤ آيار ١٩٣٣ الى الرتبة الكهنوتية بوضع يد مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي

---

(١) راجع هذا الكتاب ٣٠٨ – ٣١١

(٢) فيه ١٣٢

المغبوط ودُعي اسمه يعقوب . وسار الى الجزيرة العليا وخدم النفوس في قراهــا متنقِلًا من الاحسجا الى عامودا الى دير الزور الى القامشلية . ثم قدم عام ١٩٤٦ الى زحلة واستقرّ فيها يساعد القس اسطفان بجَّاش في خدمة الرعية وفي ادارة المَدرسة السريانيَّة الزاهرة .

٢ – القس افرام عبدال (١٩٣٣ –)

أبصر النور في قرقوش البلدة العامرة بالسريان الكاثوليك عام ١٩٠٤ ويُعَد أجداده من قدماء المنضمين الى الحظيرة الواحدة الكاثوليكية .

وانضوى في حداثته الى رهبان دير مار بهنام الشهيد . ثم قصد اكليريكية الاباء الدومنكيين بالموصل عام ١٩٢٣ واقام اربعة اعوام مكباً على الدرس والمطالعة واكتناز الفضائل الراهنة . وفي السنة ١٩٢٧ شخص الى اكليريكية الاباء البندكتيين في القدس الشريف يواصل الدرس حتى السنة ١٩٣٠ فاقبل الى دير الشرفة واستكمل العلوم الفلسفية واللاهوتية وانضمّ الى السلك الكهنوتي مع الاب يعقوب نعوم السابق ذكره .

وفي السنة ١٩٣٣ عاد الاب افرام عبدال الى وطنه وتولّى التدريس في اكليريكية المرسلين الدومنكيين سنة واحدة وفي القابل بعثه السيد قرلّس جرجس دلّال الجليل الى دير مار بهنام ليشرف على الرهبان . فنهض بتلك الخدمة نهوضاً حسناً . وسماه عام ١٩٣٦ راعي الابرشية رئيساً على الدير . فافرغ الاب افرام كل ما منحه الرب الكريم من القوى في عمارته وتعزيز رهبانه وعقاراته وتجديد اثاثه وامتعته . وفي السنة ١٩٤٦ استعفى من الرئاسة ووافى الى بيروت فاشار عليه نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط ان يقصد دير الاباء البندكتيين في اورشليم ويتفرّغ لدرس الاصول الرهبانية . فخضع صاغراً وما برح ناهضاً بعمله .

وعني الاب افرام النشيط بانشاء لمحة تاريخية دقيقة مستوفاة عن دير مار بهنام الذي خدمه ١٢ سنة . وفقه الله تعالى .

٣ – القس اسطفان رحّال (١٩٣٤ –)

أبصر النور في ١٢ كانون الثاني ١٩٠٩ في دمشق وأصل اسرته من بلدة النبك الخاضعة لابرشية حمص وحماة. توجه الى دير الاباء البندكتيين عام ١٩٢١ ومكث ١٣ حولاً بين ذلك الدير ودير الشرفة حتى سيم قسيساً في ٤ شباط ١٩٣٤ في كنيسة سيدة النجاة . وتوشح في ١ تشرين الثاني ١٩٣٤ باسكيم الرهبنة البندكتية منتوياً ان ينشىء رهبنة سريانية

تحاكي تلك الرهبنة القديمة الاجيال بقوانينها وعاداتها . وهو في يومنا يلقي الدروس على تلامذة اكليريكيَّة القدس الشريف .

٤ – القسّ يوسف ناعم (١٩٣٤ –)

وُلد عام ١٩٠٥ في حلب ووصل الى دير الآباء البندكتيين عام ١٩٢٢ ثم شخص الى دير الشرفة في ٢٣ ايلول ١٩٣٢ وارتقى الى المقام الكهنوتي مع الاب اسطفان رحّال السابق الذكر . وانطلق الى الجزيرة العليا يخدم النفوس تارةً في عامودا وطوراً في دير الزور وآونة في الاحسجا . وقد

نُهبت امتعتُه في ثورةٍ حدثت في عامودا بتاريخ ٩ آب ١٩٣٧ وما برح ناهضاً بخدمته في انحاء تلك الجزيرة .

٥ – القس ميخائيل ملكي (١٩٣٤ –)

هو شقيق الخورفسقفوس زكريا رئيس دير الشرفة ٠ وُلد عام ١٩٠٩ ويمم عام ١٩٢٢ اكليريكية القدس واعتكف ١٢ سنة على تحصيل المناقب والعلوم الكهنوتية حتى سيم قسيساً مع القسين السابقَي الذكر ٠ وعلى اثر سيامته انطلق الى الاحسجا الى بيت والده بطرس وتولّى خدمة الرعيّة وادارة المدرسة (١٩٣٤ – ١٩٣٦) وكتابة اسرار المطران يعقوب يوحنا حبي الجليل (١٩٣٦ – ١٩٣٨) وانتقل بعد ذلك الى القامشلية ٠ وفي السنة ١٩٤١ قدم الى بيروت ونُصب مدرّساً للفتيان والفتيات في مدرسة « سيدة البشارة » ومساعداً للراهبات المريميّات ومناظراً المرضى في مستشفى اوتيل ديو دفرنس حتى يومنا ٠

٦ – القس افرام جرباقه (١٩٣٤ –)

هو بن حنا بن سعيد جرباقة احدى الأسر المشهورة في ماردين بتقواها وتشبثها بالعقيدة الكاثوليكيّة . وُلد في ٢٤ ايلول ١٩٠٩ ووصل

عام ١٩٢٢ الى اكليريكية اورشليم وثابر على الدرس والمطالعة وعلى اكتناز الخصال الكهنوتيّة . وشخص عام ١٩٣٠ الى دير الشرفة وانجز علومه . وفي السنة ١٩٣٢ سافر الى ماردين لزيارة ذويه ثم عاد الى حلب وتولى التعليم في مدرسة المرسلين الفرنسيسيين . وعاد عام ١٩٣٤ الى الشرفة

وجدّد عهوده الاولى وارتقى مع القسان الثلاثة المارّ ذكرهم الى الرتبة المقدّسة . وعلى اثر سيامته انطلق الى الموصل وتولى التدريس في اكليريكية المرسلين الدومنكيين (١٥ اذار ١٩٣٤ – تموز ١٩٣٥) ومن هناك انحدر الى العشار المجاورة للبصرة وخدم النفوس حولاً كاملاً عاد بعدئذٍ عام ١٩٣٦ الى دمشق وخدم راعيها الجليل السيد ايونيس جرجس ستيته اربع سنوات وانطلق عام ١٩٤٠ الى الجزيرة العليا يثابر على خدمة النفوس في قراها تحت رعاية مطرانها السيد يعقوب يوحنا حبي الجليل .

٧ – القس حنا كرتوم (١٩٣٤ –)

يُعدّ هذا القسيس النشيط من تلامذة كلتا الاكليريكيتين في القدس وفي الشرفة . وكان ولاده في ماردين ١٤ تشرين الثاني ١٩١٠ وقصد اورشليم عام ١٩٢٢ ويمّم الشرفة ١٩٣٠ مكبّاً على اقتباس الاصول

الكهنوتية وارتقى مع القسان الاربعة المشار اليهم الى ارتبة المقدسة . وتعين خادماً لرعية مار يوسف في بيت لحم . وهو يلقي الدروس في مدرسة راهبات صهيون وغيرها . وامتاز هذا الكاهن النجيب باتقانه الانغام

السريانية . حتى اصبح استاذاً يرجع اليه ويُعوّل عليه في ترنيمها وضبطها . ويسرنا ان نسمع نغمات قداسه في راديو الشرق صباح عيد مار يوسف شفيع كنيسة بيت لحم بحضور قنصل فرنسا العام طبقاً للتقاليد المرعية منذ قديم الزمان .

الفصل الثامن

قسوس دير الشرفة (١٩٣٦ و ١٩٣٨)

١ – القس توما مطلوب (١٩٣٦ –)

وُلد في ٣ تموز ١٩٠٦ في الموصل ويمّم دير الشرفة شاباً يافعاً عام ١٩٢٦ مستحباً الحياة الكهنوتية على العيشة الدنيوية . وانفق كل قواه في احراز الفضائل والعلوم الكهنوتية . وامتاز بنقاوة قلبه وانقياده لاوامر رؤسائه انقياداً تاماً . ولما اقفل تلامذة الاباء البندكتيين عام ١٩٣٠ الى دير الشرفة كما ذكرنا غير مرّة انضمّ اليهم الشماس توما ودرس معهم العلوم

الفلسفية واللاهوتية . ثم توجه الى وطنه في ٤ ايار ١٩٣٤ لتوعك صحته ورقاه السيد قرلس جرجس دلال راعي الابرشية الجليل الى الرتبة الدياقونية في ٢ ايلول السنة عينها في كنيسة دير مار بهنام تاج الشهداء . وعاد بعد ذلك الى الشرفة ليواصل دروسه حتى رقاه صباح ١٦ شباط ١٩٣٦ الى الرتبة الكهنوتية الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي . وبعد ذلك قفل راجعاً الى وطنه يتولى خدمة النفوس في كنيسة الطاهرة .

٣ – القس جبرائيل كاتو (١٩٣٦ –)

امتاز هذا الاب المحبوب بدماثة خلقه وصفاوة قلبه حاذياً في ذلك حذو ابيه الذي قتل شهيداً في السنة ١٩١٥ كما ذكرنا في كتابنا « القصارى في نكبات النصارى » . وفي السنة ١٩٢٢ قدم من ماردين وطنه الى القدس الشريف بالغاً الثانية عشرة واندمج في سلك التلامذة يكب على تحصيل المناقب الكهنوتية ثم شخص عام ١٩٣٠ الى دير الشرفة وسيم قسيساً مع الاب توما مطلوب المومأ اليه . وبعد هذا سار الى الجزيرة العليا يتنقل من قرية الى قرية يخدم النفوس ممتثلاً اوامر راعيه مار يعقوب يوحنا حبي الجليل .

٣ – القس اندراوس شاشي (١٩٣٦ –   )

هو من اسرة شاشي النبكية المشهورة بغلوها بالايمان الكاثوليكي المقدّس . يمم دير سيدة النجاة في ١٢ نيسان ١٩٢٢ وهو في السنّ الرابعة عشرة . فثابر على تحصيل ما استطاع تحصيله من المناقب والعلوم الكهنوتيّة حتى سيم قسيساً مع القسيسين المشار اليهما في كنيسة دير الشرفة . وعاد الى وطنه يخدم النفوس في قرى ابرشيّة حمص وحماة بغيرة ونشاط .

٤ – القس يوحنا توعجان (١٩٣٦ –   )

يُعدّ هذا القسيس الورع من نجباء التلامذة ومن نخبة القسوس ونوابغهم وُلد في ماردين عام ١٩١٠ واقبل الى اورشليم عام ١٩٢٥ واندفع الى

الدرس والمطالعة حتى اختمر بالمزايا والعلوم الكهنوتيّة . ويمّم عام ١٩٣٠ دير الشرفة مع رفاقه وانجز علومه الفلسفيّة واللاهوتيّة وارتقى الى الرتبة المقدّسة مع القسوس الثلاثة المشار اليهم . ونظراً الى نجابتهِ ورغبته في الاستزادة من العلم وجّهه نيافة الكردينال البطريرك المغبوط الى عاصمة الكثلكة فتبحر هناك في طقوس البيعة الشرقية وأحرز منها نصيباً صالحاً وطاف بعض مدن ايطاليا والمانيا وألقى محاضرات علمية في معاهدها . واقترح عليه امين سرّ المجمع الشرقيّ نيافة الكردينال اوجين تيسران الاثيل ان يتفرّغ لتأليف كتاب ينطوي موضوعه على « كلندار الكنيسة الشرقية » فعاد الى دير الشرفة واعتكف على العمل حتى توفّق الى تأليف مجلّد ضخم في هذا الصدد يستحقّ الاعتبار .

وتولّى القس حنا توبجـان ٨ سنوات مساعدة رئيس دير الشرفة في الشؤون العلمية والاداريّة حتى بعثه في آب ١٩٤٦ السيد البطريرك المغبوط الى طرابلس حيث افتتح رسالة سريانية يُرجى منها خيرٌ كبيرٌ على يده نظراً الى غيرتهِ وخبرتهِ .

وسبق هذا الأب الفاضل فألقى في اواخر السنة ١٩٤٥ عدّة محاضرات من راديو الشرق ببيروت تتناول وصف مشاهير ائمة السريان وكتبتهم وفي طليعتهم الملفان الكبير مار افرام قيثار الروح القدس . وقد نشر بعض تلك المحاضرات في مجلّة « المنارة » وفي « النشرة السريانية » وفي النشرة الطائفية في القاهرة .

٥ — القس الياس دالاتي (١٩٣٦ —)

ارتقى مع القسوس الاربعة الى الدرجة المقدّسة . واصله من طنطا بمصر وُلد في ٥ كانون الثاني ١٩١١ وقصد اكليريكية القدس عام ١٩٢٥ ثم اقبل عام ١٩٣٠ الى دير الشرفة واعتكف على تحصيل العلوم العالية . وعاد بعد سيامته الكهنوتية الى مصر يخدم النفوس تارةً في القاهرة وتارةً في الاسكندريّة .

الآباء ميخائيل جروة ويوسف نانو ومبارك شاميّة

٦ – القس يوسف نانو كدا (١٩٣٨ – ١٩٤٦)

ينتمي الى اسرة كدا السريانية الماردينية وصل عام ١٩٢٥ الى اكليريكية القدس الشريف ثم قدم الى دير الشرفة وسيم قسيساً مع الاب مبارك والاب ميخائيل الآتي ذكرهما . وتوفي في بيروت في ١٤ تشرين الاول ١٩٤٦

٧ – القس مبارك شاميّة (١٩٣٨ –)

أبصر النور عام ١٩١٢ في ماردين ويمم القدس الشريف عام ١٩٢٤ وانضوى الى تلامذة الرهبان البندكتيين وظلّ يجاهد في اقتباس الاصول الاوّلية حتى شخص عام ١٩٣٢ الى دير سيدة النجاة وتلقى العلوم العالية وارتقى الى الرتبة المقدّسة بوضع يد نيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط . ثم انطلق الى حلب وخدم رعية مار افرام اولاً واتخذه بعد ذلك السيد ديونيسيوس حبيب نعساني رئيس اساقفة حلب كاتماً

لسره . وفي صيف السنة ١٩٤٦ استدعاه السيد البطريرك المغبوط وفوّض اليه النهوض بكتابة اسراره .

ولهذا الاب التقي ولع خصوصي بفن الوعظ . وقد القى بعض مواعظ في كاتدرائية حلب وكاتدرائية بيروت برهنت على توقد ذكائه وسرعة خاطره . وكلما تقدّم في السن ازداد شوقاً الى الاستكثار من الدرس والمطالعة واذخار ما ينبغي اذخاره لمن شاء التوسع في مثل هذا الفن المفيد الجميل .

٨ – القس ميخائيل جروة (١٩٣٨ –)

يتسلسل من أسرة جروة الحلبية التي انتزح فرع منها الى ماردين منذ اواخر القرن الثامن عشر وجرت بين الفرع الحلبي والفرع المارديني معاطاة تجارية . وكان ميلاد القس ميخائيل بن بطرس جروة في ٢٣ ايار ١٩١٤ فانطلق عام ١٩٢٤ الى اكليريكية جبل الزيتون واندمج في سلك تلامذتها وظل ٨ سنوات مكبّاً على الدرس والمطالعة حتى اقبل عام ١٩٣٢ الى دير الشرفة واستأنف دروسه العالية مع ابن وطنه الاب مبارك شامية وارتقى معه الى الرتبة المقدسة في ٢٠ شباط ١٩٣٨ وهو ينهض بكتابة اسرار راعيه السيد يعقوب يوحنا حي الفضيل .

ونغتنم هذه الفرصة لنلمع الى الصداقة المتينة التي كانت تربطنا بالمقدسي حبيب دي جروة الذي نقلنا عن مؤلفه تفاصيل مذابح الاتراك للنصارى عام ١٨٩٥ وقد سيق المقدسي حبيب مع من سيق في القافلة الاولى في ٣ حزيران ١٩١٥ وقتل شهيداً مع رفاقه [١] . وما برحت تلك الصداقة تربطنا لهذا العهد بنجله المحبوب السيد ملكوف دي جروة حرسه الله تعالى وحرس اغصانه الاعزاء ووفقهم في جميع اعمالهم .

(١) طالع كتابنا « القصارى في نكبات النصارى » : صفحة ٤٢ و١٨٤

الفصل التاسع

زيارة نيافة الكردينال اوجين تيسران لدير الشرفة عام ١٩٣٩

في اوائل حزيران ١٩٣٩ عُقد مؤتمر قرباني في بيروت عاصمة لبنان ترأسه نيافة الكردينال اوجين تيسران الفرنسي أمين سر مجمع الكنائس الشرقية المقدس باسم قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر ابي المؤمنين العام .

ولنيافة هذا الكردينال المجيد شهرة واسعة ذائعة في عالم الدين والثقافة شرقاً وغرباً . وهذه مصنفاته الوافرة في شتى اللغات تنبىء بطول باعه وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه في كل فن ومطلب . هذا فضلاً

عن تحليه بمناقب شريفة وصفات نادرة أهلته ان يُضم الى مصاف أمراء الكنيسة الكاثوليكية النبلاء ٠

تشرفت بمعرفة الكردينال تيسران الاثيل في صيف السنة ١٩٣٠ يوم كان متوليا ادارة المكتبة الواتيكانية الشهيرة ورفعتُ الى مقامه السامي في ٢٠ تموز ١٩٣٧ قصيدة سريانية عندما بلغتني البشرى بارتقائه الى المرتبة الكردينالية المنيفة ٠

على ان نيافته اعلن صباح خميس عيد الجسد الاقدس ٨ حزيران ١٩٣٩ انه يشرف دير الشرفة بزيارته ٠ فازدانت الطرق المؤدية الى الدير باقواس النصر والرايات البابوية واللبنانية والفرنسية وازدهت جدرانه بابهى الزينات ٠ وما دقت الساعة الحادية عشرة حتى اطلَّ موكب الكردينال يصحبه نيافة القاصد الرسولي وحاشيته الكريمة ٠ واستقبله عند مدخل الدير اساقفة السريان الاجلاء السادة : اثناسيوس اغناطيوس نوري وقرلّس جرجس دلّال وديونيسيوس حبيب نعساني واثناسيوس بهنام قليان وايونيس جرجس ستيتة ويعقوب يوحنا حبي وباسيليوس افرام حيقاري ٠ ووشحه رئيس الدير الخورفسقفوس زكريا ملكي بالحلة الاعجمية الفاخرة وسار الى الكنيسة تتقدمه راية الصليب الظافر بين قرع النواقيس والنشيد السرياني : ܠܟ ܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܐ ܚܕܝܢܢ ܘܡܘܕܝܢܢ ܣܓܝܐܐ الخ ٠ وعندما وصل الكردينال الى المذبح وتلا فعل السجود استأنف الاكليرس ينشدون ترنيمة العذراء ܠܗ ܠܐܡܐ ܕܡܫܝܚܐ ܡܫܒܚܝܢ ܡܫܡܫܢܐ الخ ٠ وعند نهايتها ابدى الكردينال عواطف الشكر ومنح جمهور الحاضرين البركة الرسولية ٠ ثم اتجه بالموكب ذاته الى بهو الدير واخذ يتقبل ببشره المعروف وابتسامته الجذابة ما كان يتدفق عليه من التحيات والعواطف الجميلة ٠

وبعد هذا توجه الكردينال الى المكتبة الخطية الغنيّة بمخطوطاتها السريانية النادرة وكان قد سبق فتعهدها غير مرة واطّلع على فهرسها الذي

تشرّفت فرفعت الى نيافته ثلاث نسخ منه عام ١٩٣٦ الواحدة للمكتبة الفاتيكانيّة والثانية لنيافته والثالثة لمكتبة المجمع المقدّس ·

وهناك في قاعة المكتبة طلب قرطاساً وقلماً وكتب الى نيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني رسالة جميلة ابدى فيها شعوره النقي معرباً عن اسفه لتغيبه يومئذٍ عن دير الشرفة . ثم وقّع تلك الرسالة التاريخية ووقّعها القاصد الرسولي وسائر الاساقفة وامر ان تُرسل اليه فكانت تلك العاطفة النبيلة موضوع اعجاب الحاضرين قاطبةً ·

وعند الظهر مُدّت مأدبة فاخرة تصدّرها نيافة الكردينال والقى في اثناء ذلك السيد باسيليوس افرام حيقاري خطاباً فرنسيًّا مستبدعاً افاض فيه في وصف مناقب الكردينال تيسران السامي الاحترام · وبعد الغداء اجتمع الكردينال بجمهور التلامذة ونثر عليهم درر النصائح الابوية ونشطهم

الى الثبات في دعوتهم المقدسة · ثم شكر للاساقفة ولرئيس الدير حفاوتهم وقصد الىهو وكتب عبارة لطيفة في السجل الذهبي وعاد الى بيروت جذلا مسروراً بما لاقاه من آيات الترحيب والتكريم اطال الله تعالى ايام حياته الثمينة ·

الفصل العاشر

قسوس دير الشرفة (١٩٤٠ و ١٩٤١)

١ - القس اغناطيوس منصوراتي (١٩٤٠ -)

وُلد عام ١٩١٧ في ماردين ثم هجرها والداه بعد الحرب العظمى واتخذا قرية الاحسجا مقرّاً لهما · ورغّبه عمه القس لويس الموقر منذ نعومة اظفاره في الحياة الكهنوتية وبعثه عام ١٩٢٧ الى اكليريكية الاباء البندكتيين فاكبّ سبعة اعوام على التقاط العلوم اللغوية الفرنسية والسريانية والعربية حتى استكملها وبرع فيها · وفي السنة ١٩٣٤ شخص الى دير الشرفة وانصرف الى اقتباس العلوم الفلسفية والكتابية واللاهوتية ورقّاه نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل الاول بطريرك انطاكية المغبوط

الى رتبة القسوس في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٠ وقلّده القاء الدروس السريانية والعربية في اكليريكية القدس الابتدائية .

ولهذا الاب المحبوب كلف بالآداب السريانية والانغام البيعية . وما عدا نهوضه بتثقيف التلامذة فهو يجول حيناً فحيناً في انحاء فلسطين وشرقي الاردن يلقي مواعظ الرياضات على المؤمنين في كلتا اللغتين الفرنسية والعربية .

٢ – القس يوسف عبدالله (١٩٤٠ –)

هذا القسيس الوقور اصله كذلك من ماردين وهو ابن يعقوب عبدالله . وُلد في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤ وانضم الى تلامذة الآباء البندكتيين عام ١٩٢٧ وقدم مع القس اغناطيوس المومأ اليه الى دير الشرفة يستكمل علومه حتى سيم قسيساً معه وانطلق الى عامودا احدى قرى الجزيرة العليا يخدم المؤمنين ويلقن الفتيان المبادىء العربية والسريانية والفرنسية . وانتقل في صيف السنة ١٩٤٤ الى دير الزور يواصل العمل والتدريس حتى هذا اليوم .

٣ – القس جرجس هافوري (١٩٤٠ –)

يتحدّر من أسرة ماردينية اشتهرت بتقواها وثباتها في الايمان الكاثوليكي المقدّس وعرفنا معرفة تامّة احد افرادها الاخ يوسف هافوري الراهب

الافرامي الورع وجرجس هاڤوري شماس السيد يعقوب متى احمردقنه · وانتزح حبيب هاڤوري والد القس جرجس الى دمشق الشام عام ١٩١٠ واستوطنها · وفيها وُلد الاب جرجس عام ١٩١٥ وانطلق عام ١٩٢٧ الى الاكليريكية البندكتية بالقدس الشريف وانقطع مدة سبع سنوات يقتبس المزايا والاصول الكهنوتية · ثم يمّم مع رفيقيه المشار اليهما دير

الشرفة واستكمل دروسه العالية وسيم قسيساً . واتخذه رئيس الدير الخورفسقفوس زكريا ملكي الفاضل معاوناً له في ضبط الحسابات . وولاه القاء دروس اللاهوت الادبي على الشمامسة (١٩٤٣ — ١٩٤٥) وما برح الى هذا اليوم يواصل خدمته في دير سيدة النجاة باجتهاد ونشاط .

وما عدا ذلك فان للقس جرجس خبرةً واسعة في تربية النحل مذ كان شماساً · فقد أعدّ لذلك خلايا اوربية وضعها بجوار دير الشرفة وجعل يشرف عليها يوماً فيوماً · ثم استحضر آلة من اوربا لاستخلاص العسل الذي اجدى أمره واجزل للدير فوائد تُذكر ·

وفي ١٦ ايلول ١٩٣٨ زار دير الشرفة فخامة الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية وعقيلته والاب دي بونفيل رئيس الرسالة اليسوعية

ودبّج الاستاذ اده صدر القاصد الرسولي في قاعة الدير بنوط الاستحقاق اللبناني الذهبي . وبعدما دعاهم نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط الى تناول طعام الغداء على مائدته انحدروا جميعاً وزاروا

المنحلة والمعسلة وحكى لهم الشماس جرجس عن كيفية الاعتناء بتربية النحل وادارة المعمل ثم أهدى رئيس الدير الى عقيلة رئيس الجمهورية حنجوراً من بواكير عسل الشرفة فشكرت له هديّته وأثنت على نجابة الشماس هاقوري وتعبه .

٤ – القس انطون عين (١٩٤٠ –)

وُلد عام ١٩١٤ في قطنة المجاورة لدمشق ويمّم عام ١٩٢٨ دير الشرفة واقام حولاً كاملًا يتمرّن في الدروس الاوّلية وفي السنة ١٩٢٩ سافر الى القدس الشريف واندمج في سلك تلامذة الاباء البندكتيين وعاد عام ١٩٣٤ الى دير الشرفة واكمل العلوم وارتقى الى درجة القسوسية مع اقرانه الثلاثة المومأ اليهم . ولما عاد الى دمشق اتخذه السيد ايونيس جرجس

سنيته راعي الابرشية الفضيل كاتباً لسره ثم ارسله عام ١٩٤٤ الى قطنة ينهض بخدمة الرعية .

٥ – القس حنا شاهين ضاحي (١٩٤٠ –)

أبصر النور عام ١٩١٥ في زيدل التابعة لاسقفية حمص وحماة وبعثه رئيسه الجليل السيد ثئوفيلس يوسف رباني عام ١٩٢٩ الى اكليريكية القدس فجدّ واجتهد في طلب العلم حتى السنة ١٩٣٤ فشخص الى دير الشرفة واستقرّ ست سنوات يستكمل الدروس العالية حتى ارتقى مع اقرانه الاربعة المذكورين آنفاً الى الدرجة المقدّسة ثم عاد الى وطنه وتولى خدمة رعية القريتين واقبل عام ١٩٤٦ الى بلدة زيدل العامرة بالشعب السرياني الكاثوليكي وعُيّن مديراً لمدرستها الطائفية .

٦ – القس يوسف ايض (١٩٤١ –)

غنمه الوجود في ١٤ ايار ١٩١٥ في دير الزور ونزعت نفسه منذ صباه الى الحياة الكهنوتية فاقبل عام ١٩٢٨ الى دير سيدة النجاة ومكث عامين يزاول الدروس السريانية والعربية ثم انتقل الى اكليريكية القدس سالكاً مسلك اقرانه في احراز العلوم والمزايا اللازمة لمن ازمع ان يقيم

نفسه مختاراً لله عزّ شأنه . وقفل عام ١٩٣٦ راجعاً الى دير الشرفة واكبّ على اقتباس العلوم العالية حتى ارتقى في ٢٨ ايلول ١٩٤١ الى الرتبة الكهنوتية بوضع يد نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكيّ المغبوط . وظلّ حولاً كاملاً يختمر في ما تلقنه . وتوجّه بعدئذٍ الى زحلة يخدم الرعية ويلقي الدروس في المدرسة السريانية العامرة . وفي صيف السنة ١٩٤٤ عيّن استاذاً للتلامذة في اكليريكية القدس الشريف

٧ – القس شمعون عبدالاحد جرجي (١٩٤١ –)

اصطبغ بمياه العماذ في ٢٥ تموز ١٩١٩ واصل اسرته من قلعة المرأة الواقعة بين ماردين ودير الزعفران . قدم عام ١٩٢٩ الى بيت المقدس وانضمّ الى تلامذة الاكليريكية البندكتية يشجعه في اكتناز المناقب الفضلى خاله الاب زكريا ملكي المفضال . وظل كذلك سبعة اعوام حتى انتقل عام ١٩٣٦ الى دير سيدة النجاة يثابر على احراز العلوم الكهنوتيّة العالية . وسيم قسيساً مع الاب يوسف ايض المذكور الساعة واقام في الشرفة سنة كاملة ثم اصطفاه السيد البطريرك المغبوط كاتباً لسرّه .

وفي تشرين ١٩٤٦ توجه القس شمعون بامر السيد البطريرك الى باريس العاصمة ليستكمل العلوم العالية ويبرع خصوصاً في فن الموسيقى الذي أولع به منذ صباه . وقد رزقه الرب المنان صوتاً رخيماً فاتقن الانغام السريانية الاتقان كله وتمرّن في الضرب على الارغن ضرباً يجتذب القلوب ويغمرها بمحبّة السماويّات والترفع عن الدنيويات الزائلة .

الفصل الحادي عشر

قسوس دير الشرفة (١٩٤٤ و ١٩٤٥)

يمثل هذا الرسم عن اليمين : الاب روفائيل شاهين . الاب اغناطيوس بوزجيّة الاب منوئيل آيوب . الاب عمنوئيل حنان . الاب الياس جرجور . الاب متري وهبة الاب جرجس موصلية . الاب جرجس شلحت .

١ – القس عمنوئيل حنان (١٩٤٤ –)

وُلد في بغداد صباح ٢٥ نيسان ١٩١٩ ووصل عام ١٩٣٢ الى اكليريكية مار مبارك ومار افرام بجبل الزيتون وظلّ ٦ اعوام يثابر على الدرس والمطالعة ريثما قدم الى دير سيدة النجاة عام ١٩٣٨ يواصل التقاط العلوم العالية حتى وضع اليد عليه صاحب النيافة الكردينال البطريرك في ٢ تموز ١٩٤٤ في كنيسة سيدة النجاة . واقام حولًا كاملًا يراجع دروسه ثم عاد الى وطنه في تموز ١٩٤٥ واصطفاه راعي الابرشية السيد اثناسيوس بهنام قليان الجليل كاتباً لسرّه .

٢ – القس ديمتريوس (متري) وهبة (١٩٤٤ –)

اعتمد في ٩ كانون الاول ١٩٢٠ في حماة وطنه وبعثه راعيه الجليل مار ثاوفيلس يوسف ربّاني عام ١٩٣٢ الى القدس الشريف فانضمّ الى زمرة تلامذة الاباء البندكتيين واكبّ على الدراسة حتى السنة ١٩٣٨ فاقبل الى دير الشرفة واكمل علومه وسيم قسيساً مع الاب عمنوئيل المذكور آنفاً . ومكث نظيره حولًا كاملًا في الدير يختمر في الدروس الكهنوتية ثم عاد في تموز ١٩٤٥ الى وطنه وانتقل بعدئذٍ الى حمص ونُصب مديراً لمدرستها ومرشداً لشبيبتها .

٣ – القس الياس جرجور (١٩٤٤ –)

أصل القس الياس من ماردين انتزح والده حنا الى دمشق عام ١٩١٨ واتخذها مقرّاً له وفي هذه السنة عينها وُلد الياس وربّاه والداه بالتقوى وخوف الله تعالى وبعثاه عام ١٩٣٠ الى اكليريكية القدس الشريف فافرغ ما منحه المولى من القوى في الدرس والمطالعة ريثما حصل منها نصيباً صالحاً . وقدم عام ١٩٣٨ الى دير الشرفة مع رفيقيه السابق ذكرهما وارتقى معهما الى الرتبة المقدسة . وفي تموز ١٩٤٥ عاد الى دمشق وتولّى خدمة النفوس وادارة جمعية العمال الزاهرة في تلك الحاضرة .

٤ – القس منوئيل ايوب (١٩٤٥ –)

ينتمي الى اسرة القس نعمان البغدادية الشهيرة . وكان ولاده في ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ وذهب عام ١٩٣٢ الى اكليريكية بيت المقدس ومكث سبع سنوات يتثقف في الاصول الفرنسية والسريانية والعربية . ثم اقبل عام ١٩٣٩ الى دير سيدة النجاة وانخرط في سلك الشمامسة حتى صباح عيد صعود المخلص الى السماء ١٠ ايار ١٩٤٥ فوضع اليد عليه مار اغناطيوس جبرائيل تبوني السامي الاحترام في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة وسماه القس منوئيل . وفي تموز السنة عينها سافر الى وطنه وقضى العطلة الصيفية وعاد بعد ذلك الى لبنان واقام في الدير سنة كاملة يراجع دروسه ويتهيأ لخدمة النفوس . وفي السنة ١٩٤٦ عاد الى وطنه وانحدر الى البصرة مباشراً اعماله الكهنوتية بعوامل الغيرة والاخلاص .

٥ – القس رافائيل شاهين (١٩٤٥ –)

يتحدّر هذا القسيس الموقّر من اسرة شاهين السريانية الماردينية . وكان ابوه يعقوب من المتشبثين التشبث كله بالمعتقد المنوفيزيتي ثم انجلت له اضواء الحقيقة الكاثوليكية فاعلن انضمامه الى الكنيسة الواحدة الرسولية وجعل يناضل عنها سرّاً وجهراً بكل قواه . اما نجله رافائيل فكان عماده في ٢٠ اذار ١٩٢٠ في ماردين وقصد اكليريكية القدس في ٤ تشرين الاول ١٩٣٢ واندمج في صف تلامذتها الصغار يتمرّن في اللغات السريانية والفرنسية والعربية حتى نجح وتوفق فيها واقبل عام ١٩٣٩ الى دير الشرفة وانجز العلوم العالية وأحرز ما احرز من الفضائل الكهنوتية وسيم قسيساً مع الاب منوئيل المذكور الساعة . وفي تشرين ١٩٤٦ عينه السيد البطريرك المغبوط خادماً للنفوس في بيروت ومرشداً لبنات اخوية الوردية في كنيسة مار جرجس .

٦ – القسّ جرجس موصليّة (١٩٤٥ –)

وُلد في حلب ٢٧ نيسان ١٩٢١ وقصد دير الآباء البندكتيين عام ١٩٣٢

حيث استقرّ ٧ اعوام منصرفاً الى اقتباس العلوم اللغويّة ٠ وانتقل مع التلميذَين المشار اليهما الى لبنان وثابر على التقاط العلوم العالية في معهد سيدة النجاة الكهنوتيّ وارتقى معهما الى الرتبة المقدّسة واقام حولاً كاملاً في ذلك المعهد ريثما عاد الى حلب عام ١٩٤٦ وتولّى خدمة راعي الابرشيّة في القلّاية المطرانيّة .

٧ – القسّ اغناطيوس بوزجيّة (١٩٤٥ –)

هذا القسيس الوقور وُلد كذلك في حلب في ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ وسافر الى اورشليم عام ١٩٣٣ واندرج في صفوف المبتدئين يدرس اللغات الثلاث حتى المّ بها ٠ ثم وافى الى اكليريكيّة الشرفة يواصل الدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة وشروح الكتاب المقدّس وسيم قسيساً مع القسّان الثلاثة المومأ اليهم ٠ وبعدما قضى معهم سنة كاملة في الدير كرّ راجعاً الى وطنه وولاه راعيه الجليل القاء الدروس وادارة المدرسة السريانيّة ٠

٨ – القسّ جرجس شلحت (١٩٤٥ –)

يتسلسل هذا الاب الورع من أسرة شلحت الحلبيّة الشهيرة سافر الى القدس الشريف عام ١٩٣٦ بالغاً الخامسة عشرة . وتثقّف في المزايا والعلوم الكهنوتيّة حتى السنة ١٩٣٩ فجاء الى دير سيدة النجاة وأدمن درس العلوم العالية وتمرّن خاصة على القاء المواعظ والخطب . وقد نجح والحمد لله تعالى في مقاصده نجاحاً أهله ان يُرقى مع اقرانه الاربعة المذكورين آنفاً الى رتبة القسوس . وعلى اثر ذلك قفل راجعاً الى وطنه وقضى فصل الصيف ثم عاد ثانيةً الى الدير واستكمل ما نقصه . وفي صيف السنة ١٩٤٦ رجع الى وطنه وتولّى القاء الدروس في المدرسة السريانيّة ٠

٩ – القسّ يعقوب حبيّ (١٩٤٥ –)

ينتمي الى اسرة السيد يعقوب يوحنا حبيّ اسقف الجزيرة الجليل ولد

في الموصل ٢١ آب ١٩٢٠ وتوجه عـام ١٩٣٤ الى اكليريكية الآباء البندكتيين وواظب على اقتباس اللغات الثلاث مع اقرانه ثم اقبل معهم عـام ١٩٣٩ الى دير سيدة النجاة يتثقف في العلوم العالية ٠ وفي السنة ١٩٤٢ عاد الى الموصل وانخرط في سلك تلامذة الاكليريكية الدومنكية

حتى اكمـل علومه وارتقى الى رتبة القسوس بوضع يد السيد قورلس جرجس دلال رئيس اساقفة الموصل الجليل صباح ١٥ ايار ١٩٤٥ تذكار العذراء المغبوطة على السنابل ٠

الفصل الثاني عشر

قسوس دير الشرفة (١٩٤٧)

١ = القس بطرس حمال (١٩٤٧ =)

هو صبري بن سليم بن روفائيل عم الخورفسقفوس جرجس حمال السابق ذكره (ص ٤٨١) وُلد في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢ وانطلق الى اكليريكية القدس في ١٧ ايلول ١٩٣٤ وانجز العلوم الاولية ثم اقبل في ١٨ ايلول ١٩٤١ الى دير الشرفة يتفقه في العلوم الفلسفية واللاهوتية حتى ٥ حزيران عيد الجسد

الاقدس ١٩٤٧ فرقاه السيد الكردينال البطريرك المغبوط في كنيسة مار اغناطيوس ببيروت الى رتبة القسوس وسماه بطرس تيمناً باسم نسيبه القس بطرس حمّال شهيد الايمان المقدّس . ومن عوارف روفائيل جدّه تشييده مذبحاً لطيفاً باسم قلب يسوع الاقدس في كنيسة العذراء بماردين .

القس لويس شدياق . القس بطرس حمال . القس ايون عبد الصمد

٢ – القس لويس شدياق (١٩٤٧ –)

هو ابن زكريا شدياق وأصل أسرته من حلب أبصر النور في «مية غمر» بجوار القاهرة في ١ ايار ١٩٢٠ وقدم الى اكليريكية الاباء البندكتيين في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٤ واستكمل حظه من العلوم اللغوية الفرنسية

والسريانية والعربية . وفي ٧ تشرين الأول ١٩٤١ وصل الى دير سيدة النجاة واندمج مع رفاقه يثابر على درس الفلسفة واللاهوت وشرح الكتاب الكريم . ثم ارتقى مع الاب بطرس حمال الى الرتبة الكهنوتية وسافر الى « مية غمر » ليزور اهله ثم يعود فيقيم في الشرفة سنة كاملة ليستكمل علومه .

٣ – القس ليون عبد الصمد (١٩٤٧ –)

هو ابن الياس عبد الصمد المارديني النحلة صبغه بماء المعمودية الاب حبيب نعساني الجليل عام ١٩٢٢ ثم توجه في ١٥ تشرين الاوّل ١٩٣٦ الى اورشليم وقضى في اكليريكية الاباء البندكتيين خمس سنوات حتى ١٨ ايلول ١٩٤١ فوافى الى دير سيدة النجاة واعتكف على اكتناز علوم الفلسفة واللاهوت والكتاب المقدّس . ورقّاه السيد ديونيسيوس حبيب نعساني رئيس اساقفة حلب الى الرتبة الدياقونية صباح الاحد ٢٩ ايلول ١٩٤٦ وعاد الى دير الشرفة يواصل دروسه حتى ٥ حزيران ١٩٤٧ فوضع اليد عليه نيافة الكردينال البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل تبوني المغبوط .

هؤلاء هم القسوس الذين تشرّبوا العلوم الكهنوتية في اكليريكية اورشليم واكليريكية الشرفة كلتيهما مدة ١٧ حولًا (١٩٣٠ – ١٩٤٧) وقد بلغ عددهم ٣٩ قسيساً انتشروا في ابرشية الموصل وبغداد وما بين النهرين وحلب وحمص ودمشق ولبنان وفلسطين ومصر وغيرها . نسأل المولى عزّ شأنه ان يأخذ بيدهم ليخدموا مذبحه المقدّس ويعضدهم في خدمة شعبه المختار ويجزل لهم الثواب مع الكهنة الابرار في الملكوت السماوي آمين .

الفصل الثالث عشر

الاساتذة البندكتيون في دير الشرفة

طبقاً للاتفاق الذي جرى بين صاحب النيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكيّ ورئيس الآباء البندكتيين العامّ جعل اولئك الآباء يتناوبون في القاء الدروس الفلسفية واللاهوتية وشرح الكتاب المقدّس على التلامذة الكبار القادمين من القدس الشريف ٠ وها نحن ندرج اسماءهم تباعاً مقرّين بجميلهم شاكرين لهم جهودهم المقدسة :

١ - الاب تشوفان اردنس الفرنسيّ

وُلد في ١٤ ايلول ١٨٨٣ وتوشح بالاسكيم الرهباني في ١٧ تشرين الاول ١٩٠٣ وارتقى الى الرتبة الكهنوتية صباح ١٤ اذار ١٩٠٨ وعلى اثر عقد الاتفاق بين البطريرك الانطاكي المغبوط وبين رئيس الرهبان البندكتيين عام ١٩٣١ قدم الى دير الشرفة وتولى القاء الدروس اللاهوتية حتى السنة ١٩٣٢ ثم عاد الى اكليريكية القدس وما برح ناهضاً بمهمته خير نهوض ٠

٢ – الاباتي رموالد سيمو الاسبانيّ

ابصر النور في ٨ آب ١٨٨٠ وانضوى الى الرهبنة البندكتية في ١٠ تشرين الاول ١٨٩٧ ومُسح بزيون الكهنوت في ١٩ كانون الاول ١٩٠٣ وفي السنة ١٩٣٠ قدم الى دير الشرفة وتولى القاء الدروس اللاهوتية حتى السنة ١٩٣٨ فعاد الى اورشليم وانتقل الى جوار ربه في ٨ كانون الاول ١٩٤١ رحمه الله تعالى .

٣ – الاب مبارك بفورستان الاسبانيّ

اعتمد في ٢٩ اذار ١٨٩٤ وترهب في ١ كانون الاول ١٩١٤ وارتقى الى الرتبة الكهنوتيَّة في ١ كانون الاوّل ١٩١٩ وتولّى تدريس الفلسفة في اكليريكيّة الشرفة اربعة اعوام (١٩٣٠ – ١٩٣٤) .

٤ – الاب سيمون اتشفيري الفرنسيّ

صُبغ بمياه المعموديّة في ١٧ كانون الاوّل ١٨٩٨ وانضمّ الى مصاف الرهبان البندكتيين في ٢ تشرين الاوّل ١٩٢٣ وتولّى القاء الدروس اللاهوتيَّة في دير الشرفة ثلاثة اعوام (١٩٣٠ – ١٩٣٢)

٥ – الاب انسلمس (مرسيل) ساسوس بُردا الفرنسيّ

وُلد في ٢٠ تموز ١٩٠٠ وانضوى الى سلك الرهبنة البندكتية في ١٥ ايلول ١٩٢٢ ويمّم دير الشرفة يعلّم شرح الكتاب المقدّس والتاريخ البيعي عام ١٩٣١ و١٩٣٢

٦ = الاب بلاسيد بيرازا تيغي الاسبانيّ

ابصر النور في ٦ تشرين الثاني ١٨٩٤ وتوشّح بالاسكيم الرهباني في ١ تشرين الثاني ١٩١٤ ودُهن بميرون الكهنوت المقدّس في ١٩ كانون الاول ١٩١٩ واقبل عام ١٩٣٢ الى دير الشرفة يرعى التلامذة ويلقي عليهم دروس اللاهوت وشرح الكتاب المقدّس حتى يومنا هذا .

٧ – الاب مبارك موريسون الانكليزي

وُلد في ١٦ ايار ١٨٩٢ وانضمّ الى الرهبنة البندكتيَّة في ٢٥ ايلول ١٩٢١ وسيم قسيساً في ٨ آب ١٩٢٦ وفي السنة ١٩٣٢ وصل الى دير سيدة النجاة يلقي على التلاميذ دروس الليترجيّة والتاريخ الكنسي . وما برح معتكفاً على نشاطه حتى يومنا . وله بعض الالمام باللغات السريانيّة واليونانيَّة والعبرانيَّة .

٨ – الاب امبروسيوس دي تورغيز الافرنسي

غنمه الوجود في ٨ كانون الاوّل ١٩٠٥ وانخرط في السلك الرهباني

في ١٦ كانون الاوّل ١٩٢٢ ونُصب عام ١٩٣٤ استاذاً للفلسفة في اكاديمية الشرفة وظلّ مثابراً على عمله المشكور حتى السنة ١٩٤٥

٩ - الاب برونو فهرنباشر الالمانيّ

ابصر النور في ٢٧ تموز ١٨٩٥ وتوشّح بالثوب الرهباني في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٣ وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ١٩ اذار ١٩١٩ وفي السنة ١٩٣٨ شخص الى دير الشرفة وتولّى القاء الدروس اللاهوتيّة على الشمامسة. ونظراً الى ما تحلى به هذا الاب الفاضل من الخلال الرهبانية وما امتاز به من اصالة الرأي وبعد النظر اجمع الرؤساء البندكتيون على اصطفائه رئيساً لديرهم الشهير في بكفست بانكلترا . ولما انبلغه الامر اقام له رئيس الشرفة ولفيف الكهنة والشمامسة والتلامذة حفلة وداع جميلة دلّت على ولائهم وامتنانهم . وفي ٢ شباط السنة عينها غادر الدير وانطلق الى رئاسته . سهل المولى طريقه وادام توفيقه .

١٠ - الاب غوّيلم دي لاجودي الفرنسي

أبصر النور في ٢٦ اذار ١٨٨٢ وانضوى الى مصاف الرهبان في ٢٩ ايلول ١٩٢١ وارتقى الى الدرجة الكهنوتية في ٦ تموز ١٩٠٨ ونُصب معلماً للاهوت عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ في دير الشرفة .

١١ – الاب يوحنا دي شابان الفرنسي

اصطبغ بمياه المعموذية في ٣٠ ايار ١٨٩٩ واندمج في مصاف الرهبان البندكتيين في ٢ حزيران ١٩١٦ ودُهن بميرون الكهنوت المقدّس في ١٠ آب ١٩٣٤ وتولّى تدريس اللاهوت في اكليريكية الشرفة اولاً عام ١٩٤٠–١٩٤١ ثم عام ١٩٤٦ – ١٩٤٧ وما برح ناهضاً بمهمته حتى اليوم

الفصل الرابع عشر

ذكر الذين تثقفوا زمناً في دير الشرفة

تكملةً لموضوع كتابنا هذا رأينا من المستحب ان ندرج اسماء الفتيان الذين يمّموا دير الشرفة وقضوا فيه ردحاً من الزمان ثم غادروه مستعظمين الدعوة الكهنوتيّة المقدّسة مقتنعين بعدم كفاءتهم . وقد ادرجنا اسماء فريق منهم في كتابنا هذا ممن يمّموا هذا المعهد المبارك قبل السنة ١٨٤١ امّا الذين قصدوا منذ السنة ١٨٤١ حتى السنة ١٩٣٠ فقد اناف عددهم على ٢٠٠ فتىً اقتصرنا على الاشارة اليهم واكتفينا بذكر اشهرهم لافتين نظر الاحياء منهم الى معهد مبارك عُني بتربيتهم وغذّاهم باصفى الفضائل وانقى المعارف ومستمطرين على المتوفين منهم غيوث الرحمات الالهية وهم :

١ – الياس جرجس قصّار الحلبيّ	(١٨٤١ – ١٨٤٥)
٢ – جرجس بخّاش 〃	(١٨٤٤ – ١٨٤٦)
٣ – الياس الطنجي 〃	(١٨٤٥ – ١٨٤٦)
٤ – جرجس عجيلة الدمشقي	(١٨٤٤ – ١٨٤٥)
٥ – نعوم بشخنجي البيروتيّ	(١٨٤٨ – ١٨٥٤)
٦ – رزق الله 〃 〃	(١٨٥١ – ١٨٥٤)
٧ – يوسف رومي الماردينيّ	(١٨٥٨ – ١٨٦١)
٨ – عبدالله فتح الله بخاش	(١٨٥٩ – ١٨٦٢)
٩ – جبرائيل ابن الوكيل الحلبي	(١٨٦٢ – ١٨٦٩)

١٠ – جرجس سعيد بوصيك الماردينيّ (١٨٦٤ – ١٨٦٨)
١١ – جبرائيل زكرت الماردينيّ (١٨٦٤ – ١٨٦٨)
١٢ – رزق الله نعمان اعرج البغداديّ (١٨٦٦ – ١٨٧٠)
١٣ – يوسف بن الياس شلحت الحلبيّ (١٨٧٣ – ١٨٧٨)
١٤ – عبدالله بن الياس شلبي الدمشقيّ (١٨٧٤ – ١٨٧٦)
١٥ – قرياقس بن توما انجا الدياربكريّ (١٨٧٥ – ١٨٧٦)
١٦ – يوسف شاهين الحمصيّ (١٨٧٧ – ١٨٧٩)
١٧ – سليمان عيسى من القريتين (١٨٧٧ – ١٨٧٩)
١٨ – عبدالله بن يوسف اجقباش الحلبيّ (١٨٧٧ – ١٨٧٩)
١٩ – انطون بن فرنسيس مدور الدمشقي (١٨٨١ – ١٨٨٤)
٢٠ – نجيب بن الياس شلحت الحلبيّ (١٨٨٣ – ١٨٨٤)
٢١ – حبيب بن روفائيل بوصيك الماردينيّ (١٨٨٦ – ١٨٨٧)
٢٢ – حبيب بن نعمة قرواني الدمشقيّ (١٨٨٨ – ١٨٩٢)
٢٣ – يوسف ديبو من دمشق (١٨٨٩ – ١٩٠٠) مكث احدى عشر سنة وخرج
٢٤ – يوسف بن انطون جلّاد الدمشقي (١٨٨٩ – ١٨٩٢)
٢٥ – الياس بن انطون عدّاد المصريّ (١٨٨٩ – ١٨٩٨)
٢٦ – انطون بن عبدالله شبّين الحلبيّ (١٨٩٠ – ١٨٩٧)
٢٧ – يوسف بن شكرالله شلحت الحلبي (١٨٩٠ – ١٨٩٣)
٢٨ – يوسف سعيد معمارباشي الماردينيّ (١٨٩١ – ١٨٩٣)
٢٩ – الياس بن اسعد ابي حمد الدمشقي (١٨٩٢ – ١٨٩٣)
٣٠ – جرجي بن ملحم كنج الدمشقي (١٨٩١ – ١٨٩٢)
٣١ – موسى دعّاس من قطنة (١٨٩٤ – ١٨٩٦)
٣٢ – موسى ديب من دمشق (١٨٩٤ – ١٨٩٤)
٣٣ – ميخائيل ضوضو الحلبيّ (١٨٩٤ – ١٩٠٠)
٣٤ – سليم ميخائيل خوري من قطنة (١٨٩٥ – ١٨٩٩)
٣٥ – الياس 〃 〃 〃 〃 شقيقه (١٨٩٥ – ١٨٩٧)
٣٦ – جرجي حبيب ابيض الحلبيّ (١٨٩٥ – ١٨٩٧)
٣٧ – فرج الله هنديّة من بيروت (١٨٩٥ – ١٨٩٧)
٣٨ – يوسف بن موسى ابرهيمشاه – من بيروت (١٨٩٥ – ١٨٩٧)
٣٩ – عبدالكريم سعيد نوري الماردينيّ (١٨٩٥ – ١٩٠١)
٤٠ – يوسف دالاتي من بيروت (١٨٩٦ – ١٨٩٨)
٤١ – وديع مهاني (١٨٩٦ – ١٨٩٧)

٤٢ - بطرس والد القس يوسف بلدو (١٨٩٧ - ١٨٩٩)
٤٣ - ابرهيم تبّوني الموصلي (١٨٩٧ - ١٩٠٠ + ١٩٠٢)
٤٤ - فؤاد سرياني من حمص (١٨٩٩ - ١٨٩٩)
٤٥ - انطون يعقوب غريب من القريتين (١٨٩٩ - ١٩٠٠)
٤٦ - جوزيف قرواني (١٨٩٩ - ١٩٠٠) ثم انطلق الى الاستانة وظلّ في دير مار لويس حتى السنة ١٩٠٣
٤٧ - يوسف جرجي فخير من دياربكر (١٨٩٩ - ١٩٠٠) ثم انطلق الى فينة
٤٨ - وديع نقولا عازر من مصر (١٩٠٠ - ١٩٠٢)
٤٩ - اسكندر متري حبيس من بيروت (١٨٩٩ - ١٩٠٠)
٥٠ - فيليب وانيس من اورفا (١٩٠٠ - ١٩٠٣) اشتغل في المطبعة
٥١ - ابرهيم كرّومي من الموصل (١٩٠١ - ١٩٠٢)
٥٢ - يوسف بن ابرهيم حبّابة من الجابريّة (١٩٠٢ - ١٩٠٥)
٥٣ - ابرهيم بن عيسى المخلوف من الجابريّة (١٩٠٢ - ١٩٠٣)
٥٤ - داود مخول صنم من الحفر (١٩٠٢ - ١٩٠٤)
٥٥ - انطون دقّاق من حلب (١٩٠٣ - ١٩٠٩)
٥٦ - جرجس موسى كريّم من يبرود (١٩٠٣ - ١٩٠٧)
٥٧ - الياس سليم البشّ من حمص (١٩٠٣ - ١٩٠٥)
٥٨ - بطرس حبّوش الموصلي (١٩٠٨ - ١٩٠٨) ثم قصد اكليريكية اليسوعيين
٥٩ - الياس عاقل من اسكندرونة (١٩٠٥ - ١٩٠٨)
٦٠ - انطون عزّوز من الاسكندريّة (١٩٠٦ - ١٩٠٨)
٦١ - الياس نصري انطي من ماردين (١٩٠٦ - ١٩٠٨)
٦٢ - ميخائيل عبدالله صائغ من دمشق (١٩٠٨ - ١٩٠٩)
٦٣ - الياس فارس الحاج من قطنة (١٩٠٩ - ١٩٢١) وقد مكث في الدير ١٣ سنة .
٦٤ - جرجي بن متّى الو الموصلي (١٩٠٩ - ١٩١١)
٦٥ - ملكي بن شمعون ملكي (١٩٠٩ - ١٩١٣) من آطنة
٦٦ - ميخائيل بن يوسف مراد من طرسوس (١٩٠٩ - ١٩١١)
٦٧ - يوسف اسود الحلبي (١٩٠٩ - ١٩١٩) مكث عشر سنوات
٦٨ - فريد بن متري عبد الواحد من بيروت (١٩٠٩ - ١٩١٠)
٦٩ - كريم لطفي من حماة (١٩٠٩ - ١٩١٢)
٧٠ - روفائيل بن رزق الله بنّي من دمشق (١٩١١ - ١٩١٢)
٧١ - رئيف نائف عبدالاحد من حماة (١٩١١ - ١٩٢٠) مكث تسع سنوات

٧٢ - رئيف مراد نزها من حماة (١٩١١ - ١٩١١)
٧٣ - ميخائيل ابرهيم شاهين من دمشق (١٩١١ - ١٩١٢)
٧٤ - امين بن زكريا يشوع من الرها واخوه جرجي (١٩١٢ - ١٩١٥)
٧٥ عبدالنور بن مرقس داشجي من الرها (١٩١٢ - ١٩١٤)
٧٦ - موسى صليبا من الرها (١٩١٢ - ١٩١٩)
٧٧ - نجيب رزوق موسى من بغداد (١٩١٢ - ١٩١٤)
٧٨ - نوري كرومة ابن القس نعمان من البصرة (١٩١٢-١٩١٧)
٧٩ - انطون بن الياس سمارة من دمشق (١٩١٢ - ١٩٢٠)
٨٠ - داود عنيمة الرهاوي (١٩١٣ - ١٩١٤)
٨١ - زكريا داود حنوش من ماردين (١٩١٤ - ١٩١٤)
٨٢ - جبرائيل عبدالجليل من بيروت (١٩١٤ - ١٩١٩)
٨٣ - جميل خياط من الموصل (١٩١٤ - ١٩١٩)
٨٤ - عزوري حبوش من بغداد (١٩١٤ - ١٩١٩)
٨٥ - جبرائيل بلدو (١٩١٤ = ١٩١٦)
٨٦ = عزيز ابن القس ابرهيم دنحش من صدد (١٩٢٠=١٩٢٤)
٨٧ = يوسف بن بطرس يغمور من مصر (١٩٢٠ = ١٩٢٣)
٨٨ = ابرهيم ابن الخوري سمعان من حماة (١٩٢١=١٩٢٤)
٨٩ = اديب الياس نزها من حماة (١٩٢١ = ١٩٢٥)
٩٠ = عبدالمسيح بن الياس نزها 〃 (١٩٢١ = ١٩٢٥)
٩١ = فؤاد بن ابرهيم بهنا 〃 (١٩٢١ = ١٩٢٦)
٩٢ = عبدالمسيح بن سعيد قره كله من ماردين (١٩٢١=١٩٢٤)
٩٣ = نديم بربر من حمص (١٩٢١ = ١٩٢٥)
٩٤ = حنا فرج من حماة (١٩٢١ = ١٩٢٢)
٩٥ = جوزيف اديب 〃 (١٩٢١ = ١٩٢٢)
٩٦ = اديب بهنام من الرها (١٩٢٢ = ١٩٢٦)
٩٧ - جبرائيل نانو كدا من ماردين (١٩٢٢ - ١٩٢٥)
٩٨ - جميل بن يعقوب سرياني من مصر (١٩٢٢ - ١٩٢٢)
٩٩ - عبدالكريم توماس من حماة (١٩٢٢ - ١٩٢٥)
١٠٠ - جرجس موسى لطفي 〃 (١٩٢٢ - ١٩٢٧)
١٠١ - جورج رزوق بني من دمشق (١٩٢٢ - ١٩٢٦)
١٠٢ - نعيم عساف من حمص (١٩٢٢ - ١٩٢٥)
١٠٣ - نابليون صابونجي من بيروت (١٩٢٣ - ١٩٢٦)

١٠٤ – جبرائيل خوري من القريتين (١٩٢٣ – ١٩٢٥)
١٠٥ – بشارة جرجس من حَفَر (١٩٢٤ – ١٩٢٧)
١٠٦ – جبرائيل رُبز من صدد (١٩٢٤ – ١٩٢٦)
١٠٧ – يعقوب عبدالنور من فحَيلة (١٩٢٥ – ١٩٢٦)
١٠٨ – عزيز موسى من فحَيلة (١٩٢٥ – ١٩٢٦)
١٠٩ – نبيه نعمة من حَفَر (١٩٢٥ – ١٩٢٦)
١١٠ – عيسى غريب من فيروزة (١٩٢٥ – ١٩٢٧)
١١١ – جبرائيل بيرم من الشام (١٩٢٥ – ١٩٢٥)
١١٢ – جميل قاووغ من ماردين (١٩٢٥ – ١٩٢٦)
١١٣ – الراهب بهنام موسى قرقوشي (١٩٢٦ – ١٩٢٨)
١١٤ – الراهب توما سكرية قرقوشي (١٩٢٦ – ١٩٣٠)
١١٥ – الراهب افرام عبو المنصور من الموصل (١٩٢٦–١٩٢٨)
١١٦ – يونان داود من الموصل (١٩٢٧ – ١٩٣٠)
١١٧ – روفائيل قس روفائيل من برطلي (١٩٢٦ – ١٩٣٠)
١١٨ – عيسى بن سليم قندلا (١٩٢٧ – ١٩٣٠)
١١٩ – ابرهيم عيسو قرقوشي (١٩٢٧ – ١٩٣٠)
١٢٠ – جان عبدالنور من الرها (١٩٢٧ – ١٩٣٠)
١٢١ – افرام سفر من ماردين (١٩٢٨ – ١٩٢٩)
١٢٢ – نعمة الله فتّوجي نعمان (١٩٢٨ – ١٩٢٩)
١٢٣ – سمعان جرجي بهنام (١٩٢٩ – ١٩٣٠)
١٢٤ = فرج موري من دمشق (١٩٢٨ = ١٩٣٠)
١٢٥ – طنوس داود من قطنة (١٩٢٨ = ١٩٣٠)
١٢٦ = يوسف مصري (١٩٢٨ = ١٩٣٠)
١٢٧ = الياس بهنا من زحلة (١٩٢٨ = ١٩٣٠) الخ الخ الخ

حَسْبنا هذا الجيش من الفتيان الذين قضوا مدة في هذا المعهد المقدّس ضاربين الصفح عن البقيَّة ومعظمهم من قرى الموصل والجزيرة وطورعبدين ومن اطراف ماردين والرها وسويرك وديار بكر وقرى حمص وحماة الخ. وفي ما ذكرناه مؤونة للدلالة على فضل دير سيدة النجاة وجميلها وكفى ٠

الخاتمة

هذا ما توخينا اثباته بحوله تعالى في هـذا الكتاب من اخبار دير سيدة النجاة انتقينا اقسامه الاولى من تالد الصكوك* وطارف الرسائل والرقاع والحجج المصونة في خزانته . وجمعنا ما جمعنا من حوادث الآباء الذين تثقفوا فيه ودبّجناه بعرض لطيف من رسومهم الكريمة حتى تيسر لنا ان نقدّمه بمثابة ذكرى شهيّة وتحفةٍ جميلة لمحبي هذا المعهد الكهنوتي المقدّس . يخطر ببالهم ذكريات آباء فضلاء بذلوا من التضحيات أوفرها وكابدوا من الاتعاب والصعوبات أجزلها حتى تمكنوا من تعزيز جماعات سريانيَّة كاثوليكيَّة انتشرت في بلاد المشرق حتى انك لا تكاد ترى مدينة او قرية من المدن والقرى التي يشغلها السريان الا ولكهنة دير الشرفة فيها اليد الطولى والمنزلة الكبرى .

ولقد صدق الكردينال اسكندر فرنكي امين سر مجمع البروبغندا في جوابٍ وجّهه الى الخورفسقفوس ميخائيل ازرق رئيس الشرفة بتاريخ اول تموز ١٨٧٤ اذ قال : « إن اكليريكية الشرفة ضرورية جداً للكنيسة السريانية لانها ركن الطائفة السريانية » (هنا ٢٦٥) . فقد غدت ولعمري منذ تأسيسها عام ١٧٨٦ ركناً متيناً راسخاً اعتصم به بطاركة واساقفة وخوارنة واقسَّة دوّن لهم التاريخ في صفحاته ذكريات جميلة وصنائع حسنة شريفة . اذ تعاضدوا وتعاونوا على انعاش السريان من عثرتهم واقالتهم من سقطتهم . واستعذبوا التعب والسهر ووجدوا في انفسهم نشاطاً حلواً لذيذاً دفعهم ليثابروا على خدمة الامّة خدمةً نصوحاً لا ينقطع برُّها ولا يُمحي إثرها . ذلك كله تتميماً لمشيئة الله عزَّ شأنه وطمعاً باحراز الثواب السماوي .

والى القارىء النجيب لائحة انطوت على تلامذة هذا الدير المقدّس منذ تأسيسه حتى اليوم :

اوّلاً – البطاركة الانطاكيون تلامذة دير الشرفة :

نبغ من دير سيدة النجاة ثلاثة بطاركة انطاكيين هم : اغناطيوس ميخائيل ضاهر . واغناطيوس بطرس جروة . واغناطيوس فيلبس عركوس .

ثانياً – البطاركة الذين تقلدوا منصب البطريركية في دير الشرفة :

تقلّد في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة ستة احبار منصب البطريركية الانطاكية وهم : اغناطيوس ميخائيل ضاهر . اغناطيوس سمعان زورا . اغناطيوس بطرس جروة . اغناطيوس انطون سمحيري . اغناطيوس جرجس شلحت . اغناطيوس جبرائيل تبوني .

ثالثاً – الاساقفة تلامذة الشرفة الخاص :

تخرّج في دير سيدة النجاة ١٤ اسقفاً وهم : يوليوس انطون قطربلي : قورطس انطون دياربكري . اثناسيوس جبرائيل حمصي . باسيليوس ميخائيل هدايا . قورطس يوسف حائك . ماروثا بطرس طوبال . فلبيانس بطرس متاح . اثناسيوس رافائيل جرخي . غريغوريوس جرجس شاهين . يعقوب متى احمردقنه . ثيوفيلس انطون قندلفت . قرلس بولس دانيال . اثناسيوس اغناطيوس نوري . ثيوفيلس يوسف رباني .

رابعاً – الاساقة الذين تلقوا بعض الدروس في الشرفة :

اما الاساقفة الذين قضوا حقبةً في دير الشرفة يدرسون السريانية والطقوس البيعية فهم : اقليميس بولس صعب . اقليميس يوحنا معمارباشي . اقليميس ميخائيل نجاش . غريغوريوس بطرس هبرا . ديونيسيوس افرام نقاشة . اوسطاتيوس موسى سركيس . قرلس جرجس دلّال . اثناسيوس بهنام قليان . ايونّيس جرجس ستيته . ربولا يوسف نجّاش .

خامساً — الكهنة الذين ارتقوا في كنيسة دير الشرفة الى الرتبة الاسقفية :

ارتقى في كنيسة دير سيدة النجاة ١٣ كاهناً الى الرتبة الاسقفية السامية وهم : السادة : يوليوس انطون قطربلي · قرلس بهنام بشارة اخطل · قورطس انطون دياربكري · اثناسيوس جبرائيل حمصي · باسيليوس ميخائيل هدايا · قورطس يوسف حائك · قرلس ميخائيل يوحانا · اقليمايس بولس صعب · ماروثا بطرس طوبال · غريغوريوس بطرس هبرا · ديونيسيوس افرام نقاشة · ايونيس جرجس ستيته · يعقوب يوحنا حبي ·

سادساً — كهنة دير الشرفة :

اما الكهنة فمنهم من تلامذة دير الشرفة الخلّص الصرحاء ومنهم فريق تلقوا فيه بعض دروسهم وهذه لائحتهم :

	الكهنة تلامذة الشرفة الخلّص	الكهنة الذين تلقّوا فيها بعض الدروس
حلب	٦٥	١٤
ماردين	٥٠	١٢
دمشق	٢٥	٦
الموصل	٢٣	٩
حمص وضواحيها	٢١	٥
بغداد وتوابعها	١١	٥
دياربكر وضواحيها	٩	٣
الرها	٣	
خربوط	٣	
الجزيرة	٢	
القاهرة	٣	١
	٢١٥	٥٣

ترى من هذه اللائحة ان الكهنة الحلبيين تلامذة دير الشرفة هم اوفر عدداً من سائر الكهنة · ويأتي بعدهم الماردينيون فالدمشقيون فالموصليون فالحمصيون فالبغداديون فالامديون الخ · وهناك فريق من الكهنة ممن تثقفوا

في هذا المعهد المبارك وخدموا النفوس في اورشليم وفي آطنة وطرسوس وسعرد وقرى طورعبدين وسويرك وحصن منصور الخ .

سابعاً – مجامع دير الشرفة

عقد احبار الكنيسة السريانيّة عدّة مجامع في دير سيدة النجاة وتداولوا في شؤون دينية وتهذيبية وملية اشهرها :

١ – مجمع البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (هنا صفحة ٧٩)
٢ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس الرابع (ص ١٤٩)
٣ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس سمعان (ص ١٦٩)
٤ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس بطرس جروة (ص ١٨٩)
٥ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري (ص ٢٢٧)
٦ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (ص ٢٨٧)
٧ – المجمع الملّي الكبير عام ١٨٨٨ (ص ٣٣١ – ٣٣٩)
٨ – مجمع انتخاب البطريرك اغناطيوس جبرائيل تبوني (ص ٥٥١) اطال الله تعالى عهد رئاسته .

ونضرب الصفح عن ذكر سائر المجامع التي عقدها البطاركة والاساقفة في هذا الدير المبارك لانتخاب اساقفة او للنظر في احوال الطائفة .

ثامناً – الاحبار المدفونون في مصلى سيدة النجاة

ضمّ هذا المصلى المعروف عند السريان بعنوان ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ رفات بطريركين وهما : رفات البطريرك اغناطيوس ميخائل الثالث مؤسس الدير ورفات البطريرك اغناطيوس سمعان زورا . ورفات الاساقفة : يوليوس انطون قطربلي . قورلس انطون دياربكري . ايونيس نعمةالله الصدي . اقليميس بولس صعب . غريغوريوس متى نقار . ثئوفيلس انطون قندلفت . يوليوس باسيل قندلفت . اوسطاثيوس موسى سركيس . ديونيسيوس افرام نقاشة .

اثناسيوس اغناطيوس نوري . سكب المولى على نفوسهم غيوث مراحمه

***

والآن لم يبقَ لي في خاتمة الكتاب إلّا ان استمطر غيوث المراحم الالهية على تلامذة دير سيدة النجاة الراقدين على رجاء القيامة المجيدة مستمداً من المولى الكريم ان يتغمد نفوسهم بغزير رحمته ويمتعها في فسيح جنته . واسأل للاحيـاء منهم معونةً وقوةً ليواصلوا جهادهم في سبيل الانفس العزيزة على قلبه كي يحوزوا الاجر المضاعف في ملكوته . هكذا يشارك الاحياء الاموات في ترانيم الحمـد والشكر لله الرحمن الرحيم هاتفين : « لتمُت نفسنا موت المستقيمين ولتكن آخرتنا كآخرتهم » (سفر العدد ٢٣ : ١٠) آمين .

تنبيه : اضف الى الصفحة ٥٥٢ في السطر الرابع ما يلي :

ويوليوس بهنام قليان . وثئوفيلس يوسف جرجي .

انتهى والحمد لله تعالى

فهرس الكتاب

مقدمة صفحة

القسم الاول

مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة ٥

الفصل الاوّل حداثة البطريرك ميخائيل الثالث ١١
« الثاني قسوسية البطريرك ميخائيل واسقفيته ١٣
« الثالث بطريركية مار اغناطيوس ميخائيل الثالث ١٨
« الرابع قدوم البطريرك ميخائيل الى لبنان ٢٥
« الخامس البطريرك ميخائيل جروة والامراء اللمعيون ٣١
« السادس مراسلات اعيان الملّة السريانية الى السيد البطريرك ٣٥
« السابع قدوم البطريرك ميخائيل الى كسروان واستئجاره الشرفة ٣٩
« الثامن البطريرك ميخائيل والشيخ غندور سعد الخوري ٤٨

القسم الثاني

دير الشرفة في عهد مؤسسه المغبوط ٥٦

الفصل الاول مشترى الشرفة ٥٨
« الثاني سجلّ مشترى الشرفة ٦٠
« الثالث بشرى البطريرك الانطاكيّ للحبر الروماني بمشترى الشرفة ٦٣
« الرابع البطريرك ميخائيل والامراء الشهابيون ٧٠
« الخامس افتتاح دير الشرفة ٧٦
« السادس اوّل مجامع دير الشرفة واساتذة الدير الاوّلون ٧٩
« السابع عيشة البطريرك ميخائيل في دير الشرفة ٨١

صفحة

الفصل الثامن امتعة دير الشرفة وكتبه الاولى ٨٣
« التاسع والعاشر آل جروة ودير الشرفة ٨٦
« الحادي عشر الدولة الاسبانية ودير الشرفة ٨٩
« الثاني عشر الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا وسائر المحسنات والمحسنين الى دير الشرفة ٩٦
« الثالث عشر عوارف الدوقة دي ويلّا هرموزا وهداياها الثمينة الى دير الشرفة ٩٩
« الرابع عشر تقرير اقامة الكرسي البطريركي في لبنان ١١٤
« الخامس عشر السريان المصريّون ودير الشرفة ١١٥
« السادس عشر المعلّم ميخائيل فتّال وكيل دير الشرفة الكومندور خليل فتّال ١١٩
« السابع عشر ابنية البطريرك ميخائيل في الشرفة ١٢٣
« الثامن عشر سيامة اسقفين في مصلّى دير الشرفة ١٢٥
« التاسع عشر بواكير قسوس دير الشرفة ١٢٩
« العشرون اواخر حياة البطريرك ميخائيل ورقاده بالرب ١٣٥
« الحادي والعشرون مزايا البطريرك ميخائيل المغبوط ١٣٩
تصريح البابا بيوس السابع ١٤٠
« الثاني والعشرون اوقاف البطريرك ميخائيل لدير الشرفة ١٤٢
« الثالث والعشرون مكتبة البطريرك ميخائيل وتآليفه ١٤٥

القسم الثالث

دير الشرفة مذ السنة ١٨٠٠ حتى السنة ١٨٤٢

الفصل الاوّل البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر ودير الشرفة ١٤٩
« الثاني الدوقة مريم دي ويلّا هرموزا ودير الشرفة ١٥٤
« الثالث قسوس دير الشرفة (١٨٠٠ — ١٨١٠) ١٥٨

صفحة

الفصل الرابع المطران يوليوس انطون ودير الشرفة ١٦٣
« الخامس بطريركية السيد اغناطيوس سمعان زورا ودير الشرفة ١٦٩
« السادس استعفاء البطريرك سمعان ووقفه ووصيته الاخيرة ١٧٣
« السابع عود على بدء — الاب الياس ابرهيمشاه دبّ ١٧٨
« الثامن كهنة دير الشرفة (١٨١١ — ١٨٢٢) ١٨٠
« التاسع دير الشرفة في عهد المطران ميخائيل هداية ١٨٧
« العاشر البطريرك اغناطيوس بطرس جروة ودير الشرفة ١٨٩
« الحادي عشر القس اندراوس يغمور رئيس دير الشرفة ١٩٥
ميشال نعوم يغمور ١٩٨
« الثاني عشر قسوس دير الشرفة (١٨٢٥ — ١٨٤١) ٢٠٠

القسم الرابع

دير الشرفة (١٨٤٢ — ١٨٧٩)

الفصل الاوّل نظرة اجمالية في ما سبق ٢٠٥
البابا غريغوريوس السادس عشر ودير الشرفة ٢٠٦
« الثاني رئاسة المطران اقليميس بولس صعب ٢٠٧
« الثالث كهنة دير الشرفة (١٨٤١ — ١٨٤٩) ٢١٢
المطران بطرس متاح ٢١٤
المطران بطرس طوبال ٢١٥
المطران روفائيل جرخي ٢١٨
المطران متى احمردقنه ٢١٩
« الرابع رئاسة الخوري ميخائيل ازرق ٢٢٣
« الخامس رئاسة المطران يوسف حائك ٢٢٦
البطريرك انطون سمحيري ٢٢٧
« السادس رئاسة المطران يعقوب حلياني ٢٢٨

صفحة

الفصل السابع	رئاسة الخوري ميخائيل ازرق (ثانية)	٢٣١
	الخوري يوحنا حبيب ودير الشرفة	٢٣٤
« الثامن	كهنة دير الشرفة (١٨٥١ — ١٨٦٥)	
	المطران بولس دانيال	٢٣٦
	المطران انطون قندلفت	٢٣٧
	المطران جرجس شاهين	٢٣٩
« التاسع	البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس	٢٤٨
	البابا بيوس التاسع والبطريرك فيلبس	٢٥٣
« العاشر	المطران متى نقّار	٢٥٩
« الحادي عشر	كردينال مجمع نشر الايمان المقدّس ورئيس الشرفة	٢٦٤
« الثاني عشر	كهنة دير الشرفة (١٨٦٦—١٨٧٩)	٢٦٨
« الثالث عشر	المطبعة البطريركية في دير الشرفة	٢٨٢
« الرابع عشر	البطريرك جرجس شلحت في دير الشرفة	٢٨٧
« الخامس عشر	تأسيس كنيسة الشرفة الجديدة	٢٩٠
« السادس عشر	المحسنون لاجل بناء الكنيسة	٢٩٢
« السابع عشر	استعفاء الخوري ميخائيل ازرق واعماله المبرورة ووفاته	٢٩٥

القسم الخامس

دير الشرفة (١٨٧٩ — ١٨٩٥)

الفصل الاول	رئاسة الخوري يوسف معمارباشي	٢٩٩
« الثاني	كهنة دير الشرفة (١٨٨١ — ١٨٨٥)	
	المطران اغناطيوس نوري	٣٠٤
	المطران ميخائيل ملكي	٣٠٨
« الثالث	البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت ودير الشرفة	٣٢٢

		صفحة
الفصل الرابع	رئاسة الخوري باسيل قندلفت	٣٢٥
« الخامس	رئاسة الخوري بطرس بوصيك	٣٢٦
« السادس	رئاسة الخوري موسى سركيس	٣٣٠
« السابع	مجمع احبار السريان في الشرفة	٣٣١
	البابا لاون الثالث عشر ومجمع الشرفة	٣٣٩
« الثامن	المطران اقليميس يوسف داود ودير الشرفة	٣٤٠
« التاسع	مشاريع الخوري موسى سركيس في دير الشرفة	٣٤٤
« العاشر	كهنة دير الشرفة (١٨٨٦ — ١٨٩٣)	٣٤٥
« الحادي عشر	رئاسة المطران باسيل قندلفت	٣٥٥
« الثاني عشر	كهنة دير الشرفة	٣٥٨

القسم السادس

دير الشرفة (١٨٩٥ — ١٩٢٩)

	وقفة في دير الشرفة (في السريانية)	٣٦٣
الفصل الاوّل	رئاسة الخوري بولس هبرا	٣٧٠
	البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي	٣٧١
« الثاني	البطريرك اغناطيوس افرام رحماني	٣٧٣
	البطريرك الياس بطرس الحويّك	٣٧٥
« الثالث	مشاريع الخوري بولس هبرا	٣٧٨
	المطران جرمانس معقد	٣٨١
« الرابع	الذكرى المئويّة لوفاة مؤسس الشرفة	٣٨٢
« الخامس	سيامة رئيس الشرفة مطراناً للموصل	٣٨٤
« السادس	كهنة دير الشرفة (١٨٩٧ — ١٩٠٣)	٣٨٥
	الخوري اسحق ارملة	٣٩٥

صفحة

الفصل السابع نيابة الاب موسى دلال في دير الشرفة
وارتقاؤه الى مطرانية الموصل ٤٠٣
" الثامن رئاسة الخوري موسى سركيس واسقفيته ٤٠٦
" التاسع كهنة دير الشرفة (١٩٠٥ – ١٩١٢) ٤١٠
" العاشر رئاسة الخوري افرام خيقاري واسقفيته ٤٢٩
" الحادي عشر كهنة دير الشرفة (١٩١٣ – ١٩١٩) ٤٣٢
— المطران تئوفيلس يوسف ربّاني ٤٣٢
" الثاني عشر نيابة الخوري جرجس ستيتة ٤٤١
" الثالث عشر رئاسة المطران اقليميس ميخائيل بخاش ٤٤٢
" الرابع عشر القس حنا خوري ٤٤٥
" الخامس عشر رئاسة القس بطرس هنديّة ٤٤٧
رئاسة المطران يوليوس بهنام قليان ٤٤٨

القسم السابع

ذكر اساقفة وكهنة درسوا حقبة في الشرفة

الفصل الاول الاساقفة والكهنة (١٧٨٩ – ١٨٧٩) ٤٥١
" الثاني الاساقفة والكهنة (١٨٧٩ – ١٩٠٠) ٤٦٣
المطران ربولا يوسف بخاش ٤٧٠
" الثالث الاساقفة والكهنة (١٩٠٠ – ١٩٣٠) ٤٧٥
" الرابع ذكر اساقفة وقسوس انضمّوا الى الكثلكة واقاموا
حقبة في دير الشرفة ٥٠٠
المطران عبدالله ٥٠١
البطريرك اغناطيوس عبدالمسيح ٥١٢
المطران يوليوس ابرهيم داود ٥١٤
المطران ايوتيس الياس هلّولي ٥١٥

﴿ القسم الثامن ﴾

الناذرون ووكلاء دير الشرفة

		صفحة
الفصل الاوّل	الناذرون الاوّلون	٥١٨
« الثاني	المقدسي ميخائيل قفاف	٥٢٠
« الثالث	الشماس رزق‌الله سفّور دقاق	٥٢١
« الرابع	الشماس يوسف تبان	٥٢٣
« الخامس	الخوري انطون قرواني	٥٢٦
« السادس	الشماس باسيل ناعم	٥٢٧
« السابع	القس انطون سفر	٥٢٩
« الثامن	الخوري حبيب قره كله	٥٣٢
« التاسع	وكلاء اوقاف دير الشرفة في حلب	٥٣٤
	المطران ديونيسيوس حبيب نعساني	٥٣٥

القسم التاسع

المستشرقون في دير الشرفة	٥٣٧
الاباتي انسلمس شيباس لاسال	٥٤٢
الاب بونونتور اوباك الاسباني	٥٤٣

القسم العاشر

ادماج اكليريكية القدس في اكليريكية الشرفة

	وقفة في دير الشرفة	٥٤٨
الفصل الاوّل	مجمع الاساقفة لانتخاب بطريرك جديد	٥٥١
« الثاني	مار اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي ودير الشرفة	٥٥٥

صفحة

الفصل الثالث	تأسيس اكليريكية الاباء البندكتيين السريانية في القدس	٥٦٢
« الرابع	رئاسة الخورفسقفوس جرجي ستيتة ومطرانيته	٥٦٥
	غبطة البطريرك انطون بطرس عريضة	٥٦٦
« الخامس	قدوم اول فوج من القدس الى دير الشرفة وسيامة خمسة منهم قسوساً	٥٦٨
« السادس	رئاسة الخورفسقفوس زكريا ملكي	٥٧٣
« السابع	قسوس دير الشرفة (١٩٣٣ و ١٩٣٤)	٥٧٦
« الثامن	قسوس دير الشرفة (١٩٣٦ و ١٩٣٨)	٥٨٢
« التاسع	زيارة نيافة الكردينال اوجين تيسران لدير الشرفة عام ١٩٣٩ .	٥٨٨
« العاشر	قسوس دير الشرفة (١٩٤٠ و ١٩٤١)	٥٩١
« الحادي عشر	قسوس دير الشرفة (١٩٤٤ و ١٩٤٤)	٥٩٧
« الثاني عشر	قسوس دير الشرفة (١٩٤٧)	٦٠١
« الثالث عشر	الاساتذة البندكتيّون في دير الشرفة	٦٠٤
« الرابع عشر	ذكر الذين تثقفوا في دير الشرفة	٦٠٩
	الخاتمة	٦١٤
	الفهرس	٦١٩

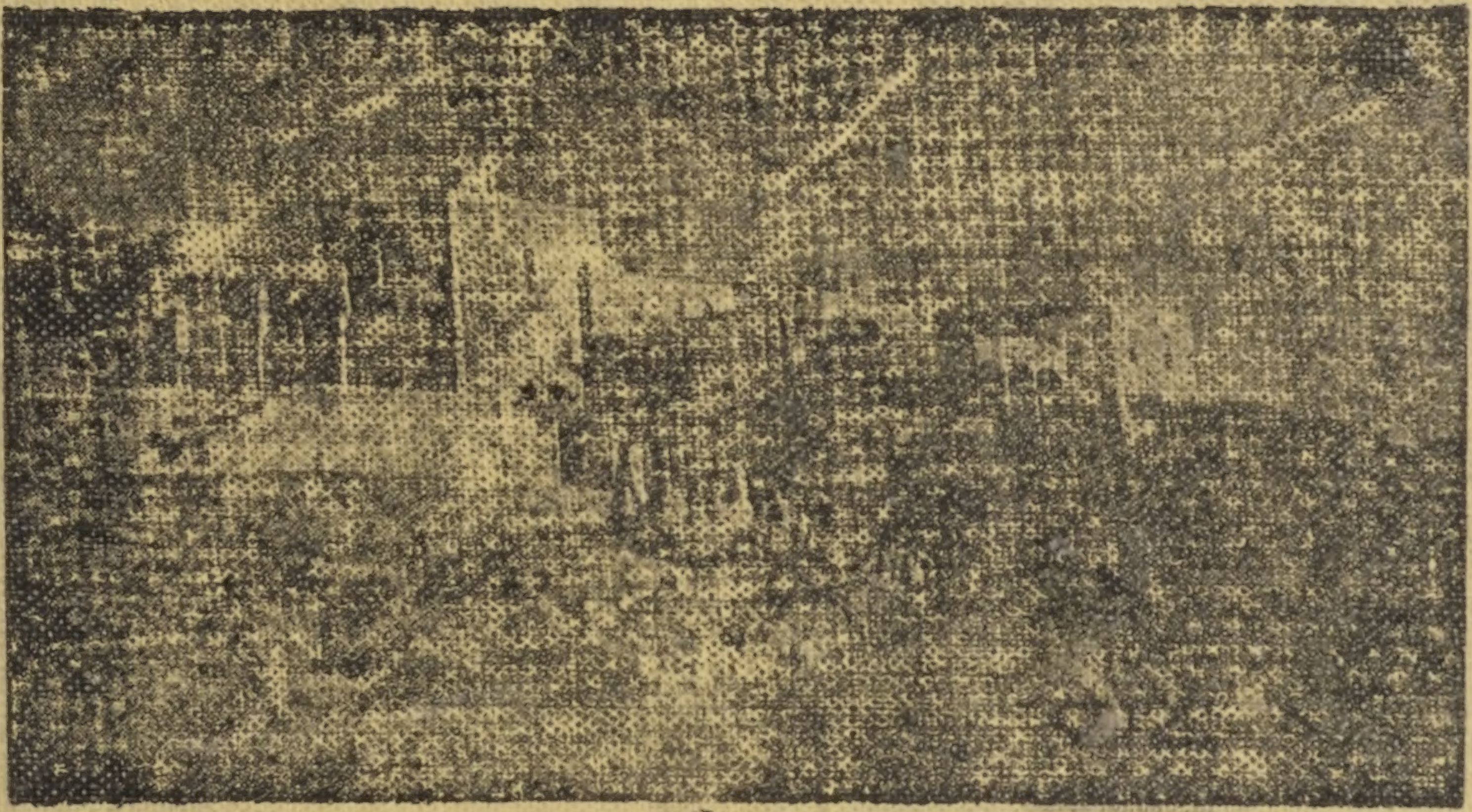

[illegible]